جسر الوجدان

بين

اليمن والسودان

للعطاسي... الشيخ أبو فريد نزار بن [illegible]
عبده غانم القرشي
المولود في ثغر عدن سنة ١٣٧٨ للهجرة
صاحب الطريقة السومانية

جسر الوجدان

بين

اليمن والسودان

جسر الوجدان

بين

اليمن والسودان

للنطاسي.. الشيخ أبو فريد نزار بن محمد

عبده غانم القرشي

المولود في ثغر عدن سنة ١٣٧٨ للهجرة

صاحب الطريقة السومانية

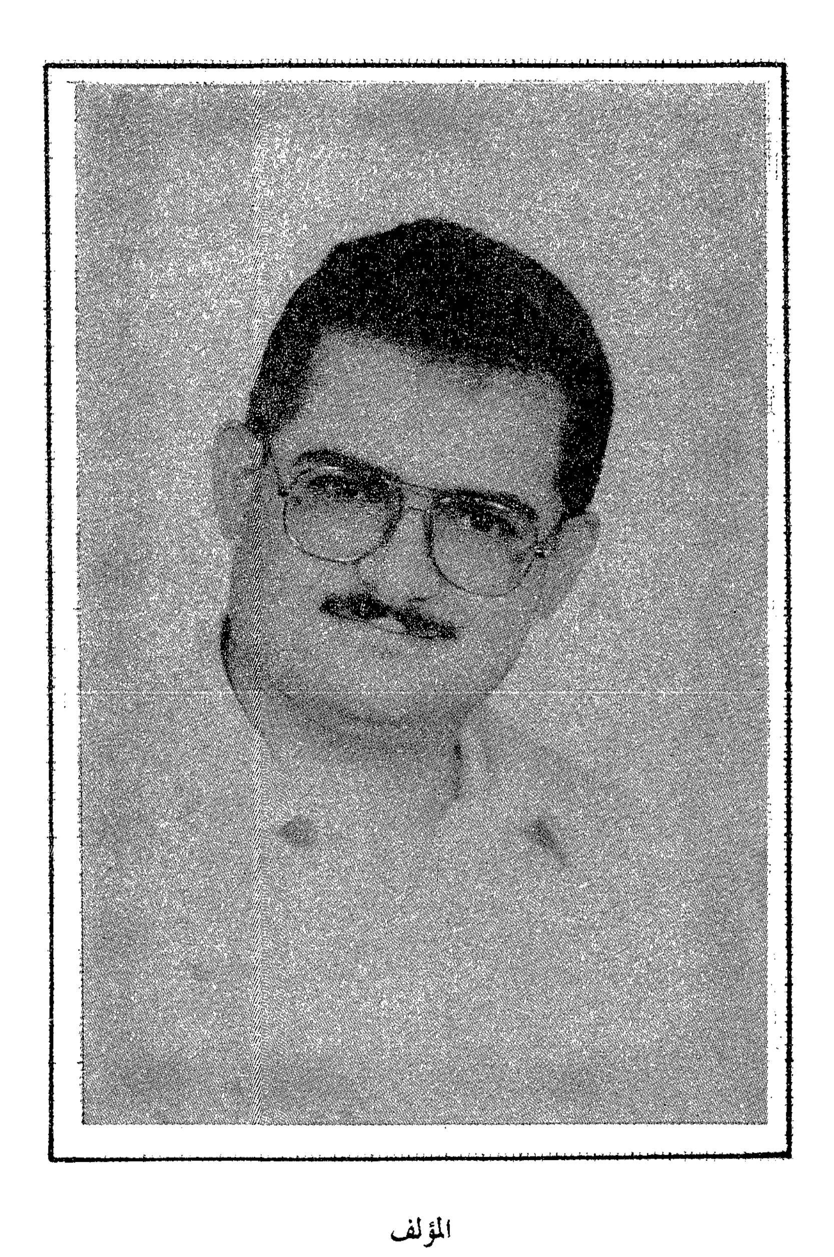
الطبعة الأولى : صنعاء
٢٠٠٠ / ١٩٩٤

يطلب الكتاب على العنوان التالي:
صنعاء: ص . ب ١١٣٩٤
منشورات نزار غانم

(الإهداء)

إلى السودانيين في كل زمان ومكان

شيخ الطريقة



المؤلف

كلمة لابد منها

ولأن الحب لا يخضع الى منطق، فقد كان من المنطقي، في حد ذاته، أن أحب السودان دياراً، وأهلاً، دوناً عن غير بلد زرتها، وعايشت أهلها، ذلك لما يتسم به الأشقاء السودانيين من صدق في القول وحجة في المنطق ومكارم في الاخلاق اتسام العرب الشرفاء.

فمن جهة جاءت فكرة هذا الكتاب على قاعدة ايماني بقوله تعالى :(وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان)، ومن جهة اخرى بسبب خصوصية العلاقة بين الشعبين اليمني والسوداني، والتي أطلقت عليها تسمية «السومانية» تجسيداً لمعاني السلوك الفكري والانساني بين الشعبين اليمني ـ والسوداني.

ولا شك وكأي باحث مهتم ، كان لابد ان تواجهني بعض الصعوبات التي أمكنني بفضل الله تعالى التغلب عليها، وذلك بانتقالاتي المتعددة بين البلدان المختلفة خلال عدد من السنوات أمضيتها في البحث الدؤوب عن الحقيقة الى أن تمكنت من تجميع المادة الاساسية لهذا السفر. حيث لم تعد هذه الصعوبات سوى ذكريات جميلة وإن كانت في بعضها مضنية.

ولا أدعي إنتماء هذا المؤلف الى فلسفة معينة سوى اعتمادي على العرض والتحليل الافقي لمادة البحث حيث تم تقسيمه الى بابين رئيسيين ففي حين استعرضت في الباب الاول جذور العلاقة بين الشعبين الشقيقين، وكيفية تطورها

مستهلاً بمدخل تاريخي (الفصل الاول) ومستعرضاً الهجرات المعاصرة المختلفة (الفصل الثاني)، وما نتج عنها من توطيد لأواصر التربية، والتعليم، والكفاح السياسي، والفنون (الفصل الثالث والرابع والخامس)؛ لأختم الباب الاول بملحق مصور يجسد من خلال اللوحة التشكيلية تلك العلاقة خير تجسيد؛ خصصت الباب الثاني، من هذا السفر، لنماذج من الادب السوماني تختلف من حيث الفلسفة، باختلاف الفلسفات التي يتمتع بها كل أديب ومبدع.

وهكذا لا يسعني هنا إلا أن أتوجه بالشكر لكل من كان عوناً لي في مشوار هذا البحث والذي أتمنى أن يكون بداية على طريق التجسيد اللامحدود لسومانية الشعبين اليمني ــ السوداني.

والله ولي التوفيق

المؤلف

صنعاء أبريل ١٩٩٤ م.

الباب الاول

- الفصل الاول : مدخل تاريخي
- الفصل الثاني : الهجرات المعاصرة
- الفصل الثالث : أواصر التربية والتعليم
- الفصل الرابع : مدني قاعدة النضال اليمني
- الفصل الخامس : أواصر الفنون
- ملحق مصور

﴿ الفصل الأول ﴾

مدخل تاريخي

علاقات ما قبل الإسلام

يرجع تدافع العرب عبر البحر الأحمر، أو بحر القلزم، كما عرف في الماضي(١)، إلى ما قبل الموسوية؛ حيث كانت السواحل المواجهة لليمن بشرق إفريقيا تعيش بيئة عربية، ما بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد. ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد نشط الطريق البحري للتجارة، بين اليمن وحضرموت وشرق إفريقيا، عبر القوارب الخشبية الصغيرة. وتتحدث بعض الكتابات الإغريقية عن أثر الجفاف في الحالة الإقتصادية والإجتماعية التي سادت المنطقة، مثلما حدث في حضرموت. وقد كان الطريق البحري الجنوبي تحت سيادة العرب، حتى القرن الأول للميلاد، وكان العرب يعملون كموردين لمحاصيل هذه المناطق. وقد تكثفت الهجرات اليمنية إلى شرق إفريقيا، ما بين القرن السادس والقرن الثالث عشر بعد الميلاد. وتدفقت السامية من اليمن، أكثر منها من الحجاز، نتيجة لوفرة السكان، وصغر حجم الفاصل البحري، وبراعة اليمنيين في الملاحة وسهولتها، في النصف

---

(١) يقول أبو محمد عبد الله الطيب بن أبي مخرمة في كتابه **(تاريخ ثغر عدن)**، المطبوع بليدن، بهولندا، عام ١٩٣٦م: البحر الأحمر كان براً واحداً، حتى عدن، ووراء جبل سقطرى، إلى أن جاء ذو القرنين، في طوافاته الدنيا، فحفر فيه خليجاً من البحر، فجرى البحر فيه إلى أن وقف على جبل باب المندب، فبقيت عدن في البحر، وهو مستدير حولها.

الجنوبي من البحر الأحمر، اضافة إلى تطلع اليمنيين للبحر، ووجود موانيء طبيعية في الشط الإفريقي المقابل. وهكذا بدأت هذه الهجرات، التي أعقبتها الصلات التجارية، كما ساعدت على ذلك عوامل شح المطر في اليمن، والذي أعقبته عواصف رملية عنيفة، تهب من الداخل، فهاجر بعض اليمنيين، أولاً إلى جنوب منطقة قبائل البجة بشرق السودان، وتزاوجوا بهم هناك، وأدخلوا معهم لغة الجعز السامية، التي تطورت عنها لغة التقرى. وساعد كذلك على هذه الهجرات انكماش الطرق البحرية التجارية، من العربية الجنوبية، مما أدى بدوره إلى تحول اليمنيين إلى العمل بالرعي، وهجرتهم من بلادهم، بحثاً عن المراعي الصالحة، كما يذكر المؤرخ اليوناني سترابو (ت ٢٤ ميلادية). ويذكر مؤرخون آخرون خراب سد مأرب، واحتلال الحبشة لليمن. ويشير المؤرخ هارولد ما كمايكل(٢) إلى أن الهجرة تصاعدت، ما بين ١٥٠٠ و٣٠٠ قبل الميلاد، في عهد دولتي معين وسبأ، حتى وصلت وادي النيل، فتحكم المعنيون والسبأيون بتجارة البحر الأحمر. وفي القرنين السابقين للميلاد، عبر الحميريون وبعض الحضارمة البحر الأحمر، واستقروا في الحبشة، وتوغل بعضهم، حتى بلاد النوبة، وصاهر قبائل البجة. يذكر هاميلتون مجيء اليمنيين للسودان، قبل الميلاد، ويعزوه إلى نقص الغذاء في بلادهم، وقلة الكلأ، وانعدام الرياح الموسمية، والتي تعتمد عليها أمطار المنطقة، وهبوب رياح رملية من الداخل، أدت إلى الجفاف.

جاء المعنيون والسبأيون، وعلّموا الوطنيين استعمال المعادن، وأنظمة متقدمة في الري، والزراعة، وأنماطاً جديدة للنظام الجماعي، وفي الكتابة، كما أدخلوا نباتات جديدة، وأحضروا معهم حيوانات مستأنسة، وتوغلوا حتى وادي النيل، منذ ما قبل الميلاد. وهاجرت قبائل مملكة عزان، بجنوب شبه جزيرة العرب، إلى

---

(٢) أشهر كتبه **(تاريخ العرب في السودان)**، بالإنجليزية.

شرق إفريقيا، وكانت موزع في حمير، يومئذ، هي اليد الحاكمة، وكان تجار موزع يبعثون سفنهم، وعليها عرباً يعرفون الأهالي، ويتكلمون لغتهم، ويتزاوجون معهم(٣). ونشطت تجارة اليمن، زمن البطالسة والرومان، وتم لهم عبور النيل الأزرق، ونهر عطبرة، في القرنين السابقين للميلاد، وعقب انهيار سد مأرب، وكانت تجارة اليمن تنقل للبحر الأبيض المتوسط.

هكذا كان اليمنيون يستفيدون من نظام الرياح، بمئتي سنة قبل الإغريق والرومان، وكانوا همزة الوصل بين إفريقية، والشرق الأقصى، والعالم المتحضر آنذاك. ولا ننسى معرفتهم بالفلك، وتحديد الاتجاهات بالشمس، والقمر، والكواكب، وارتباط حياتهم بالملاحة، وموقع بلادهم الجغرافي.

ويرى بعض الباحثين(٤) أن الغزاة الذين وفدوا على أعالي بلاد النوبة. وحاربوا أهلها، وعبدوا فيها هورس، كانوا، في حقيقة الأمر، عرباً من جنوب الجزيرة العربية، دخلوا إفريقيا، عن طريق مصوّع. وأن عبادة الشمس، التي ازدهرت في بلاد اليمن، وجاء ذكرها في القرآن الكريم، ظلت آثارها باقية في تلميس والكلابشة، في بلاد النوبة، حيث نشرها الحميريون، الذين عبدوا الشمس، قبل المسيحية، واستعمروا شمال الحبشة، وتواصلوا مع بلاد النوبة في الأجزاء الشمالية... وحتى الآن، يعبد الإله تل، وهو الشمس في منطقة الأنقسنا بالسودان. ويذكر الحضرمي ابن خلدون (ت ١٤٠٥م)(٥)، في سياق حديثه عن ملوك التبابعة

(٣) محمد عبد النقيره، **انتشار الإسلام في شرق إفريقية ومناهضة الغرب له.**

(٤) بشرى محمد صالح، ماذا عن العلاقات بين اليمن والسودان، صحيفة **الثورة** (صنعاء)، ١٤ ابريل ١٩٩٤م.

بشرى محمد صالح، إضاءة على العلاقة بين اليمن والسودان، مجلة (**أنا السودان**) (صنعاء)، عدد يناير ١٩٩٤م.

(٥) ابن خلدون، **العبر**، القسم الأول، المجلد الثاني، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٦م.

من حمير وألويتهم باليمن ومصير أمورهم، فيقول: قال ابن حزم، هـو افريقـش بـن قيس بن صفي أخ للحرث الرائس، وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى إفريقية، وبه سميت. وساق البربر إليها من أرض كنعان، مر بها عندما غلبهـم يوشع، وقتلهـم، فاحتمل ألفا متهم، وساقهم إلى إفريقيا، فاقر لهم بها، وقتل ملكها، جرجير، ويقال إنه الذي سمى البرابرة بهذا الإسم، لأنه لما افتتح المغرب وسمـع رطـانتهم، قـال: مـا أكثر بربرتهم. فسموا بالبرابرة. والبربرة في لغة العـرب هـي اختـلاط أصـوات غـير مفهومة، ومنها بربرة الأسد. ولما رجع من غزو المغرب، تـرك هنـالك، مـن قبـائل حمير، صنهاجة، وكتامة، فهم، إلى الآن، بها، وليسوا من البربر.

ويقال مرة أُخرى إن إفريقش هرب من الآشوريين، أو الأثيوبيين، فهتف به: «البر - الـبر» ، أي إلى صحـراء إفريقيـة، فـاضطروا لعبـور النيـل، إلى قرطـاج. أمـا المؤرخ الألماني، نولدكه، (ت ١٩٣٠م)، فيرى أن البربر قدموا إلى شمال إفريقية من موطنهم بجزيرة العرب(٦).

وقد صوَّر الشاعر اليمني نشوان بن سعيد الحميري (ت ١١٧٧م) شـيئاً مـن هذه القصة، شعراً(٧):

وأخوه إفريقش وارث ملكه حتف العدو وجابر المـمتـاح

ملك بنى في الغرب إفريقية نسبت إليه بأوضح الإيضاح

وأحـل فيها قومـه فتملكوا ما حولها من بلـدة ونـواح

وورد في الشعر:

بربرت كنعان لما سقتها من بلاد الملك للعيش العجب

---

(٦) محمد مرشد ناجي، **الغناء اليمـني القديـم ومشـاهيره**، مطبعـة الطليعـة، الكويـت، ١٩٨٣م.

(٧) نشوان بن سعيد الحميري، **ملوك حمير وأقيال اليمن**، تحقيق اسماعيل أحمـد الجـرافي وعلي اسماعيل المؤيد، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.

ورأت كوش لعمري دارها ترتقي عيساً لنا لا يثـرب

وكوش هو الإسم القديم لبلاد السودان اليوم.

ينسب المسعودي (ت ٩٥٧م) والمقريزي (ت ١٤٤١م) ملوك المقرة بشمال السودان إلى أحفاد أبرهة ذي المنار (ت ١٣٤ قبل الميلاد)، غـازي السـودان حتـى المغرب، وأحفاد ابنه إفريقش، غازي شمال إفريقيا (ت ٣٤ قبل الميلاد). ويقال بأنه وصل في غزوه إلى جزائر المحيط الأطلسي. يؤكد ذلك ياقوت (ت ١٢٢٩م)، وابن خرداذبه (ت ٨٩٣م)، إذ يشيران إلى نسبة النوبة وملوكهم من حميّر ولقب ملكهم (كابيل) المصحفة من (من قيل)، وهو لقب ملوك اليمن وأقيالهـا. ويشـير دي فيـار إلى أن حميّر عبرت إلى النوبة، قبل الإسلام، فتركت هناك أسمـاء أجدادهـا: كـوه ـ دراو ـ سبأ. ويعرف جد ملوك المقرة بمقري، كما يعرف جد ملوك المريـس بسـلها وهم، ايضاً، من النوبة، وينتمون إلى حميّر. وربما ساعدت الاكتشافات الأخـيرة[٨] للآثار السامية الجنوبية، في شرق مصر والسودان، في كل مـن قصـر البنـات، وبـير منيح، ووادي الحمامات، ووادي عباد، في رفد معلوماتنا في هذا المقام.

ويشير الأديب السوداني، الشيخ عبد الله عبد الرحمن الأمـين الضريـر[٩] إلى نسبة مجموعة نوبية أخرى، هي المحس، للقحطانيين، ويقول بنسـبتهم إلى الأنصـار، مـن الخـزرج، وبـالتحديد إلى أبـي كعـب الخزرجـي الصحـابي، وفي ذلـك يقـول الشاعر، محمد عثمان الجابري الخزرجي:

---

(٨) انظر: لعبد المنعم عبدالحليم دراسته (**الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة بمصر**)، ضمن ندوة الجزيرة العربية في ٤ مجلدات، عن جامعـة الريـاض، مـن اخـراج د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري. كذلك الجزء الأول (مصادر تاريخ الجزيرة العربية).

(٩) انظر الجزء الأول من كتابه (**العربية في السودان**).

نحن الأب سعد والجدنا قحطان

ونحن البلفخر شاعرنا دايما طان

وتعرف منطقة كوش السودانية بحدودها الممتدة من جنوب الشلال الأول على النيل حتى سوبا أو بحيرة الأرواح جنوباً. يرى الدكتور محمد عبد المجيد عابدين أن سوبا، والمعروفة، أيضاً، بمملكة علوه، ربما كانت كلمة آرامية الأصل. وربما كانت سوبا محرفة عن سبأ المجموعة اليمنية التي انتقلت قديماً من جنوب غرب الجزيرة العربية إلى حوض وادي النيل الأوسط فـ (سيبو) تنطق شبا أو سبأ، التي صارت سوبا، حيث أن (بس) تساوي (شين) أو (سين) في اليونانية القديمة، علماً بأن هناك تشابهاً بين حضارة سوبا وحضارة سبأ في التالي:

ـ ١ ـ الديانة، وهو ما يعرف عند الباحثين السودانيين بالموازي الآسيوي.

ـ ٢ ـ ولاية الملكات على العرش.

ـ ٣ ـ نظم وطقوس العبادة، وبناء المعابد.

ـ ٤ ـ التشابه في الحكايات الشعبية والأمثال في المنطقتين، مثل: في السودان عجوبه، وخراب سوبا، وفي اليمن تفرقت أيدي سبا، وخراب مأرب!

ويورد هارولد ماكمايكل، ودي برسفال، رواية عربية تذكر أن أحد ملوك حمير، وهو ابو مالك بن شمس يرعش الحميري، (ولد سنة ٣١ ميلادية)، جهّز حملة إلى منطقة البجة، في شرق السودان، خلال القرن الميلادي الأول، وراح يبحث عن المعادن، والزمرد، إلا أن جماعته هلكت عطشاً هناك.

ويرى الدكتور مصطفى محمد مسعد(١٠) برأي ماكمايكل، عن أن عبادة الشمس في تلميس والكلابشة استمرت حتى القرن السادس للميلاد، وكذلك كان الحال في اليمن ومستعمراتها في الحبشة. ويشير إلى أن العمامة ذات القرنين كانت

(١٠) انظر له **(الإسلام والنوبة في العصور الوسطى)**، القاهرة ١٩٦٠م.

إشارة السلطة في مملكة نوباديا، وأن غازي السودان، أبرهة ذي المنار، اشتهر بالصعب ذي القرنين. وأخيراً يشير إلى الأثر السبأي الحبشي الموجود بالطابق العلوي من كنيسة دنقلا بأرض النوبة.

ويتحدث المسعودي عن البجة، فيقول إنهم من البربر، وعاصمتهم، سنة ٨٣١ للميلاد، هي مدينة (هجر)، هذا الإسم الشائع لمدن اليمن عبر التاريخ. ومنطقة البجة المعروفة، أيضاً، بمملكة البلميين، أو نقيس، شهدت استقرار عدة قبائل يمنية فيها، كالحداربة، وهي تصحيف للحضارمة، في رأي ماكمايكل، عند العتباي، وعند تلال سنكات، وفيها تحولوا من الوثنية إلى المسيحية. ويشير المسعودي، وابن حوقل (ت ٩٩٠م)، والطبري (ت ٩٩٢م)، والمقريزي، واليعقوبي (ت ٩٠٥م) إلى أن الحداربة اعتنقوا الإسلام، فيما بعد، وبنوا المساجد، في هجر، وسنكات، وصنجة. أما كامرون، فيقول إن البجة سموا الحضارمة بالحداربة، حينما أتوا، قبل الإسلام، عبر القلزم، واستقروا في منطقة شمال سواكن، حيث تزاوجوا بالبجة، لا سيما الزنافج. غير أن نفوذ الحداربة تقلص، رغم اعتناقهم الإسلام، ونشرهم له، نتيجة لهزيمتهم على يد البشاريين، وبسبب انتقال سوق التجارة، والحج من عيذاب إلى القصير شمالاً، وسواكن جنوباً. وعموماً فإن منطقة رأس الحداربة، جنوب عيذاب، هو كل ما بقي من ذكراهم، اليوم، منذ مجيئهم، سنة ٧٥ للهجرة!

واستقرت قبيلة بلي اليمنية في بلاد البجة، حيث اشتغلت في مناجم الذهب، والزمرد، والنحاس، والحديد، والرصاص، وحجر المغناطيس. ونسبة إليها عرف البجة لغة البلويب، إلى جانب لغتهم الأصلية المعروفة بالتبداويت. وتتضارب المصادر في تحديد دخول بلي لشرق السودان؛ فلسان اليمن الهمداني (ت ٩٤٥م) يقول بأن بلي عاشت في سيناء، قبل الإسلام، وجاءت بوفرة من الأعداد لمصر، في عهد الفاروق عمر بن الخطاب. وكراون يقول بأن البلي، أو البلو، أيضاً،

حميريون، هاجروا إلى السودان، خلال القرن السادس الميلادي. وهنـاك مـن يقـول بدخول بلي للسودان، في أواخر القرن الثـامن للهجـرة، عـبر القـلزم، وينسـبها إلى عمرو بن الحاف، من قضاعة الحميرية. كمـا أن هنـاك مـن يقـول بهجرتهـم زمـن الشاسو، وثمود، مع جرهم، حيث تزاوجـوا بالبجـة. وقـد عملـت بلـي كضُمَّـان، يملكون الجمال عند زيارة ابن جبير (ت ١٢١٧م)، لبلاد البجة، بينما عملت دغيم محلهم، في رحلة ابن بطوطة، وفي رحلة الأدريسي (ت ١١٦٥م).

والبلو هم الطبقة الارستقراطية الحاكمة من قبـائل البـني عـامر، وهـم الذيـن كوَّنوا دولة (نجـران)، أو مملكـة البلـو، في القـرن الرابـع عشـر الميـلادي، في شـرق السودان، حتى انتهت دولتهم، في القرن السابع عشر الميـلادي، وتحولـت إلى اسـم النابتاب، نتيجة لهجوم الفونج من ناحية الغـرب، وهجـوم الأتـراك العثمـانيين مـن ناحية الشرق. ويقول لونغرنج بأن البلـو تحولـوا مـن الوثنيـة إلى المسيحية، ثـم إلى الإسلام، خـلال إقـامتهم بشـرق السـودان. كمـا يشـير سـلجمان إلى أن سـواكن كانت تابعة لمملكة نجران، بناء على ما كتبه سائح برتغالي، سـنة ١٦٠٠ للميـلاد، في كتابه (موجز في وصف نهر النيل) - انظر، أيضـاً، رأي موترنجـر (ت ١٨٧٥م) وربما كانت الحدارب وبهراء أسماء مرادفة لبلي. أما المسعودي فيصرح بـأن موطـن بلي الأصلي هو مدينة الشحر بحضرموت، وأنهم وصلوا إلى شـرق السـودان، قبـل الإسلام.

ولقـد احتفظـت كثـير مـن الأمـاكن في شـرق السـودان بتسـمياتها العربيـة القديمة، مثل نجران. وتدل الآثار المخطوطة نحتاً في الحبشة، وما جاورهـا مـن أرض السودان عىى وجود يمني في المنطقة، يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد. ولذلك نجد كونتي كارلو روسيني (ت ١٩٤٩م) يحاول الربط بين بلدة هجـر وعتبـاي نجـران. ونجد آخرين يحاولون الربط بين مـأرب اليمنيـة ونهـر (مـرب) الـذي سمـي جـزؤه الأسفل بحوض القاش، أو نهر الدجن. كما يحـاولون الربـط بـين خـور (اونسـبا)،

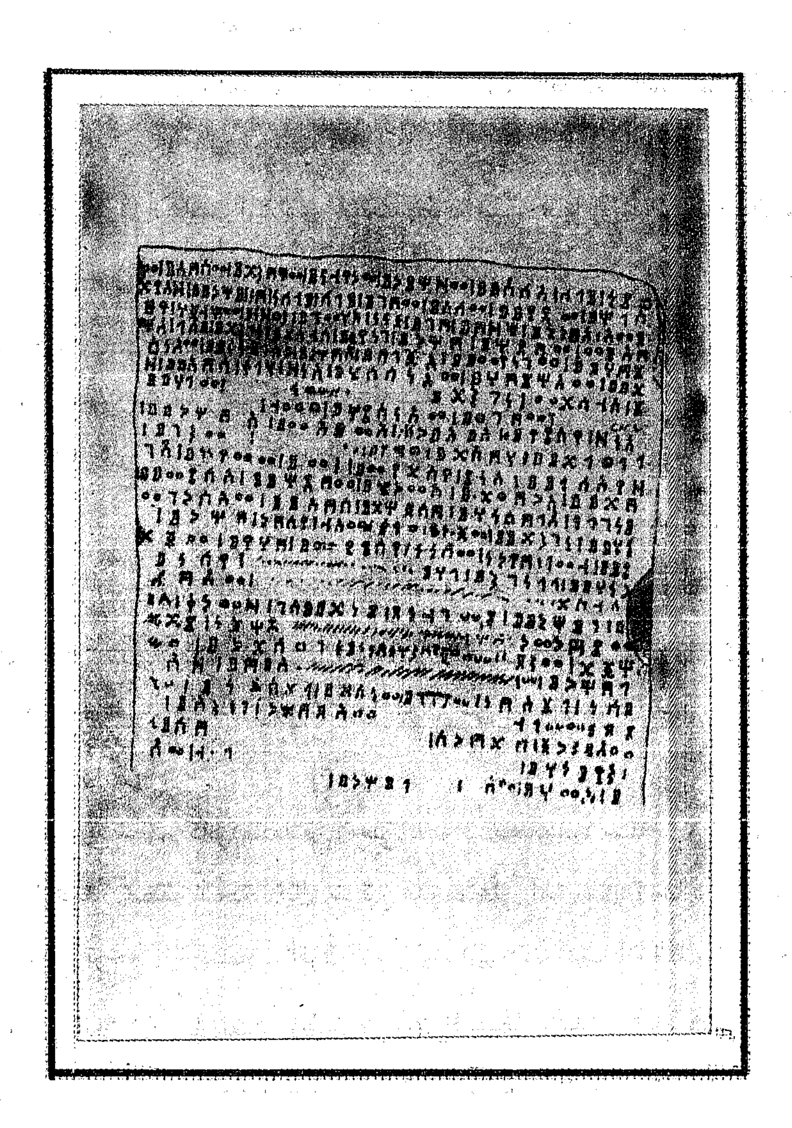
وهو أحد روافد نهر بركة و(عين سبأ)، علماً بأن السيادة على حوض القاش كانت للدجن، الذين عرفوا، أيضاً، بالأُونساب، نسية لأُونسبا. بينما كان البلو يسيطرون على حوض الدجن، أي القاش وبركه، في العصور السابقة الوسطى. وكان الحوض يشكل الحدود الغربية لمملكة نجران بشرق السودان.

وفي القرن السادس الميلادي جاءت بطون من حمير إلى أرض المعدن ببلاد البجة، واستقروا في عتباي، وامتدوا إلى سنكات، واركويت، وصاهروا البجة. وبتوقف إنتاج المعدن، في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، تدهورت أحوال بلي، وجهينة، ودغيم، وبني كاهل، ورفاعة، فساروا إلى داخل السودان. ولقد وجدت آثار قبور عربية في سنكات وفي هجر، العاصمة لمملكة البلو، الممتدة من أسوان إلى خور بركه أو أرض المعدن، سنة ٦٥٢م، كما يرى اليعقوبي. ويتحدث لسان اليمن الهمداني(١١)، عن معادن الذهب في بلاد الأعاجم، فيقول: من معادن أرض الحبشة والنوبة العلاقي، نسبة إلى بني العلاق بن سليم بن منصور، وهو جيد التبر، وأشده حمره، وفقط. وأرمنت وأسوان من بلد البجة، ومن شطآن التبر عيذاب وسواكن.

ويقال بأن بني سليم كانوا بالعلاقي، حتى نضوب معدنها، سنة ١١٢١م. وتدل بعض الأعمدة بمنطقة البجة، شمال شرقي عدوه، على آلهة سبأية، مثل سين، ومثل عثتر. وهي ترجع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد. كما أن النقوش الحميرية بشرق السودان تشمل نقش (اف. قرى)، المسجل بلندن، عام ١٩٠٩م، من منطقة عتباي حلايب. ومن النقوش، التي يجدر التوقف عندها، نقش الملك عيزانا، المكتوب بثلاث لغات، هي السبأية، والحبشية، والإغريقية. وقد كتب النقش عند

---

(١١) أبو محمد الحسن الهمداني، **كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة**، منشورات دار الكتاب، دمشق، ١٩٨٢م. تحقيق: محمد محمد الشعبي.



ـ نقش الملك عيزانا بن العمايدا

(بالخط المُسند ٣٢٥م)

غزو الملك الحبشي عيزانا لدولة مروي النوبية، حوالي سنة ٣٢٥ للميلاد، وجاء فيه: (بقوة إله السماء، المنتصر في السماء وفوق الأرض وعلى الجميع، أنا عيزانا بن الأمايدا، من قبيلة هالن ملك أكسوم، وحمير، وريدان، وسبأ، وسالهن (مأرب)، وسيهامو (تهامة)، والبجة، وكاسيو، وملك الملوك، الذي لن يهزمه العدو...). وقد أشار للنقش الدكتور زاهر رياض، والعالم اليمني الدكتور عبد الله الشيبة، في كتاب له معد للطبع. إن هذا النقش يشير إلى أن السودان واليمن معاً خضعا لحكم حبشي، في فترة من الزمان. ونذكر أن النفوذ الروماني في بلاد جنوب شلال النيل الأول أُصيب بهزة عظيمة، لمجرد خيبة الجيش الروماني في اليمن!

ويشير كيتس في موسوعته عن الأديان إلى جماعة الزبالعة، أو ابو جريد، نسبة لأبي جريد آدم بن عبد الله، والساكنة بين النيل الأزرق، والرهد، والدندر، بالقرب من مدينة سنار السودانية، وقبلتهم حلة، أو قرية بترقا، شرق النيل الأزرق، بين كركوج، والروصيرس، ويقول عنهم بأنهم جماعة حميرية، جاءت، منذ زمن بعيد، إلى السودان، وحافظت على عاداتها المعنية والسبأية، ولم تتأثر بالثقافات المتتابعة، من يونانية، ومسيحية، واسلامية، وفونجية، وإن كانت تتظاهر بالإسلام. [انظر هلليسون، أيضاً].

ويشير الباحث السوداني، بابكر علي عبد الكريم(١٢)، إلى وجود الآثار اليمنية القديمة، في منطقة حلايب بشرق السودان، ومنطقة البجراوية بشمال السودان.

ويذكر الباحث اليمني الدكتور عبده علي عثمان(١٣) الأصل اليمني.. في لغة

---

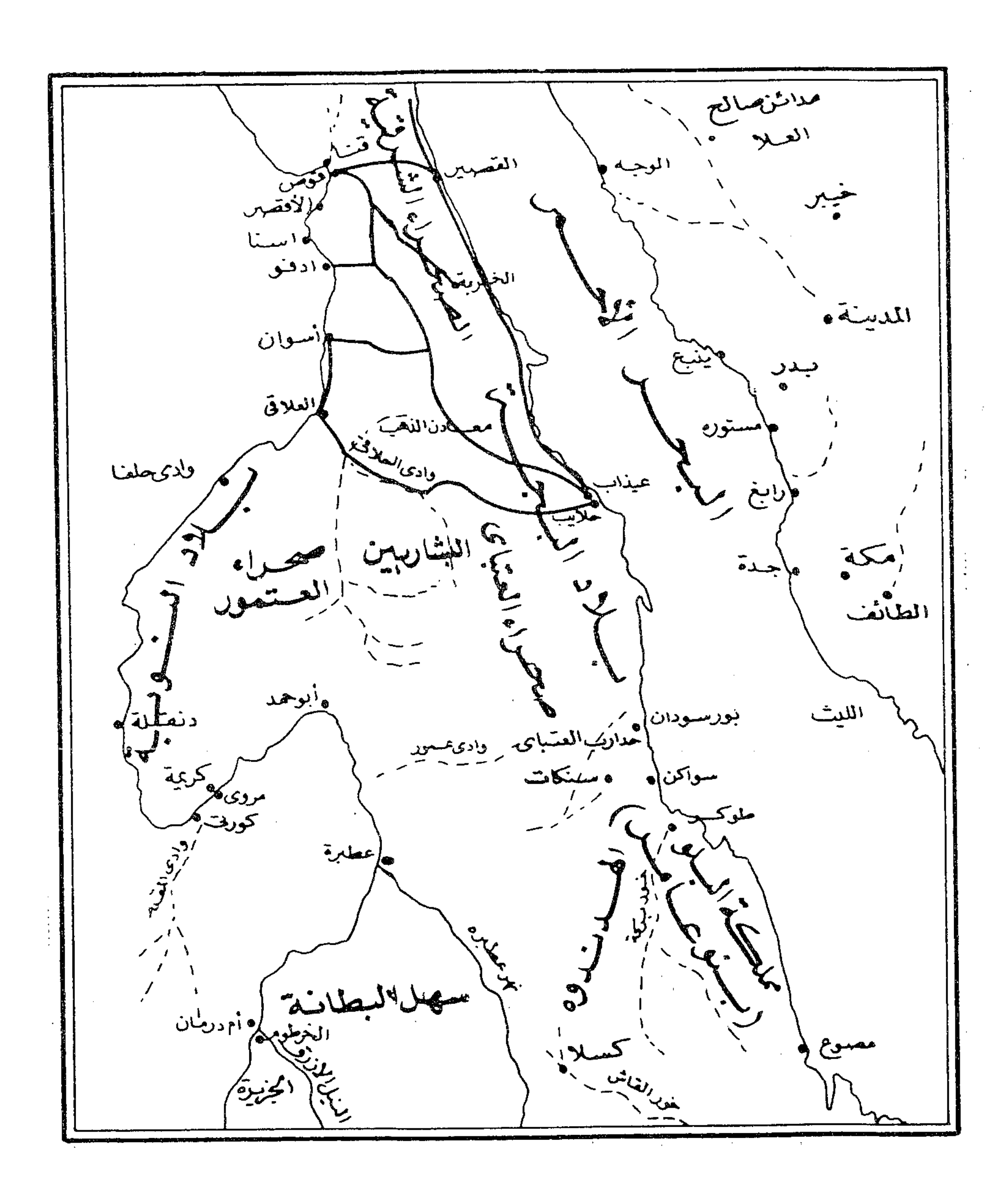
(١٢) العدد ٤٢ من مجلة **(دراسات يمنية)**، الصادرة في صنعاء، عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، بتاريخ اكتوبر- ديسمبر ١٩٩٠م.

(١٣) انظر ترجمته لمقال للمستشرقين دي أرنولد وآي فاسيير بعنوان **(الأخدام في اليمن أصولهم وعاداتهم)** ـ مجلة (دراسات يمنية) العدد الأول، بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٧٨م.

الجعز، وهي لغة الأحباش المسيحيين المقدسة، وكذلك في سمات لهجة سكان سامهاراو أو الساحل الإرتري، المحاذي للبحر الأحمر. ويذكر المقريزي والنويري بأن المسلمين الخاسا، الذين يعيشون بالقرب من سواكن، في خور بركة، وحول طوكر، يتكلمون التقرى، المشتقة من لغة الجعز، كما أسلفنا. ويتحدث بالتقرى سكان المناطق الجنوبية للبني عامر، أي وادي بركة، ورافده أو نسبا، وكذلك الحال في المناطق الشرقية من البني عامر. لغة الجعز هي، أيضاً، لغة قبائل الإجعازيان السبأية، والتي وضع بليني منازلها بالقرب من عدن(١٤). وقد هاجروا منها إلى الحبشة، وأقاموا هناك مملكة، وهم أقدم هجرة يمنية للحبشة، حيث استقروا في شمالها الشرقي، وكانوا أقوياء في التجارة، وعلى رأس السلطة الحاكمة. بل تذكر الروايات الشعبية أن من اليمنيين من ظل قادراً على الترجمة من العربية إلى الجعزية وبالعكس، وفي نقش الاحتفال بانتهاء ترميم سد مأرب، يشير فيه أبرهة الحبشي إلى أنه قام بهذا العمل ممثلاً للمتكلمين بالجعزية.

---

(١٤) د. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الملايين، بيروت، ١٩٧٨م.



- بلاد البجة والنوبة

أسهم اليمنيون، اسهاماً كبيراً وفعالاً، في الحملات العسكرية التي قام بها المسلمون على أرض النوبة بشمال السودان، ضمن حملات نافع بن عبد القيس الفهري، وعبد الله ابن أبي السرح، منذ سنة ٢١ للهجرة، وخلال ولاية عمرو بن العاص لمصر، والأخرى سنة ٣١ للهجرة، خلال ولاية عثمان بن عفان. يذكر ابن عبد الحكم (ت ٨٧١م)، في كتابه (فتوح مصر والمغرب)، أن قبيلة لخم اليمنية كانت الأكثر أهمية في هذه الحملات. ويروي البلاذري (ت ٨٩٢م)، في (فتوح البلدان)، أن أبا قبيل حي بن هاني المعافري، عبر ستة من الرواة، ذكر أن شيخاً حميرياً قد شهد حرب النوبة مرتين خلال ولاية إبن العاص(١٥). وكانت العرب في رواية لإبن هليعة قد سمت النوبة برماة الحدق؛ لإجادتهم الرمي بالنبال، وهكذا أصيب من أصيب من القادة اليمنيين في تلك الحملات، مثل العمري، وأبو شمر بن أبرهة، وحيويل بني ناشره، ومعاوية بن خديج النجبي.

ويقال بأن اليمنيين أخذوا مهارة الرمي بالنبال عن النوبة. وكان عقبة بن نافع هو الذي أرسل معاوية بن خديج النجيبي إلى المعركة، في دنقلا ببلاد النوبة.

وقد مهدت هذه الحملات لاتفاقية سلام بين المسلمين والنوبة، عرفت باتفاقية (البقط)، والتي أخذت تسرب الوجود العربي الإسلامي إلى أرض النوبة، بأكثر من شكل، كان من ضمنها التزاوج بين المجموعتين، وانتقال الملك إلى أيدي المسلمين، بعد فترة من الزمان؛ إذ يذكر ابن خلدون عادة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت.

وشارك القائد اليمني عبد الله بن الجهم في غزو البجة، بشرق السودان، ونشر الإسلام بينهم، وعبره تسربت جهم مأرب وخولان إلى أصقاع السودان،

(١٥) د. يوسف فضل حسن، **العرب والسودان من القرن السابع حتى مطلع القرن السادس عشر الميلادي**، بالإنجليزية، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٧٣م.

وخسر المتمردون المعارك أمام آلاف من الجنود اليمنيين في سنة ٨٣١م، من زمن كنون عبد العزيز وحتى علي بابا.

وبحلول منتصف القرن الهجري الثامن، اعتنق غالبية النوبة الإسلام؛ الأمر الذي أعطى دعماً روحياً وسنداً سياسياً للهجرة العربية اللاحقة إلى السودان، وإن كنا لا نغفل دور الهجرات الفردية، بحثاً عن المراعي، ومعادن الذهب، والزمرد، الخ، أو هرباً من العدالة، ومن طغيان الولاة، وأهم من كل هذه هجرة المتصوفة، للترويج لطرقهم الصوفية في البلاد الجديدة، والتي حقاً لعبت الصوفية فيها الدور الكبير في اعتناق الناس هناك للإسلام(١٦). ويقول الدكتور عبده بدوي(١٧) إن دخول العرب للسودان مر بمرحلة إعدادية، ثم مرحلة ناشطة، فمرحلة تمثل وامتزاج. وقد رجَّح بعض الباحثين أن تكون معاهدة البقط جاءت تصحيفاً للقبط، وهم النوبة المسيحيين، يومئذ، سنة ٦٥١ للميلاد.

يكاد يجمع المؤرخون على أن قبائل جهينة في السودان هي الموازي القحطاني، بينما قبائل الجعليين هي الموازي العدناني، في التركيبة القبلية السودانية، لكن المتتبع لهاتين الشجرتين يجد خلطاً كبيراً في الأسماء العدنانية والقحطانية في كليهما. والنسب العام لجهينة بالسودان هو لعبد الله الجهني القضاعي الصحابي. وقد صبت أنهار جهينة البشرية في السودان من ثلاث جهات.

---

(١٦) نشير هنا إلى نظرية العلامة السوداني عبد الله الطيب، التي تفترض أن الهجرة الإسلامية الأولى شملت السودان، إلى جانب الحبشة، وهكذا يكون اليمني أبوموسى الأشعري، ورفاقه أبو برد، وأبو رهم، وبعض وخمسون رجلاً من قومه قد ركبوا السفينة من اليمن، مهاجرين، حينما سمعوا بخروج رسول الله (ص)، فاجتمعوا بجعفر بن أبي طالب، ومن معه من الصحابة. ويعتقد العلامة عبدالله الطيب، ان قراءة نافع للقرآن الكريم قد دخلت الى السودان؛ عن طريق اليمن.

(١٧) د. عبده بدوي، **الشعر في السودان**.

عبر القلزم، كما ذكر ابن خلدون، **في آخر القرن الثامن الهجري**، وذلك من موطنهم، ما بين ينبع، ويثرب، حتى عقبة ايله، فانتشرت أفواجهم وأفـواج فرعهـم بني عرك، بين النوبة، والحبشة، واستقروا بشرق السودان، حيث اشـتغلوا بـالمعدن، ومناجمه هناك. ويرى ما كمايكل أنهم أتوا في القرن الرابع عشـر للميـلاد، ولكنـه يتعثر في توضيـح طريـق دخولهـم، وتشـير وثائقـه إلى الطريـق الليبـي، غربـي الدلتـا المصرية، وهو طريق الأربعين، معتمداً على رواية ابن خلدون، حـول تدفـق جهينـة لبلاد النوبة، ثـم نزوحهم عنها، جنوباً، تتبعاً للأمطار، وإن كـان يقـول، في الوقـت ذاته، بمجيئهم عبر القلزم، إلى شرق السودان، ثم إلى غربه. ويذكر المقريـزي مجـيء جهينة، قبل ذلك، للسودان، عبر مصر، كجزء من الحملات العسكرية الإسـلامية، عام ٦٤٦ للميلاد.

إلا أن التاريخ يحدثنا عن المصاهرات العديدة التي تمت علـى أرض السـودان، بين آل جهينة والجعليين، وهكذا نفسر في سياق الحوادث التاريخية أن القرن الثـامن الهجري شهد قتالاً يمنياً ــ يمنياً حينما اصطدم الأحدب محمد بن واصل العركي بالمماليك، وحلف بني هلال، الذي كان يضم قبيلة المعقل اليمنية. ومن مجموعـات جهينة بالسودان مجموعة المهيريـة بكردفـان، نسـبة لبـلاد المهـرة بـاليمن، ومجموعـة الغريسية من الحمر، الذين ذكر ماكمايكل، والمؤرخ السوداني، البروفسور يوسـف فضل حسن، هجرتهم إلى التاكا، بشرق السودان، أولاً، ثم كردفان بغربه، وذلـك في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي. أما المؤرخ اليمـني الراحـل، محمـد عبـد القـادر بامطرف(١٨)، فيضم آل حمد، وهم فخذ من قبيلة الرزيقات بدارفور، والأنقريـات مـن العـابداب، بالحلفايـة، والتعايشـه، في دارفـور، والحلاويـين، بـالجزيرة، والنيـل الأزرق والأبيض، ورفاعة، على النيـل الأزرق، والضبانيـة، بالبطانـة، إلى المجموعـة

---

(١٨) محمد عبد القادر بامطرف، **الجامع لشمل أعلام المهـاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم**، في أربعة أجزاء، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م.

الجهنية اليمنية بالسودان. كما يشير بامطرف إلى قحطانية طيء من قبائل الجزيرة وجذام ببلاد البربر، وبهراء من بلي، في كسلا، والجوابرة، من جابر بن عبد الله بن رئاب الأنصاري بدنقلا. ويشير الدكتور يوسف فضل حسن(١٩) إلى مجموعة جهنية أُخرى، هي الحمران، والذين دخلوا السودان، عبر شرقه، من بلاد الحبشة، على أثر خلافهم مع الحجاج بن يوسف الثقفي. ويسميهم الكاتب الاسكتلندي جيمس بروس (ت ١٧٩٤م) بالعقاقير، نسبة لأحمد العقور اليمني. وهناك من ينسبهم إلى بني عذره، شمال تهامة اليمن. وللحمران قصة شعبية معروفة، هي تاجوج والمحلق.

يقول القلقشندي (ت ١٤١٨م) بأن نسابة الهوارة، أو الهواوير، يقولون إنهم يمنيون قضاعيون، هاجروا إلى شمال كردفان، في القرون الخمسة الأخيرة من بلاد المغرب، ومنهم طائفة التجار «الجلابه»، في شمال دارفور. ومن بطون كهلان بن سبأ بن يشجب، أخ حضرموت، والتي بغرب السودان جذام، كما أن من بطونهم مذحج، ومنهم سعد العشيرة، التي أقامت بمريس، في القرن الثالث للهجرة. وقد عاش عرب قحطان، الذين كانوا بأسوان، شمال باجراش، واشتروا أراضي نوبية، خلال حكم بني أمية، وبني العباس. أما الكواهلة، الذين يعودون بنسبهم إلى كاهل بن أسد بن خزيمة، وملكهم حجر، والد الشاعر امريء القيس الكندي اليمني، فيذكر ماكمايكل بأنهم دخلوا السودان، عبر القلزم، فشرق السودان، ليستقروا بغربه، حيث وجدوا هناك طقساً يوفر لهم لذة الترحال، ووضعاً أفضل للعرب من وضعهم في مصر، إبان الحكم الطولوني. امتهن الكواهلة التجارة، والتعدين، وإليهم ينسب الحسانية والحسينات ويذكر ابن بطوطة لقاءه بالكواهلة وبعرب كنانة، ودغيم، وجهينة، في بلاد البجة، سنة ١٣٣٠م، حينما

---

(١٩) د. يوسف فضل حسن، **مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (١٤٥٠م - ١٨٢١م)**، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٨٩م.

سافر من سواكن، ورأس دوائر، على الشط السوداني، إلى مدينة حلي، وسلطانها عامر بن ذويب، على الشط اليمني. وقد وصف ابن بطوطة هذه الرحلة بقوله: وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل، لكثرة أحجاره، وإنما يسافرون فيه من طلوع الشمس إلى غروبها.. وقد استغرقته الرحلة ستة أيام(٢٠).

وممن ينتسب للكواهلة، أيضاً، البشاريون، وأصهارهم، العبابدة. ويشير د. عبد المجيد عابدين إلى أن كهلان تعيش بشمال السودان، ومن بطونها هناك لخم، وجذام، وغسان. وقال آخرون بأن أولاد كاهل هم بطن من قصي.

أما الأرتيقة ففرع من آل أبي قشير، يسكنون بأسفل حضرموت، وهم من ذرية محمد بن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب، هاجرت ذريته من حضرموت، على سفينة مشحونة بالبضائع، واشتغلوا بالتجارة، بين ضفتي القلزم، وعبر سواكن، ثم صاهروا البلويب، كما كان لهم دور في مناصرة أمير المهدية بشرق السودان، عثمان دقنه. ويشير المؤرخ السوداني، محمد صالح ضرار(٢١) إلى أن لهم فروعاً تجارية بحرية في الحديدة باليمن، وأن أحد زعمائهم، وهو باصفار العلوي الحضرمي، أتى لسواكن في القرن الرابع عشر الميلادي، وتزوج امرأة من البجة. ويشير السائح اللوزاني جون لويس بوركهارت (ت ١٨١٧م)، بعد رحلته في بلاد النوبة والسودان، إلى أن الأرتيقه، من حضرموت، وقد حضروا لسواكن للعمل بالتجارة، واندمجوا مع البجة، تحت نظارة الهدندوة، والبني عامر، وجاوروا قبيلة كلب القضاعية في أرض المعدن(٢٢).

---

(٢٠) د. عبد العزيز سالم، **البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

(٢١) محمد صالح ضرار، **تاريخ سواكن والبحر الأحمر**، الدار السودانية للكتب، ١٩٨١م.

(٢٢) جون لويس بوركهارت، **رحلات في بلاد النوبة**، لندن، ١٨١٩م.

ينبغي التوقف عند عَلَمْ كبير من اليمنيين، الذين نشروا الإسلام، وعلومه في السودان، وهو الشيخ غلام الله بن عائد اليمني، والذي تقول إحدى المصادر عنه

أنه قدم من منطقة الحليلة باليمن، مع والده إلى جزيرة نولوه، من جزر اليمن بالبحر الأحمر، وسكن جزيرة ساكيه بالقلزم، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، ثم حضر مع والده إلى سواكن، حيث توفي والده، فتوجه هو بمحاذاة شريط النيل إلى دنقلا، وبربر، في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، واستقر في دنقلا العجوز، حيث تديرها. وأسس فيها أول خلوة للقرآن - أيضاً كتاب أو معلامة - يعلّم الناس الفقه، واللغة العربية، والسيرة، وتحفيظ القرآن، وعلوم القرآن، والعلوم الإسلامية الأخرى. وقد قرر غلام الله السكن بدنقلا، لأنها كانت في حيرة شديدة، وضلال، لعدم وجود علماء القرآن، فعمّر المساجد هناك، وعلّم العلوم مباشرة لأولاده، وتلامذته، وأولاد المسلمين عامة. تزوج غلام الله بامرأة دنقلاوية، وكان له سبعة أبناء، وعن هؤلاء تفرع السادة الركابية، وسط بلاد المحس. والركابية أصحاب هذا النسب الشريف، الذي جاءهم من غلام الله، هم الذين نشروا الإسلام، فيما بعد، في جبال النوبة، وفي كردفان.. وامتزجوا، بعد ذلك، بقبائل جهينة [انظر، أيضاً، ماكمايكل والنور عنقره]. ومن أبنائه تفرع أيضاً، للركابية الاخوان، ابراهيم البولاد بن جابر بن غلام الله، واسماعيل، وعبد الرحمن، وعبد الرحيم، وأختهم فاطمة. بينما تفرع الصغيروناب عن أحفاد ابن فاطمة، وهو محمد صغيرون بن سرحان. ومن أبناء غلام الله تفرع الرباطاب، نسبة لرباط، مثلما الركابية، نسبة لركاب، وابنه دهمش، وابنه بدير، جد السادة البديرية، والذين ينتسب إليهم عدد من قادة السودان، عبر العصور، من محمد أحمد المهدي، وعبد الرحمن سوار الذهب، وحسن عبد الله الترابي، والزبير محمد صالح الخ... ولذلك فإننا نجد في المساجد الأثرية بدنقلا العجوز، وناوي،

وفي مبانٍ أثرية أخرى بشمال **السودان الطابع المعماري اليمني** واضحا، بما في ذلك بوابة مدينة سواكن، والتي لا تختلف عن بوابات المدن اليمنية(٢٣).

ومن الحضارمة الذين نشروا الإسلام في السودان، الشيخ نور الدين اليمني، وهو شاعر، وشيخ عَلَّم المنطق لعبد اللطيف بن الخطيب بن عمار(٢٤). وسكن الشيخ اليمني جار النبي، والشيخ اليمني حمد ولد زروق، حي الصبابي في الخرطوم بحري. كما دفع الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي تلميذه، محمد الهميم، للسكن بنسوق أهل اليمن، والحجاز، لمدة سبعة أعوام، يعتزل فيها الناس، حتى ينال الدنيا والدين، واسم تلك المنطقة النادرة سلوكه ودلوكه(٢٥). والشيخ محمد الهميم بن عبد الصادق الركابي هو، في الحقيقة، أحد المريدين الذين سلكهم البهاري هذا في الطريقة الصوفية لعبد القادر الجيلاني (ت ١١٦٦م). وقد كان العالم علي عمر الشاذلي اليمني أول من أدخل شرب القهوة أو البن من اليمن إلى السودان، وتجد أن السودانيين يسمونها جبنه تصحيفاً ليمنه، كما يرى العلامة عبد الله الطيب، مثلاً، وكما أشار العلامة عون الشريف قاسم، في قاموسه للعامية السودانية(٢٦).

ويذكر الدكتور يوسف فضل حسن أن طوكر وسواكن، بشرق السودان، اتخذتا المذهب الشافعي، نتيجة لعلاقاتهما التجارية بأرض اليمن، والحجاز، ومصوَّع، بارتريا، فالجامع الشافعي بسواكن مشايخه عمريون حسناب، يمنيون، من ذرية عجيل اليمني، وقد ناصروا المهدية.

---

(٢٣) محمد النور بن ضيف الله، **الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان**، تحقيق د. يوسف فضل حسن، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٧٤م.

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) **سلوكه:** أداة زراعية مطرية، أو حرف كناية عن خصوبة الأرض، وسهولة الزراعة، ووفرة العطاء. **دلوكه:** طبلة للرقص، كناية عن ترف القوم.

(٢٦) د. عباس فاضل السعدي، **البن في اليمن: دراسة جغرافية**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٢م، نقلاً عن العالم بيتر بوكس هول.

وبالمقابل فباقي شمال السودان يتبع المذهب المالكي. وعبر نفس هـذا التأثير، دخلت الطريقة الأخيضرية الشاذلية إلى سواكن، وشرق السودان. وفي سواكن قبة الشيخ محي الدين الشاذلي، والمعروف بشاذلي المخاء الميناء اليمني الشهير بتصدير القهوة، وهو من ذرية الحسن علي بن عمر الأموي، اليمني القرشي، والذي ذكره الشيخ ابراهيم عبد الدافع، في استغاثته المعروفة باسم (كاشفة الكروب). وينتسب الحسناب أو آل حسن في السودان إلى الشيخ ابراهيم ابن اسماعيل بن الشيخ العابد أحمد بن عجيل اليمني صاحب الكرامات، التي رواها عنه ابن بطوطة، عند زيارته لليمن وقبره في تهامة. وقد هاجر حفيده ابراهيم إلى سواكن، حوالي عام ١٢٠٨ للميلاد، واشتغل بالتجارة، وقد صاهر الحسناب حضارمة الأرتيقه، وأسهموا مع المهدي في محاربة الإنجليز، عبر شخصية البطل الخضر بن علي الحسنابي.

وتذكر بعض المصادر أن أهل سواكن كانوا يحضرون، بانتظام، إلى اليمن، للدراسة في زبيد، وبيت الفقيه، والمخاء، وكلها من أرض تهامة اليمن، فطائفة المجاذيب السودانيين، وهم من المجموعة الجعلية، والذين نشروا علوم الدين في السودان، درس بعضهم في معاهد العلم الديني في زبيد، حيث عرف لهم رواق باسم «رواق السنارية»، نسبة لمدينة سنار، بوسط السودان(٢٧). ويشير الباحث السوداني، بابكر علي عبد الكريم، إلى لقاءات العلماء في اليمن والسودان، حينما يقصدون الأزهر الشريف بمصر، والحرمين الشريفين بالحجاز.

وللدكتور يوسف فضل حسن رأي(٢٨) يقول فيه بأن المجموعة الجهنية بالسودان تعرف، أيضاً، بمجموعة القواسمة. ويعطي على ذلك مثلاً، أن أحد العركيين، من بني عرك، وهو محمد العركي، ينتمي إلى جهينة، ولا شك أن مثل هذا الراي بحاجة إلى مناقشة أطول، ولكني وقفت عليه، لدى تنقيبي عن علماء الدين اليمنيين بالسودان.

---

(٢٧) الطيب محمد الطيب، صحيفة **الأيام** (الخرطوم)؛ بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٧٥م.

(٢٨) مصدر سبق ذكره للمؤلف.

ويقول البروفسور عون الشريف قاسم[٢٩] في كتابه (الإسلام والعربية في السودان)، بأن أهل اليمن يقلبون لام التعريف ميماً، كما ورد في الحديث الشريف: «ليس من امبر امصيام في امسفر». وان تأثير ذلك على السودانيين واضح في قولهم امبارح يقصدون البارحة.

ونتيجة لرواج مدائح الشيخ الشاعر اليمني، عبد الرحيم البرعي، من براع، في السودان، يظن الناس أن البرعي هذا سوداني. وهو، بالتأكيد، غير عبد الرحيم البرعي، صاحب الزريبة في غرب السودان.

---

(٢٩) د. عون الشريف قاسم، **الإسلام والعربية في السودان دراسات في الحضارة واللغة**، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م. قدمت كمحاضرة بعنوان (العامية في السودان) في جامعة الخرطوم، في أغسطس ١٩٦٤م.

من المثير، في احدى الروايات عن البطل اليمني سيف بن ذي يزن، ما أوردته الكاتبة اليمنية، الأستاذة ثريا منقوش، من أن الحرب الضروس التي خاضها سيف كانت، جزئياً، حرصاً شديداً منه على نهر النيل، واستمرار تدفقه من الحبشة للسودان ومصر(٣٠). ولكن الأكثر إثارة هو أن جماعتي الكانم والبرنو، في غرب السودان وفي تشاد، يدعون النسبة إلى سيف. ويقول بذلك ابن فضل الله العمري، والمقريزي، وابن بطوطة، والمسعودي، وريتشموند بالمر، أما باقي المصادر الغربية، فتنسب سيف إلى قبيلة كايد، المعروفة بقبيلة الزغاوة. ومن كتابات الدكتور عبد المجيد عابدين(٣١) يتضح لنا أن الكانمية، نسبة للكانم، صحفت إلى الكارمية، وهم تجار، راجت تجارتهم في مصر، والهند، والمغرب، وافريقيا الوسطى، وعيذاب، وسواكن، والحبشة، واليمن، حيث تجارة بحرية ضخمة، تقوم على تسويق التوابل، والفلفل، والأقمشة، والعاج، والعطور، والذهب، والصمغ، واللبان، وأيضاً تجارة الرقيق، منذ عصور ما قبل الإسلام، واستمراراً إلى زمن الكارمية، ففي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، يذكر ابن سعيد أن تجار الكارمية فضلوا ميناء سواكن على موانيء اليمن والحجاز؛ وذلك لأنها آمنة، وسهلة المرسى، وإن كانوا يواصلون التزود بالماء والزاد في طريقهم في اليمن من شرق آسيا إلى موانيء القلزم. والمهم في الأمر أن هؤلاء الكارمية اهتموا بتشجيع علماء الدين الإسلامي، وسربوا النفوذ الديني الإسلامي إلى دارفور، والنوبة، والسودان الأوسط، ونجحت تجارتهم في نقل البهارات من ميناء عدن اليمني إلى ميناء عيذاب السوداني، خلال حكم

---

(٣٠) ثريا منقوش، **سيف بن ذي يزن: الحقيقة والأسطورة والأمل.**

(٣١) د. عبد المجيد عابدين، **الإسلام وأثره في نشاط الكانم في إفريقية (١١٠٠ ـ ١٤٠٠م)**

صلاح الدين الأيوبي، لكنهم تعرضوا لمضايقات عظيمة من ملك الحبشة، حينئذ، وهو سيف ارعد بن عمداصيون (ت ١٣٧٢م)(٣٢).

ويشير البحاثة اليمني، عبد الله محمد الحبشي، إلى وثيقة هامة، ما دمنا في مقام الحديث عن الكانم وأهلها، فيقول: (٣٣) التكرور من بلاد السودان، وقد كتب حاكمها رسالة إلى المتوكل اسماعيل، صاحب اليمن، ووصف الجرموزي الرسالة بأنها متكلفة، في لغتها العربية، ضعيفة، ويشبه خطها الكوفي.. تقول:

«من الأمير الزاهد، مبتغي رضوان الله، في كل وقت، وحين الحاج علي بن الملك الحاج عمر كان الله ولياً إلى محبنا، على البعد والقرب، السلطان صاحب اليمن، عليه السلام ورحمة الله وبركاته، فها تعرف أن جدنا واحد، هو الملك سيف بن ذي يزن، وتُبّع الحميري، فلذلك، أرسلت إليك.

وقد رد عليه الإمام المتوكل اسماعيل برسالة، وكان ذلك في القرن الحادي عشر للهجرة. وأخيراً نشير إلى أن مدونات تمبكتو (١٦٥٧ - ١٦٦٩م) نقلت عن العلماء قولهم بأن ادريس وثلاثة من جند الخليفة الخامس، عمر بن عبد العزيز، هاجروا من بلاد اليمن إلى بلاد البرنو، فأقام إدريس هذا فيها مملكة الكانم.

وقد تمتعت سلطنة الفونج السودانية، والتي عرفت، أيضاً، باسم السلطنة الزرقاء، والتي أقامت عاصمتها في مدينة سنار، في القرن السادس عشر الميلادي، بعلاقات تجارية وطيدة مع اليمن، حيث كانت تستورد السيوف والدروع منها.. إلا أن هذا لم يمنع كاتب الشونة(٣٤) من أن يذكر لنا أن حسين، شقيق الملك بادى بن طبل، قتل بمجموعة من الحضارمة، على رأسهم ناصر ولد محمد، سنة

---

(٣٢) ابراهيم علي طرخان - **الدول الإسلامية القديمة في السودان الأوسط.**

(٣٣) عبد الله محمد الحبشي، **الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن**، الدار اليمنية، جدة، ١٩٨٦م.

(٣٤) أحمد بن الحاج أبو علي، **مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية**، تحقيق: بصيلي عبد الجليل الشاطر، القاهرة.

١٧٩٧ للميلاد، فقيل يومها «ذبحة حضرمية»، وذهبت مثلاً! ولعل اهتمام الفونج بالعلماء والمتصوفة، هو الذي نقل إلى السودان تلك المجموعة الكبيرة من مدائح عبد الرحيم البرعي، التي أسلفنا ذكرها. والطريف أن يمني يدين باليهودية، واسمه داود روبيني، حضر من اليمن إلى السودان، عام ١٥٢٣م، وقابل سلطان الفونج المشهور، عمارة دنقس، وادعى أمامه الإسلام، بل والنسب الشريف. وكان روبيني هذا موفداً من أخيه الملك يوسف، زعيم قبائل جاد، وروبين اليهودية باليمن إلى البابا في أوروبا، ولكنه مات سجيناً بائساً في اسبانيا، عام ١٥٣٥م. ولقد رافق في بلاد السودان شقيق أبو كامل إلى أبي عقرب سلطان الجعليين.

وإذا أشرنا إلى الأواصر التجارية بين موانىء اليمن والسودان، وقفنا على الوفير من أشتات المعلومات. فهذا ناصر خسرو، صاحب (سفرنامه) (ت ١٠٨٨م)، يقول إن عيذاب فرضة أهل اليمن، واليها كان الفلفل يأتي من الهند عبر اليمن. وابن جبير يشير إلى وشائج التجارة بالجلاب بين اليمن وعيذاب، ويقول بأن المرفهين من المسافرين في صحراء عيذاب يستعملون اشباه المحامل اليمانية على إبلهم. وقد كان أهل عيذاب يستعملون دسر من عيدان النخيل في صناعتهم للجلاب، وأجوده، وأرخصه ما كان من اللحية، وميدي، وقبة عباس بالشط اليمني المقابل. وقد كانت هناك تجارة بين جزيرة ابن عباس، أو بهدور وعدن، وغيرها من موانىء اليمن، كما كانت العقيق، والتي تقع أربعين ميلاً جنوب شرق طوكر، تستقبل البضائع والرقيق من اليمن، وكان الأتراك، فيما بعد، من الولاة المسلمين يتعاطفون مع ثورة المهدي على الانجليز بالسودان، فكانوا يهربون الأسلحة لعثمان دقنه، إلى طوكر والعقيق، قادمة من الحديدة. ويلاحظ وجود موانىء يمنية، باسم العقيق وقبة عباس. ويذكر ياقوت أن عيذاب بليدة على طريق المركب من عدن للصعيد. ويشير أبو الفداء (ت ١٣٣١م)، في جغرافيته، إلى تجارة اليمن المزدهرة بعيذاب، وكان البلح يصدر من سواكن لليمن، وشملت حركة

التبادل التجاري **الذهب، واللبان، والصمغ**، والعاج، والعطور. ويشير اليعقوبي إلى ضرائب الفاطميين على بضائع اليمن بعيذاب، وإلى التجار اليمنيين، الذين يشترون الذهب منها. وقد كانت مواد بناء السفن تجلب من اليمن، والهند، وبضائع الصين، والهند تنزل بعدن، ثم تنقلها السواعي إلى عيذاب، فمصر العليا، ذلك أن سفن المحيط لم تكن صالحة للقلزم. ويذكر لسان اليمن الهمداني بادي، وسواكن من بين الموانىء السودانية، ويقول عن سواكن إنها بالحبشة الوسطى، ويكثر بها العرب، لقربها من الذهب. وتذكر المصادر أن تجارة الخيول كانت رائجة بين اليمن والسودان؛ فقد كان الخيل يشتري بثمن ٢٥ ريالاً، في شندي، ويبتاعه شريف اليمن بثمن ١٥٠ ريالاً، بالحديدة، وإن كان بعض الخيل ينفق خلال الرحلة، التي لا تخلو من المتاعب. كذلك تذهب سفن سودانية بالرقيق القادم من رحلة، من شندي إلى موانىء المخا واللحية والحديدة باليمن، قادمة مثلاً من سواكن، وعادة ما يكون قبطان السفينة يمنياً. بينما يقيم السواكنيون في بلاد اليمن، كوكلاء لمواطنيهم هناك.

ويقول محمد صالح ضرار إن الربان الينبعي، الحميد بن منصور(٣٥)، والذي كان يقود السفن بين سواكن وغيرها من الموانىء، ظل قادراً، بعد أن كف بصره، على تمييز عجينة طين بحري ممزوج من المخاء وماء جزيرة سقطرى ببحر عدن! وقد ازدهرت عيذاب، منذ أوائل القرن الرابع الهجري، ويرجع ذلك لتشجيع الزيود في اليمن للتجار الهنود، والصينيين، على القدوم لعدن، ومنها كانت الجلاب، أو القوارب، تنقل بضائعهم إلى عيذاب، فالسفر من عدن لسواكن، ومن سواكن إلى عدن له موسمان من السنة النيروزية، كما يقول الباحث اليمني حسن صالح شهاب، في دراسة منشورة له بعنوان (طرق الملاحة التقليدية في البحر

(٣٥) ضرار، مصدر سبق ذكره.

الأحمر). ويذكر ابن بطوطة أنه التقى بعرب جهينة في سفره من سواكن لليمن، كما رافق جماعة يمنية من جدة، فاضطر للنزول في رأس دوائر شمال سواكن، نتيجة لسوء حال البحر، وقد كان الصنبوق، أو السمبوك، يومئذ، ملكاً لرشيد الدين الألفي اليمني. ويذكر يوسف فضل حسن اثنين ممن كانوا يتاجرون بين سواكن واليمن، وهما، تحديداً، عوض بن موسى المكي، سنة ١٤٤٢م، وعبد اللطيف المكي، سنة ١٤٣٣م. وفي عام ١٤٢٢م فضل التاجر الهندي، ابراهيم، أن يحول التجارة من عدن لسواكن، حيث كانت عدن ترزح تحت الضرائب الجائرة، وسوء معاملة الرسوليين، فصراع رسولي اليمن وبني عجلان، اشراف مكة، حول قافلة يمنية للحج، جعل تجار الهند يهبطون سواكن، بدلاً من جده. وبوخهارت يقول إن أهل سواكن هم أسلاف الأسر الكبيرة من أهل حضرموت، وأن جُلهم من مدينة الشحر، على ساحل حضرموت، وهم أنفسهم الحداربة.. كما يشير إلى وجود واد باسم عسير بشرق السودان. ويقول إنه فكر بالذهاب إلى المخا، من سواكن، ثم لصنعاء، فرحلة الحج، وأشار إلى أن تجار سواكن الحداربة يتاجرون في شندي، وسنار، وعطبره، والأبيِّض، وينافسون تجار مصر ويتجرون، أيضاً، بالعقود اليمانية، وإن كانت لا تصنع في اليمن كما أن الحداربة يبيعون الصمغ العربي للتجار الانجليز والأمريكان في اليمن. وفي شندي تبتاع قافلة سواكنية جياداً دنقلاوية، لتباع بثمن مجزٍ بالحديدة واللحية والمخا وفرسان الشريف حمود الأمير اليمني، يمتطون جياداً أكثرها دنقلاوية، كما يذكر أن نول الخيل بالسمبوك عشرة ريالات اسبانية. ويتجر أهالي سواكن بالتبغ، عبر القوافل من سنار لليمن. ويقول بوركهارت إن كلمة الأرتيقة بشارية تعني الأشراف، كما يذكر مشاهدته لمرتزقة يمنيين كجند لدى الآغا التركي بسواكن. ولاحظ أن الدخن يزرع بدارفور، وسنار، وساحل القلزم، من جدة لليمن، ويقال إن أولاك الأرتيقي أدخل زراعته، بعد الذرة، في طوكر، من سنبوك يمني. كما كان السواكنيون يصدرون قِرَب الماء لليمن. ويشترون الجلود لحمل الزاد أثناء السفر، من أهل سنار، ويبيعونها لأهل

اليمن. وكذلك يصدرون الدوم، والذرة، والحصر، والقِرَب للحديدة. ويشير بوركهارت إلى البضائع اليمنية، التي تذهب من سواكن لسنار ودارفور، حيث تعود القوافل من هناك بالذهب، والرقيق، وريش النعام، والعاج، والخيول. ويقال إن أهل بربر ينافسون السواكنيين بالهمة، والأمانة، وتورد الخيول، وكذلك الريش، والعاج، والذهب، والرقيق؛ وتقام الأسواق في المخا، والحديدة، واللحية. كما كان أهل سواكن يحمون تجار اليمن لديهم، طالما هم في أراضيهم. وقد تضاءلت أهمية طريق عيذاب إلى قوص، بعد عام ١٣٥٨م. ومما يذكر أن رحلة ابن بطوطة، من سواكن لميناء حلي باليمن، حيث التقي بعرب كنانة وعراك، دامت ستة أيام في القلزم. ويشير عمارة اليمني(٣٦) إلى أن ابن نجيب الدولة أرسلته الملكة أروى اليمنية إلى الآمر بأحكام الله في مصر، عام ١١١٥م، على متن جلبة من الجلاب السواكنية. والسفن التجارية من اليمن لعيذاب، نهبت من قبل جماعة صاحب مكة، قاسم بن أبي هاشم، سنة ١١١٨م، فهدده الوزير الفاطمي، الأفضل شاهنشاه، فاضطر لإعادة الأموال(٣٧). كما هدد تجارة اليمن بعيذاب هجوم شمامون النوبي عليها، عام ١٢٧٢م. وفي سنة ١١٨٢م كان الصليبيون قد استولوا على عيذاب، بقيادة صاحب مدينة الكرك رانودا [انظر: أبو شمعة]. وكانت عيذاب ميناء بضائع اليمن القادمة بمراكبها إلى قوص في الطريق إلى القاهرة. وقد استولى الصليبيون، بالفعل، على مركبين محملين بالتجار من اليمن. وأراد صلاح الدين الأيوبي، بتوجيهه الملك العادل وشمس الدين توران شاه إلى جماعة الكنوز بشمال السودان، السيطرة على تجارة عيذاب، واليمن، والشرق الأوسط. وقد احتل توران شاه عدن، عام ١١٧٣م. وفي بلاط الكنوز الفاطميين عاش أحمد بن

(٣٦) نجم الدين عمارة الحكمي اليمني، **تاريخ اليمن**، تحقيق: د. حسن سليمان محمود، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٧م.

(٣٧) لعمارة اليمني مخطوطة ضمن مقامات الوهراني، بمكتبة آيا، صوفيا، يتحدث فيها عن مآثر بني الكنز.

علي الرشيد الأسواني القرشي، أحد دعاة الفاطميين، والذي أرسله الخليفة الحافظ داعية لليمن. ويذكر محمد بن عيسى اليمني، المشهور بمعرفته بعلم الهندسة، أن الأسواني هذا صاحب كتاب (أمنية الألمعي وبغية المدعي)، قد كان استاذه(٣٨).

وقد أعاد السلطان المملوكي، الناصر محمد بن قلاوون، سواكن إلى سلطة الحدارية، انتقاماً من استيلاء بني هلبة، والأرتيقه، في شخص الشريف علم الدين، على هدايا ملك اليمن إليه، والتي حملها تجار، منهم بدر الدين حسن ابن أبي النجا، والطواشي جمال الدين فيروزة، في ثلاث سفن، كما يذكر النويري، وكان ذلك في عام ١٣١٧م. وقد أسهم الجند السودانيون، ضمن الجيش المملوكي الذي اكتسح اليمن، واحتل أسطولهم سواكن، عام ١٥٠٥م، قبل احتلاله لليمن [انظر ابن ياس في (بدائع الزهور في وقائع الدهور)].

وفي دراسته (الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر الميلادي)(٣٩)، يتحدث يوسف فضل حسن عن أن القاضي الفاضل كان يرى أن الفرنجة يهدفون إلى قطع طريق الحج، وضرب العالم الإسلامي، وغزو الحرمين الشريفين، والسيطرة على تجارة اليمن أكارم عدن، وكانت السلع الشرقية تستبدل بالحرير، والنحاس، والقصدير، والكيماويات الواردة من مصر، وشمال افريقية، وأوروبا، أو بالذهب المستخرج من المعادن الواقعة شرق بلاد النوبة. ويذكر عمارة اليمني أن ابن زياد في اليمن كان من ضرائبه على صاحب مدينة دهلك، سنة ٩٧٦م، مئات من العبيد والوصائف النوبيات. وكان هذ ما بين ٨٢١م و١٠١٢م، وظل هذا هو الحال، حتى في عصور متقدمة، فقد كان الشريف حمود في عسير يشتري الرقيق السوداني، في القرن السابع عشر الميلادي.

---

(٣٨) انظر للدكتور عطية القوصي، **تاريخ دولة بني الكنز الإسلامية**، دارالمعارف، بمصر، ١٩٨١م.

(٣٩)د. يوسف فضل حسن، **الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر الميلادي، مجلة (الدارة) السعودية، العدد ٣ للسنة الثامنة** ١٩٨٣م.

ويذكر المؤرخ اليمني، **الشاطري**(٤٠) **وصول عبد** نوبي إلى دفة الحكم في اليمن، وهو الحسين بن سلامه وسلامه هي أمه مولى الزياديين، والذي تمتع بالحكم، من سنة ٩٨٢م حتى وفاته سنة ١٠١١م، وقد كان حازماً عفيفاً، حارب أهل الجبال، حتى دانوا، ومنهم ابن طرف، والحرامي، فتوسعت مملكته، وهي مملكة بني زياد، واختط مدينة الكدراء، على وادي سهام، ومدينة المعفر على وادي زوال، وكان عادلاً بين الرعايا، كثير الصدقات والصلات في الله تعالى، مقتدياً بسيرة الخليفة الخامس، عمر بن عبد العزيز، وأنشأ الجوامع الكبار، والمنارات الطوال، من حضرموت إلى مكة، وطول المسافة التي بنى فيها ستين يوماً، وحفر الآبار المروية، والقلب العادية في المقافر المنقطعة، وبنى الأميال والفراسخ والبرد على الطريق، فأوله شبام وتريم بحضرموت، اتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن وأبين ولحج، والمسافة عشرون مرحلة، في كل مرحلة جامع ومئذنة وبئر، فاما عدن ففيها جامع من عمارة عمر بن عبد العزيز، وقد جدده ابن سلامة. ثم تتفرق الطرق من عدن لمكة، فطريق يصعد في الجبال، وطريق يسلك تهامة، فأما الطريق الجبلي ففيه جامع الجوه، وهو كبير، أدركه عمارة اليمني عامراً، ورأى فيها جامع الجند، وهو شبيه بجامع أحمد بن طولون، وكان مسجداً لطيفاً أول من بناه الصحابي معاذ بن جبل، الذي بعثه رسول الله (ص) للجند [انظر ياقوت...]. ومن أهم جوامع ابن سلامة، المسجد الكبير، بزبيد، وقد كان ابن سلامة أول من أدار سوراً حول زبيد، وبنى جوامع مع تريم وشبام، وكان له أخ اسمه سعيد، ولاّه على عدن، وباسمه

---

(٤٠) محمد أحمد عمر الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**، مكتبة الإرشاد، جدة، ١٩٧٢م.

سميت حافة حسين بعدن(٤١).

ولقد وجدت لدى الباحث اليمني، الأستاذ محمد عبد الرحيم جازم، عدداً من المخطوطات، التي تعود إلى العصر الرسولي، مما يتعلق بصلات التجارة بين اليمن والسودان. ففي مخطوطة بعنوان (الديوانية)، التي ترجع إلى أيام ثاني ملوك بني رسول باليمن، الملك المظفر ورد، أن تجار اليمن، في عيذاب، وسواكن، يتعاملون بالدراهم الكاملية المصرية، وأن جامكية، أو نفقة السفر من زبيد إلى سواكن تبلغ راتب شهرين وعشرين ديناراً ذهبياً كمكافأة كما أن أجرة السنبوك التجاري إلى سواكن، تبلغ سبعين ديناراً، أما أجرة المركب الكبير، الذي يستخدمه الرسل إلى عيذاب، فتبلغ خمسمئة دينار، وأجرة سفر الفرد من تعز لسواكن تبلغ إثني عشر ديناراً. وفي مخطوطة (المغني في البيطرة) للملك الأشرف الرسولي(٤٢)، ابن الملك المظفر، يرد ذكر أن خيار الجمال العريضة هي الجمل الربيعي، نسبة لموضع من أعمال السودان، كما ذكر أن خير الهُجُن البحرية المجلوبة، هي السواكنية، وهي المثلى لركوب الملوك. وفي مخطوطة (ملخص الفطن والألباب مصباح الهدى للكتاب)، والمكتوبة في عهد الملك الناصر الرسولي، هناك إشارة للتبادل التجاري بين موانىء اليمن، وعيذاب، وسواكن، وهذه المخطوطة الأخيرة تعود في تاريخها إلى أواخر الدولة الرسولية في اليمن، وتوجد مخطوطة منها في مكتبة الامبروزيانا الإيطالية.

---

(٤١) وجيه الدين الحبشي الوصابي (ت ١٣٨٠م)، **تاريخ وصاب الإعتبار في التواريخ والآثار**، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

معلومة من المؤرخ السوداني المقيم بعدن، الدكتور عبد الشافي صديق.

(٤٢) الملك الأشرف عمر بن يوسف الغساني (ت ١٢٩٦م)، **المغني في البيطرة**، جامعة بغداد، ١٩٨٩م. تحقيق: د. رمزية محمد الأطرقجي.

يقول شاعر العربية الأول، أبو الطيب أحمد بن حسين المتنبي، مادحاً كافور الإخشيدي، سنة ٩٦٨م:

يصرف الأمر من مصر إلى عدن إلى الحجاز فارض الزنج فالنوب(٤٣).

وهذا واقع صحيح للآصرة السياسية بين اليمن والسودان، فقد خضعت المنطقتان، في بعض مراحلهما التاريخية الإسلامية، لنفوذ سياسي واحد.

في سنة ١٣٥٠م، يذكر الخزرجي في (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية)(٤٤) وصول رسول السلطان بابتداءات شريفة من سواكن، فضربت له الطبلخانة، لثلاثة أيام متوالية، وفي نفس ذلك العام، توفي الفقيه الحنفي أبو الحسن علي بن نوح الأبوي، حفيد أبي بن كعب الأنصاري الصحابي، في مدينة زبيد، وأصل بلاده من السودان.

وفي سنة ١٣٨٩م يشير المؤلف المجهول لكتاب (تاريخ الدولة الرسولية في اليمن)(٤٥) إلى هدية نفيسة، من صاحب سواكن، فيها افيال، وبخور، وتحف إلى اليمن.

وفي سنة ١٣٩٩م يخبر الفقيه علي بن محمد الناشري عن بعض المسافرين في البحر أن زلزالاً قد وقع في السودان.

وفي سنة ١٥١٦م يتصل أمير سواكن بالباشا التركي في زبيد، لمساعدته على مقاومة البرتغاليين، وحلفائهم من مسيحيي الحبشة.

وفي سنة ١٥٣٠م، يستولي أسطول سنان باشا التركي على سواكن، وزبيد،

---

(٤٣) **ديوان المتنبي**، أبو البقاء العكبري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

(٤٤) علي بن الحسن الخزرجي، **العقود**، جزءان، مطبعة الهلال بمصر، ١٩١١م.

(٤٥) **تاريخ الدولة الرسولية في اليمن**، لمؤلف مجهول، عاش في القرن التاسع الهجري، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨٤م.

والمخا، والحديدة، بعد هزيمته لأسطول البرتغال البحري.

وتجمع المصادر على أن الحضارمة ويمنيين آخرين هم أهم من عمر سواكن، خلال القرن الخامس والسادس عشر الميلادي، وحولها إلى ميناء تجاري مزدهر [انظر: دولة البحار].

وقد وضع المؤرخ عرب فقيه كتابه في الإمام أحمد محمد جراني، أحد ملوك أمارات الطراز الإسلامي في القرن الإفريقي. وقد غزا جراني الحبشة، من الجنوب إلى الشمال، حتى اتصل بجيش السلطان في مزجة، أو مسيجا، في سنة ١٥٣٤م، وهي مقاطعة تسكنها قبائل التقرى بين الحبشة وسنار في السودان، وتقع شمال تكازة، وغربي سيراي، وفي جيشها خمسة عشر ألف نوبي مسلم. وقد آزر الباشا التركي في زبيد بالأسلحة والمدافع الإمام جراني.

وفي سنة ١٦٢٧م خرج الباشا عابدين في ألف نفر من سواكن إلى المخا، فاستقر بها، وبنى دايرها، وقصده عامل حيدر من زبيد، فلم يظفر به، كما يذكر يحيى بن الحسين في كتابه (غاية الأماني)(٤٦).

وفي سنة ١٦٤٦م، قام موفد من إمام اليمن، هو حسن بن أحمد الحيمي، صاحب كتاب (سيرة الحبشة)(٤٧)، برحلة إلى الحبشة، وذكر مراسلات واتصالات بين عدة أطراف، منها إمام اليمن والباشا التركي، محمد، صاحب سواكن، وموفده الأمير العربي، الفاضل عبد الوهاب، اضافة إلى الحيمي نفسه. وقد التقى الحيمي في رحلته في مدينة قوندار الحبشية بعدد من سكان مدينة سنار بالسودان.

وفي سنة ١٦٦٦م يقال إن الفرقة العسكرية اليمنية كانت تشمل ألفاً من

---

(٤٦) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١٦٨٩م)، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

(٤٧) حسن بن أحمد الحيمي (ت ١٦٦٠م)، **سيرة الحبشة**، تحقيق: مراد كامل، دار العالم العربي، القاهرة، ١٩٧٢م.

الفرسان على الخيول، **من السودانيين، والمولدين، والروم**، كما يشير عبد الله بن علي الوزير، في كتابه (تاريخ اليمن)(٤٨).

وفي عام ١٦٧٢م، وصل محمد عامر من الحبشة إلى ساحل المخاء، طريداً من سواكن؛ بعد وصول عمر باشا إليها، وكان قد أساء إلى جانب مصطفى باشا نائبها الأول، فأخرجه، ورام التغلب عليه، ولما انتهى أمره إلى الساحل، حار فكره، والتبس أمره، فخرج من البندر، و لم يعلم إلى أين استقر.

وفي سنة ١٦٧٣م وصل إلى بندر المخاء، هارباً، محمد بن عامر، الذي خالف عساكر السلطنة بسواحل الحبشة، كما مضى في قدر خمسة عشر نفراً، من أتباعه، فتتبعه إلى البحر غرابان، فلما بلغا باب المخا، تقهقرا، وكان قد خرج عليه إلى سواكن زيادة عسكر، أخذوا جميع خزنته، وآلة معسكره، وهو الذي طرد مصطفى باشا عن الحبشة.

وفي سنة ١٦٧٥م وصل مكتوب من صاحب سواكن، يخبر باستقرار الشريف سعد بحضرة السلطان محمد خان، وأن السلطان رماه بقتل حسن باشا، فتنصل عن ذلك، واثقاً بالدخول في المذهب الحنفي، استدراجاً لخاطر السلطان محمد، فاحمطغت عليه قلوب الخواص، ومهدوا له الفوز، فقبله السلطان.

وفي سنة ١٦٩٥م أرسل إمام اليمن، نعمة الله اللاهوري، بكمية من الفضة إلى مدينة سنار، فشرى بها للإمام نحو ألف من السودان، ووافى بهم كجوالق الفحم مرآة الأبدان، كما يذكر المؤرخ اليمني أبو طالب(٤٩).

---

(٤٨) عبد الله بن علي الوزير، **تاريخ اليمن خلال القرن السابع عشر الميلادي المسمى طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى**، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٥م.

(٤٩) أبو طالب، **تاريخ اليمن عصر الإستقلال عن الحكم العثماني الأول**، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مطابع المفضل بصنعاء، ١٩٩٠م، الجزء الأول.

ويتحدث النهزوالي، في (**البرق اليماني**)[٥٠]، عن سفر ازدمر باشا، بعد استقالته، من اليمن إلى سواكن، ثم براً إلى مصر.

وفي مصدر تاريخي يمني آخر، تقرأ: مرجان كتب سنة.... على لسان السلطان - وكان قد توفي — عامر بن عبد الوهاب، يسترضي السلطان سليم، وأرسل الكتاب بانشاء محمد بن عمر بحرق، بصحبة الشيخ الشاذلي، والشيخ الفايشي، بواسطة شريف الحجاز، بركات بن محمد وقد مات الفايشي بالدم، ووصل الشاذلي، بثواب الهدية، إلى سواكن، وركب البحر لليمن، فخرج عليه جماعة من دهلك، فأخذوا الهدية، ويقال إن ذلك كان بتهوين من الترك، الذين بزبيد[٥١].

وقد سيرت شركة روبانينو الإيطالية رحلات بحرية بين سواكن والحديدة، كما أنشأت شركة تلغراف «الإيسترن» خط سلك بحري، من سواكن لعدن، عام ١٨٧٤م. ويذكر الشاعر الفرنسي آرثر رامبو (١٨٥٤ — ١٨٩١م) رحلاته بين عدن، والحديدة، وسواكن. كما يشير نعوم شقير[٥٢] في دراسته لجغرافية وتاريخ السودان إلى أنجح التجار في سواكن، فيذكر الحضارمة في المقدمة.

ونجد أن أسطول محمد علي باشا يمر على سواكن، في ستة بواخر، في طريقه إلى عدن، قادماً من السويس. كما نلاحظ أن مقتل ابنه، اسماعيل باشا، في شندي بالسودان، قد شجع الأهالي في عسير على التمرد على ممثليه هناك. وقد صارت سواكن قاعدة حربية، واستراحة لجرحى الحرب من الأتراك، خلال حربهم وحتى

---

(٥٠) قطب الدين محمد بن أحمد النهزوالي المكي (ت ١٥٨٢م)، **البرق اليماني في الفتح العثماني**، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨م.

(٥١) عثرت على هذا المرجع ممزق الغلاف في مكتبة كلية الآداب بجامعة صنعاء، ولم أتحقق من مؤلفه.

(٥٢) نعوم شقير، **تاريخ وجغرافية السودان**، الطبعة اللبنانية.

عام ١٩١١م.

وأغيث الناس في اليمن، في سنة ١٩٠٣، بخروج الدقيق، والطعام من السودان، اثناء حرب الإمام يحيى للأتراك في اليمن، وتكرر ذلك، في سنة ١٩١٣م.

ويشير الدكتور فاروق عثمان أباظة(٥٣) إلى اقتراح البريطاني، والتون، خلال الحرب العالمية الأولى، أن يدار المثلث الواقع بين هذه الحدود في جنوب غرب جزيرة العرب، مدنياً، بنفس الطريقة التي يدار بها السودان، مقترحاً إحضار جند سودانيين لهذه المهمة.

ويذكر جون بولدري(٥٤) العديد من الوثائق، في نفس الفترة، والتي تحوي مراسلات سياسية بريطانية مع الأدارسة، في عسير، سواء في بورتسودان، أو في عدن. وهذه الوثائق موجودة في دار الوثائق المركزية بالخرطوم.

ولعل اليمنيون قد أسهموا في دعم ثورة المهدي في السودان على الإنجليز، بأكثر من شكل وقد أسلفنا ذكر ذلك، ونذكر الآن أن السكرتير الخاص بالأمير عثمان دقنه، قائد حروب المهدية بشرق السودان، كان يمنياً، وهو الشيخ سعيد عبد الله باعشر، الذي تميزت كتاباته وخطبه بكونها آية في البلاغة والحماسة، وذلك من مقتضيات منصبه، وكانت داره في جزيرة سواكن.

وبالمقابل، فقد كان المؤرخ اليمني الشاعر الفنان، الأمير أحمد فضل القمندان، من الساخطين على المهدي، وخليفته عبد الله التعايشي، نتيجة

---

(٥٣) انظر له كتاب **(سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى)** ـ ضمن سلسلة كتب مجلة دراسات الجزيرة والخليج العربي بالكويت.

(٥٤) حون بولدري، **العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن، إبان الحكم التركي (١٩١٤ ـ ١٩١٩م)**، المطبعة الفنية بالقاهرة، تقديم وترجمة: د. سيد مصطفى سالم.

لترخيصهما لجندهم من المجاهدين البقارة في بيع الرجال، وسبي النساء(٥٥).

ولعل أحدث هجرة يمنية إلى السودان، في رأي المؤرخ الدكتور محمد عوض محمد، هي هجرة قبيلة الرشايدة، أو الزبيدية، كما يعرفون، أيضاً. وهم يتكلمون العربية، ولا رطانة لهم، إلا أن الساكنين منهم بين طوكر وبورتسودان، بمنطقة نهر القاش من الشرق، وحتى نهر عطبرة، يتكلمون لغة التقرى، أيضاً.. وهم، كالكواهلة، من حيث أنهم ليسوا جهنيين، أو جعليين. ويرى ماكمايكل أن هجرتهم القديمة هي التي تشكلت منها مجموعة البقارة في غرب السودان، والتي تنتمي للمجموعة الجهنية القحطانية. أما يوسف فضل حسن، فقد أفاض في الحديث عن جذور الرشايدة، دون أن يصل إلى استنتاج واضح، سوى أنهم ربما كانوا من أُصول جذامية، أو لخمية، أو قضاعية، وذلك في دراسته المسماة (هجرة الرشايدة إلى السودان ١٨٤٦ - ١٩١٠م)(٥٦).

الإدريسية في عسير وعودة إلى انتقال الطرق الصوفية

ولد السيد أحمد بن ادريس، في فاس بالمغرب، سنة ١٧٥٨م، وجاء إلى اليمن، سنة ١٨٢٨م. وحل في تهامة، واتصل بعلمائها، ونال منهم القبول والترحيب، ورافقه في الزيارة أخوته: محمد القطب، وعبد العال، ومصطفى، وقضوا معه زمناً، انتهى في عام ١٨٣٠م، واتصل، خلال وجوده في تهامة، بالقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني، في صنعاء، (ت ١٨٣٤م)، كما وافاه من رفاقه إلى اليمن المصري ابراهيم الخزامي، ومحمد البرنوي، وابراهيم الرشيد،

(٥٥) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي الملقب بالقمندان (ت ١٩٤٣م)، **هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.

(٥٦) د. يوسف فضل حسن، **دراسات في تاريخ السودان**، الجزء الأول، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٧٥م.

شجرة البيت الحاكم في عسير

أحمد بن ادريس

محمد

علي	عبد المتعال
محمد، حسن	السنوسي، عبد العربي، مصطفى

محمد (بن علي): علي، عبد الوهاب، عبد العزيز، عبد الرحيم، حسن

السنوسي: العابد

ـ الشجرة العائلية للأدارسة

[١ - ٣]

كما زار تلميذه السنوسي **اليمن.. ونخص بالذكر** الشيخ محمد الهميم عبد الصادق الركابي، الذي بعثه إلى النادرة باليمن، لسبع سنوات، شيخه تاج الدين البهاري البغدادي، وسلكه في الطريقة الجيلانية. وتتلمذ على يديه، في مدينة زبيد، الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (ت ١٨٣٥م)، صاحب كتاب (النفس اليماني)(٥٧). وقد أرخ فيه لأستاذه، وكتب أحمد بن ادريس الشعر في تلميذه، الأهدل، إذ يقول في رسالة له من خارج زبيد:

فيا زبيد حبكم ووددكم عظيم وإني في الوصال على العهد
لقد مال مني القلب شوقاً إليكم وفيه أمور زائدات عن الحد(٥٨)

(٥٧) عبد الرحمن سليمان الأهدل (ت ١٨٣٤م)، **النفس اليماني**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

(٥٨) آراوفاهي، **القديس بن ادريس**، انجليزي، لندن، ١٩٩٠م.



الشريف محمد بن علي الإدريسي

(١٨٧٦م - ١٩٢٣م)

[١ - ٤]

كما مدح **شعراء اليمن الإدريسي** الأكبر، مثل شعراء زبيد، ووصاب، وتعز، وبيت الفقيه، ومنهم الشاعر عبد الكريم بن حسين العتمي، والشاعر عبد الرحمن العتمي (ت ١٨٣١م)، والشاعر عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، والشاعر محسن بن عبد الكريم، الذي يقول فيه:

شرفت (صبيا) بكم فغدت مورداً للعلم والنزل

ليت شعري ما الذي فعلت فعلت قدراً على زحل

وقد جمع محمد بن محمد الديلمي، قاضي زبيد، مدائح الإدريس وأحواله الشريفة، في كراريس وقد استقر أحمد بن ادريس في صبيا، بعسير، سنة ١٨٢٤م، وأسس فيها الطريقة الصوفية الإدريسية، التي وصل تأثيرها إلى قبائل البني عامر، وإلى قبائل البجة، في شرق السودان. وتتلمذ في صبيا على يديه، حسن بن أحمد العاكش (ت ١٨٧٣م)، ومحمد المجذوب الصغير (ت ١٨٣٢م)، حفيذ المجذوب الكبير، مؤسس حركة المجاذيب في السودان، وابراهيم الرشيدي (ت ١٨٧٤م)، صاحب الطريقة الرشيدية في السودان، والتي أشار الرحالة الأديب أمين الريحاني إلى وجودها في عدن، في العقود الأولى من قرننا الميلادي العشرين(٥٩). ويقول الدكتور عبد الله عبد الرزاق ابراهيم(٦٠) إنه ـ أي الرشيدي ـ لقب بالدويحي، وتوفي في مكة، ومحمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي (و١٧٨٧م)، والمولود بالجزائر، صاحب الطريقة السنوسية، والتي وصل تأثيرها إلى دارفور، في غرب السودان. وكان محمد شريف أميراً سنوسياً على منطقة واداي، بغرب السودان، سنة ١٨٣٨م. والسنوسية، التي أسسها محمد بن علي السنوسي، المتوفي سنة ١٨٥٩م، في عام ١٨٣٧م، اصطدمت بحركة المهدي في السودان. وكان من

---

(٥٩) أمين الريحاني، **ملوك العرب: رحلة في البلاد العربية**، بيروت دار الريحاني، ١٩٦٠م.

(٦٠) انظر كتابه **(أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية)**.

أتباعها في السودان محمد مهدي السني بن محمد بن عبد الله السناري وكذلك محمد المجذوبي السواكني السوداني. وفي عام ١٩٣٢م هرب السنوسيون من احتلال إيطاليا للكفرة في ليبيا، إلى مدينة دنقلا، بشمال السودان.

كما كان من تلامذته السيد محمد عثمان الميرغني (ت ١٨٥٣م) والذي أرسله معلمه إلى السودان فنشر الدعوة بكردفان والنوبة وسنار، في سنة ١٨١٧م، ونالت طريقته التي عرفت بالميرغنية، وبالختمية، نجاحاً في سواكن والبجا، والبني عامر، ودنقلا، والحلانقة، والحباب، وعلى امتداد وجود البني عامر من مدينة طوكر.

كما أرسل محمد عثمان الميرغني نجله، محمد سر الختم، لينشر الطريقة في اليمن حتى حضرموت، فتزوج هناك من يمنية، وهو والد محمد سر الختم الميرغني، المدفون في مصر. أما محمد عثمان الميرغني الكبير نفسه، فقد تزوج بامرأة من دنقلا، بشمال السودان، وأنجب منها ابنه الحسن، ثم عاد إلى صبيا، ملازماً لأحمد بن ادريس، حتى وفاته، في سنة ١٨٣٧م. وممن زار صبيا، لاحقاً، المأمون الميرغني، شقيق زعيم الختمية بالسودان، بل شارك في توقيع اتفاقية بين آل ادريس وآل سعود، عام ١٩٢٦م. وقد التقى الميرغني الأكبر، في مكة، بالعالم اليمني، داوود بن عبد الرحمن بن حجر القديمي الحسيني اليمني الزبيدي، قاضي الأتراك على زبيد، والحديدة، وحجة، فأخذ الطريقة عن الميرغني، وأدخلها لليمن، وسلك ابنه، الحافظ محمد بن داوود (ت ١٨٩٥م) في الطريقة، كما ذكر المؤرخ اليمني، محمد بن زبارة، في كتابه (نزهة النظر)(٦١). وأكده الباحث الراحل، عبد الله محمد

---

(٦١) محمد بن محمد بن يحيى زبارة (ت ١٩٦٠م)، **نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

الرديني(٦٢). وقد مدح الشاعر **علي بن عبد الله الإرياني ابن حجر بقوله:**

والسيد العلامة الحبر الذي قد كان في بحر المعارف يشرع

أعني به داوود من نجـل القديمي بحر عـلم فاضل متـورع

فزبيد تبكيه وتبكي مثـله كم من إمـام بالفضـائل مولـع

كما ذكره حسن بن أحمد العاكش، وتتلمذ على يديه محمد وحسين وعلـي بن عبد الله جابر الإرياني، وممن أجاز له محمد ناصر الحازمي الضمدي الحسيني:

سـلام علـى داوود منـح التـقـوى

وقطب بنى الدنيا سنوسي شموسه رويت عنه كل علم له أهوى

وفي هذا الشعر إشارة إلى محمـد بـن علي السنوسـي الخطـابي، وهـو شيخ المجيز.

ويذكر السيد أمين الريحاني، أنه حينما كان بالحديدة، وحدثـت وفـاة شيخ الطريقة المرغنية، والتي لهـا فـروع في عـدن، وفي بـلاد عسير، شـاهدها هنـاك، في مسجد الشجرة، الواقع خارج الحديدة، حلقـة ذكـر شـاركت فيهـا جميـع الطـرق الصوفية، بحوالي ٤٠٠ شخص، ودامـت الحلقـة خمس سـاعات. والواقـع أن عبـد الرحمـن الأهـدل كـان لـه الفضـل في تدريـس الميرغني الأكـبر الطريقـة الصوفيـة النقشبندية الهندية، حينما كان الأهدل مفتياً لزبيد.

وقد كان لأحمـد بـن ادريـس مراسـلات مـع عـدد مـن شـخصيات أخـرى معاصرة، منها عدد من اليمنيين، فكانت له مراسلات مـع مكـي بـن عبـد العزيـز، وعربي هواري، ومحمد بن جعفر، في المخا، وعلى ابن مجثّل، في عـدوه(٦٣). وعـن الختمية تفرعت الإسماعيلية، لإسماعيل الكردفاني (١٨٦٣م).

(٦٢) **ديوان زهر البستان في مخترع الغريب من الألحان** للشيخ جـابر احمـد رزق (ت ١٩٠٥م)، تحقيق: عبد الله محمد الرديني، شركة التنوير، بيروت، ١٩٨٩م.

(٦٣) اينار ثوماسن وبرند رادتك [انجليزي] **رسائل ابن ادريس،** لندن، ١٩٩٣م.

والواقع أن الإدريسية الأحمدية، وغيرها، من تفرعاتها، أصبحت تراثاً مشتركاً لليمن، والسودان، وسواهما، مثلما هو الحال مع الطرق السنوسية، والختمية، والرشيدية، والصالحية، والدندراوية(٦٤).

وبعد وفاة ابن ادريس، في عام ١٨٣٧م، تولى الطريقة ابنه محمد، الذي تزوج بجارية سودانية، أنجبت له ابنه علياً، وهذا الأخير هو والد محمد الثاني، المولود في سنة ١٨٧٦م، في صبيا، وهو المؤسس الحقيقي لدولة آل ادريس. وقد أقام محمد الثاني في أرجو، في دنقلا، بشمال السودان، لسنوات، يطلب العلم، وتزوج هناك بمريم ابنة الشيخ هارون الطويل، شيخ الطريقة الأحمدية الإدريسية، فأنجبت له ابنه علي، الذي ولد في السودان.

وقد عاد محمد الثاني إلى صبيا، بعد أن نهل العلم، في أكثر من بلد مسلم، سنة ١٩٠٢م.

كما صاهر محمد الثاني السنوسيين المنتشرين في السودان. وقد كان شاعراً، وقيل شافعي المذهب. وقد أنشأ إمارته في عسير، رسمياً، سنة ١٩٠٧م. وتتلمذ على يد الإدريسي محمد بن حيدر النعمي، والحسن بن أحمد عاكش الضمدي، وعمل ككاتب لدولته شاعر يمني، هو عبد الرحمن أحمد العتمي، في العشرينات، الذي فر، فيما بعد، إلى مدينة عدن، وكتب هناك قصيدة، بعنوان (حبيبي إن هذا يوم عيدي)، التي لحنها المطرب اليمني الراحل، الشيخ علي أبو بكر باشراحيل (ت ١٩٥١م)، كما يذكر الدكتور غانم الأب(٦٥).

وقد امتدح الإدريسي محمد الثاني عدد من شعراء اليمن، منهم: محمد

---

(٦٤) انظر، أيضاً، في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، مخطوطة برقم ١٤٨ مجاميع، عنوانها (**الروض البسام في سيرة ابن الإمام**).

(٦٥) د. محمد عبده غانم، **شعر الغناء الصنعاني**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م، طبعة

ابراهيم الحشيبري، ومحمد الأمين الشنقيطي، وعلي بن محمد السنوسي، واسماعيل الوشلي، وعبد العزيز محمد الضامدي، وعبد الرحمن المعلمي.

وكانت هناك عدة بيوتات هامة للأدراسة في السودان، مثل منزل السيد عبد المتعال ابن محمد الإدريسي، في أرجو، بشمال السودان. وشهدت إمارة الأدارسة نهضة سياسية وعامة، على يد محمد الثاني، الذي عايش ظروفاً سياسياً متقلبة، في ذلك الوقت، من مطلع القرن العشرين.

ويذكر أمين الريحاني أنه التقى، في جيش محمد الثاني، بجند سودانيين، وأن عدداً من التجار السودانيين، في الحديدة حضروا للسلام عليه، حينما عرفوا بوجوده في المدينة. كما يذكر أن أكثر سكان مدينة اللحية التهامية الساحلية هم من السودانيين. ويشير إلى مشاهدته للجواري السودانيات في مدينة ميدي، بتهامة اليمن.

وبعد وفاة محمد الثاني، سنة ١٩٢٣م، تولى ابنه، علي، السلطة، على أمارة الأدراسة؛ وهو علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن ادريس، والمولود في السودان، سنة ١٩٠٥م، في مدينة دنقلا، التي قضى فيها ثماني سنوات، عند جده لأمه. وفي سنة ١٩١٢م، وصل إلى صبيا، مع أمه، ومع مصطفى الإدريسي، فتعلم في صبيا، على يد شيوخه: محمد صالح عبد الحق، والأمين محمد الشنقيطي، وعلي بن محمد السنوسي. وبعد وفاة والده، عاش ظروفاً سياسية وعسكرية بالغة التعقيد، وكانت شخصيته ضعيفة، فضعف حال الأدارسة، ككل. وقد اعتمد على أخواله في تسيير أمور الحرب والسلام، فكان خاله عبد المطلب بن محمد بن هارون نائباً له، وقائداً لجيوشه. وهو رجل خالٍ من العلم والمعرفة، ولم يسبق له المران في الإدارة والحرب، رغم أنه كان يقوم، عملياً، بالتوقيع عن الإمام. وقد قتل في منطقة حبل، واستولى جيش الإمام يحيى حميد الدين المتوكلي على أسلحته. كذلك قرب الإمام علي الإدريسي خاله الآخر، محمد بن هارون. ولذلك انتزع عمه

الحسن الإمامة منه، ففر هو مع السنوسي إلى جزر فرسان، وكمران، بالبحر الأحمر، ثم من هناك إلى عدن، حيث حظي برعاية المستعمر الانجليزي. وقبل أن تنتهي امارة الأدارسة، سنة ١٩٣٣م، أرسل عمه، الحسن السيد محمد الميرغني، أحد أقرباء الأدارسة إلى الملك سعود، طالباً حمايته.

قراءة مقترحة:

روبرت ب. سارجنت (ت ١٩٩٣م) ـ العناصر العربية الجنوبية والأثيوبية والإفريقية في سكان جنوب الجزيرة العربية [بالإنجليزية]، ضمن مناقشات اللقاء العالمي الثالث للدراسات الأثيوبية. جامعة هيلاسيلاسي الأولى ـ اديس أبابا، ١٩٦٦م.

﴿ الفصل الثاني ﴾

الهجرات المعاصرة

الهجرة اليمنية للسودان:

يمكن أن نؤرخ للهجرة اليمنية المعاصرة إلى السودان، منذ عام ١٨٨٤م. ففي ذلك العام تعاقد المقاول اليوناني الخواجة أنجلو كاباتو مع عدد من العمال اليمنيين، ليعملوا حمالين في سواكن، لتفريغ السفن المحمّلة بمواد البناء الخاصة بخط السكة الحديدية، ما بين مدينة سواكن ومدينة بربر[1]. يشير تقرير للمالية والادارة، في عام ١٩٠٧م، إلى أنه نظراً للحوجة لتشييد ميناء ومدينة بورتسودان، والتي كانت تعرف بالشيخ برغوث، والحوجة لبناء السكة الحديدية، فقد تطلب ذلك استقدام عمال من اليمن، بلغ عددهم ١٢٨ عاملاً. أما في عام ١٩٠٨م، فقد تعاقدت سلطات مدينة بورتسودان مع الشيخ علي يحيى الهمداني، متعهد العمال

---

(١) محمد محمود حميده، **دراسة عن الجالية اليمنية بالسودان**، أُطروحة ماجستير بجامعة الخرطوم، في عام ١٩٧٩م. موجودة في مكتبة السودان بالمكتبة الرئيسية بجامعة الخرطوم. ومن مصادره

- ١ ـ اليمانيون، **الفجر** (الخرطوم) العدد ٢٤، بتاريخ أغسطس ١٩٣٥م، صفحة ١١٧.

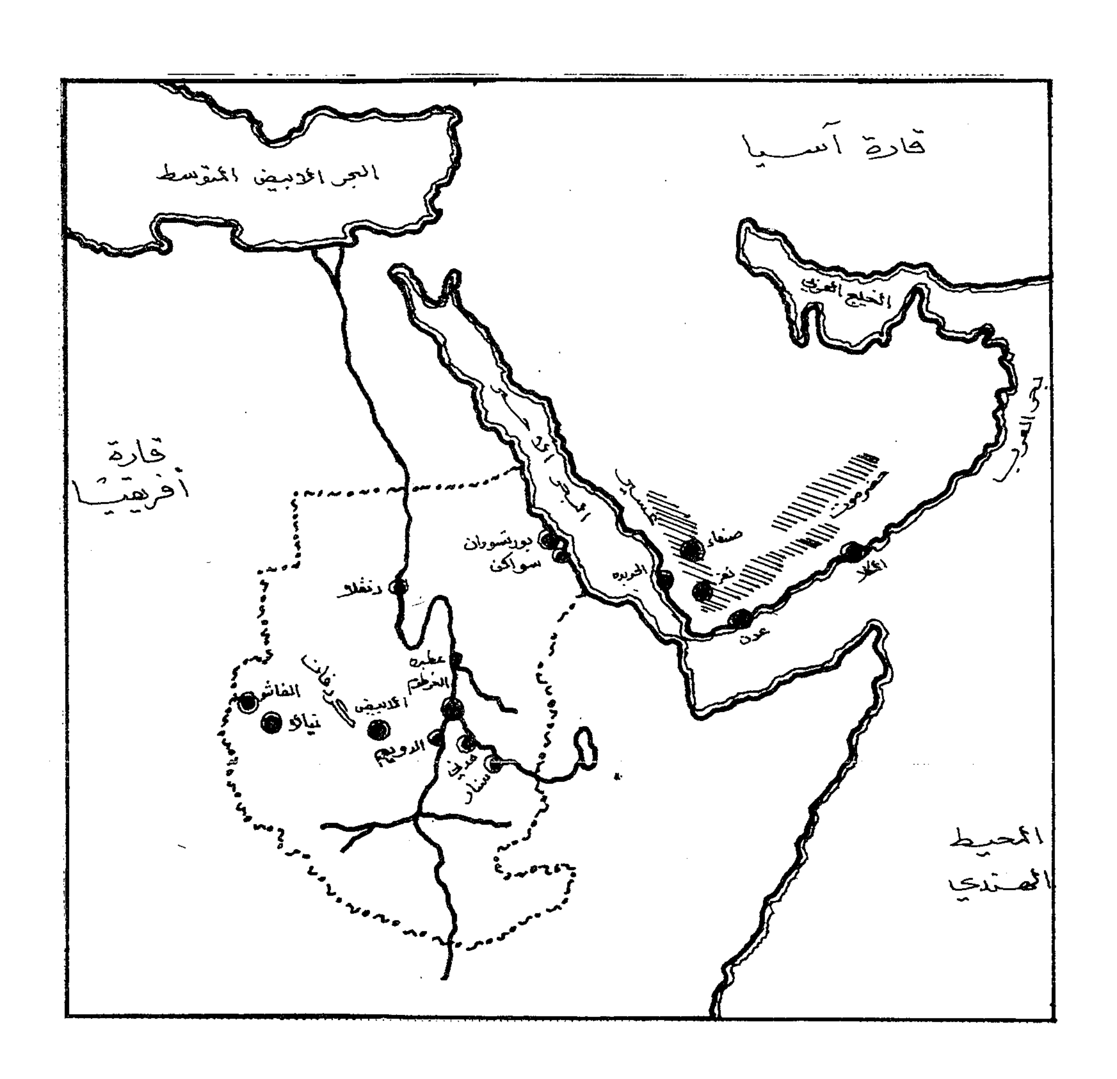
- ٢ ـ أبناء اليمن السعيد، **السودان** (الخرطوم)، العدد ٢٠، بتاريخ سبتمبر ـ نوفمبر ١٩٦١م.

محمد محمود حميده: باحث سوداني.

اليمنيين، وبصورة سنوية، لتوفير الحمالين، فبلغ عددهم، عام ١٩٠٩م، في الجمارك وأحواض التفريغ، مئتين من العمال. ثم تعاقدت سكك حديد بورتسودان، وشركة القاش الزراعية، سنوياً، مع الهمداني، لتوفير حمالين يمنيين، لترحيل القطن، وبذره بمحطات القاش، وأروما. وقد حصل الهمداني على عطاء لبناء سكك حديد بورتسودان - كسلا - سنار، عام ١٩١٠م. وازدادت الهجرة الجماعية، في سنتي ١٩١٧ و١٩١٨م، نتيجة للحاجة إلى الأيدي العاملة في بناء خزان سنار، أو مكوار، الواقع على النيل الأزرق، وإلى هذا تشير مصادر أخرى، مع الاختلاف في تحديد السنوات(٢). ولقد كانت الشركة المنفذة لمشروع الخزان شركة بريطانية، وكان العمل يشمل قطع الأشجار والأعمال الميدانية داخل جسم السد، ومثل العمال اليمنيون نسبة ٥٥٪ من مجموع العمال، إلا أن خلافاً ما لبث أن نشب بين العمال اليمنيين والعمال من الجنسيات الأخرى، وتطور الأمر إلى قتل أحد اليمنيين لكبير المصريين المراقبين، المفوض من قبل المستعمر الإنكليزي، فأصدر الإنكليز تعليماتهم للشيخ الهمداني، وشقيقه حسن الهمداني، بترحيل اليمنيين إلى اليمن. لكن أكثر هؤلاء لم يمتثل للأمر، وتسلل بمساعدة الأهالي إلى أصقاع السودان المختلفة، واشتغل بالمهن الحرة، والحرف البسيطة. غير أن الطلب للعمال اليمنيين عاد وازداد، عند مد خط السكة الحديد، إلى غرب السودان، ومع بداية انتاج مشروع الجزيرة الزراعي من الأقطان، وان كانت هذه العمالة بدأت تستبدل بالعمال الهوسا، من نيجيريا، والفلاتة، منذ عام ١٩٣٢م. وقد أخذت، عموماً، أعداد اليمنيين بالتوافد على السودان، منذ محنة الحرب اليمنية - العثمانية، وصراع الأئمة، وآل سعود، والأدارسة، مما أدى إلى خلق أوضاع سياسية واقتصادية متردية، خلال سني حكم الإمام يحيى حميد الدين (ت ١٩٤٨م)، ومن بعده ابنه

---

(٢) صالح أحمد محمد الفقيه، الهجرة اليمنية للسودان - سلسلة حلقات، **الوطن** (صنعاء).



ـ اليمن والسودان المعاصران

[١ - ٥]

الإمام أحمد (ت ١٩٦٢م). وجعل بلاد اليمن منطقة طاردة لسكانها.

بعض اليمنيين الذين استقروا في السودان، لسبب أو لآخر، سرعان ما شجعوا أهليهم في اليمن على اللحاق بهم في المهجر السوداني؛ فازدادت أعداد اليمنيين بأصقاع السودان المختلفة. ومن ناحية ثانية كانت السودان محطة، توقف فيها عدد من اليمنيين الذين غادروا اليمن إلى ميناء الإسكندرية، والذي كان ملتقى أوروبا، والشرق الإفريقي، والغرب الآسيوي عبر البحر الأبيض المتوسط. وظلت الإسكندرية تتلقى أفواجاً من اليمنيين الراغبين في العمل بالملاحة في البحر، أو في موانىء البحر الأبيض المتوسط، ولكن بعض هؤلاء العابرين السودان توقف في السودان، واستقر به نظراً للتعب، والمرض، والعجز عن مواصلة الرحلة إلى الإسكندرية، شمالاً. فقد كانت الرحلة الشاقة تبدأ في عدن، باستخراج وثائق أكثرها مزور، تشهد بأن حامليها من رعايا الانكليز في جنوب اليمن، إلى السودان، حيث تبدأ الرحلة إلى الإسكندرية، مشياً على الأقدام، أو على ظهور الرواحل، في مسافة محفوفة بالتعب والمعاناة. وهكذا وجد من يفضل الإستقرار في السودان، خاصة وقد لاحظ ما فيها من تشابه في العادات والتقاليد، ويسراً في المعيشة، وبساطة في الحياة.

وفي عام ١٩٤٠م، رأى الإنكليز في السودان أن يستعيض بالأخشاب عن الفحم الحجري، الذي يحرك القاطرات بالبخار، وذلك لأن الحرب مع النازيين قد قطعت خطوط البواخر التي كانت تحمل للعالم أجمع الفحم الحجري، المستخرج من مناجم بريطانيا، وإلى كل المستعمرات البريطانية. وقد أشار علماء الحرب العالمية الثانية إلى أن الوقود الخشبي قد يؤدي نفس النتيجة لتحريك القاطرات، واقترحوا منطقة أخشاب وغابات كثيفة، هي العزازة، في منطقة القضارف، وبعد دراسة الأمر عهدوا إلى الهمداني باستيراد العمالة اليمنية، من ميناء الحديدة إلى ميناء بورتسودان، يُنقلون بعد ذلك بالسكةالحديدية إلى العزازه، مما مهد، فيما بعد،

لتسرب مزيد من اليمنيين إلى داخل السـودان[٣]. **كذلك** تشير بعض الوثـائق إلى اسهام العمالة اليمنية في تشييد سد جبل الأولياء، على النيل الأبيض.

وكما وفد اليمنيون إلى السودان، عبر البحر الأحمر وثغر سواكن، فان مجاميعاً منهم وفدت، أولاً، إلى مصوع وعصب من الموانىء الأرترية، ثم دخلت السودان، عبر طريق كسلا. وقد نشط هذا الطريق، ما بين عام ١٩٢٠م وعام ١٩٣٢م. كما تحدثنا ملفات اقامة اليمنيين بقسم الأجانب بوزارة الداخلية السودانية، أن مما أدى إلى تصاعد هجرة اليمنيين: شح الأمطار، عند من كان يعمل بالزراعة، ورعي الأغنام، اضافة للظروف السياسية. وتدفقت الموجة الثانية من المهاجرين، عبر هذا الطريق، ما بين عام ١٩٤٠م و١٩٤٩م، وساعد على ذلك الاجراءات التي اتخذتها السلطات الإيطالية في أثيوبيا، وفي ارتريا، عقب نشوب الحرب العالمية الثانية، بتسخير المواطنين هناك لبناء الطرق والتجنيد الإجباري، لدعم المجهود الحربي الإيطالي. وفر عدد من اليمنيين من بلاد الحبشة إلى السودان، فاستغل بعضهم الإنكليز كجواسيس، والبعض الآخر ممن ساند المجهود الحربي الإيطالي، وجد طريقه إلى سجون الإنكليز في السودان[٤].

وقد تكرر الخطر والنهب والفوضى الذي حاق باليمنيين، في السبعينات، ابان حرب التحرير الارترية. ويقول أحد المصادر أن ثمانية آلاف أسرة يمنية لجأت إلى السودان، في الفترة ما بين عام ١٩٧٦م و١٩٧٩م.

ومن الملاحظ أن معظم المهاجرين اليمنيين في السودان من مناطق رداع،

---

(٣) معلومات حصلت عليها، شخصياً، من **المشرف** على ذلك المشروع، الشاعر منير صالح عبد القادر.

(٤) حوارات في مجلة **الوطن** بصنعاء، مع: صالح مثنى الدعير؛ أحمد حسن عبد الله؛ محمد أحمد الرداعي؛ سيف الفاضل العماري.. أجراها عبد الرحيم زياده.

ويريم، وعنس، وذمار، والبقية الباقية من اليمنيين، اليوم، في بورتسودان، وطوكـر، وأروما، يعود، جزئياً، إلى أبناء الحمالين اليمنيين هنــاك. كذلـك هنـاك أعـداد مـن جنوب اليمن، ومن أب، وتعز، والحديدة، وخبان، وقليل جداً من شمال الشمال.

وفي الفترة بعد عام ١٩٤٩م، نجد أن الهجرة تكاد تنحصر في أبنــاء العـاملين بالسودان، فقد كان الأبناء يولدون في اليمن، وعندما يبلغون السادسة مـن العمـر، يلحقون بآبائهم في السودان، لمساعدة الآباء في العمل، أو لتلقي العلم.

وقـد تركـز اليمنيـون المهـاجرون في بورتسـودان، والقضـــارف، وطوكـــر، وعطبره، والدويم، ومدني وكســلا، والنيـل الأزرق، والبحـر الأحمـر، والخرطـوم، والدامر، وكردفان، ودافـور، وتوزعـوا علـى المـدن الكبـيرة، والصغـيرة، والقـرى، والأرياف، وعملوا في حوانيت البقالة، والخردوات، وبيع الخبز، وتوزيعه، وتسويقه وكملاك للمطاعم، وباعة للحلوى، اضافة إلى العمل في الترحيل والعتالــة، وبعـض هؤلاء الحمـالين كان يعمل من السادسة صباحاً حتى الرابعة ظهراً، نظير عشرة مــن القروش. كذلك عمل البعض الآخر في الخدمـات، كعمـال في المحـلات التجاريـة، ونـادلين في المقـاهي والمطـاعم، وأعمـال حـرة أخـرى، مثـل في بعـض المـأكولات الطازجة.

لكن مركزهم المالي ظل أقل من الوسط؛ فالديون كانت تحــاصرهم ، سـواءً في اليمن، قبل سفرهـم، أو في السودان، عنـد بدايـة استقرارهم، وكـانوا يرسـلون المال، بإنتظام، إلى عوائلهم باليمن، عبر البريد، والبنوك، والمسافرين، وحتى التجـار منهم لم تكن لهم الخبرة التجارية، فلم يتمكنوا من تنميـة أموالهـم، بإنتظـام، ورغـم ذلك كانوا يضربون عـن العمـل، تضامنـاً مـع إخوانهـم مـن العمـال السـودانيين، وكانوا كذلك يتبرعون بسخاء للأعمال الخيرية، فاشتغلوا بالتجـارة الصغـيرة، وفي الزراعة بطوكر، والقضارف، وكسلا. وفي كسلا عمل بعضهـم في تجـارة القطـن، وكذلك في الأرياف عملـوا في الزراعـة الخاصـة، كمـا في دلتـا طوكـر، والقـاش، وكشركاء، وأجراء إضافة لمهنة بيع المــاء والسقاء. وظـل عـدد منهـم عـاطلاً عـن

العمل، إما بسبب المرض أو الخمول!

وبعد هزيمة العرب في حرب فلسطين، عام ١٩٤٨م، حضر إلى السودان أكثر من مئتين من المتطوعين اليمنيين، دون العودة لليمن، أمثال: ناصر محمد سعيد، وحسين الربوعي، وعلي حسين أحمد، ومصلح محمد الجرادي، وأحمد علي حثره، والد الأديب اليمني، علي حثره.

ويدعي أحد المصادر أن الفول المصري إنما أدخله اليمنيون على المائدة السودانية؛ فقد كان في السابق طعام الفقراء(٥). وقد اكتسب عدد غير قليل من اليمنيين بالسودان مهارات عملية، فعمل بعضهم في قيادة السيارات وكمكنيكية، وحدادين، وعمال بناء، وصائدي أسماك، لكنهم لم يكونوا قطاعاً منتجاً، ولم يدخلوا مهارات علمية، أو عملية أو فنية. لكن عدداً من هؤلاء أسهم بخبراته هذه في تطوير بلاد اليمن لدى عودته. وها هي جريدة (الصعاقة) القاهرية، لصاحبها عبد الغني الرافعي، والواسعة الانتشار في السودان، تشير إلى استعانة الحكومة اليمنية بالعائدين من السودان، وخبراتهم في مقاومة الجراد.

وتتضارب المعلومات حول عدد اليمنيين بالسودان:

(١) في تعداد السكان الأول، عام ١٩٥٦م، بلغ عددهم ٥٤٥٣ يمني، و٧٢٠ حضرمي، و٤١ عدني.

(٢) الباحث محمد محمود حميده قدره بخمسة عشر ألف.

(٣) الأستاذ صالح الفقيه، الذي ترأس الجالية اليمنية بالسودان، قدره بأربعة آلاف ونصف، موزعين على ألف ومئتين أُسرة، من مجموع أربعة وعشرين ألف، عام ١٩٦٢م. وقدر الدارسون المتبقون بالسودان بـ ٨٦٠ من مجموع ٣٢٠٠ من الدارسين والخريجين، عاد بقيتهم إلى اليمن.

---

(٥) حميده، مصدر سبق ذكره.

(٤) الدكتور محمد العوض جلال الدين قدرهم بعشرين ألف من أفراد الأسر(٦).

(٥) الأستاذ سيف الفاضل العماري قال بأن المتبقي منهم في وسط السودان هو ٣٥٠٠، من مجموع سبعين ألفاً كانوا في عموم السودان.

(٦) السفارة اليمنية المتوكلية قدرتهم، عام ١٩٦١م، بـ ٢٢٦٨، منهم أربعون امرأة.

(٧) ملفات الأجانب بقسم الإقامة بوزارة الداخلية السودانية قدرتهم، في يونيو ١٩٧٧م، بـ ٩٤٢ فرداً.

(٨) في نوفمبر ١٩٧٨م قدر سفير صنعاء لدى الخرطوم أعداد العائدين منهم إلى اليمن، والحاصلين على جوازات سفر، وتأشيرات العودة، ما بين عام ١٩٦٨م و١٩٧٧م، بسبعة عشر ألف.

(٩) وثائق المرحوم يحيى حسين الشرفي تقول بـ ٤٨٠٠، في عام ١٩٥٥م، ثم عشرون ألف، فيما بعد.

(١٠) يحيى صالح العرامي، رئيس الجالية، عام ١٩٦٢م، يقول إن عددهم، يومئذ، ٣٧ ألف.

ومن المهم للغاية في ادراك سر هذا التضارب في الأرقام:

(١) عدد كبير من اليمنيين بالسودان غير مصرح له بالإقامة.

(٢) عدد كبير منهم تزوج من سودانيات وأنجب أطفالاً حصلوا على الجنسية السودانية.

(٣) اليمنيون القادمون، قبل عام ١٩٤٢م، كانوا يقيمون بدون شروط، وبدون جواز سفر رسمي. أما من جاء بعد ذلك، فمطلوب منه أن يجدد التسجيل بجواز سفره، سنوياً، لدى مكتب الجوازات والرخص. وأما من جاء، بعد العام

---

(٦) د. محمد العوض جلال الدين، **هجرة السودانيين إلى الخارج**، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٧٩م.

١٩٥٠م، بدون جواز سفر، فإنه يحاكم، ويبعد عن السودان. علماً بأن معدل الهجرة تصاعد، بعد فشل ثورة ١٩٤٨م الخالدة في اليمن.

كذلك تتضارب المعلومات حول نشأة أول هيئة رسمية للجالية اليمنية بالسودان، ويبدو أن:

(١) الجالية اليمنية بأُم درمان نشأت عام ١٩٥٣م.

(٢) الجالية اليمنية في مدني نشأت في الربع الأول من عام ١٩٥٤م(٧).

(٣) الجالية اليمنية في الخرطوم نشأت في عام ١٩٥٥م.

(٤) الجالية اليمنية في بورتسودان تأسست عام ١٩٥١م، وقد توسعت عام ١٩٥٤م.

وتم افتتاح أول مكتب اتصال لليمن المتوكلية، في الخرطوم، عام ١٩٥٦م، وأعقبه فتح أول قنصلية، عام ١٩٥٧م، بعد عام واحد من استقلال السودان.

وعلى الرغم من التركيبة القبلية المعقدة في السودان الشمالي، والتي تجعل من الصعب التزاوج بين عشائر الناس المختلفة، فإن الجالية اليمنية قد كسرت هذه القاعدة. وربما كان السبب، بل قل الأسباب التي أتاحت تزاوج اليمنيين بالسودانيات، هو الصفات العربية الإسلامية المشتركة. لقد كان سلوك معظم المهاجرين اليمنيين بالسودان بسيطاً، شديد الإمتزاج بالمجتمع الجديد. مجاملاً له في مشاعره الوطنية والإجتماعية. ولقد عمل اليمنيون في الحوانيت، والحرف الصغيرة، ولم يشكلوا طبقة اقتصادية منعزلة عن عموم الشعب. كان معظمهم من العزّاب، الذين رأوا في الزواج من السودانيات مدخلاً للإستقرار بالسودان، وربما صدق الباحث محمد محمود حميده في قوله بأنهم لم يجعلوا النسب القبلي أو المكانة الاجتماعية شرطاً لهم في الزواج بالسودانيات. ويرى حميده أن معظم هذه الزيجات كانت مع قبائل البني عامر، والرشايدة (الزبيدية)، ومع الأسر الفقيرة. وهو مخطىء

---

(٧) **وثائق الشيخ يحيى حسين الشرفي**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

في ظنه، فما من مدينة أو قرية في السودان إلا وتزاوج اليمنيون بأهلها. والمثل السوداني الساخر يقول: « اقلب حجر تلقى تحتها يماني »[٨].

وهكذا تشكل هجين عرقي، وهجين ثقافي، وهجين عرقي ثقافي، في أكثر الأحايين، أطلقنا عليه العنصر السوماني (اليمني - السوداني)!!

إن الإقرار بأن أكثر اليمنيين في السودان عاد واتخذ تجارة الحوانيت الصغيرة صنعة، يجب أن لا ينسينا، ويجعلنا نغفل عن أدوار أخرى غاية في الإختلاف لعبوها كيمنيين، وكيمنيين سودانيين (سومانيين). فقد سقط اليمني الذي انخرط في قوة دفاع السودان قتيلاً هناك، في العلمين، وطرابلس، يقاتل إلى جانب البريطانيين، خلال الحرب العالمية الثانية، وعاد بعضهم من الحرب إلى مهجرهم في السودان. ونفي السيد أحمد عمر باخريبه من السودان إلى عدن، لكونه يمني شارك في توزيع منشور للحركة الوطنية السودانية، ثم عاد وأسس المكتبة الحضرمية في جده. وهو والد الشاعر والطبيب السوداني علي أحمد باخريبه، صاحب ديوان (فيض من الله)، وعدد كبير من المؤلفات في الطب الوقائي. وترأس اليمني يحيى علي يحيى فرع «حزب الأشقاء»، الموالي لمصر، في مدينة كسلا، وعوقب بالسجن لعامين، لنشاطه السياسي هذا. وانخرط الشاعر اليمني، الشريف قاسم بن أحمد الجبني المحويتي - وبالسودان معروف بقاسم الجيلي - في الحركة الدينية الميرغنية (الختمية)، وكتب الشعر في السيد علي الميرغني زعيمها:

قاسم الجيلي نظم

فيكمو يا هل الكرم
يا علي كم وكم
كم فقير صار غني
شي لله يا المرغني

---

(٨) ابراهيم بن علي الوزير، **بين يدي المأساة: حديث إلى النازحين اليمنيين**، منشورات العصر الحديث، ١٩٩١م.

وكان قاسم الجيلي رئيساً للجالية اليمنية في مدينة الخرطوم بحري. وهو والد الأديب السوداني العلامة البروفسور، عون الشريف قاسم، الذي وضع الكثير من الكتب، وتبوأ منصب الوزارة في الحكومة السودانية. وأسرة الغوري اليمنية، المهاجرة بالسودان، كانت هي الأخرى من أكثر المتحمسين للطائفة الميرغنية (الختمية)، ذات الثقل السياسي الكبير.

كذلك كانت الجالية اليمنية في مدني بوسط السودان جزءاً من الهيئة الشعبية للتضامن مع مصر، التي كونت بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م، وأسهمت بالمواد والأموال.

غير أن انتصار ثورة ٢٦ سبتمبر اليمنية، في عام ١٩٦٢م، شكل أولوية لدى كثير من شباب اليمن في السودان، وهكذا عاد وانخرط منهم في صفوف الحرس الوطني حوالي مئتين، والتحق بعض الذين نالوا قسطاً من التعليم كصف ضباط في الجيش الجمهوري اليمني.

وتواكب الإزدهار الإقتصادي في شمال اليمن مع التدهور الإقتصادي في السودان، بدءاً من السبعينات والثمانينات، فكان هذا حافزاً لعودة ألوف اليمنيين السودانيين إلى شمال اليمن، بحيث اختتم ـ مؤقتاً ـ فصل غاية في الأهمية في التحركات السكانية بين اليمن والسودان، بحيث قدَّر أحد المصادر بأن لم يبق من اليمنيين بالسودان سوى ٤٨٦ شخصاً، حصلوا على الجنسية السودانية، ولهم بالسودان أواصر أسرية، فهم قلة من الأثرياء الناجحين، أو الفقراء جداً، ممن لا يقدرون على تكاليف رحلة العودة!

ولعل من المؤشرات ذات الدلالة في مسيرة التزاوج اليمني السوداني بالسودان، ما ذكره الأستاذ صالح الفقيه، رئيس الجالية اليمنية بالسودان، من ارتفاع نسبة هذا التزاوج، من ١٠٪ إلى ٣٠٪، في الثلاثينات، وهي نسبة قلما تحققت لجالية عربية أخرى في السودان! فبدأت، منذ ذلك الحين، في البروز ملامح الشخصية السومانية. ومن المؤشرات الهامة، أيضاً، ما وقفت عليه من بحث طبي

جرىء وشيِّق، أجراه طبيبان في جامعة الخرطوم(٩)، يذكر أن أكثر من نصف فتيات الجالية اليمنية بالسودان أُجريت لهن عملية الخفاض الفرغوني، أسوة بالسودانيات، وهو خفاض يختلف جداً عن ذاك الذي أشار إليه المستشرق البروفسور، روبرت ب. سارجنت، في حضرموت ونواحيها(١٠).

ولا بد، لمن يريد الوقوف على أحوال اليمانية بالسودان في قرننا العشرين، من مطالعة متأملة لرواية القاص اليمني محمد حنيبر، بعنوان (قرية البتول)(١١).

هجرة السودانيين إلى شمال اليمن:

كان الرياضي الراحل، ابراهيم رشدي، ابن مدينة ود مدني، أول سوداني بارز، يستقر في شمال اليمن فقد تزوج بها، وولد له فيها. جاء ابراهيم رشدي إلى مدينة حجة، في الخمسينات، كما يخبرني الأستاذ صالح محسن شرف الدين، ليعمل مدرساً للرياضة البدنية، ومواد أخرى، وقام بمساعدة الزعيم اليمني، الأستاذ أحمد محمد نعمان، في مسئولياته في المدرسة المتوسطة بحجة. ثم انتقل رشدي إلى الحديدة، ثم إلى تعز، حيث صار مديراً للمدرسة الأحمدية هناك. ولحق به شقيقه فؤاد، للعمل في مجال المالية بتعز. وتذكر العديد من وثائق حركة الأحرار اليمنيين اسم ابراهيم رشدي كصديق حميم للحركة، كما رأيت في رسالة للزعيم اليمني الراحل، القاضي محمد محمود الزبيري(١٢). وقد أدى اكتشاف آلة رونيو في منزله، في تعز، من قبل عساكر الإمام، أحمد بن يحيى حميد الدين، إلى طرده من بلاد اليمن، بتهمة التواطؤ مع المعارضة. وبالفعل، غادر رشدي اليمن، ولم يعد إليها،

(٩) هما الطبيبان اليمنيان: علي باسمح، وأحمد مصلح السنباني، وبحثهما، بالإنكليزية، موجود، منذ عام ١٩٧٨م، بقسم طب المجتمع بكلية الطب بجامعة الخرطوم.

(١٠) د. روبرت ب. سارجنت (ت ١٩٩٣م). بريطاني مستشرق.

(١١) محمد حنيبر، **قرية البتول**، كتاب الغد السادس، القاهرة، ١٩٧٩م.

(١٢) **وثائق الشيخ يحيى حسين الشرفي**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

الحالـــــــــــة	العـــــــــدد	ملاحظـــــــات
عدد المعلمين وأسرهم	٨٠٠٠	
العاملين بالقطاع الصحي وأسرهم	٢٠٠٠	
العاملين بالقطاع الكتابي وأسرهم	٣٥٠٠+١٥٠٠ عمال	
العاملون بالمنظمات الدولية والخبراء	٢٠٠	
الدارسون بجامعة صنعاء وعدن	٢٥٠	
عائلات السودانيين اليمنيين	٥٠٠	
بدون اقامات وتصاريح عمل	٢٠٠٠	
ترحيل جثمان موتى خلال عام ١٩٩٣م	٠٠١٥	
موقوفون بحادث عدواني واتهام قتل	٠٠٠٤	
حالات اتهام بتزويـــر	٠٠١٥	
قضايا سلوكية	٠٠١٧	
موقوفون بقضايا اختلاسات مالية	٠٠٠٢	
حالات تم علاجها عبر صندوق التكافل الاجتماعي بالجالية عن عام ٩٢/١٩٩٣م	٧٥ حالة	بتكلفة مليون ريال
فرص عمل ساعدت فيها البعثتان التعليميتان (بوزارة التربية، والمعاهد)	١٠٠٠ فرصة	لعام ٩٢/٩٣/٩٤م

- احصائية حديثة لأعداد السودانيين باليمن

[١ - ٧]

إلا بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م، حيث استقر بها، وصار رئيساً للنادي الأهلي الرياضي في صنعاء، إن لم تخني الذاكرة، حتى يوم وفاته. وفي الخمسينات أيضاً، استقر المدرس السوداني عبد الرحيم الباهي وزوجته، وعملا طويلاً في سلك التدريس.

وعلى الصعيد الرسمي يذكر التربوي اليمني، الأستاذ عبد ربه جراده، أن أول اتفاقية بين اليمن والسودان للتعاون والمساعدات الفنية والتدريبية، في مجالات الزراعة والعلوم والمواصلات، الخ، تمت في عام ١٩٦٩م. وفي عام ١٩٧٠م، بعد الإستقرار السياسي النسبي في شمال اليمن، وفدت شخصيات وخبرات متخصصة من السودان، للعمل مع المنظمات الإقليمية والدولية باليمن.

وفتحت أول سفارة للسودان في صنعاء، عام ١٩٧٥م، وهو العام الذي شهد توقيع اتفاقية للتعاون في مجالات عديدة: إعارة المعلمين ــ اعارة القضاة ــ الشئون الإدارية، والإقتصادية، والثقافية، والفنية. وتشكلت، في عام ١٩٧٦م، لجنة التنسيق الوزارية المشتركة، فشمل التعاون، عندئذ، المجالات الزراعية والتجارية، والتعاونيات، والقضائية، والتربوية، والتعليمية، والإعلامية، والثقافية، والشئون الإجتماعية، وحقول العمل، والصحة، والخدمة المدنية، والإصلاح الإداري، والداخلية، والشرطة، والطيران المدني، والبلديات، والإسكان، والهندسة، والأشغال العامة، والتخطيط الإسكاني، والدبلوماسية، ومعاملات البنوك التجارية، والنقل الجوي، والإرشاد الزراعي، والري، والإقتصاد، والقانون، والتمريض، ومهن الطب، والمحاسبة، والتمريض، والكتبة.

فصار في اليمن أعداد من العاملين بمجالات الزراعة، والإحصاء السكاني، والصحة، الخ.. وأرباب المهن الفنية؛ كالطب، والهندسة، والصيدلة، والمحاماة، والحسابات، والإدارة، وأصحاب المهن الحرفية في القطاع العام، والخاص، والمختلط.

وفي عام ١٩٧٩م، أُنشيء **معهد للمعلمين بصنعاء، هو «معهد الشوكاني»**، على غرار معهد بخت الرضا بالسودان، وزود بالكفاءات السودانية. وتشير دراسة(١٣) حول الهجرة السودانية لليمن، إلى وجود ثمانمئة سوداني في شمال اليمن، في يونيو ١٩٧٨م. ويقفز العدد، بسرعة فائقة، إلى ستة آلاف، في مايو ١٩٧٩م، لكن الدراسة تقول بأن أكثر المهاجرين، حينئذ، كان من العمال غير المهرة، ولم يمثل المدرسون سوى نسبة تقل عن الواحد بالمئة. ويقول مصدر آخر(١٤) إن خمسة آلاف معلم سوداني قد انخرط في المدارس الإبتدائية والإعدادية، بحلول عام ١٩٨٥م. بينما يشير وزير العمل والتأمينات الإجتماعية السوداني إلى أن باليمن أكثر من عشرين ألف سوداني، منهم ٥٧٪ من العمالة الفنية. وقد قامت، مؤخراً، مدرسة في صنعاء نموذجية، من حيث الاستعانة بالطاقم السوداني المحض، من حيث الإدارة والتدريس، معاً.

وفي دراسة حديثة، قدَّر الباحث السوداني، بابكر علي عبد الكريم، وهو باحث نال أُطروحة(١٥) الماجستير حول الوحدة اليمنية من معهد الدراسات الإفريقية الآسيوية بجامعة الخرطوم، أن باليمن، اليوم، أكثر من خمسين ألف سوداني. وتعتقد أحد المصادر أن عشرة آلاف من هذا العدد يعمل في التدريس، إما كمعار من السودان، أو كمتعاقد من داخل اليمن.

---

(١٣) علي عبد الله علي، الهجرة السودانية إلى الجمهورية العربية اليمنية ـ بحث أُجري بالإنكليزية، في يوليو ١٩٧٩م، وما بعدها، ونشرته مجلة (**دراسات يمنية**)، الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، في عددها رقم ١٨، سنة ١٩٨٤م.

علي عبد الله علي: باحث سوداني، له دراسات أُخرى كثيرة عن الإقتصاد اليمني.

(١٤) **مجلة التعليم والتدريب في الشرق الأوسط**، العدد ٤، السنة السابعة، عام ١٩٨٥م.

(١٥) مداخلة للباحث بابكر علي عبد الكريم، **حول العلاقات اليمنية ـ السودانية**، في سمنار سياسة السودان الخارجية بين الحاضر والمستقبل، معهد الدراسات الأفرو آسيوية بجامعة الخرطوم، عام ١٩٩٠م.

وقد وقفت مؤخراً على دراسة[16] حول الهجرة السودانية لليمن، أشارت إلى أن أكثر السودانيين باليمن، في عام ١٩٧٩م، كان من المدرسين، والممرضين، وأصحاب الحرف؛ كالنجارة، والحدادة، والسمكرة، والكهرباء، والميكانيك، وأعمال البناء والتشييد، لكنها لم تشر إلى قيام بعض المغتربين السودانيين، أمثال نديم ومنجاري، بتأسيس نادٍ سوداني بصنعاء في مطلع السبعينات.

ولا شك أن كفاءة المدرس السوداني، ودرجته العالية من التأهيل، قد شجع على حضور عدد متزايد من المدرسين السودانيين إلى اليمن. والملاحظ أن كثيراً من هؤلاء أحضر معه زوجته وأولاده، الذين سرعان ما انخرطوا للدراسة في مراحل التعليم المختلفة، بما فيها جامعة صنعاء، مما استوجب قيام اتحاد للطلاب السودانيين في جامعة صنعاء، مثلاً، وان كان هناك أكثر من اتحاد للطلبة السودانيين باليمن، حسب الميول السياسية هناك، والتي عكست نفسها في أوساط الطلاب هنا. وهنالك، أيضاً، تجمع للطلبة والطالبات السودانيين باليمن، ذو طابع إبداعي، هو «أسرة ربوع السودان»، التي كثيراً ما تحيي ذكرى المناسبات الوطنية السودانية بنجاح، وهنالك، أيضاً، جمعية الإخاء اليمني، السوداني، في كل من صنعاء والخرطوم.

في عام ١٩٧٨م، كانت أول دار للسودانيين باليمن، هي دار الجالية، الذي كان يقع بالقرب من المبنى القديم لجامعة صنعاء، وكان تحت رعاية السفير، أحمد جابر، ورئاسة القاضي عامر عبد الله، المنتذب بوزارة العدل. لكن باليمن، اليوم، هيئة للسودانيين العاملين بالجمهورية اليمنية، ذات فعاليات ثلاث، بالدرجة الأولى. وقد عقدت، مؤخراً، مؤتمرها التداولي الأول، الذي انتهى إلى:

(١) ربط السودانيين بوطنهم الأم، في كل ظروفه وتطوراته.

---

(١٦) د. محمد العوض جلال الدين، **هجرة السودانيين إلى الخارج**، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٧٩م.

(٢) الإهتمام بشئون السودانيين ـــ **سواء أكانت ابتلاء بالخير أو الشر ـــ** وأُمورهم الثقافية، والإجتماعية، والسياسية، والرياضية؛ حتى يكون وجودهم صالحاً، ومعافى في اليمن. وقد شد من أزر هذه الفعالية العطاء السخي والمستمر لأسرة رجل الأعمال اليمني السوداني، محمد عبد ربه، لصندوق التكافل، الذي أنشأه السودانيون.

(٣) التواصل مع الأشقاء اليمنيين، رسميين وشعبيين، وخلق علاقات دافئة معهم، ومع كل الجاليات العربية والإسلامية الموجودة باليمن، والتفاعل في القضايا المشتركة[١٧].

وبما أن أكثرية السودانيين، اليوم، باليمن من الشريحة المثقفة، وفي مقدمتهم المدرسين، فقد اتسمت الهجرة السودانية لليمن بطابعين:

(١) النتاج الفكري والإبداعي للسودانيين باليمن، وهو نتاج ملحوظ، مقارنة بالجاليات العربية في اليمن، حتى تلك التي يقال بأنها تزيد عدداً عن الجالية السودانية. وقد أشرنا، في موضع آخر من هذا السفر، إلى أسماء كثيرة، واستعرضنا عدداً من النماذج السودانية المكتوبة عن اليمن. وفي نفس هذا المقام نذكر أبحاثاً، بالإنجليزية، للدكتور الطيب زين العابدين، والذي أصبح فيما بعد، مديراً للمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم، وهي:

- ١ - أطروحة دكتوراه في جامعة كمبريدج/ سنة ١٩٧٥م، عن: **الأصول الإسلامية للدولة الحديثة في شمال اليمن.**

- ٢ - **حركة الأحرار اليمنيين.**

- ٣ - **حول دستور الجمهورية العربية اليمنية.**

---

(١٧) من حوار مع عثمان الإمام، ومحجوب محمد أحمد، عن هيئة العاملين السودانيين بالجمهورية اليمنية، مع رئيس تحرير صحيفة الزمان (عدن)، **فريد** صحبي، انظر: **صحيفة الزمان، (عدن)** في ٢١ مايو ١٩٩٢م.

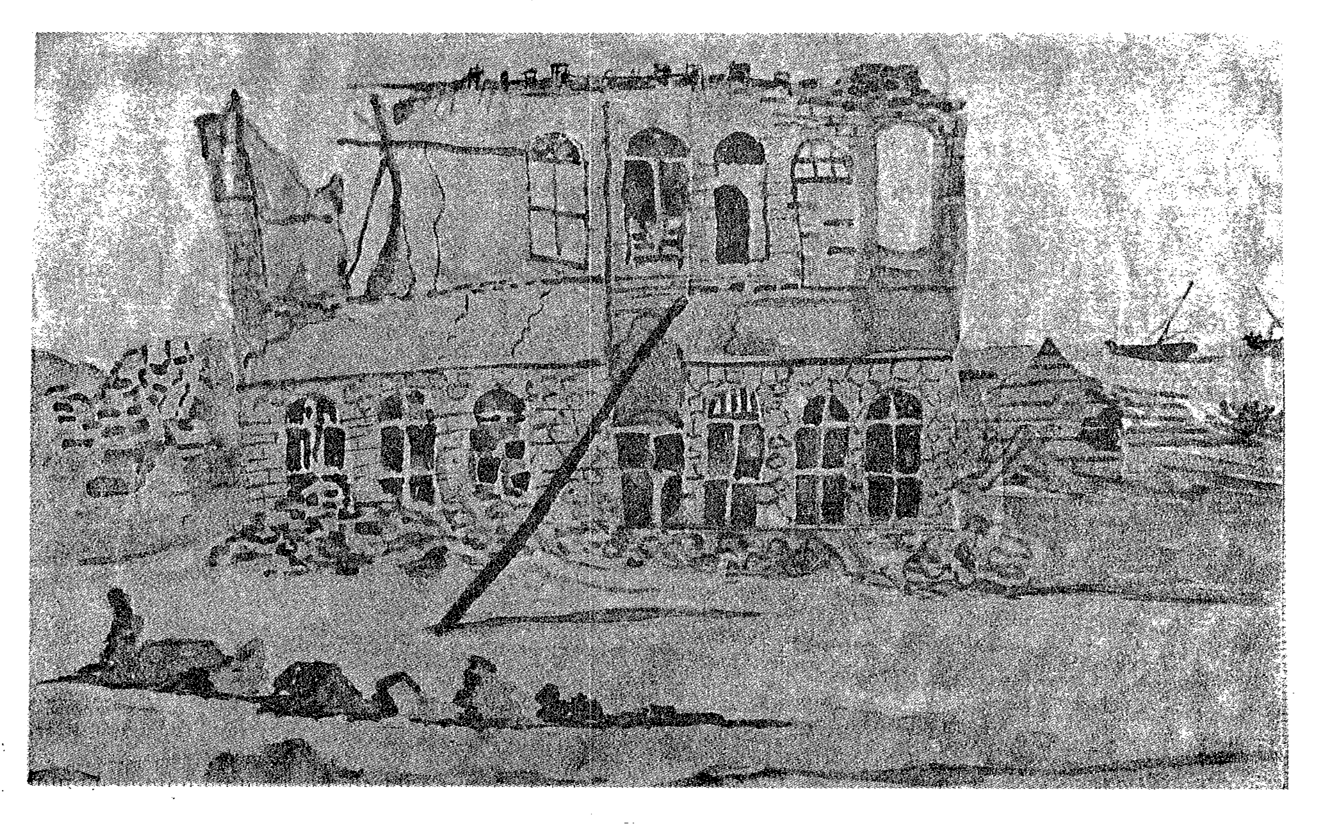
ففي الشعر، برز محي الدين الفاتح، وزين العابدين محمد صديق، وآدم زين العابدين آدم، ومحمد نجيب محمد علي، وأحمد المجذوب ـ شقيق شاعر السودان محمد المهدي المجذوب ـ كما طبع عزمي أحمد خليل ديوانه (حان الزفاف)، في صنعاء.

وفي القصة، برز فيصل مصطفى، وأحمد الفضل أحمد، وعبد القادر محمد ابراهيم، الملقب بالجيلاني الناطق، وسر الختم محمد محجوب، والزين عبد الرحيم أحمد.

وفي الصحافة، برز محمد المكي أحمد، وعبد الكريم عبد الله محمد، وعبد العظيم صالح، وعادل كبار، وعبد الرحيم خليفة، وأزهري عبد الفتاح، وعثمان تراث، ومحمد عبده محي الدين

أما الطابع الثاني لهذه الهجرة فكونها ما تزال هجرة مؤقتة، تتحكم فيها مدة عقود الإعارة، وظروف العمل، بينما كانت الهجرة اليمنية إلى السودان انصهاراً، يشهد عليه آلاف من المولدين، أو قل السومانيين، وستظل في تقديري أكثر خلوداً.

وقد استطاع الحضور السياسي للسودان في اليمن، خاصة عبر شخصية سودانية دبلوماسية نشطة، مثل: د. علي يوسف، والدرديري محمد أحمد، أن يستقطب عدداً من المفكرين السياسيين اليمنيين، وأصبح في صنعاء، الآن، فرع للمؤتمر الشعبي العربي الإسلامي، ومقره الخرطوم.



(سواكن، للفنان عثمان شريف)

[١ - ٦]

﴿ الفصل الثالث ﴾

صلات التربية والتعليم بين جنوب اليمن والسودان

المدرسون السودانيون في جنوب اليمن:

مع وجود المستعمر البريطاني في كل من السودان وجنوب اليمن، حدثت حركة نشطة لتبادل المدرسين والطلبة بين المنطقتين. ولعل هذا هو السبب في أن كثيراً من الإنجليز، الذين عملوا في السودان، عملوا كذلك في جنوب اليمن. ينطبق هذا على الساسة، كوليم لوس، وهيكمبوتم، الذي أتى بأحد أصدقائه الشباب معه من السودان إلى عدن، للعمل كمفتش اقليمي. وينطبق، ايضاً، على المربين، والمدرسين، مثل جون هارتلي، وغردون، المدرس في كلية عدن، في الخمسينات.

وقد بدأت الصلة بين النظام التربوي هنا وهناك، بأن حضر السيد جرفس، عميد معهد بخت الرضا بالدويم ـ البريطاني ـ عام ١٩٣٩م، إلى حضرموت، لدراسة الحالة التعليمية فيها، ونار الحرب العالمية الثانية قد بدأت تشتعل، فاقترح الرجل نظاماً تعليمياً جديداً منقولاً عن تجربة معهد بخت الرضا بالسودان(١). وتمثل اقتراحه في بناء مدرسة وسطى، عرفت، فيما بعد، بمدرسة غيل باوزير. واقترح أن يكون مديراً لها سوداني، هو الشيخ القدال سعيد القدال. فلنستمع إلى جرفس، وهو يخاطب السياسي البريطاني، هارولد انجرامس، الذي كان يمسك بمقاليد الأمور السياسية في حضرموت:

---

(١) أنظر:

ـ علوي عبد الله طاهر، النوادي الأدبية والثقافية في عدن قبل الإستقلال الوطني، العدد

«لقد حصلت على ما أعتقد أنه الرجل المناسب لكم. وفي الحقيقة أن الرجل في مخيلتي، منذ السنة الماضية، اسمه الشيخ القدال سعيد القدال، عمره ٣٨ عاماً. وهو مدير مدرسة ابتدائية، تعتمد على الهبات. ذو شخصية قوية، ذكي، ومدير ناجح، يمتلك قدرة غير عادية..». وبالفعل، حضر القدال مع جرفس، إلى بلاد اليمن، عام ١٩٣٩م، من أرض الهدندوة بشرق السودان؛ حيث كان ناظر مدرسة أولية في سنكات، على خط السكة الحديدية، وبالقرب من بورتسودان. عين القدال، والذي كان، أيضاً، شاعراً، وروائية، ومهتماً بالمسرح المدرسي، مساعداً للمستشار الثقافي في السلطنة القعيطية، وناظراً للمعارف، فأدخل كورسات تدريب المعلمين، ونهض بالمستوى التعليمي في حضرموت الساحل، اي نهضة. ولكن المنهج الذي أدخله كان المنهج السوداني بعينه، وهذا لا يتفق، كما يرى صلاح البكري[٢]، مع حاجات المجتمع الحضرمي. ومنذ ذلك الحين صار نظام التربية والتعليم في حضرموت شديد الإقتداء بالمنهج السوداني، كما يرى الدكتور محمد جعفر زين[٣].

---

٣٦ بتاريخ اكتوبر ١٩٨٣م من **مجلة دراسات الجزيرة والخليج العربي.**

ـ علوي عبد الله طاهر، التعليم في اليمن الديمقراطية قبل الإستقلال، العدد ٣٨، بتاريخ ابريل ١٩٨٤م من **مجلة دراسات الجزيرة والخليج العربي.**

ـ علوي عبد الله طاهر، واقع التعليم في اليمن قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، العدد ١، سنة خامسة، بتاريخ صيف ١٩٨٧م، من مجلة **الاكليل** (صنعاء).

ـ سلطان ناجي، الحالتان التعليمية والثقافية في عدن، العدد ١و٢، السنة الثانية، صيف ١٩٨٢م، مجلة **الاكليل** (صنعاء).

ـ سلطان ناجي، **دور الجمعيات الإصلاحية والنوادي الثقافية في مجابهة السياسة التعليمية بعدن خلال تبعيتها للهند.**

(٢) صلاح البكري، **في جنوب الجزيرة العربية**، القاهرة، ١٩٤٩م.

صلاح البكري، **تاريخ حضرموت السياسي**، القاهرة، ١٩٣٦م.

(٣) **محمد جعفر زين**، في سمنار ببيروت، بتاريخ فبراير ١٩٨٠م.

وبعد تولي القدال ادارة المعارف، كتب إليه المؤرخ اليمني الراحل، سعيد عوض باوزير، رسالة، فرد عليه القدال برسالة، بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩٤١م، قال فيها: إن مجموعة كالحضارم، ضربت بسهم صائب في الأعمال الحرة، ونالت قسطاً وافراً من النجاح في الخارج، زيادة على ما لها من تقاليد قديمة في داخل وطنها، حرية بأن تستفيد، إلى أقصى حد ممكن، من أي تعليم، يحاول الربط بين ما هو موجود في التقاليد وبين أحسن التعاليم العصرية.. إنني متفائل، تفاؤلاً حسناً، بحدوث نهضة ثقافية في البلاد...

وفي عام ١٩٤٤م، أنعم السلطان القعيطي على القدال بلقب باشا، ثم عينه، بعد ذلك بسنوات، سكرتيراً للدولة، حتى رحل عن حضرموت، عائداً إلى السودان، عام ١٩٥٨م، بعد أن استقر لمدة ١٩ عاماً في المكلا، وولد له فيها أولاد من زوجته، التي حضرت معه من السودان. كذلك عمل في المجال الإنساني، وصار سكرتيراً للجمعية الخيرية بالمكلا.

ولحقت بالقدال إلى حضرموت كوكبة من المدرسين السودانيين، أمثال:

(١) المرحوم حسين خوجلي، مدير مدرسة غيل باوزير الوسطى.

(٢) عوض عثمان مكي، وهو صهر القدال، وخريج معهد بخت الرضا. وإليه يعود الفضل، مع القدال نفسه، في ادخال المسرح المدرسي، واصدار صحيفة (الحائط) الطلابية(٤).

(٣) المرحوم محجوب زياده حمور، صاحب كتاب (دخول الإسلام في السودان). وقد تزوج بيمنية، وولد له في حضرموت، ثم قفلت أسرته راجعة إلى أُم درمان.

(٤) سيد أحمد صادق، مدرساً في غيل باوزير. وقد أسهم، إلى جانب محجوب زياده، في النشاط المسرحي المدرسي.

---

(٤) سعيد عولقي، **سبعون عاماً من المسرح في اليمن**، دار الجاحظ، دمشق، ١٩٨٣م.

(٥) سعيد أيوب القدال، مدرساً في غيل باوزير.

(٦) المرحوم الدكتور سيد أحمد نقد الله، الذي عمل ما بين ١٩٥١ و١٩٥٣م، ثم أمرته[٥] السلطات بمغادرة البلاد، نظراً لما ادعته من النشاط السياسي لهذا المدرس بين التلاميذ.

(٧) المرحوم الأديب جمال محمد أحمد، والذي كتب عن اليمن، وصار وزيراً للخارجية بالسودان.

وحضر آخرون، سواء إلى السلطنة القعيطية في المكلا، أو السلطنة الكثيرية في سيئون، أمثال أمين عبد الماجد، الذي عمل ناظراً للمعارف في سيئون، وكذلك الأستاذ عمر حسن البنا، والشاعر الراحل عبد القادر ابراهيم تلودي.

كل هذا والقدال يرعى النهضة الثقافية في حضرموت، ويكتب فيها من الشعر أعذبه. لكن المستشار البريطاني، المعتمد، الكولونيل هيو باوستد، ومعه السلطان صالح بن غالب القعيطي، وابنه عوض، أرادوا أن يجعلوا من القدال سكرتيراً للدولة، ووزيراً للسلطنة، في الوقت ذاته، خلفاً للشيخ سيف بن علي أبو علي، مما خلق تمرداً شعبياً، اعتراضاً على تعيين غير حضرمي في ذلك المنصب، على الرغم من أن الشيخ سيف لم يكن حضرمياً، أيضاً! كان الكثير من ممثلي الحزب الوطني يطمحون إلى أن يسد هذا المركز الأديب اليمني الراحل المؤرخ، محمد عبد القادر بامطرف، رغم وجود بعض التأييد في الحزب للقدال، مثل موقف عوض محمد بكير. ووقعت حادثة القصر[٦]، في ديسمبر من عام ١٩٥٠م، وسالت دماء ١٨ قتيلاً، وعدد من الجرحى من جماهير المكلا الغاضبة، التي هاجمت القصر

---

(٥) د. سيد أحمد نقد الله، **الأيام** (الخرطوم)، بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٨٤م. مقال (حديث الثلاثاء).

(٦) أحمد عوض باوزير، **شهداء القصر**، دار الهمداني، عدن ١٩٨٣م. اشارة لرسالة ف ل حرفس إلى الشيخ سيف الدين أبو علي، بتاريخ مايو ١٩٥٠م. وثيقة محفوظة بمكتب الثقافة بحضرموت.

السلطاني. وقد لعب **الشيخ اليافعي أحمد ناصر البطاطي**، والقائد العسكري صالح بن سميدع، دوراً كبيراً في مجريات الحادثة.

وعلى الرغم من ذلك، **قمعت** الحركة، وعين القدال خلفاً للشيخ سيف، وحصل على وسام أم.بي. آي، وظل في هذا المنصب حتى رحيله عن حضرموت، **سنة** ١٩٥٨م(٧).

ويذكر الأستاذ عبد الله أحمد الثور(٨)، أنه كان بالشحر مدرسة ابتدائية، يرأسها سوداني، وأما المدرسة الوسطى بالمكلا فقد كان يديرها القدال، بمساعدة ثلاثة من السودانيين.

أما في عدن، فيحدثنا صلاح عبد القادر البكري اليافعي (ت ١٩٩٣م) أن هارولد أنجرامز قد نفذ اقتراحاً للكابتن دار نفولد، والسير برنادريللي، في ابريل من عام ١٩٣٦م، بانشاء كلية أبناء السلاطين والرؤساء، والقبائل، والتي عرفت بمدرسة جبل حديد في عدن، واختار لها مدرساً سودانياً هو المرحوم عبد القادر أوكير، من شرق السودان، والذي اختير لأنه يمتلك الإدراك لفهم الهدف من وراء المدرسة، على الصعيد السياسي، أيضاً. وقد خلف أوكير في هذا المنصب المدرس

---

(٧) أنظر:

- **النهضة** (عدن) بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٥٠م.
- هيو باوستد - **نسيم الصباح**.
- آر. جي. جافتين، **عدن تحت الحكم البريطاني**.
- هارولد انجرامس، **العربية والجزائر**.
- دورين انجرامس، **وقت في حضرموت**.
- سلطان ناجي، **التاريخ العسكري لليمن**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م.
- محمد عبد القادر بافقيه (دكتور)، شيء من تلك الأيام، الحلقة ٢٣، **الأيام** (عدن)، ١٩٩٢/١٢/٩م.

(٨) عبد الله أحمد الثور، **الجنوب اليمني**، القاهرة، ١٩٨٦م.

السوداني حسن فريجون، **والذي تزوج بيمنية، وولد له،** ثم عاد للسودان، حيث توفي هناك(٩).

كذلك كان في عدن المدرس السوداني أحمد محمد نور، الذي نشرت له مجلة (الأفكار)(١٠) العدنية، لأصحابها آل لقمان، عدداً من المقالات. وقد ذكره رائد الصحافة العدنية، المرحوم محمد علي لقمان المحامي، في مذكراته عن رحلته لأرض العواذل، عام ١٩٤٥م، بصحبة هذا المدرس(١١). ومن الذين عملوا بالتدريس في عدن من السودانيين الأستاذ والرياضي، مبارك فضل الله، الذي جعل من بيته في منطقة الخساف بعدن تجمعاً للمدرسين السودانيين وعامة السودانيين، كالرياضي اليمني السوداني، علي البيضاني (السوداني)، وهو شقيق القاص اليمني المعروف، حسين السيد. كذلك أسهم مبارك فضل الله في الحركة الوطنية، لتحرير جنوب اليمن من المستعمر الإنكليزي. وتردد على عدن، يومئذ، الطيار السوداني، السركنه، وكتب في صحيفة (الرأي العام) السودانية، عنها سلسلة مقالات بعنوان (عدن لؤلؤة البحر الأحمر). ولاأنسى المدرس القدير مصطفى محمد فضل

في لحج يذكر لنا الأستاذ عبد الرحمن جرجره(١٢) وجود المعلمين السودانيين، ولكن أعدادهم كانت قليلة، لأن السلطان علي عبد الكريم، فضَّل المجيء بمدرسين مصريين، بدلاً عن نصيحة ادارة المعارف في عدن، باستقدام مدرسين سودانيين.

وإذا كانت أواصر التربية والتعليم بدأت مع الوجود البريطاني، في كل من جنوب اليمن والسودان، فإن هذه العلاقات استمرت، على ما يبدو، بعد استقلال

---

(٩) محمد أدروب أوهاج، **من تاريخ البجا**، الكتاب الأول، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٨٦م.

(١٠) **الأفكار** (عدن) عدد يناير ١٩٤٦م. مقال لأحمد محمد نور.

(١١) عبد الله محمد الحبشي، **الرحالة اليمنيون رحلاتهم شرقاً وغرباً**، مكتبة الارشاد، صنعاء، ١٩٨٩م.

(١٢) عبد الرحمن جرجره، **أرضنا الطيبة هذا الجنوب.**

السودان، عام ١٩٥٦م، **واستقلال جنوب اليمن**، عام ١٩٦٧م.

فالسودان وقف، بقوة، إلى جانب استقلال جنوب اليمن في هيئة الأمم المتحدة، لا سيما أنه كان من أوائل الدول العربية المستقلة، وساند هذا الحق، حكومة وشعباً، في المحافل الدولية. وبعد تحقيق الإستقلال، أرسل السودان خبراءه في التدريس، والإدارة، والقضاء، كالقاضي أبو رنات، والكوادر الفنية في مشاريع الزراعة، كمشروع وادي أبين، وخلافه.

وهكذا جاء إلى عدن الأديب الراحل محمد عثمان ياسين، صاحب (باليه الشاعر)(١٣)، والشاعر والقاص والصحفي، سراج أحمد، ونشرت له في عدن مجموعته القصصية (الأرض البعيدة عن ضوء النهار)(١٤)، ومدرس الجغرافيا بجامعة عدن، أحمد ابراهيم أرباب، ومدرس آخر بنفس الجامعة، هو الدكتور تاج السر أبو الريش، الذي قدم أطروحة عن اليمن، في احدى الجامعات المصرية، والمؤرخ أُسامة عبد الرحمن النور، الذي قام بترجمة كتاب (تاريخ اليمن القديم)(١٥)، إلى العربية.

والدكتور القاص عمرو محمد عباس، الذي أكمل قصته (الجنخانة) في عدن، ونشرها هناك(١٦). وكتب خوجلي عبد الكريم أبو بكر كتابه (العبور إلى الشاطيء الآخر)(١٧)، عن عدن، خلال الحرب الأهلية التي نشبت فيها، في ١٣ يناير عام ١٩٨٦م.

---

(١٣) انظر كتابات محمد عثمان ياسين والصحفي السوداني الراحل المعروف بابن البان في الصحف الخرطومية **(الأضواء)**، و**(الرأي العام)**.

(١٤) سراج أحمد، **الأرض البعيدة عن ضوء النهار** ـ مؤسسة صوت العمال بعدن.

(١٥) أسامة عبد الرحمن النور ـ ترجمة من الروسية إلى العربية لكتاب **تاريخ اليمن القديم جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م.

(١٦) د. عمرو محمد عباس، **الجنخانة**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

(١٧) خوجلي عبد الرحمن أبو بكر، **العبور إلى الشاطيء الآخر**، مطابع القبس التجارية، يناير ١٩٨٨م.

ولا يمكن أن نغفل عاملاً آخر، حبب إلى السودانيين، ذوي الميول الإشتراكية العلمية الإقامة في عدن، حيث رحبّت بهم هناك الحكومة اليمنية الجنوبية، ومكنتهم من ممارسة نشاط سياسي معاد لنظام الرئيس جعفر محمد نميري، الذي سقط، في عام ١٩٨٥م.

طلبة جنوب اليمن في السودان:

يذكر المؤرخ الدكتور محمد عبد القادر بافقيه[١٨] أن أول من درس بمدارس السودان من وجهاء القرن العشرين في اليمن كان السيد علوي محمد الصافي، الذي درس في سواكن، في العقود الأولى من هذا القرن، وتفوق في دراسته، ثم استقر في بلاد الحبشة، وكان له هناك أدوار وطنية بين أفراد الجالية اليمنية.

يذكر الأستاذ عبد الرحمن جرجره[١٩] أن عدداً من طلاب سلطنة لحج ذهبوا إلى السودان، لتلقي الدراسة. ويتحدث صلاح البكري، بشيء من التفصيل، عن الطلبة الحضارمة القعيطيين، الذين يكونون أوائل الدفعة في مدرسة غيل باوزير، وعن تسفيرهم إلى كلية المعلمين، بمدرسة بخت الرضا في الدويم بالسودان. فهم يحظون بالثقافة المدرسية، وبالخبرة الفنية بطرق التدريس وشئون الادارة، وكل ما تتطلبه الحياة المدرسية من الأنظمة، والقوانين، وأوجه النشاط المدرسي، بمختلف فروعه، وألوانه، ثم يعودون لتولي التدريس، وشغل الوظائف، ادارية، وتفتيشية بالمدارس الإبتدائية بحضرموت. كذلك عدد آخر من هؤلاء الخريجين من غيل باوزير، يذهبون للدراسة الثانوية بمدرسة حنتوب بالسودان، والتي تقع على الضفة المقابلة لمدينة ود مدني، وعلى النيل الأزرق. وذلك حتى يعودوا لتزويد هيئة التدريس في المرحلة المتوسطة بالكفاءة العلمية، والخبرة الفنية. وهناك، أيضاً، بعض

---

(١٨) **المنتدى** (دبي)، العدد ١٥؛ **والحكمة** (عدن) بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٧٣م.

(١٩) عبد الرحمن جرجره، **أرضنا الطيبة هذا الجنوب.**

من هؤلاء الذين يلتحقون، **فيما بعد، بجامعة الخرطوم**، على نفقة الجمعية الخيرية بالمكلا. وهناك تقرير لسكرتير الدولة، سيف بن علي البوعلي، عن التعليم في حضرموت، خلال العشرة أعوام، من ١٩٤٠م وحتى ١٩٥٠م، ورد فيه أن ١٦ دارساً حضرمياً قد ابتعث للدراسة بالسودان.

والواقع أن الدكتور محمد عبد القادر بافقيه قد أرَّخ لسيل الطلبة من جنوب اليمن، الذين ذهبوا للدراسة بالسودان، بصورة شيقة، في مذكراته في صحيفة (الأيام). وتحدث كيف أن مدرسة غيل باوزير قامت على أكتاف طلبتها، وأجيالهم المتعاقبة، منذ عام ١٩٤٠م وحتى عام ١٩٥٠م، كل الحركات السياسية في حضرموت، ومن ضمنها حركة النادي الثقافي، وجمعية اتحاد التلاميذ الأدبية، **التي** أغلقها القدال، بدون سبب واضح. بل إن النزعة الوطنية قد رافقت هؤلاء **الطلبة**، حينما سافروا إلى السودان، فخرجوا يهتفون إلى جانب الجماهير السودانية في عام ١٩٤٦م: (يسقط الإستعمار)!.

وفي كتابه (سندباد على الورق)[٢٠]، يتحدث الدكتور بافقيه عن **اشكالية** تطويع الدراسة الثانوية، المزمعة في ذلك الوقت، للمنهج السوداني المسيطر في المراحل قبل الثانوية، واعداد الطلبة الحضارم للجلوس لإمتحان الشهادة الثانوية السودانية، حتى يمكن قبولهم، فيما بعد، في الجامعات المعترف بها.

وقد يستغرب القارىء إذا ما ذكرنا أن أمريكياً، اسمه أريك بثمان، في كتابه (اليمن على الحافة)[٢١]، كتبه عن زيارة لليمن، رافقه فيها الأستاذ عبد الله المساجدي، في شمال البلاد، يقول: (فليذهب اليمنيون للدراسة في المعهد الفني

---

(٢٠) بافقيه نفسه تحت اسم مستعار، **سندباد على الورق صاروخ إلى القرن العشرين** - مؤسسة الصبان، عدن، ١٩٦٥م.

(٢١) أريك بثمان، **اليمن على الحافة** [بالإنكليزية] واشنطون، ١٩٦٠م. انظر كذلك مقال شيق للدكاترة زكي مبارك بعنوان (**اليمن والسودان**)، **المستقبل (عدن)**، ابريل ١٩٥٠م.

التكنولوجي بالخرطوم، **فلا عائق لغوي هناك أمامهم**، كما أن تكاليف الدراسة أقل..). وهكذا تجيء توصية هذا الأمريكي مطابقة لتوصية البريطاني جرفس. هل هذا، أيضاً، من خصوصيات العلاقة اليمنية ـ السودانية؟!

ويواصل بافقيه حديثه، فيقول، بأن أهم من خدم حركة التعليم في حضرموت هم خريجو بخت الرضا، الذين جاءوا من المكلا، وتعلموا، فأصبح كل واحد منهم عالماً مستقلاً، من الموهبة والمزاج، أمثال: مديحج ـ القحوم ـ حوره ـ أحمد سعيد ـ اليماني ـ حديني ـ بن سلم، وآخرين.

ثم يشير بالبنان إلى آخرين من الحضارمة، درسوا في السودان، كالمؤرخ الراحل محمد عبد القادر بامطرف، وعبد الرحمن بكير، اللذين حضرا، عام ١٩٥١م، إلى الخرطوم، والشاعر المطبوع فيصل بن شملان، والمهندس الزراعي فضل عنبول، وأول وزير صحة في جنوب اليمن، الطبيب أحمد سعيد صدقه.

أما بالنسبة لعدن، فقد كانت أول صلة في هذا الإطار إطار دراسة طلبة جنوب اليمن في السودان ـ عام ١٩٣٧م، ففي ذلك العام استلم الزعيم السياسي والديني السوداني السيد عبد الرحمن المهدي، رسالتين من عدن، واحدة من الأستاذ محمد علي لقمان المحامي، رائد الصحافة العدنية، ورئيس فرع نادي الإصلاح العربي الإسلامي، والثانية من الأديب العدني الراحل، أحمد محمد سعيد الأصنج، رئيس فرع آخر لنفس النادي في عدن. وهذه فحوى رسالة الأصنج:

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الجليل السيد عبد الرحمن المهدي السوداني حرسه الله

تحية واحتراماً. وبعد، فإني أرفع إلى فضيلتكم أن عدناً كما تعلمون الثغر الطبيعي لليمن كلها، من أقصى العربية السعيدة غرباً إلى آخر حضرموت شرقاً، والأكثرية الساحقة من سكانها عرب مسلمون. أبناء العرب في هذه الديار في ديجور حالك من الجهل، والتعليم هنا، على وجه العموم، لا يسمن ولا يغني،

حيث يخرج الطالب من المدرسة الثانوية، **ولا يحسن العربية**، وهي لغته، ولا يجيد إلا الإنجليزية، وهي اللغة الرسمية. وكل ما هنالك من علوم سطحية، لا تقوم بالحاجة، ويكفي أن أقول إنه لا يوجد في عدن كلها طبيب، أو مهندس، أو محامي، أو الأستاذ في التربية والتعليم، من أبناء العرب. ولهذا فقد استحوذ على مرافق البلاد وخيراتها الأجانب، وأصبح العربي فيها ليس إلا جهولاً، يقاسي الآلام، والجوع، والفاقة.

ولهذا رأينا أن لا سبيل إلى انتشال أبناء المسلمين من هذه الهوة السحيقة إلا بالعلم، فالتجينا إلى ملوك المسلمين، وعظمائهم، من أهل الفضل، فكان أن قبلت حكومة جلالة ملك العراق المعظم عدداً من الطلاب، يتلقون العلم في العراق، على نفقتها، مع المأكل، والمشرب، والمأوى، كون الطلبة من الفقراء. كما أرسلنا البعض إلى الهند، وها نحن اليوم في مخابرة مع حكومة جلالة ملك مصر المعظم بهذا الصدد.

ولما كنتم فضيلتكم من زعماء المسلمين المعدودين، ومن الذين اشتهروا بأعمال البر والإحسان، ترانا نتقدم إلى فضيلتكم بهذا الإلتماس، راجين من مكارم أخلاقكم بأن تفكروا فيما نقاسيه من الويلات، وأن تمدوا لنا المساعدة في انقاذ شباب المسلمين بأن تتكرموا بقبول عشرة من الطلبة من أبنائنا، ليتلقوا علومهم العربية والإنكليزية في كلية غردون، الكائنة بالخرطوم، أو في أي مدرسة أو جامعة تختارونها فضيلتكم في السودان، أو في مصر، مع المأكل، والمشرب، والمأوى، وغير ذلك، على نفقة فضيلتكم، حتى تنقذوهم من براثن الجهل، وتضيفون بهذا العمل المبرور مكرمة جديدة إلى سجل أعمالكم الخالدة. وإذا ترون أن عشرة من الطلبة سيكون عبئاً ثقيلاً، فلا بأس أن يكون العدد أنقص من ذلك.

ولنا وطيد الأمل، يا صاحب الفضيلة، بأن تعيروا التماسنا هذا اهتمامكم، لأن المشروع انساني وديني، في آن واحد، وأن تتكرموا بالجواب الشافي، لا زلتم

أهلاً للفضائل. وبالختام تفضلوا يا صاحب الفضيلة بقبول فائق الإحترام[٢٢].

المخلص أحمد محمد سعيد الأصنج

رئيس نادي الإصلاح العربي الإسلامي

٢٨ رجب ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م

وفي ١٠ ابريل من عام ١٩٣٨م، جاء رد وكيل دائرة السر للمهدي بأن الالتحاق بكلية غردون من اختصاص حكومة السودان، وسكرتير المعارف، فبعد أن يقبل التلاميذ في التعليم، فإن الدائرة لتساعد بما يمكنها في مصروفاتهم الشخصية. فكتب العدنيون إلى كلية غردون، مستفسرين عن التكاليف، لكن الرد جاء مخيباً للآمال، فقد قال الرد إن المخابرة حول الأمر لا تقبل إلا من حكومة عدن. وكان هذا بايعاز من الحكومة البريطانية، التي كانت تستعمر المنطقتين، ولا تشجع الجمعيات الخيرية في تعليم الوطنيين. وهكذا تحول نادي الإصلاح إلى مراسلة جامعة بيروت الأمريكية، بحيث يتحمل المهدي نصف الأجرة لأربعة طلاب، بواقع أربعين جنيه لكل فرد في السنة، لكن شيئاً من هذا الأمر لم يتم.

وقد استوقفتني الرسالة، فأوردتها كاملة، لأكثر من سبب:

(١) إن الشعور باليمن الواحد، ثم بالبعد العربي والإسلامي، كان موجوداً، بوضوح، في رسالة الأصنج، ومثيلتها رسالة لقمان.. (من أقصى العربية السعيدة غرباً إلى آخر حضرموت شرقاً). والرسالة تعود إلى عام ١٩٣٧م. فالمعروف بأن لقمان كان صاحب نزعة مختلفة هي (عدن للعدنيين)، إلا إذا صح قول المدافعين

---

(٢٢) الرسالة منقولة عن مقال للأستاذ علوي عبد الله طاهر بعنوان (النوادي الأدبية والثقافية في عدن قبل الإستقلال الوطني) **دراسات الخليج والجزيرة العربية**، العدد ٣٦، اكتوبر ١٩٨٣م.

عنه بأنه يقصد العرب اليمنيين في عدن، كما قد يستنتج من تبرم الرسالة من سيطرة الأجانب على الوظائف، وحرمان العربي منها.

(٢) إن بريطانيا هي التي قاربت بين نظام التربية والتعليم في السودان وجنوب اليمن، خاصة حضرموت، فلماذا لم تسمح بمثل هذه الفرصة لأبناء عدن؟.. وعلى أساس الترابط الشخصي بينهم وبين زعيم عربي اسلامي، هو المهدي الأبن؟

(٣) إن الرسالة قد تجاوزت، عمداً، على الأقل، اثنين من أبناء عدن، الذين كانوا قدَ نالوا العلم الجامعي، في ذلك الحين، هما: السيد محمد عبده غانم، وهو أول خريج يمني، وقد درس الآداب، ومحمد علي لقمان المحامي نفسه، والذي حصل على اجازته في المحاماة من الهند، ليكون ثاني الخريجين الجامعيين، في عموم اليمن.. فلماذا كان هذا التجاوز؟

(٤) إن أحد أبناء عدن، في ذلك الوقت، كان قد سبق إلى الدراسة في السودان نفسها، هو الشاعر المرحوم نجيب جعفر أمان، شقيق الشاعر لطفي أمان. وقد غادر نجيب عدن إلى السودان، عام ١٩٣٥م، في بعثة من حكومتها إلى مدرسة بخت الرضا، عام ١٩٣٥م. وقد عاد نجيب أمان إلى عدن، بعد اكمال دراسته هناك، ليصبح أول خريج يمني من معاهد السودان. أيضاً، في وقت لاحق، وتحديداً عام ١٩٤٢م، كثفت بريطانيا من بعثاتها التعليمية من عدن إلى السودان. والطريف، كما عرفت من المؤرخ اليمني الراحل سلطان ناجي، أن الاحتفاء بنجيب أمان، بعد عودته من السودان، كان في نفس نادي الإصلاح.

وفي عام ١٩٤٦م، كانت البعثات الدارسة بالسودان من جنوب اليمن تشمل الحضارمة، والعدنيين، وأبناء المحميات. وكان عددهم ثلاثون طالباً، فقرروا تشكيل ما أسموه (اتحاد بعثات جنوب الجزيرة العربية في السودان)[٢٣] وشمل فيمن

---

(٢٣) **فتاة الجزيرة** (عدن)، العدد ٣٢٤ و٣٢٥، بتاريخ ٩ يونيو ١٩٤٦م.

شمل:

(١) قحطان محمد الشعبي، أول رئيس لجنوب اليمن (توفي).

(٢) المرحوم حسين هادي عوض.

(٣) المرحوم لطفي جعفر أمان.

(٤) المناضل الراحل علي محمد سالم ـ بخت الرضا.

(٥) محمد عبد الله الجفري.

(٦) عبد الله علي الجفري.

(٧) علي غانم كليب.

(٨) أحمد علي مسعد.

(٩) محمد عبد القادر بافقيه.

(١٠) نعمان ـ بخت الرضا.

(١١) حسن عبده ـ بخت الرضا.

(١٢) حسن أبو بكر ـ بخت الرضا.

والباحث السوداني الشغوف باليمن، بابكر علي عبد الكريم، يقول، في مصدر سبق ذكره بأن طالبين آخرين من مدينة عدن أرسلوا من حكومتها للدراسة في بخت الرضا، هما: عبد الله السنباني، وأحمد محمد علي!

هل وصلنا، بالفعل، إلى نهاية حديثنا هذا عن طلبة جنوب اليمن الدارسين في السودان. لا... لكننا قد سلطنا الأضواء على حقبة تاريخية، شهدت نشاطاً بين المنطقتين، عماده الأول مجيء المدرسين السودانيين إلى جنوب اليمن وعماده الثاني تدفق الطلبة من جنوب اليمن إلى السودان. لا سيما وأن هذه العلاقة قد استمرت بعد حصول جنوب اليمن على استقلاله في ١٩٦٧م، وحصول السودان على استقلاله، في ١٩٥٦م. وإذا كانت الإشارة إلى الأدباء من هؤلاء الطلبة قد وردت

في باب آخر من هذا السفر فإن هـذا لا ينسـينا أن بعـض طـلاب شمـال اليمـن قـد درسوا في السودان، في نفـس تلـك الفـترة، منهـم المنـاضل المرحـوم حسـين محمـد المقبلي، والذي احتضنته أسـرة عمـر الإمـام، ودرس بـالمعهد الديـني في أُم درمـان، والمناضل المرحوم محمود عبـد ا لله عشـيش الحسـني[٢٤]، وصـولاً إلى جيـل الشـاعر محمد عبد الآله العصار، والقاصة الشابة سـلوى يحيـى الأريـاني، والشـاعر الشـاب محمد علي الظاهري الضيقي،والصحفي الدكتور ناصر المطيري، والباحثة الراحلة سامية جعفر حسبي.

(٢٤) كتاب عن الراحل محمود عبد ا لله عشيش، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٧م.
أنظر كذلك:
سعيد عوض طاهر باوزير، **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي**، القاهرة، ١٩٦١م.

ملحق الفصل الثالث

آصرة التعليم بين المنطقتين في أندونيسيا

في عام ١٩١٠م، أتى طلب من جمعية خير الحضرمية في باتافيا، أي جاكرتا اليوم، لادارة التعليم بمدرستها، بواسطة محمد بن يوسف الخياط، وحسين محمد الحبشي، إلى الشيخ السوداني أحمد محمد السوركتي، وهو من مواليد أدفو بدنقلة، وينتسب إلى الجوابرة من جابر بن عبد الله الأنصاري. وبالفعل سار السوركتي (١٨٧٥ - ١٩٤٣م)، والذي كان يعمل وقتها بتدريس علوم الدين بمكة المكرمة، إلى جزيرة جاوا باندونيسيا، وبرفقته معلمون آخرون هناك، ومندوب جمعية خير، السيد عبد الله عبد المعبود الموصلي.

وذات يوم سأله السيد عمر بن سعيد بن سنكر، في مدينة صولوه، عن زواج العلوية بغير العلوي، فأجاز السوركتي ذلك، فغضب منه العلويون، وعاداه الشيخ محمد بن عبد الرحمن شهاب العلوي، والسيد عبد الله العيدروس، فاضطر السوركتي لتقديم استقالته، في شهر يناير من عام ١٩١٤م. وحينما تأسست جمعية الإصلاح والإرشاد العربية، في بتاوى، سنة ١٩١٥م، اصبح السوركتي قائماً بادارة التعليم بها، يساعده عدد من المدرسين السودانيين، كالعلامة أحمد العاقب، وعدد من الحضارمة، كعمر منقوش، وسعيد مشعبي، ومحمد عبيد عبود الحضرمي.

ودخل السوركتي في مهاترات صحفية مريرة مع خصومه من العلويين، في صحف (صولوه هنديا)، و(الإرشاد)، و(الإقبال)، ثم، في عام ١٩١٩م، أصبح

السوركتي عضواً في لجنة الإصلاح، **التي أسسها اسماعيل عبد الله العطاس**، للم صفوف عرب الملايو، وكان من أعضائها محمد عبد الرحمن شهاب، وغالب سعيد تبيع، ولكن كاتب الجمعية الخيرية العربية بمقاطعة سورا بايا، وهو محمد حسم محمد بارجا، أعلن رفضه لمساعي المصالحة، في عام ١٩١٨، أي حتى قبل قيام لجنة الإصلاح، بحجة وجود سوداني غير حضرمي بين أعضائها، بينما التزم حسين عابدين، وعلي المنصور غالب الكثيري، وغالب بن عوض القعيطي الحياد، وأرادوا الهدنة.

من ذكريات مدرس سوداني بجنوب اليمن

الدكتور سيد أحمد نقد الله شخصية ثقافية سودانية بارزة، كان آخر منصب عمل فيه، هو عميد كلية الدراسات الإضافية بجامعة الخرطوم. توفي بالخرطوم، عام ١٩٨٤م.

كان سيد أحمد نقد الله أحد المدرسين السودانيين الذين عملوا في حضرموت، في الخمسينات، في وقت كانت الحركة الوطنية السياسية، في تلك البقعة من بلاد العرب، قد بدأت تعمل من أجل التخلص من الإستعمار الإنجليزي. ولقد كان لسيد أحمد نقد الله عدد من الكتابات الوطنية في صحف يمنية جنوبية، مثل (النهضة)، و(المستقبل). وفي المقالة التالية، التي كتبها، بالضبط، قبل أسبوع من وفاته، في صحيفة (الأيام) الخرطومية(*)، يتذكر شيئاً من طعم تلك الأيام، التي انتهت بطرد الإنجليز له من جنوب اليمن، خوفاً من وطنيته:

جاءني، ذات يوم، صديق سوداني، كان مسئولاً عن الأمن، وطلب مني أن أخرج معه، في نزهة قصيرة، بالحدائق التي تحيط بالقرية، أوالمدينة الصغيرة المستلقية كحسناء عارية تحت سفوح الجبال. وخلال مسيرتنا عبر الصديق عن أسفه لأنه كلف بأن ينقل إليّ أمراً بمغادرة البلاد، خلال ثمان وأربعين ساعة، فقلت له: هذا مستحيل، وأمر مرفوض. فدار بيننا نقاش طويل، لا داعي لتصديع القراء بتفاصيله، فقد أوضح الصديق أن هناك حامية بريطانية تستطيع أن تعتقلني، في دقائق، وتقذف بي إلى خارج الحدود. وهنا ركبني الشيطان، فطلبت منه أن ينقل إلى الدوائر العليا التي أرسلته إني لن أخرج إلا بهذه الطريقة، وأن عليه أن يكون شاهداً أميناً أمام الشعب السوداني والبريطاني، إذا سالت دمائي، أو دماء بعض المواطنين الذين وهبوني حبهم وثقتهم. فقد سالت دماؤهم من قبل، واغتال الرصاص نفراً منهم، في مظاهرة صاخبة ضد قرار لهذه الدوائر العليا. وعرف الصديق أني لا أهدد، وثارت نخوته السودانية، وعلاقات المودة والإخاء، فأخذ يتوسل، بكل ما في عقله من أفكار، وما في قلبه من عواطف، حتى توصل معي إلى حل وسط، يتضمن عدداً من الشروط، على رأسها الخروج من البلاد بعد أسبوعين، بدلاً عن ثمان وأربعين ساعة. لقد كنت أنوي خداعهم، لأهرب إلى البادية، أملاً في أن أثير حرب عصابات؛ فقد كانت البادية تثور، من حين لآخر. وكنت، ومازلت، معجباً بالبطل عثمان دقنه، الذي يمثل أعظم قادة حروب العصابات، في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان دم الشباب والعنف يغلي في عروقي، وظل يغلي حتى جمدته ثلوج ألمانيا، وبريطانيا، وخيبة الأمل الكبرى في بعض الثورات.

لماذا قرروا إنهاء عقدي، الـذي بقـي علىنهايتـه نصـف عـام، ولمـاذا قـرروا طردي من البلاد خلال يومين؟

قال الصديق المسئول عن الأمن إن الدوائر العليا تعـرف أنـك شيوعي، وأن لديها معلومات تفيد بأنك تنشر الشيوعية وسط التلاميذ وبعـض المواطنـين، ولهـذا نعتبرك خطراً على الأمن والإسـتقرار. قلـت لـه إن الحركـة الشـيوعية في السـودان أوبعـض قادتهـا يعتقـدون أنـي جاسـوس، لأن أتمتـع بصداقـة أسـاتذتي الإنجلـيز، وبصداقة عميقة مع المستر جرفس، عميد بخت الرضا، ولأني سهرت ذات ليلة مـع أستاذي، عبد الرحمن علي طه، وزيـر المعـارف، ولعلاقـتي الوثيقـة بزعيـم الإخـوان المسلمين، فأيهما تصدق يا عزيزي؟ سأحدث القراء الأعزاء، ذات يوم، عـن تهمـة الجاسوسية، التي ظلت تطاردني في الشرق والغـرب، بـل تجـرأت ونشـرتها احـدى الصحف الغربية الكبرى. فحديثنا، اليوم عن بخت الرضا، فقد كان حماسي لمنـاهج بخت الرضا الديمقراطية سبباً في إنهاء عقدي، وطردي من البلاد، بل هو السبب في كل الإتهامات التي وجهت لي بدءاً بالإنتهازية، ونهاية بالجاسوسية. فقد انهمكـت على تعليم طلاب المدرسة الوسطى، بحمـاس لا يقـل عـن حماسـي لطلابـي اليـوم، وحاولت أن أنفذ شعار بخت الرضا، الذي يدعو المدرس أن يكون صديقاً للتلاميذ، فإذا بالتلاميذ يولوني ثقتهم، ويتنافسون في إبداء مشاعر الحب والـولاء والتقديـر، وتبلغ الثقة حداً يجعلهم يكشفون لي الكثير من الأوراق، فأثير زوبعة صغـيرة حـول بعض الطلاب، حماية لهم فيأتي ناظر المدرسة، وهو سوداني طيـب وقـور، ليسـألني في شيء من الإستنكار: هل أنت مدرس أم أنت مصلـح اجتمـاعي؟! وهـو سـؤال أتوجه به للمعلمين والمعلمات، في مراحل التعليم العام، فهـم يعيشـون أو يعايشـون الأطفال في المرحلة الإبتدائية، والمراهقين في المرحلة الثانوية، وهما أخطـر مرحلتـين في تكوين الشخصية الإنسانية، التي جعلت أمير الشعراء يتساءل:

أرأيت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشأ أنفساً وعقولا

لا!

إنها عملية بناء، وإنشاء، لا تساويها هذه الدريهمات أو عطية المزين التي تدفع للمعلم والمعلمة المخلصة الممتازة، ولو كان العلم بيدي لجعلت كل أساتذة المرحلة الإبتدائية من المعلمات، ولأنفقت الملايين في تعليمهن وتدريبهن، فغباء الإنسان الذي تحدث عنه العالم اينشتين لا يبدو لي في أقبح وأوضح صورة، إلا حين أفكر في العلم، والتعليم، والمعلمين الذين يوكل إليهم المجتمع أخطر مهمة، ولا يوليهم من العناية والرعاية ما يوليه لمحترفي الرياضة، تحكمه قوانين المال لا الأعمال.

فما هي الشيوعية التي اتهموني بنشرها وسط الطلاب؟ كانت الشيوعية، أيها القارىء العزيز، هي الجمعيات التي شجعت التلاميذ على تشكيلها، وحرية الفكر والتعبير، التي فتحها لهم نوافذها، في الجمعيات، وصحيفة الحائط الجميلة، التي بدأ التلاميذ يعبرون فيها عن مشاعرهم المكبوتة، وتطلعهم إلى الحياة الحرة الكريمة. كانت الشيوعية هي الصحف المصرية، التي أهديها للطلاب، بعد قراءتها، والتي كانت تحمل أنباء الثورة المصرية، بقيادة عبد الناصر، وما بدأت تنقله من فساد السياسيين والأسرة المالكة، وما تدعو له من وحدة عربية في وجه الإستعمار والإستبداد. كانت الشيوعية هي الرواية التي أخرجتها على مسرح المدرسة، عن ثورة أندونيسيا، وأبدع الطلاب تمثيلها، واهتز لها المواطنون، طرباً، رغم ما اثارته من غضب بعض رجال الدين الذين أنكروا أن يمثل طالب دور إمرأة لا ترتدي الحجاب، فالرواية قصة مضحكة، ومثيرة، قد تواتي الفرصة حديث الثلاثاء، فيرويها ذات يوم، فهي رواية من تأليف ابن الجنوب العربي، علي أحمد باكثير، وعن نضال أندونيسيا، التي يرتبط بها أهل الجنوب إرتباطاً وثيقاً، ويعتمدون على ما يمدهم به أهلهم هناك من ثروات. كانت الشيوعية قصيدة أمير الشعراء في استقبال زعيم الهند، المهاتما غاندي، وهو في الطريق إلى مائدة المفاوضات في بريطانيا، والتي يبدؤها بقوله: سلام الله يا غاندي وهذا الشعر من عندي.

فقد كان التلاميذ يطربون من قراءتي لها، ويرددون، معي أو قبلي، آخر كل بيت، وبصورة جماعية، تهتز لها جدران الفصل، وترتجف الأدراج من ضربات الذين يستبد بهم الطرب، كما يستبد ببعض الناس في حلقات الذكر.

لقد سمعت الدوائر العليا بانتشار الشيوعية في دروسي، فاقتحم الفصل، ذات يوم، وفد على مستوى عالٍ، ليجدني متلبساً بجريمة الشيوعية. فقد وقف الوفد يستمع، ويشهد انفعالات الطلاب، خاصة عندما وصلنا بالقراءة إلى هذه الأبيات:

من المائدة الخضراء خذ حذرك يا غاندي

ولاحظ ورق السير وما في ورق اللورد

وكن أبرع من يلعب بالشطرنج والنرد

وقل هاتوا افاعيكم أتى الحاوي من الهند

روعة في التصوير والتعبير، لاتعادلها روعة. وقد أضفت طريقة الألقاء، وما صاحبها من حركات تشخيصية، مزيداً من التعبير، والتصوير، فقفز عدد من الطلاب من مقاعدهم، وهم يصرخون: أتى الحاوي من الهند.. أتى الحاوي من الهند. وقد ترامى إلى سمعي، صدقاً أو إشاعة، أن الوفد الذي دخل، دون إذن، إلى الفصل انقسم على نفسه، فوقف أحد أعضائه يدافع عن المعلم، وأصر آخرون على الهجوم، والإتهام، والتأكيد بأن المعلم فاسق، فاجر، وأنه سمع بأذنه قصيدة شيوعية، ملحدة، تلهب عواطف التلاميذ، وتدعوهم إلى الثورة على الإستعمار، الذي جاء يحمل الأمن والطمأنينة والإستقرار. ألم يدمغ هذا المعلم بالكفر والإلحاد، من قبل، حين وقف في ندوة عامة بالمعهد العلمي، وأعلن أن الإسلام يبيح، ولكنه لا يشجع تعدد الزوجات، وبلغت به الجرأة على الإستشهاد بآية من كتاب الله؟ ألم يشهد الجميع هذا المعلم ، وهو يرتدي الكسكته، التي لا يرتديها سوى الكفار، في الوقت الذي يرتدي فيه جميع زملائه السودانيين، ما عدا واحد، العقال؟

ماذا تريدون، بعد هذا، من دليل على كفره وإلحاده وشيوعيته؟!

كان هـذا المعلـم، **أيهـا القـارىء العزيـز**، لا يهتـم بمـا يقـول عنـه النـاس أو النسناس. وهو لا يكترث، اليوم، بما يوجه إليه من اتهامـات، وإسـاءات، في بعـض الأحيان، إيماناً بكلمات شاعرنا إيليا أبـو مـاضي: لم يقصـدوك بذمهـم إن لم تكـن منهم أجل وأعظما.

لقد تجمع نفر من المعلمين والشباب من أبناء الجنوب العربي، عشية وداعـه، وانهمكوا في أغانٍ ورقصات عربيـة جميلـة، في أحـد الأوديـة الخضـراء، قريبـاً مـن ساحل المحيط الهنـدي، الـذي ألقـى عليـه نظـرة مـن الطـائرة. فتدفقـت في خـاطره كلمات إيليا أبو ماضي:

أنـت يا بحـر أسـير آه ما أعـظم أسـرك

أنـت مثـلي أيهـا الجـبار لا تملك أمـرك

أشبهت حالك حالي وحكي عذري عذرك

فمتى تنجو من الأسر وأنجو لست أدري؟

يا لها من أيام، امتزجت حلاوتها بكثير من المرارة، ويالها من مواقف يطربني ذكرها، ويذكي في نفسي روح الشباب، روح الشـجاعة والإقـدام، الـتي غرستهـا فينا بخت الرضا، وجعلت صديقي، وأستاذي المستر جريفتس، يبـدأ أحـد خطاباتـه لي من بريطانيا، قائلاً: لقـد كـان خطـابك هـذه المـرة أشـبه بهتافـات مظـاهرة في شوارع الخرطوم.

لم يذكر لي قريفتس كلمة «الشيوعية»، ولكنه أرسل لي عـدداً مـن الكتـب التي تهاجم الشيوعية، وعلى رأسـها كتـاب الفيلسـوف الإنجليزي الكبـير برترانـد رسل بعنوان (مقالات غير محبوبة)، وكتـاب المفكـر الإنجليزي الإشـتراكي الكبـير هارولد لاسكي، بعنوان (انطباعات حول الثورات في عصرنا).

ولكن هذه الكتب القيمة الحافلة بالأفكار، والتحليلات، لا تعادل في أثرها التجربة التي عشتها في شرق أوروبا، فقد خرجت منها، كما خرج المتنبي من مصر، مردداً:

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي شيئاً تتيمه عين ولا جيد

يا ساقيي اخمر في كؤوسكما أم في كؤوسكما هم وتسهيد

إنها كؤوس مترعة بالهم والغم، وتجرعنا لها الحياة كل يوم، حتى لا ننسى هموم، ومآسي الجائعين والمعذبين في الأرض.

(*) سيد أحمد نقد الله، حديث الثلاثاء، الأيام (الخرطوم)، ٢٧ نوفمبر ١٩٨٤م.

﴿ الفصل الرابع ﴾

مدني قاعدة النضال اليمني

ليس هذا العنوان من عندي، وإنما هو عنوان محاضرتين، ألقاهما الدكتور محمد يحيى الشرفي، الأولى في مدينة مدني، بوسط السودان، ضمن مهرجان ثقافي، أُقيم هناك، في مطلع الثمانينات، والثانية في مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، عندما قام الدكتور عبد العزيز المقالح باستضافة المحاضر، والتقديم له، عندما استقر الدكتور محمد الشرفي في صنعاء، في النصف الثاني من عقد الثمانينات.

ولست أجد أصدق من هذا العنوان، تعبيراً عن الدور غير العادي الذي لعبه أحد أبناء اليمن الأفذاذ، في قرننا العشرين، والذي استوطن مدينة ودمدني السودانية، وحولها مع رفاق له من أبناء اليمن إلى قاعدة للنضال اليمني، الذي تمكن بعد قوافل من التضحيات من أن يطيح، وإلى الأبد، بحكم الطغاة من أُسرة حميد الدين لبلاد اليمن. فأنا بصدد الحديث، إذن، عن هذه الشخصية العملاقة، التي امتطت صهوة الأحداق، في يوم من أيام عام ١٩٧٤م، بالسودان، وبالتحديد في المنزل العامر للرجل في ود مدني، وكذلك الحديث عن الحركة الوطنية اليمنية بالسودان، ومن خلال إشارات إلى رفاقها، في ذلك الكفاح العظيم، الذين تشابهت هممهم العالية، وتعانقت تضحياتهم في ميادين الشرف من أجل معركة التغيير إلى الأفضل في بلاد اليمن.



- الشيخ يحيى حسين أحمد المدومي الشرفي العكام

(١٩١٠م - ١٩٧٧م)

[١ - ٨]

كان لجوء فيلسوف الثورة اليمني الشاعر، القاضي محمد محمود الزبيري (ت ١٩٦٥م)، إلى المستعمرة الإنجليزية، عدن، في الأربعينات، بداية لمرحلة جديدة في صراعه، هو ورفاقه، من الأحرار اليمنيين مع النظام الحاكم، يومئذ، في شمال بلاد اليمن. فقد ركز الزبيري، منذ ذلك الحين، على استمالة المهاجرين اليمنيين في الخارج إلى جانب القضية الوطنية اليمنية، واتخاذ مهاجرهم كقواعد لمناوئة الحكم الإمامي، ودفعه إلى التغيير من نمط سلطته. فقام الزبيري، وأحمد محمد نعمان هاتان الشخصيتان اللتان تكملان بعضهما بعضاً على الأقل فيما يخصنا في مقام الحديث عن اسهام المهاجرين اليمنيين بالسودان في الحركة الوطنية اليمنية ـ باستقطاب المهاجرين اليمنيين، دعماً لحركة الأحرار اليمنيين والجمعية اليمانية الكبرى، وقاما بشرح عدالة القضية، مطالبين المهاجرين بأن يضطلعوا بدورهم التاريخي في العملية الثورية أينما وجدوا، وقد وجد منهم بالسودان، يومئذ، مجموعة كبيرة!

ولا شك من خلال اطلاعنا على مجموعة من وثائق هذه الحركة أنه وجد بالسودان من المهاجرين من كان يدين بالولاء، ولو تعددت الأسباب، لحكم الأئمة في شمال اليمن. وكان أحد هذه الأسباب أن بعض الصحفيين والسوقة في السودان كثيري التهكم على اليمانية، وأحوالهم الصعبة في السودان، من باب الظرف وخفة الدم، كما أشار الباحث محمد محمود حميده(١)، ومن باب القسوة والخبث، كما فعل الصحفي المعروف، عبد الله رجب، في صحيفته (الصراحه)(٢). ولذلك لم يكن بعض اليمنيين من البسطاء يريدون أن يدخلوا في التطاول على إمامهم في صنعاء، أو تعز، حتى لا يظهروا للناس بأنهم لم يتفقوا، حتى فيما بينهم كيمنيين جمعهم المهجر السوداني. وإذا كان المهاجرون اليمنيون بالسودان قد أسميوا، أول دخولهم للسودان، بعد عام ١٩١١م، بالأشراف من العرب، فإن بعض هؤلاء، من

(١) مصدر سبق ذكره، في الفصل الثاني.

(٢) انظر مقالة لعبد الله رجب في صحيفته (**الصراحة**)، في عام ١٩٥٢م، بالخرطوم، بعنوان «اليمانية.. كلاب العرب».



ـ الشهيد القاضي محمد محمود الزبيري والشرفي
الأب في الخرطوم مع بعض السودانيين (١٩٥٤).
[١ ـ ٩]



ـ الزعيم السوداني الراحل إسماعيل الأزهري مرحباً بالقاضي الزبيري،
والأستاذ يحيى محمد الوافي؛ في حديقة المقرن بالخرطوم (١٩٥٤م).

[١ ـ ١٠]

أصحاب الشخصية السيكوباتية (العدوانية)، قد أساؤوا إلى سمعة الجالية اليمنية بالسودان، بتصرفاتهم الخسيسة، وحرموا أشراف العرب من اليمنيين هناك من ذلك التميز، الذي أعطاه لهم السودانيون، طواعية، وربما كان هذا هو ما يقصده أحد رؤساء الجالية اليمنية بالسودان، اليوم، التاجر عبد الغني محمد عتيق(٣)، حينما يعتب، باستمرار، على ارسال الحكومة اليمنية، قبل وبعد الوحدة اليمنية، في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، لبعض وليس كل بالطبع من أشباه الرجال ليعملوا في سفارة صنعاء لدى الخرطوم، أو في مكتب الخطوط الجوية اليمنية بالخرطوم؛ فيقوم بعضهم بالمتاجرة بالمحرمات، كالخمور التي يحصلون عليها من الأسواق الحرة المفتوحة للدبلماسيين، والتحايل على إعطاء الطلبة اليمنيين بالسودان مستحقاتهم المرسلة لهم من صنعاء، بالدولار، وبانتظام.

وإن الأمانة العلمية، وحدها، هي التي تدفعني إلى ذكر مثل هذه المخازي، من باب أن نقول للمحسن «أحسنت» وللمسيء «أسأت». وهناك، بالمناسبة، مثل يمني، يعرفه أبناء مدينة عدن، يقول: (السارق فوق راسه قشاشه).

وما دمنا في مقام الحديث عن النماذج، التي شوهت صورة اليمنيين بالسودان، فلا بأس أن نذكّر برسالة هامة، كتبها شيخ مشايخ اليمانية بالسودان، يحيى حسين الشرفي، عام ١٩٥٥م(٤)، إلى السيد أحمد محمد الباشا، القائم بأعمال وكالة حكومة المملكة المتوكلية اليمنية بالسودان، حول استياءه، رحمه الله، من ممارسات من أسماهم بالأخدام اليمنيين في السودان، من (الزمع والرقص)، وكذلك (الفتيات اليمنيات القادمات من أرتيريا إلى مدن كسلا، والقضارف، ومدني، والعاصمة المثلثة الخرطوم بالسودان)، مما لسنا في حاجة إلى شرحه.

---

(٣) انظر حواره مع الصحفي اليمني ياسين المسعودي، في صحيفة **(الثورة)** بصنعاء، بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٩٩١م.

(٤) **رسالة ضمن وثائق الشرفي** بمركز الدراسات والبحوث اليمني، بصنعاء، بتاريخ ١٦ اكتوبر ١٩٥٥م.

ولقد وجد الزبيري، و**النعمان الأب**، و**المناضل** المرحوم عبد الله علي الحكيمي، بل قل وكل الخيرين والوطنيين من اليمنيين، في ذلك الوقت، في الشيخ يحيى حسين الشرفي، أعظم سند لهم بين المهاجرين في السودان، وحتى خارج السودان، بحكم علاقاته الطيبة باليمنيين، أينما كانوا، وهو الذي مكنهم من تحويل المدينة التي أحب واستوطن.. ودمدني.. إلى قاعدة عظيمة للنضال اليمني.

ولد يحيى حسين أحمد المدومي الشرفي العكام، بالقرب من مدينة حجة اليمنية، حوالي عام ١٩١٠ للميلاد، وتلقى قدراً بسيطاً من التعليم الديني في بلاده، ثم عمد إلى تثقيف نفسه بنفسه، ووصل إلى مدينة سواكن بالسودان، في شهر فبراير من عام ١٩٢٣م، اي في الثالثة عشر من عمره، وتوفي في مدينة ودمدني، في شهر فبراير من عام ١٩٧٧م. استوطن مدينة ودمدني، في الجزيرة بالسودان، وعمل هنالك بالتجارة، وسرعان ما أصبح شيخاً لليمانية فيها، ثم رئيساً لجاليتها، عندما قامت هذه في مدينة ودمدني، في مطلع الخمسينات، وإلى حين وفاته في مدني، عام ١٩٧٧م، عن سبعة وستين عاماً.

وتشير وثائق الشرفي(٥) إلى أن الشرفي، وقائد ناصر العماري، وحسين الحسني الرداعي، الشهير بعشيش.. كانوا قد أسسوا أول تجمع لليمنيين بالسودان، مباشرة، بعد انتكاس ثورة ١٩٤٨م الدستورية في صنعاء، وبدأوا، منذ ذلك الحين، يحسون من المستعمر الإنجليزي لهم في السودان، علاوة على ممثلي وأنصار الإمام في السودان، بالمضايقات. ومما يدل على أهمية الجالية اليمنية بالسودان، أن مذيعاً باذاعة صنعاء(٦) وجه طلباً من المهاجرين اليمنيين بالسودان لتزويده بامكانية سماع الإذاعة لديهم، ودرجة وضوحها ومن الدلائل، أيضاً، على أهمية هذه الجالية، الرسالة الرقيقة التي وجهها إليها، بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٩٥٤م، سيف الإسلام محمد

---

(٥) **وثائق الشرفي.**

(٦) عبد الله البردوني، **الثقافة والثورة في اليمن**، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٩١م.

البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين، ولي عهد اليمن، يومئذ.

والواقع الذي نريد قوله إنه في الوقت الذي كانت فيه حركة الأحرار اليمنيين تطل به من خلال أنشطتها المختلفة على الساحة، كان الشرفي الأب قد أصبح علماً يمنياً معروفاً في بلاد السودان، فسيرة حياة الرجل عطرة للغاية.. فقد كان ينفق من حر ماله على رواق اليمانية في الأزهر الشريف بمصر، ويقدم مرتبات منتظمة للطلبة اليمانية هناك، عبر شيخهم محمد علي الأهدل، وكان عدد الطلبة في أحد تلك الأوقات، يبلغ اثنين وثلاثين طالباً، من بينهم السياسي اليمني الراحل، السيد محمد علي الجفري(٧). وهو الأمر الذي لم تستطع الحكومة اليمنية أن تقدمه لهؤلاء الطلبة.. لا سيما إذا تذكرنا أنه أصبح كذلك ينفق على أعداد أخرى من الطلبة اليمنيين في الخارج، لا سيما الذين في مصر، ممن درس في معاهدها وكلياتها. وكان الشرفي الأب، في الوقت ذاته، ينفق على كثير من طلبة اليمن جنوبها وشمالها، ممن يدرس في مدارس وكليات السودان وبالنسبة لأولئك الذين كانوا في مدارس قريبة من منزله في مدني، مثل الطلبة اليمنيين في مدرسة حنتوب، فقد كان بيته استراحة لجميعهم، يجدون فيه حنان الأبوة الحقة، ولأنه كان القدوة بين اليمنيين في السودان، فقد قدم المال من أجل تشييد مستشفى الأمراض الصدرية في مدني، وأغاث منكوبي الفيضانات في الجزيرة، والمناقل. وهكذا اختاره أهالي مدني عضواً للهيئة الإدارية العليا لمجلس ودمدني البلدي. وهو الذي أسهم في تشييد المدرسة الأهلية في مدني، حينما أحس بنفاذ المؤسسات التبشيرية إلى المنطقة، من خلال المدارس التبشيرية.

فحتى في ذلك الوقت المبكر من الحركة التحررية اليمنية، كان الشرفي قد تعرف على رجالات الحركة السياسية والوطنية في السودان، أمثال: المرحوم اسماعيل الأزهري، والمرحوم محمد أحمد محجوب، وأحمد علي أحمد، والأمير عبد

---

(٧) **وثائق الشرفي.**

الرحمن نقد الله، وآخرين... وكانت له مراسلات مع أفذاذ المفكرين في العالم العربي الإسلامي، أمثال: سيد قطب، ومحمود شلتوت، ومحمد الغزالي، وسعود عبد العزيز آل سعود، وجمال عبد الناصر، وصلاح الدين البيطار.. وكانوا يراسلونه، بصفته شيخ اليمانية في السودان وممثلهم، وهكذا كان، أيضاً، يقوم بزيارة القاهرة، باسم فرع السودان، للتنسيق مع بقية فروع المهاجرين اليمنيين، وبهذه الصفة أيضاً كان يتعامل معه ممثلو الحكومة في السودان. وكانت له، فيما بعد، أفكار غاية في النضج، مثل مواقفه الوحدوية من قضايا اليمن، بشماله وجنوبه، فهو الذي اقترح تشكيل مجلس خمسيني لليمن، يكون للجزء الجنوبي منه، والذي كان تحت سيطرة المستعمر الإنجليزي عدة مقاعد نيابية، وكانت من علامات نضجه، في ذلك الحين، بخصوص الوحدة اليمنية أنه لام السلاطين في جنوب اليمن، عندما شكلوا اتحاد الجنوب العربي، الذي نفى عن الجنوب اليمني يمنيته، ثم عاد ووجه اللوم كله إلى طاغية اليمن، الإمام أحمد، الذي لم يعمل على استمالة هؤلاء السلاطين إلى الوحدة الحقيقية(٨).

وهكذا، فإن ممثلي الإمام، الذين كانوا يحضروا للسودان، في مناسبات معينة، أو من أجل تفقد الأحوال هناك، أمثال ، محمد علي الزهيري، وعلي محمد رجا، ويحيى الوادعي، وعبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب، كانوا يعرفون، ويقدرون حجم نفوذ الشرفي، في تلك الزيارات(٩).

وحضر شهيد الثورة اليمنية، القاضي محمد محمود الزبيري، إلى السودان، للمرة الأولى في حياته، برفقة الأستاذ الشاعر أحمد الخزان، والأستاذ يحيى محمد أحمد الوافي، عام ١٩٥٤م، مهنئين السودان بحصوله على الحكم الذاتي، وحضر الزبيري الإحتفالات، بهذه المناسبة، ومنها احتفال المقرن، عند ملتقى النيلين، حيث التقى كبار السياسيين، أمثال اسماعيل الأزهري، ويحيى الفضلي الخ.. وألقى هناك

---

(٨) **وثائق الشرفي.**

(٩) **وثائق الشرفي.**

خطبة، تحدث فيها عن تاريخ العلاقات اليمنية ــ السودانية، ثـم انتقـل إلى مدنـي، قاعدة النضال اليمني، فاحتفى به اليمنيون، أيما احتفاء، ولبى دعوتهـم في الإحتفـال به في مدينتهم، فحضر الحفل كبار الشخصيات السودانية، أمثال أحمد خير المحامي، الذي أصبح، فيما بعد، وزيراً لخارجية السودان، وزيادة أرباب، الذي أصبح، فيما بعد، وزيراً للتربية والتعليم في السودان، وحسين علي كرار، محافظ مديرية الجزيرة، وأمين أحمد حسين، رئيس شرطة محافظة الجزيرة، والشـاعر أحمـد مصطفـى الملثـم، والشاعر مبارك المغربي، اللذان ألقيا الشعر، في الترحيب بالزبيري، فما كان منه إلا أن ارتجل أبياتاً من الشعر، ذكر فيهـا مكـارم أخـلاق السـودانيين.. كمـا مهـد لـه الأحرار اليمنيون في السودان، والشرفي في مقدمتهم، الالتقاء بالزعامـات السياسـية في السودان، مثل السيد عبد الرحمن المهدي، والسيد علي الميرغني، والسـيد خضـر حمد الخ.. وقد حاول الزبيري، من خلال هذه اللقـاءات، تسـهيل معيشـة اليمنيـين بالسودان.

واتبع الزبيري تلك الزيارة بزيارة ثانية للسودان، تكون، رسمياً، خلالهـا فـرع السودان من الاتحاد اليمني، وهو التنظيم السياسي لأحـرار اليمنيـين. وتشـير بعـض المصادر(١٠) إلى زيارة ثالثة للزبيري إلى السودان، استضافه فيها عدد من المهـاجرين هناك، مثل سعد التويتي، وأحمد ناصر الشامي، وعبد الله الخولاني.. وكـان الغـرض من هذه الزيارة الثالثة، على ما يبدو، اصلاح ما أفسـدته زيـارة للسـودان قـام بهـا منشقون عن حركة الأحرار، هما محمد الرباعي، وابراهيم علي الوزير(١١).

وكان من ثمار هذه الزيـارات المتلاحقـة للزبـيري وزيـارات أخـرى للنعمـان الأب، والشيخ الحكيمي، رحمة الله عليه، أن تنبه أعداء الثورة من زبانية السـلطة في تعز، إلى المكاسب الكبيرة التي تحققت للإتحاد اليمني في السودان، والتي مهد لكثـير

---

(١٠) عبد الرحمن محمـد العمراني، **الزبـيري أديـب اليمـن الثـائر**، مركـز الدراسـات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

(١١) **المصدر نفسه.**

منها الشرفي، فقد ارتبط المهاجرون اليمنيون في السودان بأحداث الوطن، وباخوانهم المهاجرين في مصر، وبريطانيا، وباخوتهم المقيمين في عدن. وأسهمت مالية فرع الاتحاد اليمني بالسودان في الانفاق على المزيد من الطلبة اليمنيين في مصر. وطبعت في السودان كثير من المنشورات، والكتابات، والقصائد، التي تدخل ضمن أدبيات الإتحاد اليمني، مثل كتاب (أنقذوا اليمن)، للشرفي نفسه، وطبعة أخرى من كتاب (مأساة الواق الواق)(١٢)، للزبيري، ومن هذا الكتاب للزبيري نقتطف قولاً، غاية في الأهمية وبالغ الحساسية.. يقول الزبيري: (من هم الأحرار في المهاجر، لو أسقطنا الأبطال الهاشميين منهم في الوطن، أو في المهجر، خصوصاً في بورتسودان)!

كذلك أنفق الشرفي على طبع كتاب (معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن)، للشاب الوطني محسن بن أحمد العيني، خريج كلية الحقوق بجامعة القاهرة، والذي أذكر أنه حضر للسودان لزيارة أبيه الروحي، الشرفي الأب، عندما تعرض هذا لوعكة صحية، في السبعينات. وأصبحت صحيفة (صوت اليمن)، لسان حال الإتحاد اليمني، تصل، بانتظام، إلى المهاجرين اليمنيين في مدن السودان المختلفة، وساندتها في ذلك صحيفة صدرت عن الجاليةاليمنية في مدينة بورتسودان اسمها (الأفق)، ولكنها ما لبثت أن توقفت. وقامت مالية الجالية اليمنية بالسودان، والتي كان الشرفي يجزل لها العطاء، بنقل ثلاثة من أولاد علي الوزير إلى مصر، بعد حضورهم من عدن إلى السودان، برفقة النعمان الأب، وقد تزامن ذلك مع زيارة الزبيري للسودان(١٣).

---

(١٢) محمد محمود الزبيري، **مأساة الواق الواق**، دار العودة، بيروت، مايو ١٩٧٨م. تاريخ تأليف الكتاب عام ١٩٥٩م.

(١٣) انظر وثائق الشرفي، وضمنها رسالة من الشرفي لمحسن أحمد العيني، **حول أحوال اليمانية في السودان**، بتاريخ ١ نوفمبر ١٩٥٣م.

لقد أصبح فرع السودان من الاتحاد اليمني من أنشط الفروع، على الإطلاق، في تلك المرحلة من عمر التحدي، مع نظام التخلف في اليمن، ولقد كتب الصحفي السوداني، أحمد سنجر، في صحيفة (صوت السودان)(١٤)، يحث المهاجرين اليمنيين بالسودان للعودة إلى جنوب بلاد اليمن لمحاربة الإستعمار الإنجليزي الذي كان قد غادر السودان للتو.

ويذكر المعاصرون لحياة الزبيري في السودان أنه تعرض لعدد من المضايقات من قبل زبانية الإمام في السودان، فجرت محاولة للإعتداء عليه، في جامع الخرطوم بحري، وفي زيارته الثانية إلى السودان، برفقة المناضل الأستاذ أحمد محمد هاجي، الذي جند قلمه للكتابة في الصحف السودانية، عن حقيقة الأوضاع في اليمن، تعرض الزبيري لمحاولة للإعتداء عليه في فندق البحر الأحمر، في مدينة بورتسودان، على يد رجل يمني، يدعى محمد عبد ربه، والمعروف بأبي حمراء. وهنا نورد وثيقة من وثائق الشرفي، عن تلك الحادثة:

حضرة صاحب السعادة السيد أمين أحمد حسين

مدير الأمن العام

نحن هنا نستطيع أن نؤكد أن هذه المؤامرة الدنيئة، دبرت في الخرطوم، عقب استحارة الحكومة السودانية لرجاء ابعاد ذلك الرجل عن السودان ـ الزبيري ـ بما له من مكانة. ولقد أرسل من الخرطوم من يقوم بتنفيذها بايعاز من ممثل حكومة المملكة المتوكلية اليمنية، صلاح المصري، وكان على رأس هذه العصابة، شخص، يدعى أبو حمرا، وهو طريد العدالة، وحكم عليه، غيابياً، بشرق الأردن، في جريمة قتل، وقد أودى بحياة أبرياء كثيرين، لأنه محترف للإجرام الجنائي، ولا يعيش إلا عليه، ثم سافر الحجاز، بطريق الأردن، ليقوم بتنفيذ مؤامرة، لكنه فشل، وعذب، ثم سافر إلى الحبشة، فلم تقله الجاليات اليمنية هناك، لخطورته، فعاد إلى اليمن،

---

(١٤) **صوت السودان** (الخرطوم) بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٥٧م.

وارتكب جريمة قتل غامضة، فر على إثرها للسودان، عـام ١٩٥١م، وهـو يتظـاهر ببيع الصعود (التمباك، أو السفة، أو الشمة).

يحيى حسين الشرفي

كما شرحت الرسالة كيف أن أحمد محمد الباشا غلب على أمره، واغتصب صلاح المصري وظيفته في سفارة اليمن بالخرطوم. وقد حملت مثل هذه الوثائق إلى السيد صلاح المصري، فنفى عن نفسه كل هذه التهم، وقال إنـه، في الواقـع، دفـع السلطات السودانية إلى سجن أبي حمرا، نتيجة لكونه شزير... أما الأخ قائد نـاصر العماري، والذي التقيت به، شخصياً، في صنعـاء، فـأكد أن سـجن أبـي حمـرا إنمـا كان عقاباً، لمحاولته الإعتداء على الزبيري.

كذلك أخبرني السيد صلاح المصري أن الإمام أحمد أصدر قراراً بالإسـتغناء عن الباشا، والذي كان هو والمصري قد أسسـا الوكالـة المتوكليـة، عـام ١٩٥٥م، بالخرطوم. وقد ظـل المصـري بهـا، حتـى مـا قبـل ثـورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، في اليمن.. عندما اختلف هناك مع سفير جديد، هو الدكتور عبد الرحمن البيضاني!

ويشـير الأخ حمـود الشـامي[١٥] إلى عملـه في السـفارة اليمنيـة بـالخرطوم، كسكرتير أول، مباشرة، بعد ذلك، وما بين ١٩٦٣م و١٩٦٦م.

وكان من زملاء الشرفي في مدني أحد الأحرار اليمنيـين، سـعد سـعيد أنـور المعمري، والذي أبـرق، في تـاريخ ٩ يوليـو ١٩٥٧م، ببرقيـة استفزازية إلى الإمـام أحمد. تقول البرقية:

صاحب الجلالة الحاكم الفردي إمام اليمن المحترم

لا شك يا صاحب الجلالة بأن مجيئكم إلى مدينـة الحديـدة، بتـاريخ ٧ يوليـو

(١٥) حوار في صحيفة **الوحدة** (صنعاء)، بتاريخ ١٤ اكتوبر ١٩٩٢م، العدد ١١٩.

١٩٥٧م، كان سبباً في حريقها، في ٩ يوليو ١٩٥٧م، وكما يقال إنما الأعمال بالنيات. وعليه فلا يسعنا إلا أن نعزي الشعب اليماني المنهوب المنكوب.

فرد عليه الإمام أحمد بهذه البرقية:

من إمام اليمن المعظم أحمد يحيى حميد الدين إلى المعمري

لعلك لا تعرف شيئاً، ولهذا فإن شعبك يستحق التعزية لأنك منه.

ونأتي، أيضاً، إلى ذكر هذا المعمري في أحداث جرت بعد ذلك بسنتين، أي في عام ١٩٥٩م، خلال حكم الرئيس السوداني، الفريق ابراهيم عبود، فحينئذ، أوعزت حكومة المتوكلية اليمنية إلى الحكومة السودانية بابعاد أربعة من مناوئيها من الأحرار اليمنيين في السودان، هم الشرفي، والمعمري، وعبد الله غيلان أحمد، وقائد ناصر العماري، كمقدمة لإبعاد خمسة وثمانين من هذه العناصر الثورية بتهمة ممارسة نشاط معاد لبلادهم في السودان. وكانت حكومة عبود قد بدأت بمضايقة الشرفي، أولاً، بمنعه من ممارسة النشاط التجاري، الذي كان يعيش عليه، ثم بعد ذلك أصدر وزير داخلية السودان، بالفعل، قراراً بإبعاد الأربعة عن السودان، وتسليمهم لحكومة بلدهم، بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٥٩م(١٦). لكن التظاهرات المؤازرة بالتأييد الشعبي العارم من الشارع السوداني، ما لبثت أن أجبرت وزير الداخلية على العودة عن قراره، بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٥٩م، بعد أقل من أسبوع من ذلك القرار الطائش(١٧). وقيل، يومئذ، أن الحكومة السودانية قد منحت جنسيتها لهؤلاء الأربعة. وقد عارض القرار، اضافة إلى الشارع السوداني والمهاجرين اليمنيين بالسودان، شخصيات مثل: وزير الخارجية المحامي أحمد خير، والدكتور ابراهيم عباس أبو الريش، وأقلام صحفية، مثل، عبد العزيز حسين، ومحمد أمين حسين، ومحمد جاد الكريم، صهر الشرفي. كما نشرت صحيفة

---

(١٦) **الرأي العام** (الخرطوم) بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٥٩م.

(١٧) **الصراحة والزمان** (الخرطوم)، ٢٨ ابريل ١٩٥٩م.

(الزمان) السودانية شكراً من الزبيري، والنعمان للسودان، للعودة عن قرار الإبعاد.

ويشير السياسي اليمني الراحل، حسين محمد المقبلي(١٨) إلى أن الإتحاد اليمني قد كلفه، هو وزميله أحمد الخزان، بزيارة للسودان، للقيام بتجنيد عدد من المهاجرين هناك، كنواة فدائية تقوم محل الجناح العسكري للإتحاد اليمني. وقد وجدوا تعاوناً من حكومة السودان، فسمح لهما باستخدام إذاعة أم درمان، لمناوءة الإمام أحمد. ويذكر المقبلي أن ممثلي الإمام قصدوا الإسكندرية، للقاء الزعيم السوداني، اسماعيل الأزهري، ليدفعوا به إلى إصدار أمر بابعاد المقبلي، والخزان، عن السودان، لكن مساعيهم خابت، واتصلا بالشرفي هناك.

كما عثرت بين وثائق الأخ قائد ناصر المعماري، في مدني، على رسالة، تعود إلى تاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٤م، وجهها الفنان اليمني، اسكندر محمد ثابت، من القاهرة إلى اليمنيين، في مدني، يدعوهم أن يكتبوا لإذاعة مصر، ببث نشيد له، اسمه نشيد اليمن، وأنه بصدد تسجيل نشيد آخر للإذاعة المصرية، بعنوان نشيد الحرية. وقد أسهم هذا الفنان كثيراً في مناوءة المستعمر الإنجليزي، والحكم المتوكلي في اليمن، من خلال استقراره بالقاهرة.

ومن أبرز المناضلين اليمنيين بالسودان، المرحوم صالح السلامي، الذي توفي في مطلع التسعينات، في صنعاء، وكنت جلست إليه، وسجلت فيمن سجلت أسماء للمهاجرين اليمنيين، الذين عاشوا في السودان، وجعلوا منه بأكمله، وليس فقط مدينة مدني قواعداً للإتحاد اليمني أمثال ضيف الله الأبيض، وعبد ربه الصياد، وعلي محمد ناصر العرامي، وأحمد ناصر الشامي، في الخرطوم، ويحيى صالح العرامي، ومحمد عبد الوهاب الفاتش، وطاهر جبران عمران، ومحمد جبران عمران، وناجي العرامي، ومحمد علي النجيمي، في كسلا، والعرامي، في عطبرة، وسعد النوبي، والربيع، في مدني.

---

(١٨) حسين محمد المقبلي، **مذكرات المقبلي**، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.

ولكن هل يسير الحديث عن **الأحرار اليمنيين بالسودان** إلى الإكتمال، بدون التوقف مع أحرار بورتسودان، الذي ذكرهم الزبيري، تحديداً، في كتابه (مأساة الواق الواق)، وعلى رأسهم السيد حسين عبد الله الحسني (عشيش)، الذي مازال، في حفظ الله وصونه، وقد بلغ من السن عتياً.

إنه يقف نداً للشرقي، كأحد أهم أحرار اليمن بالسودان، وهو الذي بدأ اهتمامه بالعلم والتعليم، منذ بداية حضوره إلى بورتسودان. فقد ذكر الأديب اليمني، الأستاذ عبد الله البردوني[١٩]، في كتابه (الثقافة والثورة في اليمن)، أن الحسني، والشيخ علي يحيى الهمداني، كانوا أعيان اليمانية بشرق السودان، وكانوا مولعين بالأبراد، وبارسال الكتب إلى مثقفي صنعاء، وتعز، وذمار، منذ منتصف الأربعينات. وأسس الحسني أول جالية يمنية في بورتسودان، عام ١٩٥١م، وأصبح رئيساً لها ولناديها، الذي اتسم بالإهتمام بالعلم، والتعليم، شأن صاحبه، فقام الحسني بمحو أمية ثلاثة آلاف يمني مهاجر، بشرق السودان، خاصة في بورتسودان، كانوا ضمن المسجلين في الجالية؛ فنجح في ذلك، إلى حد كبير، واصبح النادي اليمني في بورتسودان يشهد مدرسة ليلية ومناظرات أسبوعية؛ وبدأ الحسني وزملائه، في بورتسودان، باصدار صحيفة (الأفق)، ذات الطابع الثقافي الإجتماعي؛ والتي آزرت حركة الأحرار إلى درجة دفعت بالحكيمي والنعمان إلى الإشادة بها، خلال ترددهما على بورتسودان. وإذا كانت الجالية اليمنية اليوم، في بورتسودان، لا تزيد على ثلاثمئة شخص، بعد أن توجه الشباب عائدين إلى اليمن، أو مهاجرين من جديد في دول الجزيرة، والخليج العربي؛ لطلب الرزق فإن شخصية وطنية وفكرية يمنية مازالت تنتظر هناك على شاطيء البحر الأحمر من ينصفها من مزوري التاريخ، وما أكثرهم، في بلادنا.

ولا شك أن سطور الوفاء، التي كتبها علوي محمد الجبلي في صحيفة (٢٦

---

(١٩) مصدر ٦.

سبتمبر)، عن المناضل الخضر أحمد صالح البعسي؛ والذي ولد بالسودان لأبوين يمنيين، وأسهم اسهاماً جريئاً في حركة تحرير اليمن من الإستعمار، والإمام تدلنا على الإسهام الأشمل، الذي كان لشباب الجالية اليمنية بالسودان عند قيام ثورة سبتمبر، وثورة اكتوبر؛ وقد فسرنا بهذه الظاهرة تناقص عدد اليمنيين بالسودان منذ ذلك الحين؛ فما أكثر من انخرط منهم في صفوف الدفاع عن الجمهورية، والإنتصار لها من نظام التخلف البائد.

ونعود إلى مذكرات الأخ حمود الشامي؛ فنجد أنه أول ما تسلم السفارة اليمنية الجمهورية في الخرطوم، قام باستبدال جوازات السفر المتوكلية، والتابعة لمحميات عدن من السلطنات على السواء، بالجوازات الجمهورية، وأشرف على إنتخاب أول جالية يمنية في عهد الجمهورية باليمن، وهيئتها الإدارية، فتمكن بسبب ذلك من ممارسة نشاطات التوعية، ومقارعة أكاذيب الملكيين، ومحو الأمية، وارسال تبرعات التجار؛ والميسورين، إلى خزانة الجمهورية في صنعاء.

وحتى حينما جاء الزبيري لزيارة السودان للمرة الرابعة، بعد قيام الجمهورية العربية اليمنية، في ٣،٢ نوفمبر من عام ١٩٦٤م في، جبيت باركويت بشرق السودان، لحضور المصالحة الوطنية بين الفصائل اليمنية المتناحرة، يومئذ، في شمال اليمن كما ذكر رئيس وزراء السودان الراحل الشاعر المهندس محمد أحمد محجوب؛ في كتابه (الديمقراطية في الميزان)، دفع حمود الشامي بالمهاجرين اليمنيين إلى الذهاب إلى اركويت للتعبير عن الرفض للمصالحة مع الملكيين؛ لكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى نقطة الملتقى(٢٠).

وختاماً لا ننسى بأن السودان كان عضوا اللجنة الثلاثية التي انبثقت عن مؤتمر القمة العربي بالخرطوم عام ١٩٦٧م من أجل حل المشكلة اليمنية. وأن مكتباً لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل (فلوسي)، قد أنشيء بالخرطوم عام ١٩٦٦م،

---

(٢٠) مصدر ١٥.

- كشف بأسماء طلبة رواق اليمن بالأزهر الشريف سنة ١٩٤٤م، المنفق عليهم من قبل الشرفي الأب.

كشف بأسماء طلبة رواق اليمن وما خص كل واحد منهم من الثمانية عشر جنيها مصرية المرسلة لهم من حضرة المحترم الشيخ يحيى الشرفي بالإمداد

م	الاسم	ص	م	التوقيع	م	الاسم	التوقيع	م	ص
١	علي حريبي	٥٤	٥	علي حريبي	١٨	محمد صالح السري	محمد صالح السري	٥	٥٤
٢	محمد علي الأصول	٥٤	٥	[ختم]	١٩	احمد عبد الرحمن الجفري	احمد عبد الرحمن الجفري	٥	٥٤
٣	ابراهيم محمد	٥٤	٥	[ختم]	٢٠	محمد علي الجفري	محمد علي الجفري	٥	٥٤
٤	احمد محمد مسلم	٥٤	٥	احمد محمد مسلم	٢١	يحيى احمد باره	يحيى احمد [illegible]	٥	٥٤
٥	محمد سالم باوزير	٥٤	٥	[ختم]	٢٢	محمد احمد الوشلي	محمد احمد الوشلي	٥	٥٤
٦	احمد [illegible] سعيد	٥٤	٥		٢٣	عبد الرحيم عبد الرحمن محمد	عبد الرحيم عبد الرحمن السلالي	٥	٥٤
٧	[illegible] منصر	٥٤	٥	[ختم]	٢٤	احمد الصوفي	احمد محمد الصوفي	٥	٥٤
٨	علي عثمان سالم	٥٤	٥	[ختم]	٢٥	احمد عبد الله القوسي	[ختم]	٥	٥٤
٩	محمد حسن الأصول	٥٤	٥	[ختم]	٢٦	عبد اللطيف علي حريبي	[illegible] علي حريبي	٥	٥٤
١٠	عبد الله احمد عبد الله	٥٤	٥	عبد الله احمد عبد الله	٢٧	عبد القادر جعفر	عبد القادر جعفر	٥	٥٤
١١	احمد محمد فارع	٥٤	٥	احمد محمد فارع	٢٨	محمود عبد الله مهدي	محمود عبد الله	٥	٥٤
١٢	حسن ابو بكر	٥٤		حسن ابو بكر [illegible]	٢٩	سلام فارع	[ختم]	٥	٥٤
١٣	محمد علي حريبي	٥٤	٥	[illegible]	٣٠	محمد سيف عقلان	محمد سيف عقلان	٥	٥٤
١٤	اسماعيل عبد الله	٥٤		[ختم]	٣١	علي علي [illegible]	[ختم]	٥	[illegible]
١٥	محمد عمر عبد الوهاب	٥٤	٥	محمد عمر عبد الوهاب	٣٢	عبد الله حسن عمر	عبد الرحمن عمر	٥	٥٤
١٦	علي حيدر محمد	٥٤	٥	علي حيدر محمد			محمد [illegible]		
١٧	علي حسين الوادعي	٥٤	٥	علي حسين الوادعي					

حضرة عزيزي المحترم الوجيه المحسن الكبير الغيور على أبناء وطنه الشيخ يحيى حسين الشرفي بارك الله تعالى في حياته وأدام سعده وبلغه مراده وحفظه بعين رعايته آمين

بعد من يد وشرف السلام على الجناب الرفيع وصلني جوابكم الكريم رقم ١٧/٣/١٩٤٤ وسررت به كثيرا وحمدت الله على دوام عافيتكم وإني أشكركم عزيزي على ما بذلتموه من الهمة العالية لجمع التبرعات لطلبة العلم بالأزهر الشريف اليمنية والجميع يا أخي يدعون لكم بلسان واحد ويشكرون فعلكم المشكور عند الله وعند رسوله وقد سررت أيضا بكتابكم للجنة على يحيى وغيره وأسأل الله الكريم أن تكونوا بكمال العافية والخير الكثير ويسعدكم في دينكم ودنياكم وعافيتكم ويجمعنا بكم على أحسن حال وختاما سلامي على حضرتكم وجميع الإخوان سيدي ذكرت أننا نكلم السيد حسين الكبسي مندوب جلالة أمير المؤمنين يحيى الإمام [illegible] الطلبة لا يخفاكم أن مولانا الإمام شديد على إخراج الفلوس واعتقاده أن [illegible] العلم في اليمن مسلم في العقيدة والمحافظة على الدين حتى أنه ما يمكن أن يرسل لواحد رسمي للطلبة [illegible] من شباب اليمن [illegible] السيد حسين الكبسي طيب جدا وقد قابلناه مرارا نعم [illegible] أظل [illegible] الإمام عن إرسال [illegible] لطلبة العلم بالأزهر [illegible] [illegible] بخير وعافية [illegible]

(من وثائق الشرفي بمركز الدراسات والبحوث اليمني في صنعاء)

لمناوئة المستعمر الإنجليزي في عدن، وكان يـرأس المكتـب الأستاذ عبـد الله حسـن خليفة.

ولعله من الجدير بالذكر أن أذكر القراء بمقالة هامة، كتبها الأستاذ والمناضل اليمني محمد أحمد الرعدي منذ سنوات[21]، في صحيفـة (٢٦ سبتمبر) بصنعـاء إذ عرض فيها رسالة بخط الزبيري والنعمان إلى الشرفي، في مدني ينادونـه فيهـا بلقـب أبي الأحرار اليمنيين؛ ويذكرونه بضرورة تحويل مدنـي إلى المركـز الرئيسـي لحركـة الأحرار اليمنيين كما سبق واتفق معهما؛ **لا سيما أن الحركة الوطنية اليمنية كـانت** في بعض ذلك الوقت قضية يزايد بها الزعماء على بعضهم البعض. **أليس كذلك؟**

---

(٢١) مقالة للرعدي في صحيفة **٢٦ سـبتمبر** (صنعـاء) بتـاريخ ١٠ سـبتمبر ١٩٨٧م، العدد رقم ٢٥٦، وهو، اليوم، سفير صنعاء لدى الخرطوم.

انظر كذلك:

ـ **مذكرات الدكتور عبد الله حسين بركات**، سفير صنعاء في الستينات لدى الخرطـوم ـ معدة للنشر.

ـ **٢٦ سبتمبر** (صنعاء) بتاريخ ١٧ اكتوبر ١٩٩١م، العدد ٤٦٨، حول حركة الأحرار اليمنيين في السودان.

ـ محمد أحمد محجوب، **الديمقراطية في الميزان**، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣م.

﴿ الفصل الخامس ﴾

أواصر الفنون

فنانون سومانيون:

(١) الطيب عبد الله: ولد بالسودان، لأب يمني، وأُم سودانية. عرف كملحن، ومطرب مرموق في السودان. حاول الإستقرار في اليمن، فلم يفلح.

(٢) ناجي القدسي: ولد بالسودان، لأب يمني وأُم ارترية. عرف كملحن كبير في السودان، ثم عاد، واستقر في صنعاء، منذ الثمانينات، فغيَّر اسمه إلى ناجي الهيثمي. وأراد أن يشق طريقه في الفن، في صنعاء، فأخفق. داهمه المرض النفسي، وقيل العقلي، فمنعه من أن يتبوأ مكانة في الطرب اليمني. التحق، مؤخراً، بالطريقة الصوفية البرهانية، وصار من دراويشها، في اليمن.

(٣) عثمان عبد الرحمن علي حسين اليمني: ولد بالسودان، لأب يمني، وأُم سودانية. عرف كمطرب كبير، وعازف على آلة الطمبور.

(٤) جيلاني محمد عبد الله الشيخ: ولد بحضرموت، لأب سوداني، وأُم يمنية. وكان أبوه يعمل مدرساً في حضرموت. برع في التلحين، والعزف على الكمنجة.

(٥) حجازي علي ناصر: ولد بالسودان، لأب يمني، وأُم سودانية. كوميديان، وممثل مسرحي.

(٦) حسين عثمان بازرعة: من أُسرة بازرعة اليمنية، في شرق السودان. ولد بالسودان، ونبغ في كتابة شعر الأغنية السودانية. جاء، في السيتنات، إلى حضرموت، يبحث عن أصوله، وكتب في اليمن الشعر. اعتزل كتابة شعر الأغنية، منذ فترة، واستقر في مدينة جده، بالمملكة العربية السعودية.

(٧) حسين السيد: ولد بالسودان لأب يمني وأُم سودانية. احترف الغناء، في صباه، في السودان، وكان قائداً لفرقة موسيقية شبابية العناصر، وتستخدم آلات الموسيقى الأوربية، وكان يتنقل بها بين المدن والقرى. برع كقاص في عدن.

(٨) سعيد عبد الله المحمدي: ولد بالسودان، لأب يمني حضرمي، من وادي المحمدين، عام ١٩٥٩م، في مدينة بورتسودان. سجلت له خمسة عشر أُغنية بتلفاز واذاعة أُم درمان. عاد إلى حضرموت، عام ١٩٩٠م، وحاول التواصل الفني مع عميد الأغنية الحضرمية، السيد حسين أبو بكر المحضار، فلم يوفق. تأثر في فنه السوداني الطابع بالفنان عثمان حسين، والفنان زيدان ابراهيم.

(٩) أحمد عوض ريشة: ولد بالصومال، لأي يمني، وأُم صومالية. نشأ بالسودان، ونال شهادة من معهد الموسيقى، والمسرح بالخرطوم. برع في التلحين والغناء الصومالي، واليمني، والسوداني. استقر، منذ سنوات، في أبي ظبي.

(١٠) محمد عبده العراسي: ولد بالسودان، لأب يمني، وأُم سودانية. برع في أداء الأغنية السودانية، وقلد الفنان السوداني، محمد وردي. استقر بصنعاء، منذ فترة وجيزة.

(١١) محمد سعيد باجسير: يروي لي المؤرخ السوداني، محفوظ عمر باشري، أن باجسير من أسرة حضرمية، سكنت بشرق السودان، وأنه كان يقرض شعر الأغنية.

(١٢) علوي محمد الجبلي: ولد ببورتسودان، لأب يمني، وأُم سودانية. كتب في الصحافة الفنية بمصر، يمتدح فن الفنان اليمني، محمد مرشد ناجي. وصار رئيساً

لرابطة الفنانين بشرق السودان. رعى بازرعة موهبته، في كتابة شعر الأُغنية. اشتغل بالصحافة واستقر، منذ سنوات، يعمل بها، في أبي ظبي.

(١٣) محمد ناجي: من أب يمني، وأُم سودانية، ويعد مغني أغاني الحقيبة بالسودان، الأول في الفرقة الموسيقية السودانية بصنعاء.

(١٤) آدم الحاج: من أب يمني وأُم سودانية. مطرب بالفرقة الموسيقية السودانية، بصنعاء.

(١٥) أحمد محمد الجبلي: من أب يمني، وأُم سودانية. يعمل بالصحافة، ويعد من أحسن من يقلد غناء المطرب السوداني، محمد وردي.

(١٦) أحمد العدادي: فنان يمني شاب عاش بالسودان، وتزوج فيها، وبرع في الغناء اليمني التراثي، والسوداني، على السواء.

اغنيات سومانية

- ١ - أُغنية (مراهقة)(١)

شعر: لطفي أمان

لحن وغناء: حمد الريح

منع الفنان الريح من تسجيلها لإذاعة أُم درمان لجرأة كلماتها.

- ٢ - أُغنية (روعة تعز)

شعر: محمد أحمد سوركتي

لحن وغناء: محمد صالح شوقي

بها توظيف للسلم الخماسي

- ٣ - أُغنية (يا حديدة)

(١) لطفي أمان، **على الدرب الأخضر**، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

شعر: محمد أحمد سوركتي

لحن وغناء: محمد صالح شوقي

ـ ٤ ـ نشيد (هتاف الطلائع العربية)

شعر: ابراهيم الكامل محمد أحمد

لحن وغناء: كرامه مرسال

ـ ٥ ـ أغنية (تعبنا معاك)

شعر: محمد مجذوب علي

لحن وغناء: صديق أحمد

ـ ٦ ـ نشيد (عاش الشعب)

شعر: محمد مجذوب علي

لحن وغناء: صلاح ابن البادية

كتبت ولحنت، في عدن، عام ١٩٦٣م، بمناسبة ثورة اكتوبر السودانية.

ـ ٧ ـ نشيد (الوحدة اليمنية)

شعر ولحن وغناء: معتصم الأزيرق

السلم خماسي

ـ ٨ ـ أغنية (إخلاص)

شعر: عبد الرحمن الريح

لحن وغناء: محمد جبران

السلم خماسي

ـ ٩ ـ أغنية (هدهد سبأ)

شعر: محمد أحمد سوركتي

لحن: بشير عباس

- ١٠ - نشيد (لشعبي هذا النشيد)[٢]

شعر: محمد حسين الجحوشي

لحن وغناء: محمد وردي

- ١١ - مقطوعة موسيقية (أمينة)

لحن: أحمد قاسم

من وحي الخرطوم

- ١٢ - أُغنية (حبيبي له جمال)

شعر: أحمد شريف الرفاعي

لحن وغناء: اسكندر محمد ثابت

توظيف حماسي

- ١٣ - أُغنية (يازهر)

شعر ولحن: محمد مجذوب علي

- ١٤ - أُغنية (طمعان في ليلة)

شعر ولحن: محمد مجذوب علي

- ١٥ - أُغنية (شرفة الأشواق)

شعر: عبد الصمد عبدْ الجبار ردمان

لحن: ناجي القدسي

توظيف للسلم السباعي

- ١٦ - أُغنية (نهاية حب)

شعر: محمد عبد الله الشيخ

لحن وغناء: أبو بكر سالم بلفقيه

قيلت في فتاة حضرمية، في غيل باوزير، أواخر الخمسينات. منها:

---

(٢) محمد حسين الجحوشي، **ما لم تقله الغيوم**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م.

التقينا وافترقنا أبديا

فأراها كخيال وكحلم وسراب

- ١٧ - أُغنية (يا صديق مالك مشغول بالك)

شعر: د. مبارك حسن الخليفة

لحن وغناء: مهدي قباس

سبق للفنان السوداني، سيد خليفة، تلحينها

- ١٨ - أُغنية (من نظرتك يا زين)

شعر: محمد عبد الله الشيخ وأبو بكر سالم بلفقيه

لحن: أبو بكر سالم بلفقيه

غناء: نجاح سلام

يروي لي الفنان جيلاني، وهو ابن الشاعر محمد عبد الله الشيخ، المدرس السوداني، الذي عاش بحضرموت، وأنجب جيلاني من أُم حضرمية، بأن كلمات هذه الأُغنية، أساساً، من تأليف والده، زمن اقمته بعدن. لكن الديوان الذي يزمع الفنان بلفقيه إصداره من كلماته، أيضاً، يضم نفس القصيدة. ومن قصيدة أُخرى للشاعر الشيخ، المكتوبة بحضرموت:

يا مسحها

يا دافىء الألوان

يا حريقي

المسح: ثوب المرأة في حضرموت.

- ١٩ - أُغنية (أغلى الهدايا) للطفل

شعر: محمد مجذوب علي

لحن: يحيى محمد مكي

- ٢٠ - أُغنية (السهر بطال علينا) للطفل

شعر: محمد مجذوب علي

لحن: يحيى محمد مكي

- ٢١ - أُغنية (لا تهملوا الأطفال) للطفل

شعر: محمد مجذوب علي

لحن وغناء: حسن محمد فقيه

- ٢٢ - أُغنية (من زمان)

شعر: محمد مجذوب علي

لحن وغناء: أحمد أحمد قاسم

- ٢٣ - أُغنية (تسألني عن حالي)

شعر: محمد مجذوب علي

لحن وغناء: حسن محمد فقيه

- ٢٤ - أُغنية (وأنا الأُمي أبصم)

شعر: محمد مجذوب علي

لحن وغناء: محمد سالم بن شامخ

- ٢٥ - أُغنية (هوه)

شعر ولحن وغناء: فرسان عبد الله خليفة

السلم خماسي

- ٢٦ - أُغنية (أُحبك وأنت تتكبر)

شعر: قيس غانم نعمان

لحن وغناء: فرسان خليفة

السلم خماسي

- ٢٧ - أُغنية (أطفال حارتنا) للطفل[٣]

(٣) د. مبارك حسن الخليفة، **الرحيل النبيل**، مؤسسة ١٤ أكتوبر، عدن، ١٩٨١م.

شعر: د. مبارك حسن الخليفة

لحن وغناء: علوي الكاف

- ٢٨ - نشيد (مقاطع للوطن)(٤)

شعر: د. مبارك حسن الخليفة

لحن وغناء: علوي الكاف

- ٢٩ - أُغنية (دودحية)(٥)

شعر: محمد مجذوب علي

لحن وغناء: علوي الكاف

- ٣٠ - أُغنية (يا حبيب يسعد صباحك)

شعر: أحمد شريف الرفاعي

لحن: أحمد قاسم

غناء: صباح منصر

توظيف حماسي

- ٣١ - نشيد (موطني)

شعر: لطفي جعفر أمان

لحن: خالد صوري

سلم حماسي

- ٣٢ - أُغنية (مرثية للطفي أمان)

شعر: أحمد الجابري

لحن خالد صوري

سلم حماسي

---

(٤) المصدر نفسه.

(٥) محمد مجذوب علي، **قمري والمد والجزر**، دار الهمداني، عدن.

- ٣٣ - أُغنية (وربي)

شعر: لطفي أمان

لحن: خالد صوري

سلم خماسي

قدمها لطفي للفنان محمد وردي، في عدن، عام ١٩٦٣م، فلم يلحنها وردي، وإنما لحنها خالد صوري، على السلم الخماسي، ثم اشتهر لحنها الآخر للفنان، أحمد قاسم(٦).

- ٣٤ - أُغنية (الصباح الجديد)

شعر: ابو القاسم الشابي

لحن وغناء: جمال محنش

السلم خماسي

- ٣٥ - أُغنية (أنا في عينيك)

شعر ولحن وغناء: جمال محنش

السلم خماسي

- ٣٦ - أُغنية (أنا وأنت والليل)

شعر: علوي محمد الجبلي

لحن وغناء: صالح الضي

- ٣٧ - أُغنية (عبث شباب)

شعر: علوي محمد الجبلي

لحن وغناء صالح الضي

- ٣٨ - نشيد (سبتمبر ٢٦ شمس الثورة الوهاجة)

---

(٦) انظر مقالة لعلوي الجبلي في صحيفة (**اليقظة**) العدنية بتاريخ ١٥ اكتوبر ١٩٦٣م.

شعر: محمد باب الله عبد الوهاب

لحن وغناء: حسن محمد فقيه

- ٣٩ - أغنية (خلق ربي الجمال وأبدع)

شعر: محمد باب الله عبد الوهاب

لحن وغناء: سعيد عبد الله الشعوي

- ٤٠ - أُغنية (نهيتك عن هواك)

شعر:..... مجهول

لحن وغناء: رفيق محمد أحمد

السلم خماسي

- ٤١ - أغنية (انساه يا قلبي الحزين)

شعر: جميل محمد أحمد

لحن وغناء: رفيق محمد أحمد

السلم خماسي

- ٤٢ - أُغنية (أُحب فيك الدلال)

شعر: جميل محمد أحمد

لحن وغناء: رفيق محمد أحمد

السلم خماسي

- ٤٣ - أُغنية (على النيل)

شعر: صالح علي مغلس

لحن وغناء: رفيق محمد أحمد

السلم خماسي

- ٤٤ - أُوبريت (اليمن)

شعر: د. مبارك الخليفة

لحن:محمد المحسني

ـ ٤٥ ـ أُغنية (قلبي على اليمن)

شعر: د. مبارك الخليفة

لحن وغناء: نجيب سعيد ثابت

ـ ٤٦ ـ نشيد (الوحدة)

شعر: د. مبارك الخليفة

لحن: يحيى مكي

ـ ٤٧ ـ أُغنية (حب لليمن)

شعر: د. مبارك الخليفة

لحن وغناء: خالد محمد علي

ـ ٤٨ ـ أُغنية (بادلونا)

شعر: علوي محمد الجبلي

لحن: برعي محمد دفع الله

ـ ٤٩ ـ أُغنية (بشوف المسافر)

شعر: علوي محمد الجبلي

لحن وغناء: محمد وردي

ـ ٥٠ ـ (حصاد شعب)(٧)

شعر: محمد مفتاح الفيتوري

لحن: عبد الصمد القليسي

ـ ٥١ ـ مجموعة أغان للطفل، بتلفاز صنعاء، في الدورات الرمضانية

شعر: محمد علي عثمان

لحن: ملحنون يمنيون

(٧) محمد مفتاح الفيتوري ـ **عاشق من افريقية.**

ـ ٥٢ ـ أُغنيات متنوعة، على السلم الخماسي، للشاعر الملحن اليمني، حسن غازي بارحمه.

ـ ٥٣ ـ أُغنيات متنوعة، للملحن اليمني، أحمد عـوض، الشـهير في السـودان بأحمد ربشة. فقد درس هناك علومه الموسيقية، وأكثرها للشاعر الحضرمـي، محمـد سالم بن بريك، المقيم بدولة الإمارات العربية المتحدة. كما وضع أحمد ربشه عـدداً من الألحان، بالسلم الخماسي، لشعراء من السودان.

ـ ٥٤ ـ أُغنية (تتعلى فوق ياهلالالك هلا)

شعر: عبد الغفار أحمد جميل

لحن وغناء: جلال كسلا ـ فنان سوداني عاش باليمن

ـ ٥٥ ـ أنشودة (السلام)

شعر: عبد الغفار أحمد جميل

لحن: أحمد محمد نور شمت

غناء: طلاب المدرسة الدوليـة بصنعـاء، ومدرسـة الأيتـام، والمدرسـة اليمنيـة الحديثة، بصنعاء.

ـ ٥٦ ـ قصيدة (بين صنعاء وأُم درمان)

شعر: محمد علي عثمان وعبد الغفار أحمد جميل

لحن وأداء: أسرة ربوع السودان

ـ ٥٧ ـ أُغنية (حمامة السلام)

شعر: عبد الغفار أحمد جميل

لحن وغناء: عبد الرحمن عبد الله

كتبت ولحنت بصنعاء

ـ ٥٨ ـ أُنشودة (علم الوحدة) ـ سلم سباعي

شعر: عبد الحميد المهدي

لحن: أحمد محمد نور شمت

غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء اخراج: علي حسين

- ٥٩ - ملحمة ا(الأمجاد) - سلم سباعي

شعر: المرحوم عباس المطاع

لحن: أحمد محمد نور شمت

غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء، عبر تلفاز صنعاء

- ٦٠ - أغنية (العصفور) - سلم سباعي

شعر: عبد الملك الوادعي

لحن: عبد الملك الوادعي وأحمد محمد نور شمت

غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء

- ٦١ - أُغنية (شذى الأشواق)، عن الوحدة اليمنية - سلم سباعي

شعر: عبد الرحمن اسماعيل عثمان سكاب

لحن: أحمد محمد نور شمت

غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء، عبر تلفاز صنعاء

اخراج تلفزيوني: عبده العرامي

- ٦٢ - أُنشودة (تلاقت سبأ) سلم سباعي

شعر: عبد الرحمن اسماعيل عثمان

لحن: أحمد محمد نور شمت
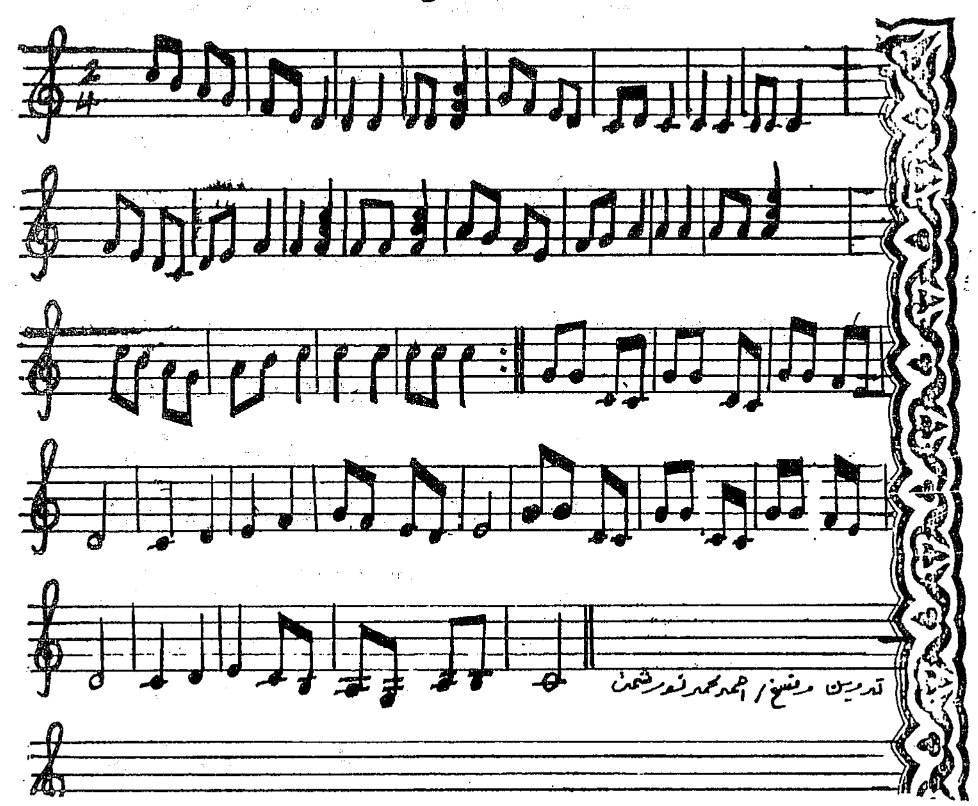
غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء

- ٦٣ - أُنشودة (السودان) - سلم خماسي محض

شعر: عبد الرحمن اسماعيل عثمان

لحن: أحمد محمد نور شمت، وشاركه بآلة السكسفون، العازف اليمني، عبد الكريم عائض.

الاسم ملحمة الأمجاد "مقدمة"
كلمات عباس المطاع



ـ ملحمة الأمجاد، تدوين ونسخ / أحمد محمد نور شمت.

[١ - ١٢]

عزف وغناء: الفرقة السودانية بصنعاء، وقد بثها تلفاز أُم درمان.

- ٦٤ - أُغنية (سلوكيات)

شعر: عبد الكريم الجرادي

لحن: صالح عبده صالح

غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء، وقد مسرحه الأستاذ عبد الرحمن قسم الله.

- ٦٥ - اسكتش غنائي للأطفال (اللقلق والبلابل) - سلم سباعي

شعر: علي أبو ذراع

لحن: أحمد محمد نور شمت

غناء: تلميذات مدرسة آزال حده

- ٦٦ - نشيد (الشهداء)

شعر: د. عبد العزيز المقالح
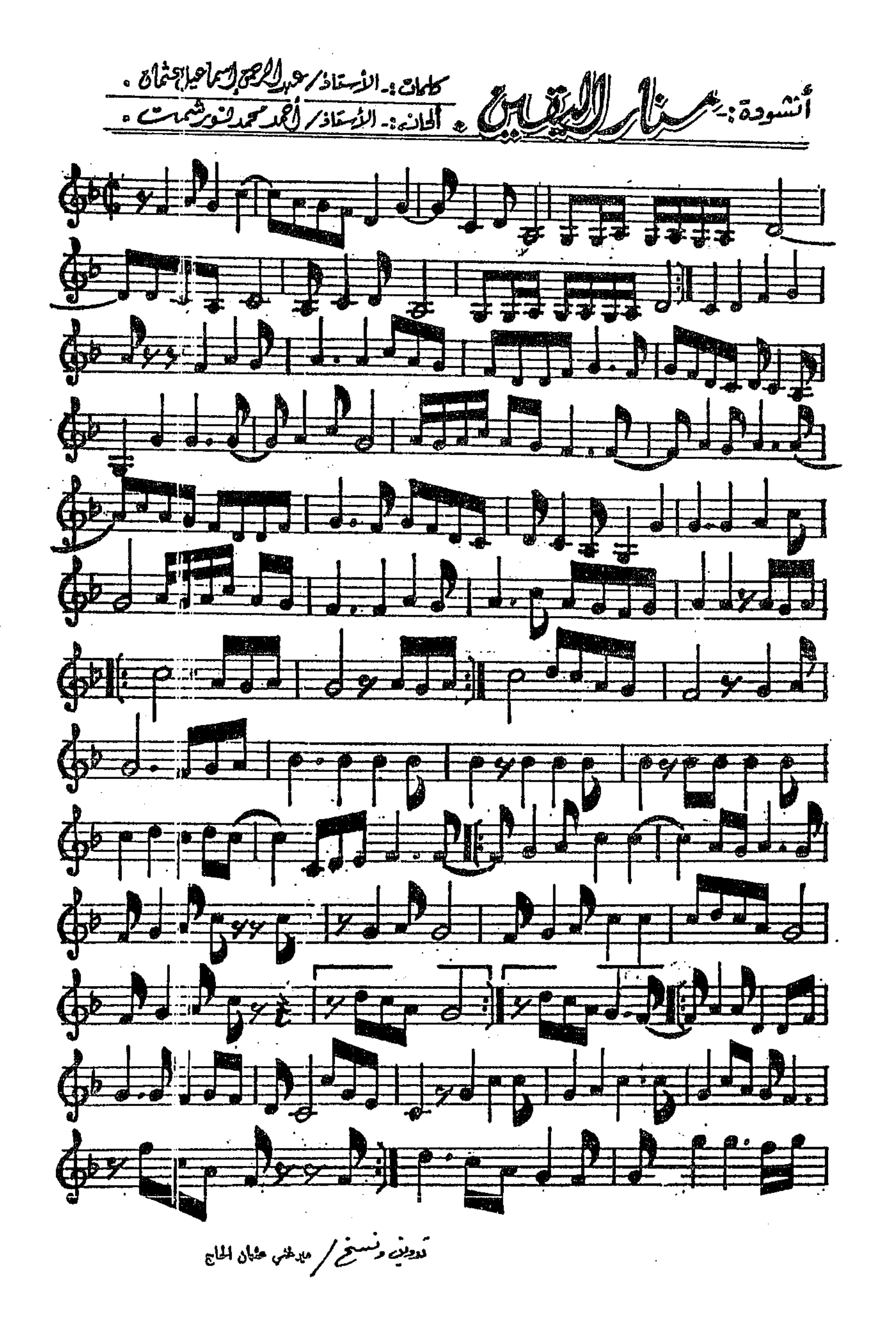
لحن: أحمد محمد نور شمت

غناء: تلاميذ وتلميذات آزال حده

- ٦٧ - أُغنية (حب)

شعر: أحمد صالح الخوربي

لحن وغناء: الطيب عبد الله



ـ انشودة اليقين (انشودة السودان)، تدوين ونسخ / ميرغني عثمان الحاج.

[١ - ١٣]

يعزو الموسيقار السوداني الراحل، جمعة جابر، والموسيقار السوداني، عبد القادر سالم، وجود أُغنيات تقوم على السلم السباعي في كردفان، بغرب السودان، إلى هجرات قبائل جهينة اليمنية إلى تلك المنطقة، بعد الإسلام. والواقع أن هذه الأغنيات أقرب إلى النكهة اليمنية، أو الليبية، منها إلى المصرية، وقد لاحظ العلماء ذلك. لكن ليست كل أُغنيات كردفان على السلم السباعي، فأكثرها، حقيقة، على السلم الخماسي، ولكن هذه المنطقة تتميز بتعايش السلمين فيها. وإلى النماذج:

- أُغنية (البريق الضوا)

المقام: بياتي

أداء: عبد القادر سالم

- أُغنية (الليموني) مع رقصة الجراري

أداء: مريم بشارة

- نشيد (مارش البقارة) وهو نشيد عسكري لقبائل البقارة بغرب السودان

- نشيد (مارش مندي) وهو نشيد عسكري فولكلوري بكردفان. أداء: زين العابدين أحمد

أُغنية (بركب المشترك) تؤدي مع رقصة المردوم

المقام: بياتي

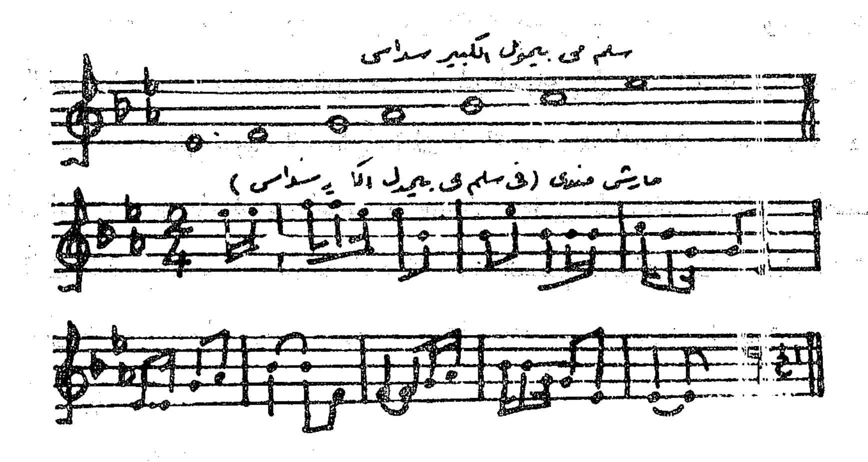
أداء: عبد القادر سالم
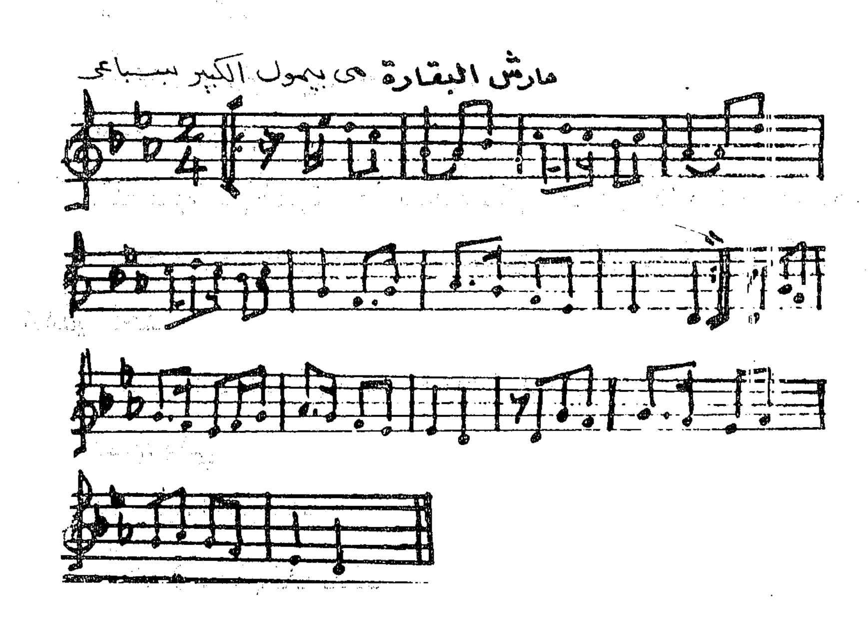
- أُغنية (جيناكي زي وزين)

المقام: كرد

أداء: عبد القادر سالم

- مارشات علي دينار





ـ نوتات موسيقية سودانية خارجة عن السلم الخماسي

(جمعة جابر، تراثنا ومفهوم السلم الخماسي).

[١ ـ ١٤]

- مارشات جبال النوبة

- أُغنية (نوبة ميري)

- غناء الهداي والحكامه في الكانم

مقاماته عربية، ويسمي البقارة في جنوب كردفان، وفي دارفور الشاعر المغني بالهداي. والشاعرة المغنية بالحكامه.

- في غرب دارفور تجد مقامات العجم والكرد، والحجاز كاركرد، وتجد آلة موسيقية عربية النسبة، هي آلة (أُم كيكي)(٨).

- أُغنية (قل لمن مل هوانا)

أداء: عبد القادر سالم

هذه الأُغنية بحاجة إلى وقفة؛ فهي موجودة في التراث الموسيقي للخليج العربي، أيضاً. كما يشير إلى ذلك الأستاذ أحمد علي، في كتابه (الموسيقى والغناء في الكويت)(٩)، والدكتورة حصة السيد زيد الرفاعي، في كتابها (أغاني البحر / دراسة فلكلورية)(١٠).

أما في اليمن، فقد ذكر الدكتور غانم الأب، في كتابه (شعر الغناء الصنعاني)(١١)، أنها ذات نكهة يمنية يافعية. بينما ذكر الأستاذ محمد مرشد ناجي، في كتابه (الغناء اليمني القديم ومشاهيره)(١٢)، أنها من الأغنيات التي سجلها الفنان

---

(٨) علي الضو، وعبد الله محمد، **الآلات الموسيقية التقليدية في السودان**، الخرطوم، ١٩٨٥م.

(٩) أحمد علي، **الموسيقى والغناء في الكويت**، شركة الربيعان، الكويت، ١٩٨٣م.

(١٠) د. حصة السيد زيد الرفاعي، **أغاني البحر / دراسة فلكلورية**، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٥م.

(١١) د. محمد عبده غانم، **شعر الغناء الصنعاني**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.

(١٢) محمد مرشد ناجي، **الغناء اليمني القديم ومشاهيره**، دارالطليعة، الكويت، ١٩٨٣م.

اليمني الراحل، ابراهيم محمد الماس.

لكن أول من نشرها كان الأديب اليمني، أحمد بن محمد الشرواني (ت ١٨٣٧م)، الذي عاش في مصر، سنة ١٨٠٥م، وذلك في كتابه (نفحة اليمن)، الصادر في بومبي بالهند، عام ١٨١١م.

القصص الشعبية المشتركة:

يشير الدكتور عبد المجيد عابدين(١٣)، في كتابه (تاريخ الثقافة العربية في السودان)، إلى وجود قصص شعبية، وسير دينية مشتركة، في السودان واليمن:

ـ ١ ـ فتوح اليمن الكبرى ـ سيرة دينية

ـ ٢ ـ سيف بن ذي يزن ـ قصة شعبية

ومن المتوقع أن تكون الباحثة اليمنية، الأستاذة نهلة عبد الله، قد فرغت من مناقشة دراستها أمام اتحاد نساء السودان حول السيرة المقارنة، لتاجوج، والمحلق، وللدودحية، في كل من شرق السودان، ووسط اليمن، على التوالي.

وقد تنبه المستشرق البريطاني الراحل (ت ١٩٩٣م)، البروفسور روبرت سارجنت(١٤)، إلى تشابه أداء المديح النبوي، في كل من السودان وحضرموت، وما أكثر المدائح النبوية، التي تقوم على قصائد الشاعر اليمني، عبد الرحيم البرعي، من منطقة برع، في الانشاد الديني والصوفي السوداني، وهو بالمناسبة ليس عبد الرحيم البرعي، صاحب الزريبة، في غرب السودان، الذي كرمه الزعيم السوداني،

(١٣) د. محمد عبد المجيد عابدين، **تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث: الدين / الإجتماع/ الأدب**، المطبعة التجارية، بيروت، ١٩٦٧م.

(١٤) الدكتور روبرت سارجنت، **نثر وشعر من حضرموت**، [بالإنجليزية]، جامعة لندن، ١٩٥١م.

الفريق عمر البشير. والولي العدني العيدروس هو، أيضاً، مذكور في أغاني الأطفال بالسودان، مثلما هو الحال في أغاني الأطفال باليمن:

العيدروس ساكن عدن

قال للسما احلب لبن

ترى السما حلب اللبن

وما أكثر ورود الرمز اليمني في الغناء التراثي بالسودان، مثل غناء الحقيبة:

- ١ - الشام واليمن جات زايره لسوح ذو المحيا النايره
- ٢ - يا تحفة الشام واليمن. للشاعر الفنان خليل فرح
- ٣ - كيف يا صاح وكيف بيها نقيسه

والحويدقه تفوق بالجمال (بلقيسه)

المسرح والسينما:

فيلم (ويبقى الأمل)، فيلم سوداني حديث، مدته ساعتان، يعالج عدداً من المشاكل الإجتماعية في المجتمع السوداني. وقد قام ببطولته: محمود ميسرة السراج، ومنال بدر الدين، وسهير الرشيد، وياسر رضا، وآخرون. والفيلم من اخراج عبد الرحمن محمد عبد الرحمن. أنتج الفيلم الأستاذ محمد عبد الله ناصر عليوه، وهو أحد أبناء منطقة شبوه اليمنية، الذين احترفوا العمل التجاري في المهجر السوداني، وقد أنشأ شركة خاصة به للإنتاج الفني، والتوزيع السينمائي. بلغت تكلفة الفيلم سبعة عشر مليون جنيه سوداني.

وحينما عرض الفيلم في عامنا [١٩٩٤م]، في صنعاء، حضر حفلته عدد من المهتمين، ومن بينهم الناقد السوداني المقيم باليمن، الأستاذ عادل السعيد، والذي يشتغل بالصحافة اليمنية، منذ فترة ليست بالقصيرة. وقد نشر عادل السعيد انطباعاته عن الفيلم، ومنها: «هذا الشريط ينطلق من اللحظة السودانية الراهنة،

بكل تعقيداتها وتشظيها النفسي والسيسولوجي، وينتمي لتيار الواقعية الجديدة في السينما المهمومة بقول كل شيء، دفعة واحدة، وتبدو في محاولاتها وإصرارها على ملامسة كل البؤر والوقائع، لاهثة مقطوعة الأنفاس، تكتفي، في الغالب، بالإعلان عن حالة ما، دون أن تخوض في تفاصيلها، مما يجعل مهمتها أكثر صعوبة، من الناحية الفنية، حتى بالنسبة لكتّاب السيناريو المتمرسين، والمخرجين أصحاب التجارب الطويلة. ولعل ضعف السيناريو قد انعكس على النحو الواضح في مستويات الشريط الأخرى، من تمثيل، ومونتاج، واخراج؛ فتعددت خيوط الشريط، وسياقاتها المتباينة والمتداخلة، في نفس الوقت وأدى ذلك إلى ضياع الوعود القوية والجريئة، التي أعلن عنها كاتب السيناريو، الأستاذ عادل محمد خير، الذي اهتم برونق وجمالية الحوار، أكثر من اهتمامه بوظيفيته؛ ففات عليه، مع تعدد الخيوط والبؤر التي حاول طرحها، استجلاء الملامح الحقيقية لشخوصه، التي بدأت تجريدات انسانية، تجمعها أكثر من معاناة، وتلتقي عند أكثر من منعطف، رغم الجهود التي بذلها، مضاعفة، الممثلون، للحفاظ على ايقاع العمل، الذي كان يمكن معالجته في مرحلة المونتاج، باعتبارها المرحلةالرئيسة لضبط ايقاع الشريط وتماسكه، ولكن يبدو أن المونتاج تحمل عبء ضعف السيناريو، وكذلك الحال بالنسبة للإخراج».

أما بالنسبة للمسرح، فلا بد من التوقف عند الدور الكبير، الذي لعبه المدرسون السودانيون، منذ أواخر الثلاثينات، في إدخال المسرح المدرسي في حضرموت. ويذكر الناقد اليمني، الأستاذ سعيد عولقي، في كتابه (سبعون عاماً على المسرح في اليمن)(١٥)، هذا الإسهام الرائد، ويذكر أهم شخصيتين لعبت دوراً فيه، وهما الشيخ القدال سعيد القدال، الذي أخرج مسرحية (الأمين والمأمون)، ومسرحية (رجل الأوهام)، والأستاذ عوض عثمان مكي، وقد كانت

(١٥) سعيد عولقي، **سبعون عاماً على المسرح في اليمن**.

بطولـة المسـرحيتين للمدرسـين السـودانيين الشبان، ولطلبتهـم في المـدارس الأولية الحكومية بالمكلا. وقد كتبت صحيفة (فتاة الجزيرة) تعليقاً حاداً عـن هـاتين المسرحيتين(١٦). كما أدى تبني المدرس السوداني سـيد أحمـد نقـد ا لله لمسـرحيات الحضرمـي، علـي أحمـد باكثـير، الوطنيـة في المسـرح المدرسـي، خاصـة عـن ثـورة أندونيسيا، إلى طرد السلطات الإنجليزية له من حضرموت، قبل انتهاء مدة عمله.

كذلك كان من رفاق القدال، في إيجـاد المسـرح المدرسـي، محجـوب زيـادة حمور، وسيد أحمد صادق، وحتى فترة ابراهيـم الكـامل محمـد أحمـد في المكـلا، في السبعينات، وجمع آخر.

وفي شمال اليمن، وفي مطلع الثمانينات، حضر إلى اليمـن المخـرج المسـرحي السوداني، دفع ا لله أحمد البشير، والذي كان لوجوده أثر في تنشيط المسرح، بمـدن مختلفة باليمن، لكنه ما لبث أن غادر البلاد.

وفي صنعاء، قدم المدرس السوداني عبد الغفار أحمد جميل ثلاثة من الأعمـال التي مُسرحت هن:

ـ ١ ـ أُوبريت الوحدة اليمنية؛

ـ ٢ ـ أُوبريت السلام؛

ـ ٣ ـ مسرحية نثرية، في خمسة فصول، بعنوان (من تاريخ اليمن). وقـد قـام الأستاذ أحمد شمت بوضع الموسيقى التصويرية لها، ومثلت بصنعاء.

وحتى من السودان، كان المسرحيون السودانيون يتفاعلون مع الأحـداث في اليمن، ولعل المثال الأبرز على ذلك مسرحية (عرس القرية)، التي تحكـي قصـة مـن قصص حرب التحرير اليمنية، للمسرحي والشاعر السـوداني الراحـل، بـدر الديـن هاشم. وقد قدمت، في مطلع الستينات، على خشبة مسـرح نـادي الأشبـال، بحي بري بالخرطوم.

(١٦) انظر صحيفة **(فتاة الجزيرة)** العدنية، بتاريخ مايو ١٩٤٢م.

وكان للدكتور محمد عبد القادر بافقيه اشتغال بالمسرح، عندما درس في مدارس السودان وجامعاته، منذ منتصف الأربعينات، ومن ذلك:

(١) قام بتمثيل مسرحيتين للكاتب الارلندي الساخر، برنارد شو، هما (سان جون)، و (آرمس أند ذي مان)، بالإنكليزية.

(٢) رثى الكاتب المسرحي برنارد شو، في مجلة (الشباب) الخرطومية.

(٣) كتب بالإنكليزية مسرحية طريفة، بعنوان (عقل آخر)، من ابتكاره.

كما تلقى عدد من اليمنيين في السودان ثقافتهم المسرحية، ومن ذلك:

(١) الصحفي الأستاذ عبده حسين أحمد، صاحب عمود (كركر جمل)، بصحيفة (الأيام) العدنية. وكان قد درس بمعهد بخت الرضا بالدويم بالسودان.

(٢) الدكتور أحمد النميري، محاضر الأدب الأنكليزي بكلية الآداب بجامعة الخرطوم. وهو من أبناء المهاجرين اليمنيين بالسودان.

(٣) الدكتور أحمد عبد الله عارف، مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة صنعاء، وقد درس بجامعة أم درمان الإسلامية. وقام هناك بتمثيل مسرحيتين هما: (هاربة)، و(احتراق الدموع).

وفي منتصف السبعينات، نشرت دار النشر بجامعة الخرطوم، مسرحيتين شعريتين، للشاعر والمسرحي اليمني البروفسور محمد عبده غانم، والذي كان يعمل أستاذاً للأدب العربي بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، في ذلك الوقت، وهما: (عامر بن عبد الوهاب)؛ و(الملكة أروى). وقد أهداهما الدكتور غانم الأب إلى صديق عمره الشاعر السوداني البروفسور، عبد الله الطيب، وقام بكتابة المقدمة المسرحي السوداني المعروف، الدكتور خالد المبارك، كما أخرج مسرحية (الملكة أروى)، إذاعياً، من القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية من لندن، القاص السوداني

العالمي، الطيب صالح. وفيما بعد، كتب **الدكتور غانم** الأب مقدمة لمسرحية من مسرحيات الدكتور خالد المبارك، وعنوانها (ريش النعام)(١٧)، تحكي عن دخول العرب إلى السودان.

وللمرء أن يستبشر بوجود عدد من المدرسين والمشتغلين بالمسرح، اليوم، في صنعاء، وغيرها من بلاد شمال اليمن، ومن هؤلاء:

(١) محمد سيد أحمد، في تعز.

(٢) محمد مصطفى الأمين، وله اهتمام خاص بالسينما.

(٣) عادل السعيد، الناقد المسرحي والصحفي.

(٤) الدكتور ناصر الشيخ، وهو من الأخصائيين في فن الحركة والرقص.

(٥) محمد كباشي محمد، في صنعاء ـ معهد الشوكاني.

(٦) عبد الله حسن، في عمران.

(٧) كامل النور.

(٨) أحمد عبد الكريم وهو، في الوقت نفسه، رئيس هيئة العاملين السودانيين باليمن، ورئيس البعثة التعليمية السودانية بوزارة التربية والتعليم باليمن.

(٩) الفاتح محمد البدوي ـ معهد الشوكاني.

(١٠) محمد مبارك ـ مدرسة الأيتام بصنعاء.

(١١) مصطفى آدم دراج ـ الحديدة.

(١٢) محجوب محمد أحمد ـ المعاهد العلمية.

(١٣) شمس الدين يونس، وقد أسهم أعظم إسهام في تأليف وإخراج مسابقات رمضان (١٩٩٤م)، بتلفاز صنعاء.

---

(١٧) من إصدارات دار النشر بجامعة الخرطوم:

- (**الملكة اروى**)، و(**عامر بن عبد الوهاب**)، للدكتور محمد عبده غانم.

- (**ريش النعام**)، للدكتور خالد المبارك.

المنهجية في تدريس المسرح بمدرسة الأيتام بصنعاء. من أعماله:

(١٤) عبد الرحمن قسم الله ـ مدرسة الأيتام بصنعاء. كان وصوله لليمن، عام ١٩٨٩م، فتنقل في عدة محافظات. أسهم، ايضاً، بتعليم الموسيقى، وأدخل

ـ ١ ـ إخراج مسرحي، لمسرحية (البقرة)، للمسرحي اليمني عبد الكريم الرازحي.

ـ ٢ ـ أخراج مسرحية (تصاريف الأقدار)، للمؤلف والشاعر والفنان اليمني، عبد الملك الوادعي. قام بمسرحة العمل المدرس السوداني، محمد مصطفى الجيلي.

ـ ٣ ـ إخراج عمل (سلوكيات)، للكاتب عبد الكريم الجرادي.

ـ ٤ ـ إخراج عمل (الوحدة اليمنية)، للكاتب عبد الحميد المهدي.

ـ ٥ ـ إخراج مسرحية انجليزية، بعنوان (الجيل الصاعد).

وجميعها من تمثيل طلبة مدرسة الأيتام بصنعاء. كذلك

ـ ٦ ـ إخراج مسرحية (بناء اليمن)، للكاتب عبده العرامي، وقام بالتصميم والإخراج الفني، الأستاذ عبد الحميد جماع. أما الأستاذ محمد مصطفى الجيلي، فقد أنشأ صحيفة للأطفال، اسمها (اليمن السعيد)؛ كذلك نشرت له مطابع وزارة التربية والتعليم بصنعاء، في يناير ١٩٩٢م، قصة للأطفال، من تأليفه، بعنوان (وحدة الأرض المعطاءة)، وقريباً يصدر له عن الوزارة قصة جديدة للأطفال، بعنوان (جنة القرود).

النشاط الموسيقي السوداني في صنعاء:

نبدأ بذكر (الفرقة الموسيقية السودانية)، وفرقة أو (أُسرة ربوع السودان)، وهي تتكون من دارسين، ومن هواة، ومن طلاب موهوبين. لكن الموسيقى ليست إلا واحدة من عدة نشاطات لأُسرة ربوع السودان والتي تهتم بكل النشاطات في

الفنون، وتقدم الفرقتان حفلات ناجحة للجالية السودانية في اليمن، فقد رافقت هذه المواهب الفنية حضور المطربين السودانيين باليمن، بحيث يعزفون أغاني المطرب الزائر، بينما يركز هو على الغناء، وهو ما لم يتيسر، مثلاً، للفنان اليمني، أحمد فتحي، وأحمد السنيدار، ومحمد حمود الحارثي في الحفلات التي أحيوها في الخرطوم، في مطلع الثمانينات، ضمن مهرجان الثقافة السوداني، حينئذ. أما بالنسبة لأسرة ربوع السودان، فإنها تحيي الليالي المسرحية والفنية في كل المناسبات الوطنية للسودان في اليمن.

ومن مدرسي الموسيقى السودانيين باليمن، اليوم:

(١)صالح عبده صالح ـ مدرسة الأيتام بصنعاء.

(٢) بدر الدين ود القنا ـ معهد المعلمين العام بصنعاء.

(٣) ميرغني عثمان ـ مدرسة الموسيقى العسكرية بصنعاء.

(٤) زين العابدين أحمد خليفة ـ معهد الشوكاني بصنعاء.

(٥) محمد أحمد محمد نور ـ لواء ذمار.

(٦) أحمد محمد نور شمت ـ مدرسة الأيتام بصنعاء.

(٧) محمد عيسى محمد.

(٨) بدري محمد الكيلة في صنعاء.

سرّ اسم عديلة في أغنيات صلاح أحمد محمد صالح:

في الخمسينات، ذهبت مجموعة من النساء العدنيات، لتلقي العلوم في السودان، ومنهن السيدة عديلة غالب، والتي أصبحت فيما بعد، تعرف بماما عديلة، من خلال تلفاز عدن، الذي تأسس في الستينات. وكانت عديلة تقدم من خلاله برامج الأطفال، وبالمناسبة كان كاتب هذه السطور أحد أولئك الأطفال.

حضرت عديلة إلى اذاعة أم درمان، لتلقي التدريب الإذاعي، فوقع أحد الإذاعيين السودانيين في غرامها، وهو الأستاذ الشاعر والدبلوماسي، فيما بعد، صلاح أحمد محمد صالح، وهو نجل الشاعر السوداني، أحمد محمد صالح. هام صلاح بعديلة، وكان حباً من طرف واحد، وحضر صلاح إلى عدن لخطبة عديلة، فرفضت أسرتها الفكرة. وما عادت عديلة إلى عدن، إلا وقد وضع صلاح فيها من شعر الأغنية السودانية الكثير. وهذه مجرد أمثلة:

من ألحان أحمد المصطفى: يا غاير علي وأنا هايم في دنيا هواك ـ إن شا الله يا عديلة تمشي وتجي تاني ـ

من ألحان سيد خليفة: يا مسافر وناسي هواك

يا الفارقت أرض النيل

يرعاك الله يا ملاك

من ألحان عثمان حسين: أنا المظلوم ـ نابك أيه من هواه ـ ليالي الغرام ـ حبيي سافر ليه ـ يا عيوني أبكي دمع الحنين ـ يا عديله.

إلخ....

مضى كل إلى غايته في مسرح الحياة، وبقي لعشاق الفن هذا الابداع...

السماكة في شرق السودان فرقة سومانية

يرى بعض الباحثين السودانيين في موسيقى شرق السودان، وجوداً للسلم السباعي الشرقي، بين قبائل البجة، ويشيرون إلى أن الإيقاع اليمني(٣/٤) شائع كميزان إيقاعي هناك. والواقع أن البجة يشبهون قبائل اليمن، أيضاً، في تقاليد الفروسية، وما ينبثق عنها من رقصات شعبية، بشكل ملحوظ.

وتمثل فرقة (السماكة) الفلكلورية بشرق السودان أبرز اشكال التواصل بين أهل البحر واصطياد الأسماك، في شواطيء السودان الشرقي واليمن. فهي، أساساً،

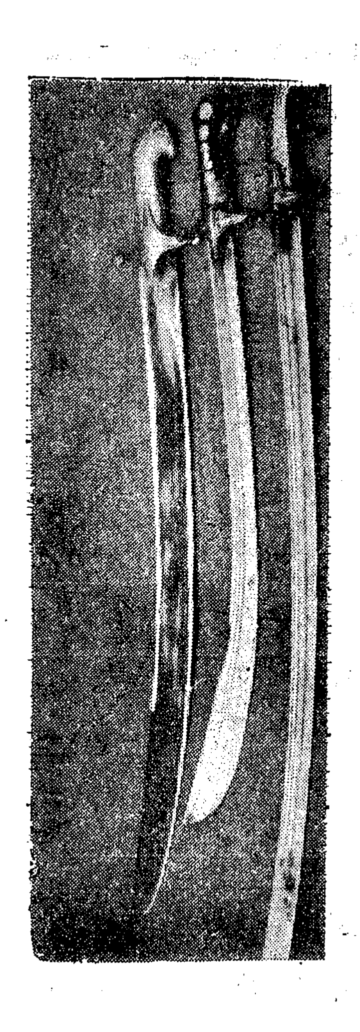
تتكون من مجموعة من الصيادين اليمنيين، الذين استقروا، وامتزجوا بأهل شرق السودان، لا سيما مدينة سواكن. والسماكة فرقة للموسيقى، والغناء، والرقص، ترتدي الزي اليمني الساحلي، وأعني به الفوطة، والتي لا يرتديها في السودان إلا العجائز من النساء، وتسمى القرقاب، أما أغانيها التي تقدمها في المهرجانات السودانية الشعبية، فأسطع دليل على جذورها اليمنية، ليس فقط من حيث السلم الموسيقي، والإيقاع، والأداء اليمني، وإنما، أيضاً، المواكبة لأغنيات البحر في اليمن، مثل: (سئلت العين)، و(سرى الليل وأنايم على البحر)، وهي، حتى بالمقياس اليمني، تعتبر أغانٍ قريبة العهد!

وبالمقابل، فإن النسوة السواكنيات اللواتي تدير عدن، في العقود الأولى من قرننا العشرين، وبعد أن غربت شمس سواكن، وأفل ازدهارها هن اللواتي كن يكلفن بالضرب على الإيقاع والرقص، في حفلات الزواج المقتصرة على النساء، في مدينة عدن، وكن يؤدين رقصة (المركح)، عادة. بل كانت هناك أكثر من فرقة سواكنية بعدن.

التشابه في فن صناعة السيف

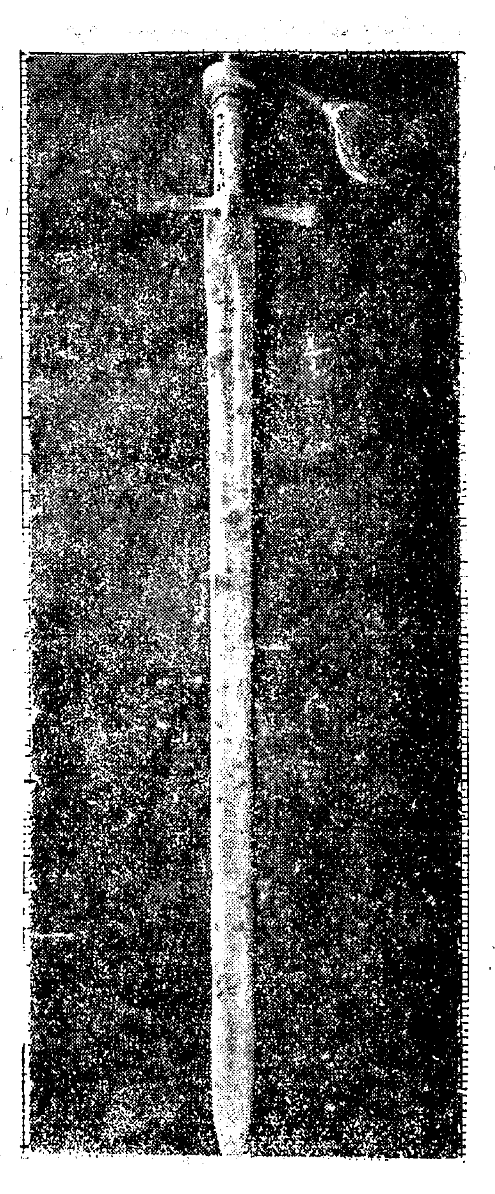
في كتابه الموسوم (دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان وأربعة سيوف يمنية معاصرة)(١٨)، يذكر الدكتور مصطفى عبد الله شيحه، مدرس الآثار الإسلامية بكلية الآداب بجامعة صنعاء، أوجه التشابه في الزخرفة المستخدمة في سيف لوزير طائفة الهمج في مملكة سنار الفونجية، واسمه ناصر (ت ١٧٩٨م)، وأربعة سيوف أخرى يمنية، كانت ملكاً لأسرة حميد الدين بصنعاء.

(١٨) صادر عن مكتبة الجامعة بالقاهرة، سنة ١٩٨٤م.



- ثلاثة سيوف يمانية

[١ - ١٦]



- سيف الوزير ناصر المحفوظ بالمتحف القومي بالخرطوم.

[١ - ١٥]

ـ ١ ـ صحيفة، صدرت يومياً، في عدن، عام ١٩٧١م، لتأييد جماعة الحزب الشيوعي السوداني التي حاولت الوصول إلى السلطة في الخرطوم، في ذلك العام.

ـ ٢ ـ مجلة (**البرلمان**)، ناطقة باسم الحزب الإتحادي الديمقراطي السوداني / فرع اليمن. وهي اصدار معارض لحكومة الفريق البشير، في السودان اليوم. صدر منها ثلاثة أعداد، حتى الآن، كان آخرها في يناير ١٩٩٤م. يطغي عليها الخطاب السياسي.

ـ ٣ ـ مجلة (**أنا السودان**)، الناطقة باسم هيئة السودانيين العاملين في الجمهورية اليمنية. صدرت منها ثلاثة أعداد، حتى الآن، وكانت بدايتها، في عام ١٩٨٩/ ١٩٩٠م، تحفل بمواضيع مشوقة، لا سيما في مجال الأدب. سياسياً هي موالية للحكومة السودانية.

في السودان، تلقى عدد من الفنانين التشكيليين اليمنيين دراساتهم الفنية، مثل:

(١) سالم عوض باوزير.

(٢) علوي المفلحي.

(٣) أحمد عبد القادر موسى الملاحي (ت ١٩٧٩م). وقد حصل على دورة ستة أشهر، في عام ١٩٥٢م، في معهد بخت الرضا، بالدويم بالسودان. وذلك من أجل تدريب المعلمين في الأعمال اليدوية، وتفتيش المدارس في الرسم، والفن، وتجليد الكتب. وله كتاب (التدريب العملي اليدوي لمدرسي المدارس الإبتدائية).

وبشكل غير نظامي، تلقى عدد من الطلبة اليمنيين دروساً في فن الرسم، خلال دراستهم بالسودان، بل إن بعضهم لم تتفتح موهبته في هذا الأمر، إلا في السودان، ومن هؤلاء بصورة عامة، الفنان لطفي أمان، والفنانة نجلاء نصر الدين السنبلي (دكتورة)، والفنانة منى علي قاسم المؤيد (دكتوره)، والفنان أمين اليمني(مهندس).



- لطفي جعفر أمان.

(١٩٢٨م - ١٩٧١م)

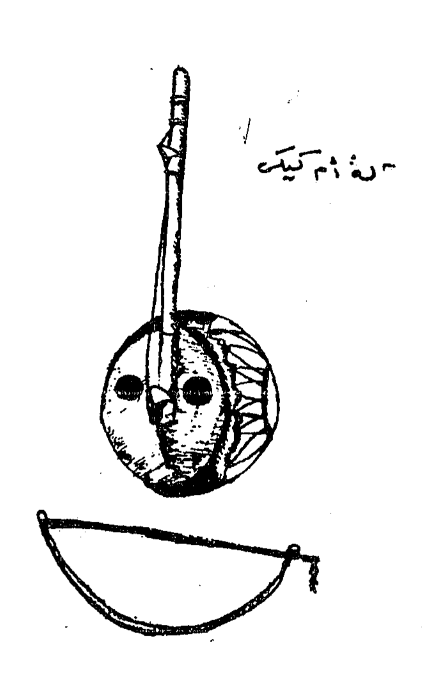
وفي اليمن، قدم الفنان السوداني عبد العزيز المري عددا من ابداعاته الكاريكاتورية، مثل كتيب (أمثال يمانية)[19]، وكتيب (القات رؤية كاريكاتورية ساخرة). كذلك قام رسام الكاريكاتير السوداني، مختار حسن بالعمل بالصحافة اليمنية، من خلال فن الكاريكاتير.

وهنالك عدد من الفنانين التشكيليين السودانيين باليمن، اليوم، أمثال:

(١) عوض رحمه.

(٢) عثمان حامد الفكي.

(٣) محمد حسن محمد عبد الله ـ غادر اليمن.



رسم آلة أم كيكي الوترية في غرب السودان

[١ - ١٧]

(١٩) عبد العزيز أحمد المري، **أمثال يمنية، كاريكاتير**، صنعاء.

- تشكيل للفنان عبد الله تاورتيه

[١ - ١٨]

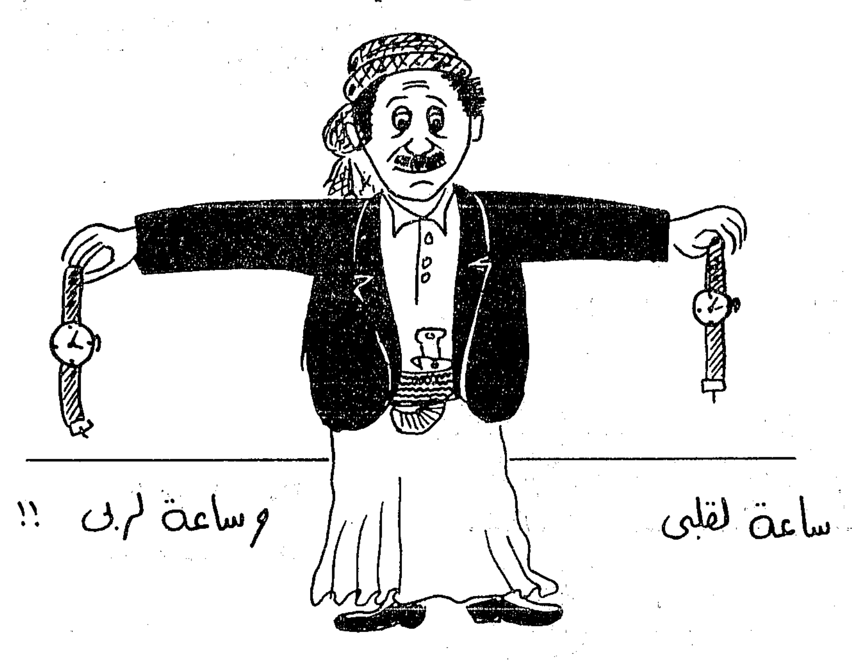


- لوحة غلاف ديوان بقايا نغم للشاعر والفنان لطفي جعفر أمان، بريشته سنة ١٩٤٨م.

[١ - ١٩]



-[١ - ٢٠]



-[١ - ٢١]

.رسوم كريكاتورية للفنان عبد العزيز أحمد المري

(عزيز، أمثال يمانية، صنعاء).

(٤) عبد الحميد جماع ـ شقيق الشاعر السوداني المعروف المرحوم، ادريس جماع.

(٥) خالد الدوش ـ ذكرت مجلة (المناهل) اليمنية بأن له عمل بعنوان (تخزين القات).

(٦) عبد الرحيم جاويش، وقد عمل في مجال الوسائل التعليمية طويلاً.

(٧) قمر زين العابدين، بمدرسة آزال بصنعاء.

(٨) ياسر عثمان.

(٩) عثمان شريف ـ وقد قدم أكثر من معرض للوحاته بصنعاء.

(١٠) علي الهادي، بكلية التربية بجامعة صنعاء.

(١١) عبد الله تاور تيه، معهد الشوكاني بصنعاء. حضر لليمن عام ١٩٨٠م، وله بحث غير منشور بعنوان (القيمة الجمالية في العمارة اليمنية التقليدية).

(١٢) عبد العظيم محجوب، ويتضح في لوحاته الأسلوب التعبيري في المناظر الطبيعية باليمن. والأسلوب التعبيري، والتجريدي، في المناظر البحرية، حيث يلاحظ التقارب بين هذه المناظر البحرية، في كل من الحديدة وسواكن.

(١٣) الطيب الحاج. وقد عمل باليمن، منذ ١٩٨٦م، وشارك في عدة معارض، في صنعاء، وتعز. ومن أعماله صورة الغلاف لمجلة (اليمن الجديد)، بصنعاء، العدد ١١، السنة ١٦ نوفمبر ١٩٨٧م.

(١٤) أحمد عمر.

وبالمناسبة فقد أهدت السيدة والفنانة التشكيلية «جوهرة» عقيلة الأديب السوداني الدكتور عبد الله الطيب لوحة عن اليمن ومدرجات الجبال فيها بريشتها إلى أسرة كاتب هذه السطور عند زيارتها لليمن.



ـ غلاف كتيب القات للفنان عبد العزيز المري.

إكسبرس الأربعينات في عدن

هو الفنان السوداني الراحل، التجاني السيوفي، والذي عاش طويلاً في عدن، إلى أن توفاه الله فيها، في السادس من إبريل من عام ١٩٧٦م. وقد لقبه نقاد الأغنية السودانية، باكسبرس الأربعينات، لما عرف عنه من السرعة في ابتكار اللحن، في الأربعينات من هذا القرن. فقد غادر السيوفي السودان، عام ١٩٤٣م، إلى ارتريا، في بداية مشوار غربته، الذي انتهى بالإستقرار في عدن، عام ١٩٥٥م، بعد اقامة بجبوتي، حيث تزوج هناك من إمرأة صومالية، وكون، يومئذ، ثروة من حرفته، وهي النجارة.

قال لي، ذات يوم، الناقد الفني السوداني، الأستاذ ميرغني البكري، إن السيوفي غادر السودان، لمشاكل عائلية تعرض لها، وقال لي شقيقه عبد اللطيف السيوفي إن مغادرته للخرطوم كانت نتيجة لمواقفه الوطنية ضد الإستعمار الإنجليزي؛ فالرجل وضع عدداً من الألحان الوطنية، المحرضة ضد الإنجليز في بلاده، بل، فيما بعد، مد يد العون المادي لحركات التحرر الإفريقية من الإستعمار.

نبغ السيوفي مبكراً، وكان من أوائل من قدم وسجل أعماله لإذاعة أُم درمان، ولحّن أعمالاً عديدة، للشاعر فلاح، والشاعر عبد الرحمن مكاوي، والشاعر اسماعيل خورشيد. ومن أهم أعماله الوطنية، يومئذ، أُغنية (طال الليل للمساهر وأصبح مالو آخر)، و(نحن السودان يا بلدنا).

وفي ارتريا صادق السيوفي الفنان السوداني، سرور، والذي توفي في أرتريا، في ذلك الوقت، وكان السيوفي، خلال الحرب العالمية الثانية، يرفه عن الجنود السودانيين المشاركين في تلك الحرب في ارتريا، واحترف النجارة، فأصاب مالاً وفيراً من ذلك، وتعلم غالبية اللهجات الموجودة في شرق افريقية، حتى أصبح يغني بتلك اللغات غير العربية، وأخذ عنه الفنان الحبشي، تلايون جسسا، النموذج

الحبشي لأغنية (عازه في هواك)، **الوطنية السودانية**، لصاحبها الفنان الكبير خليل فرح.

ثم انتقل لجبوتي، وأصبح أول رئيس للجالية السودانية، فيها، إلا أن نشاطه الوطني، إلى جانب المناضل الصومالي الطيار محمود حربي، دفع الإستعمار الفرنسي في جبوتي إلى مصادرة كل ممتلكاته، وخاصة بعد مصرع محمود حربي، في كمين أُعد له.

وصل السيوفي، مطروداً، إلى عدن، عام ١٩٥٥م، ودلف إلى عالم المعاناة النفسية الصعبة، فقد غادر جبوتي، البلد الذي أحب، وفقد ممتلكاته، ولم تكن تجارته في عالم النجارة بعدن مربحة، كما كان الحال في القرن الإفريقي. وأخذ السودانيون المقيمون والزائرون لعدن يزورونه، باستمرار، ومن هؤلاء الفنان محمد وردي، وابراهيم عوض وصلاح بن البادية، وحسن خواض، والدكتور تاج السر الحسن، والدكتور حمد حامد النقر، والدكتور النفسي حسن خليل، وعبد الكريم القرني،وعبد الله بكري، ومحمود عبد القادر، والشيخ موسى، والرياضي مبارك فضل الله، والشاعر سيد أحمد الحردلو.

وكان لفلسفة موسيقاه، القائمة على السلم الخماسي، مشكلة في تحقيقه للرواج الفني في عدن السلم السباعي، بقدر ما كانت هذه الخاصية سبباً لقربه من أذواق جمهور الطرب في القرن الإفريقي، ورغم ذلك، فمن الثابت أنه ردد بعض أُغنيات الفنان العدني خليل محمد خليل، وساهم في احتفالات الاستقلال الوطني، في نوفمبر ١٩٦٧م، لجنوب اليمن عن المستعمر البريطاني.

يقول في قصيدة له، لحنها، وغناها، حنيناً إلى السودان، من عدن:

تخيلت مدينة أم درمان

وتذكرت الشعر و الكروان

بالعودة لي يا رب

وتجمع شملنا يا زمان

كذلك هناك نفس هذه الروح الملتاعة في أغنيته (دنيا الغرام)، التي وردت فيها الإشادة بالمجتمع اليمني، أيضاً. وتحدثنا مذكراته، المنشورة في مجلة (الإذاعة والتلفزيون والمسرح) السودانية، عن أهم أعماله الفنية، قبل تلك المرحلة: غضبك جميل زي بسمتك / غزال البر يا رافل، لأحمد ابراهيم فلاح / الدنيا حظوظ، لعبد الرحمن مكاوي / لياليا عودي تاني / يلاك يا عصفور نغني ليك / عايز أنسى الأمس / الندامى، إلخ... وقد غنى من ألحانه المطربون السودانيون: حسن عطيه، وبادي محمد الطيب، وعبيد الطيب، والحاج عبد الحميد، والخير عثمان، وعلي ابراهيم، ومصطفى سيد أحمد.

وتدهورت حالة السيوفي الصحية والمادية، في عدن، خاصة بعد أن أقدم قادة جنوب اليمن، عام ١٩٧٢م، على تأميم ممتلكاته العينية، رافضين استغاثة الصحف السودانية. هكذا كان جزاء الوطني السيوفي، الذي صاغ من ماله قبعة من ألوان العلم السوداني، لكل السودانيين المهاجرين معه في الخارج، يوم استقلال السودان، عام ١٩٥٦م، والذي شهد له الناس بدوره، أيضاً، في عدن في خنادق مقاومة الإنجليز، كما ذكر الأديب، د. تاج السر الحسن.

وقد استوقفتني وجود قصيدة (الصخرة)، للشاعر المصري مصطفى عبد الرحمن، في دفتر يخص السيوفي، في عدن، ومكتوب عليها أنها من ألحانه. فماذا، إذن، عن لحن موسيقار السودان العروبي، العاقب محمد حسن، الشائع لهذه القصيدة، أيضاً؟!

لقد حاول عبد اللطيف السيوفي أن يعود شقيقه الأكبر التجاني السيوفي إلى السودان، وكتب شعراً فيه، يقول:

عدن حضنت النيل وابن النيل عز النيل فخر النيل

كالبركان ثائر

يشدو على الوتر المرنح مرسلا

نبضات قلب موسقته يد المشاعر

لكن السيوفي، بعد غربته الطويلة الطويلة عن أم درمان، أقسم الا يعود من عدن إلى السودان، إلا بثروة مالية، تبرر غيابه الطويل، فلم يزل إلى أن وافته المنية، في ثغر اليمن الضاحك لأمواج المحيط، في عام ١٩٧٦م. واليوم تعيش أسرته عيشة الكفاف، في أم درمان، على الرغم من أن الفنانين في الخرطوم ساعدوا في ايواءها.

إن الإنسان قد يعرف البداية، ولكنه لا يعرف النهاية، أبداً،

المشترك في فن الطنبرة في السودان واليمن

لسنا معنيون في هذا المقام إلا بالحديث عن المحور اليمني ــ السوداني في فن الطنبرة الذي تستخدم فيه آلة الطمبور بنفس هذا الإسم في شمال السودان، وباسم مصحَّف هو الطنبورة في اليمن، مع الإشارة إلى وجود نوعين من هذه الآلة في اليمن أولهما صغير الحجم يسمى السمسمية، والآخر كبير الحجم يسمى الطمبورة. وبينما تكون الطنابير في السودان، وأغلبها من الحجم الصغير، مدوزَنة دائماً على السلم الخماسي؛ فإن السمسميات عادة ما تدوزن على السلم السباعي، بينما تكون الطمبورات في اليمن على سواحل البحر الأحمر وبحر العرب مدوزنة على الخماسية كما في السودان.

ففن رقصة الطنبرة آت اذن من اسم الآلة الأساسية - الطنبور - ولمجيء حرب النون الأنفية بين الطاء والباء نطقها العامة الطمبورة بالميم، ثم يمننت على ما يبدو فغدت طمبرة بعد الإختزال(٢٠).

ومن المعروف أن العزف على الطمبورفي السودان واليمن؛ فن شعبي شائع لكن استخدام نفس الآلة في الطقس العلاجي المسمى «الزار» قد شكل فناً قائماً

(٢٠) جمال محمد السيد، في الحلمنتيشي والطنبرة، الحكمة (عدن)، عدد ١٧٧.

بذاته بما له من طقوس موسيقية وعلاجية مستقلة وأطلق على هذا الفن تسمية «الطنبرة أو الطمبرة» معتمداً على الطمبور بالسودان، وعلى الطنبورة في اليمن.

وآلة الطمبور هذه كان قد شاهدها الرحالة الدنماركي كارستن نيبور ورسمها صديقه الألماني بورنفاليد حينما سافرا من كوبنهاجن إلى اليمن عن طريق شمال السودان عام ١٧٧٦م وأسمياها قيثارة دنقلا النوبية(٢١). كذلك فيما بعد عندما قصد الرحالة الأوروبي بوركخارت الطريق إلى اليمن عبر شمال السودان، ذكر مشاهدته لها في عام ١٨١٣م وسجل ذلك في كتابه (رحلات في النوبة)(٢٢).

إن الأمر في الواقع أكثر تشويقاً؛ فقد ذكر أحد المؤرخين المصريين عن نشأة سلطنة الفونج في وسط السودان أن أصل الفونج من وادي الشماتين بجنوب شبه جزيرة العرب - وأنهم هاجروا من هذا الوادي إلى جزيرة في المحيط الهندي قبالة الساحل الصومالي تسمى «لامو»، ونفس هذه الجزيرة كانت تصدر الراقصات إلى مدينة الشحر الحضرمية الساحلية عام ١٥٢٢م كما يذكر المؤرخ اليمني الراحل محمد عبد القادر بامطرف في كتابه (الشهداء السبعة)(٢٣). وتشير بعض الروايات الشفاهية إلى أن المؤرخ ابن المجاور الدمشقي ذكر حضور هؤلاء الفتيات من جزيرة لامو إلى الشحر وعدن. وحتى إذا كانت منطقة وادي الشماتين تقع ضمن سلطنة عمان اليوم فإن فن الطنبرة في عمان، اليوم، يعترف أكاديمياً وميدانياً بالزعامة اليمنية له من خلال شخصية المرأة السقطرية عائشة مرجان الفارسية والشهيرة بعائشة الونجا.

إن أول ما يلفت الإنتباه في موسيقى الطنبرة باليمن قيامها على السلم

---

(٢١) توركيل هانسن، **من كوبنهاجن إلى صنعاء**، بيروت، دار العودة، ١٩٨٣م، ترجمة: محمد أحمد الرعدي.

(٢٢) بوركخارت، **رحلات في النوبة**، لندن، ١٨١٩م.

(٢٣) محمد عبد القادر بامطرف، **الشهداء السبعة**، عدن، دار الهمداني، الطبعة الثانية.

الخماسي الإفريقي النكهة، والبعيد كثيراً عن السلم السباعي المستخدم في باقي موسيقى اليمن التقليدية والشعبية كما يقر النقاد؛ لا سيما أولئك المتحمسون لتسمية فن الطنبرة بفن النوبان ـ نسبة إلى النوبة ـ بشمال السودان(٢٤). وقد كان المستشرق الأمريكي أندرسون ديوك باكويل أحد الذين اقترحوا احتمال الأصل السوداني للموسيقى الخماسية في تهائم اليمن المعروفة في تهامة بالأغنيات النوبية(٢٥).

وعندما نستعرض ايقاعات موسيقى الزار في اليمن نجد:

ـ ١ ـ ايقاع السوداني: وقد ذكر الباحث عبد الله مقبل معمر ـ من اليمن ـ في محاضرة ألقاها، في مؤتمر بالخرطوم، في شهر يناير عام ١٩٨٨م عن الزار في مدينة الحديدة بتهائم اليمن، أنه ايقاع قادم من السودان(٢٦).

ـ ٢ ـ ايقاع النوبي: ذكر الكاتب آر. سكين عام ١٩١٧م في دراسة له عن فن الزار باليمن أن هذا الإيقاع أحضره الجند السودانيون الموجودون بسواحل اليمن(٢٧)؛ لكن مصادر أخرى تسمي نفس هذا الإيقاع بالإيقاع (القادري) ناسبة إياه إلى الشيخ النوبي عبد القادر الجيلاني.

أما الشاعر اليمني الراحل ادريس أحمد حنبلة، فقد كتب عن نشاط فرق الطنبرة في حي الشيخ عثمان بمدينة عدن في الخمسينات، مشيراً إلى أن الرقيق من

---

(٢٤) رفعت محمد خليفة دويب، **أغاني الأعراس في دولة الإمارات العربية المتحدة**، دبي، مطبعة كاظم، مايو ١٩٨٢م.

(٢٥) مجموعة مؤلفين، اخراج: فرانسين ستون، **دراسات عن تهامة**، بالإنجليزية، لندن، لونجمان ١٩٨٥م.

(٢٦) الدراسة محفوظة بمكتبة معهد الدراسات الآسيوية الإفريقية بجامعة الخرطوم.

(٢٧) آر. سكين، الرقصات والطقوس العربية والسواحلية، بالإنجليزية، **مجلة المعهد الملكي للانثروبولوجيا**، لندن، ١٩١٧م، صفحة ٤١٣ـ ٤٣٤.

النوبة أو النوبان السودانيين الذين قدموا من السودان إلى عدن عام ١٨٠٠م كانوا أول من أدخل هذا الفن إلى مدينة عدن وكانوا من الكثرة بحيث كونوا أربع فرق هي:

- ١ - فرقة (فتح الخير)
- ٢ - فرقة (جمالة)
- ٣ - فرقة (نصرة)
- ٤ - فرقة (الباكوتة)، والباكوتة هو اسم رئيسة الحفلة في هذه الفرقة(٢٨).

كذلك يتحدث الشاعر حنبلة عن أن هؤلاء السودانيين أحضروا معهم تسمية لآلة الطمبور هي «السنجا» وتسمية لعازفها هي «السنجك» ويخبرني النطاسي والشاعر السوداني محمد بادى محمد ــ الشهير بود بادى ــ بأن هذه التسمية شائعة وسط قبائل الشايقية في السودان، والحقيقة أن الباحث السوداني بدر الدين عبد الرزاق أكد هذا الرأي، في محاضرة له بعنوان (الطنبرة والزار في السودان) القاها في صنعاء في شهر مايو ١٩٩٠م ضمن سمنار الطب الشعبي في جامعة صنعاء(٢٩).

ويأتي محمد رفعت خليفة دويب بنص من نصوص غناء الطنبرة ترد فيه اشارات لمواقع في كل من اليمن والسودان، واشارة أخرى إلى البطل السوداني عثمان أبو بكر دقنه - المولود سنة ١٨٤٠م، بسواكن،، بشرق السودان ــ وقد اشتهر كتاجر للرقيق في السودان، والحجاز؛ وكمناضل ضد المستعمر الإنجليزي في منطقة البحر الأحمر، وجوار عطبرة بالسودان ضمن حروب المهدية. وهنالك في

---

(٢٨) ادريس أحمد حنبله، حركة الطنبرة في الشيخ عثمان، صحيفة **الشباب** (عدن)، العدد ٦٧، ١٩٥١/٣/١٠م.

(٢٩) نشرت ضمن الدراسات المقدمة لسمنار الطب الشعبي في مجلة **دراسات يمنية** (صنعاء).

الحقيقة ايقاع في فن الطنبرة يسمى ايقاع السوداني نسبة لعثمان دقنة:ـ (٣٠).

جارية(سواكن)

ليش تبكين يا جارية (سواكن)

وايش بغيتي يا جارية؟

أبغي حقي تعطوني حقي

يا (مخا) في سبيل الله

يا (مخا) عذبت روحي

حبيبي (دقنه دقنه) يا ماله

انكليزي يتمنى حرب (السواكن)

...

وممن أشار إلى هذا الحضور لعثمان دقنه، في فن الزار في البحر الأحمر، المستشرقة الإيطالية تزيانا باتان التي تقيم في اليمن والتي تعد أطروحة عن فن الزار في مصر وما جاورها من بلاد.

وفي صنعاء في الفترة من ٥ إلى ٧ ديسمبر من عام ١٩٨٩م خلال انعقاد المؤتمر الرابع العربي للطب النفسي قدم الطبيب اليمني الجهبذ محمد يحيى الشرفي والطبيب النفسي السوداني المقيم باليمن العالم محمد الحسن توفيق هيبه، دراسة شيقة باللغة الإنجليزية عنوانها «الزار في السودان»(٣١). وبالمقابل فإن هناك أبحاث عديدة لأطباء سودانيين من أصول يمنية ـ منهم طه باعشر، وأحمد الصافي، عن الزار وهما اللذان قاما بترجمة الدراسات التي كتبها العلامة السوداني الدكتور التجاني

(٣٠) تزيانا باتان، أساطير وروايات التأسيس لشعوب البحر الأبيض المتوسط، فرنسا ـ العدد ٥٦، ٥٧ بتاريخ يوليو وديسمبر ١٩٩١م. عنوان الدراسة بالفرنسية موسيقى الوجد وأسطورة تأسيس الطنبورة في طقوس الزار بمصر، في **مجلة البحر الابيض المتوسط**

(٣١) لم تستكمل الدراسة بعد.

الماحي عن الزار في السودان وعن القات في **اليمن**(٣٢).

والجدير بالذكر أن كل من المستعرب الفرنسي الدكتور جون لامبرت والمستعربة النمساوية الدكتورة جابرويلا براونة، قد قاما ببحوث ميدانية من شأنها أن تضيف إلى معلوماتنا عن أغاني آلة الطمبور في السودان واليمن. حيث نشر جون لامبرت مؤخراً دراسة بعنوان (الزار والهارب في اليمن)(٣٣)، ونشرت جابرويلا براونه بعض آرائها في أغاني «النوبية» في البحر الأحمر والمستخدمة فيها آلة الطمبورة إضافة إلى غيرها من الأغنيات والرقصات والعادات والتقاليد المتشابهة في السواحل اليمنية الجنوبية منها والغربية، وسواحل سيناء ومصر والسودان، وغيرها من بلاد حوض البحر الأحمر(٣٤). وهي تعمل أستاذة للموسيقى العربية في المعهد الدولي للموسيقى في برلين.

(٣٢) من منشورات دار النشر بجامعة الخرطوم. كذلك دراسة الصافي (عودة للطمبورة) الخرطوم يناير ١٩٨٨م.

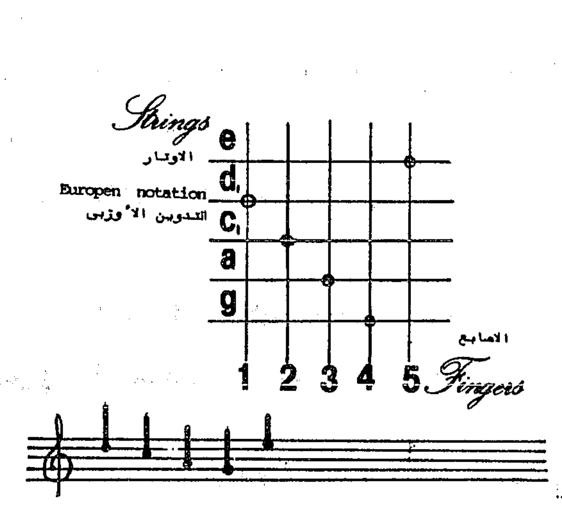
(٣٣) تم الحصول على هذه الدراسة من الدكتور جون لامبرت بمتحف التاريخ الطبيعي للإنسان في باريس، عن طريق المراسلة الشخصية.

(٣٤) انظر لها دراستها في اجتماع الجمعية العالمية لعلوم الموسيقى في مدريد عام ١٩٩٢م.

وللمزيد انظر: صحيفة **الشرارة** (المكلا)، بتاريخ ٨ و ١٥ ديسمبر ١٩٩٣م، وآرثر سمون، **موسيقى النوبيين في شمال السودان**، بالإنجليزية، برلين ١٩٨٠م.



ضبط أصوات « الكيسر » لدى النوبيين شمـــال السودان
Tuning of the "Kisir" in Nubia



ملحق الفصل الخامس

مرثية للفنان أحمد قاسم

فجع الفن وأهل الفن إبداعاً وعشقا

فجع الأهل أجل والصحب والأعداء حقا

فجعت أرض اليمن

أصبح الحزن رفيقاً للشفاه

رحلت أفراحنا أعراسنا

رحلت كل البشائر

ما الذي يبقى لنا للفن للإبداع لـلـ...

بعد أن غادرنا والحزن في الأعين في الأعماق جاثم

أحمد الفنان قاسم

التقت في شخصه الموهبة الحقة

والصنعة تدريساً ودرسا

وثقافات عديدة

وقضى العمر كما قد شاءه طولاً وعرضا

بيد أني كلما شاهدته حتى وإن قد كان يبسم

ساخراً من ذا وذاك

باحثاً عن غائب آت ولكن

في يقيني أنه لو جاء لن يرضى به

لا ولن يسعده

هكذا أتعب نفسه

أتعب الأهل وصحبه

أتعب الفن وأهله

ولذا غادرنا والحزن في الأعين في الأعماق جاسم

أحمد الفنان قاسم

يا ترى نعطيه ما يرضيه بعد الموت

أم نلزم الصمت ونرضى

بالتراث الخالد الحافل من انتاجه

فيه ما يشفينا ما يسعدنا

وله في عالم الخلد بديل

نسأل الرحمن أن يرحمه يسعده

ولذا غادرنا والحزن في الأعين في الأعماق جاسم

أحمد / الفنان / قاسم

محمد مجذوب علي

عدن / ابريل ١٩٩٣م

ملحوظة: للشاعر السوداني، المقيم بعدن، مرثية منشورة بالصحافة اليمنية، للفنان اليمني الراحل، محمد عبده زيدي، ولكني فقدتها، فوجب التنبيه لتلك القصيدة الجميلة، لمبارك حسن الخليفة.

مناجاة

يا حديدة... يا دياراً هام فيها القلب وجدا

بل عيونا علمتني كيف يبقى الحب عهدا

بل تعدى كل أشكال المواثيق العظيمة

كل أصداء التراتيل القديمة وكان أنقى

كان أجدى يا حديدة

يا حديدة.. أنت في أحضانك الأيام سعدا

أنت للإبداع بحر أنت فيض أنت فجر

أنت فيك الغيم شهدا

وأنا فيك ومنك قد قطعت اليوم وعدا

أن تكوني في عيوني داخل الأعماق ودا

يا حديدة.. أهلك الكرماء ذخر

ثغرك الوضاء بُشر.. شطك الممراح درر

شدوك الأخاذ شعر.. وأنا يا بضع عمري

سوف أشتاقك دوما

لو دعاني عنك يوماً موطني أو رمت بعدا

وستبقي فيَّ ذكراك وتبقى جذوة الأشواق وقدا

يا حديدة

محمد أحمد سوركتي

روعة تعز

بالصدفه شفتك في تعز وعرفت أنك بنت عز

ما بعجبك قصر الرشيد وقليل عليك ذهب المعز

مر النسايم خطوتك ومحروسة أنت بعفتك

وقبل الصباح تلقى الندى فرحان كده وفارش دموعه بسكتك

وكل الحسان خجلت كمان من روعتك وحتى الورود مشتاقه

تشبه طلعتك وقالوا البدور لو شافتك حتسيب دياراً وتمشي ليك

وتغني ليك وتنادي ليك يا أغلى من دهب المعز

يا روعة معقول من تعز

أنتِ زي بلقيس علم.. وحتى السلام منك نغم

مولودة في جنة عدن ومنقوشه في صدر الزمن

ألفين سلام ليك يا وطن وألفين كمان ليك يا يمن

في ربوعه بنشوف زيك أنتِ يا أغلى من دهب المعز

يا روعة معقول من تعز

الحديدة / مارس ١٩٨١م

محمد أحمد سوركتي

هدهد سبأ

مرة يا هدهد سبأ ودي للسودان نبأ

وكلم الطير الخداري يغشي بيك كل الحواري

واحكي عن سهدي ووداري وعن حنين عايش معاي

لحظة ما فارق خطاي وعمره في يوم....

مره يا هدهد سبأ ودي للسودان نبأ

أصله في إحساسي دايب

وديمه من أنفاسي شارب

وبرضه يا هدهد سبأ إبقى زي أشجع محارب

زادو في الدنيا التجارب وأمشي عدي السكة لهفة

وابقى إنزل في المغارب احضن النيلين برأفه

واروي شوقك رشفة رشفة واقري كل الناس سلام

للديار والصحبة والغيم المسافر كم تحية وكم سلام

للفيافي والمرافي ولي حدودنا وعز جدودنا وللقوافي

أصلو ما في أحلى من قولة سلام

وعن كثير أشواقنا احكي

لكن أوعه مرة تبكي وتمشي تشكي

عن سهادنا وعن بعادنا وعن قليب في الغربة هام

دي كل لحظة بألف ساعة وكل ساعة بألف عام

يلا يا هدهد سبا ودي للسودان نبا

زي سليمان يبقى واقف بالخيال تلقاني طايف

وفي هجير أشواقي زاحف وديمه راجيك في المشارف

واوعى يا هدهد سبا تمشي للحلوين وتنسى

وبرضو زي الغربه تقسى أصلي منك وا لله خايف

وأصلي يا مرسالي عارف زي حنين عشرتنا مافي

وزي عبير طيبتنا ما في وديمه نيل أشواقنا جارف

الغريب يلقى البشاشة ويلقى كل الدنيا هاشه

ويلقى شرفات المحبة ويلقى أحضان الأحبه

ديمه مفردوة وتلاطف أصلي منك وا لله خايف

تمشي للحلوين وتنسى وبرضو زي الغربة تقسى

وانت عارف إني لسه زي سليمان يبقى واقف

بالخيال تلقاني طايف وفي هجير أشواقي زاحف

وديمه راجيك في المشارف

مرة يا هدهد سبا ودي للسودان نبا

محمد أحمد سوركتي

الحديدة / ديسمبر ١٩٨٠م

عبث شباب

في يوم من الأيام كان لي حبيب وافي

بادلني حب وغرام وشاركني إحساسي

كان لي أمل وزهور

أفراح وبهجة ونور

لكنه كان مقدور

تتبدد أفراحي

في جحيم من الأشواق قاسيت أنا الآلام

طبع الزمان فراق

يا ما الغرام في الدنيا أسعد وأشقى قلوب

ناس فيهو عاشوا اتهنوا وهناهم كان مكتوب

وناس الفراق أشقاهم يوم فارقوا المحبوب

علوي الجبلي

أنا وإنت والليل

أنا وإنت والليل والقمر حوالينا

والنسيم الضاحك والغرام يروينا

نسينا كل الناس يا ريت الكون يكون ناسينا

السعادة معانا....

علوي الجبلي

بادلونا

بادلونا عواطف بعواطف

بادلونا محبة بمحبة

خلونا نذوق طعم الجنة

علوي الجبلي

بشوف المسافر

بشوف المسافر وليل الذكريات

وبراءة عواطفي وربيعي اللي فات

حلفتك يا غالي ما تقول حبي مات

بشوف المسافر والحب والحنين....

علوي الجبلي

قل لمن مل هوانا

لشاعر غير معروف.

قل لمن مل هـــوانا وتـولى وجـفـانا

ولمن أعرض عنا بعـدما كنـا وكـانـا

من تبدلت علينا ومـن اخـترت سوانا

نحن ندري أنـك اخترت فلاناً وفـلانا

نحن لا نعجل بالأخذ على عبد عصانا

قل لنا أي قبـيح قـد جرى منا وبـانا

كم تتبعـنا مراضيك و لم تتـبع رضانا

كم دعونـاك إليـنا وعلـينا تـتوانى

كم توقعـناك للصلح وطولت الزمانا

كم رأيناك على ذنب وما كنت ترانا

كم أمرناك وخالفت هـوانا في هوانا

هكذا الحر الموافي هكذا كـان جزانا

وتلاقت سبأ

وتلاقـت سبأ في سـاحة الشـمل المديد

وأطـــل العيـد من أيـار أنداء وورود

حلماً كان وقد واكب أحقـاب العـهود

ثم أضحى واقعاً ينبض خــفّاق البنــود

وانطوت لعنة تشطير مع الليـل البلـيد

أيها الصادح بالأنغـام من مايو الخلـود

أنت لحن وقعت أطياره حـر النشـيد

هب شمسان يلاقي نغم الماضي المشيـد

وزبيد رفت الأشواق منـها للصــعيد

أشرقت شمس اليمانيين مع الصبح الوليد

تغزل الآفاق نسجاً سابغـاً حلـو الـبرود

وربيعاً لاح يفـتر عن الثـغر النضـيـد

يا نواة الوحدة الكبرى ويا عرس الوجود

من ذرا قحطان قد بشرت بالبعث المجيد

موكب يستقطب العرب طريقاً في صعود

ويزيح الفرقـة النكراء بالعـهد الجـديد

وخليق أنـت يا قحـطان بالشأو البعـيد

إذ أطل البشر من دنيـاك أبراج سـعود

وتلاقت حمـيَر في دوحـة المجـد التليـد

عبد الرحمن اسماعيل عثمان سكاب

ثورة ٢٦ سبتمبر

أزف التهـاني لأهل اليمـن

جنـود المروّة عنـد المحـن

بأيلول شمساً أضاء الوطـن

فعم الرخاء وطاب السـكن

لشعب يسابق ركب الزمـن

يـروّض الحـياة بعلـم وفـن

بحكمـة قـائده المؤتمـن

أزف التهاني لأهـل اليمن

بفخر سيخزي دعـاة الفتن

سيأتي بهـيا سـيأتي غـدا

تعانق صـنعاء فـيه عـدن

أزف التهاني وكل الأمـاني

لراعي وشعب وجيش اليمن

من زمان

ميرغني عثمان الحاج

من زمان يا روحي أهواك ولكني أخبي

والملامح حدثتني أنت تهواني وربي

والعيون تحكي الحقيقة من زمان

كم محبين نراهم أعلنوا الحب جهارا

بعدنا جاؤوا فعاشوا الود ليلاً ونهارا

غير أني في انتظاره طال قد صار حصارا

واللقاء ملك يدينا من زمان

كل شيء حولنا يبدو وتأتيه نهاية

غير أنا ما خطونا خطوة نحو البداية

يا ترى تأتي النهاية يا زمان

تسألني عن حالي

محمد جذوب علي

تسألني عن حالي وأنت السبب يا زين

أيش با تعود تاني قلبي يا نور العين

قصدك تزيدني جراح

يكفي حياتي نواح

الصبر ولى وراح

عذبتني يا زين

يكفي الذي شفته منك وجربته

المرقد ذقته أتعبتني يا زين

كم مره أترجاك تنسي الخصام وجفاك

تمنحني لحظة معاك حرمتني يا زين

أحسن نعيش في بعاد والذكرى أجمل زاد

ما دام فيك عناد تسألني ليش يا زين

على النيل

محمد مجذوب علي

غزالي المحنن المعطر لابس ثوبه الأحمر

رماني بسهم العيون خلا قلبي ونفر

ما ليا غيره حبيب

دايره تملي قريب

في حبه أنا مجنون صار قلبي مني غريب

خضاب الحنه في إيده

حمار الورد في خديده

ريح ضفايره الهادله تسكرنا يوم عيده

سهران وحدي حيران

من طيف الحبيب ولهان

من شفته ليا زمان

في قلبي ليهو مكان

في حبه ما بنسى

في قلبي ريد رسى

ليه غرامي قسى

أتمنى أشوفه عسى

باحبكم باحبكم وزاد شوقي لكم

تحية إلى اليمن

صالح علي مغلس

في الهوى صرت يماني

وشباب اليمن الناهض في الحب رماني

وبأنفاس الأزاهير ومعسول الأغاريد وشلال التواشيح سباني

ثورة اليمن الوثّاب ضاعت بكياني

ادكارات وآهات وآمالاً ورقصات افتتان

ذو يزن عاد جديداً وبزنديه احتواني

كلما قلت له هات إسقني من قدح الثورة أنخاباً سقاني

قصر بلقيس غدا حقلاً لمحزوني الأسارير وزراع الأزاهير

وعشاق العصافير لأطفال حسان

اليمن عاد سعيداً وتحلى بالأغاني

وغداً يغدو بشقيه مناراً للزمان

وجناناً للمظاليم فؤاد واحد الخفق اشتراكي المعاني

وعدن ترسل من صنعاء للخرطوم باقات التحارير وشارات المشاوير

وصيحات الشحارير وصندوق الأماني

معتصم الأزيرق

القاهرة

نشيد الوحدة

قد وحدت قلوبنا محبة الوطن

صنعاء في نفوسنا وأختها عدن

تفجرت ثوراتنا تدمر العدا

توحدت غاياتنا بالعزم والفدا

نحطم السدود ونحمل الورود لوحة اليمن

المجد لانتصارنا يا فرحة الشهيد

السعد في ديارنا في عهدنا الجديد

الحق رائدي والعلم مرشدي لوحدة اليمن

قد نورت شموسنا تبدد الظلام

وأشرقت نفوسنا بالحب والسلام

بشعبنا الأبي وحزبنا الوفي نوحد اليمن

د. مبارك حسن الخليفة

لحن التهم أنامله

* مهداة للفنان ناجي القدسي، والفنان محمد البيرق

آووا تحت أوتاركم التجفوا أنغامها

ارتدوا خيوطاً من الرقص الحزين كلوا ذرات قوس يقتل

وناموا على نبض حرف يولد اعزفوا لحناً يتيما

واحتسوا دهراً من القبلات احصدوا الحسرات

امنحوني التسكع في زقاق الكمنجه

في ساحة مذعورة لقيثار مات

امنحوني التيه امنحوني الغد

أمسي الطفولي. افصلوا بيني وبين فراغ أمة

عبد الرحمن الغابري (شاعر وفنان يمني)

١٩٨٨م

نثرية إلى ناجي القدسي

حفرت في عين الزمان قامتك. أكف الملائكة كل يوم فراشك، ودمك ممزوج بدموع العشق، وفي لفح شمس القحط. يستظل المبدعون تحت لحيتك الكثه. وبين ظفائر عمامتك الملونه. نهر يسقي ودياننا العطشى. زفراتك تصعد إلى السماء. كلما غنيت تكون غيمة بأثداء ترضع الأطفال.. حب الوطن. وريشتك جسر نمر منه إلى أرواحنا، وإلى عقولنا. أنت الوسيلة للوصل قدمت إلينا، وبساطك قوس قزح، مثقل بهموم البلابل. ما عسى أفعله لك سوى أن أعصر الدهر، وأُهديك ربيعه.

عبد الرحمن الغابري (شاعر وفنان يمني)

قلبي مع اليمن

قلبي مع الذين يرسمون لوحة الأمل

الفجر في إطارها يطل
يلونونها بالفكر والعمل

ويحلمون بوحدة اليمن.. ويعملون لعزة اليمن

قلبي مع الذين يرسمون لوحة الغد.. يلونونها بخير موعد

يلوحون قبضة اليد.. في وجه كل معتد

يدافعون عن اليمن ويبدعون في اليمن قلبي مع اليمن

قلبي مع الشباب في اليمن وحزبه القوي المؤتمن

وشعبه الذي ما لان لا ولن يلين أو ينام عن حماية الوطن

قلبي مع اليمن

أغنية حب لليمن

د. مبارك حسن خليفة

بحبك يا يمن

وأنا في هواك عليل

وبلمح في تبن

عشاق شباب النيل

وجيتك يا بنا

أنا للغرام عطشان

وسقيتني من الهنا

وأنا بي هواك نشوان

بحبك يا عدن

زي أمنا الخرطوم

ولازم يازمن

عشق الأحبه يدوم

وجيتك يا يمن

حامل جراحي أنوح

لقيتك يا يمن

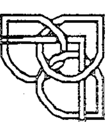
بلسم يداوي الروح

برسم على صيره

وبنقش على شمسان

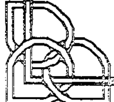
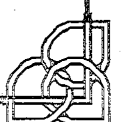
أجل هوى وسيرة

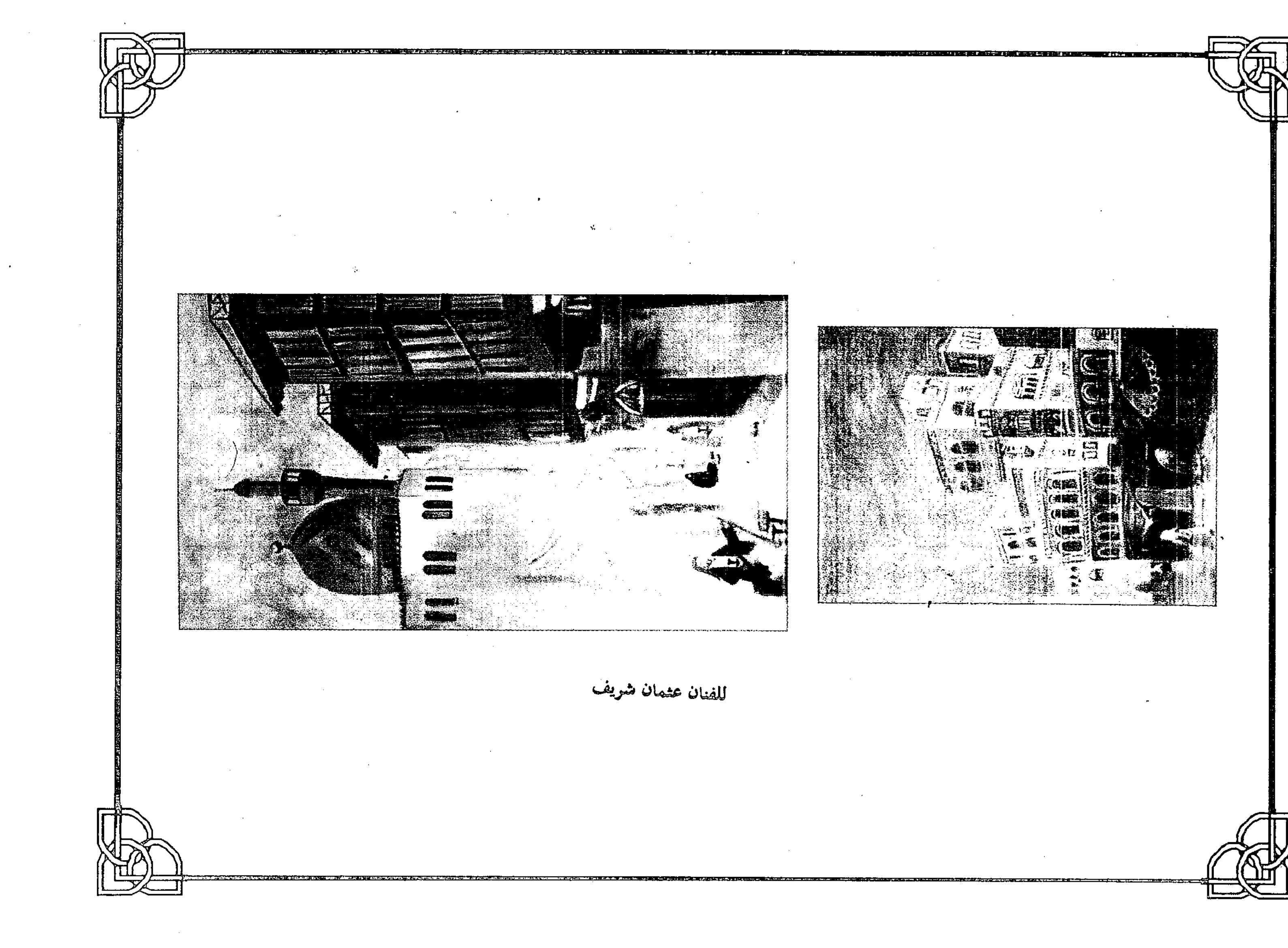
من موطني السودان



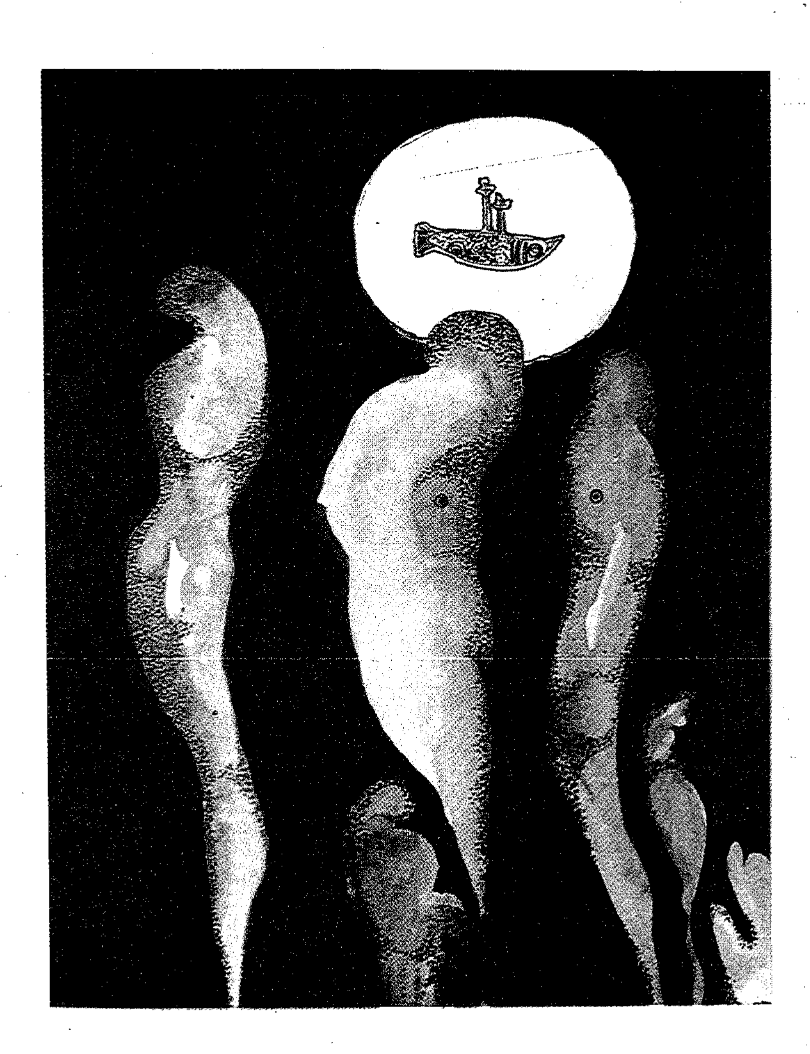
للفنان عثمان شريف

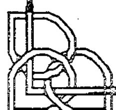
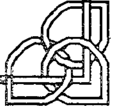


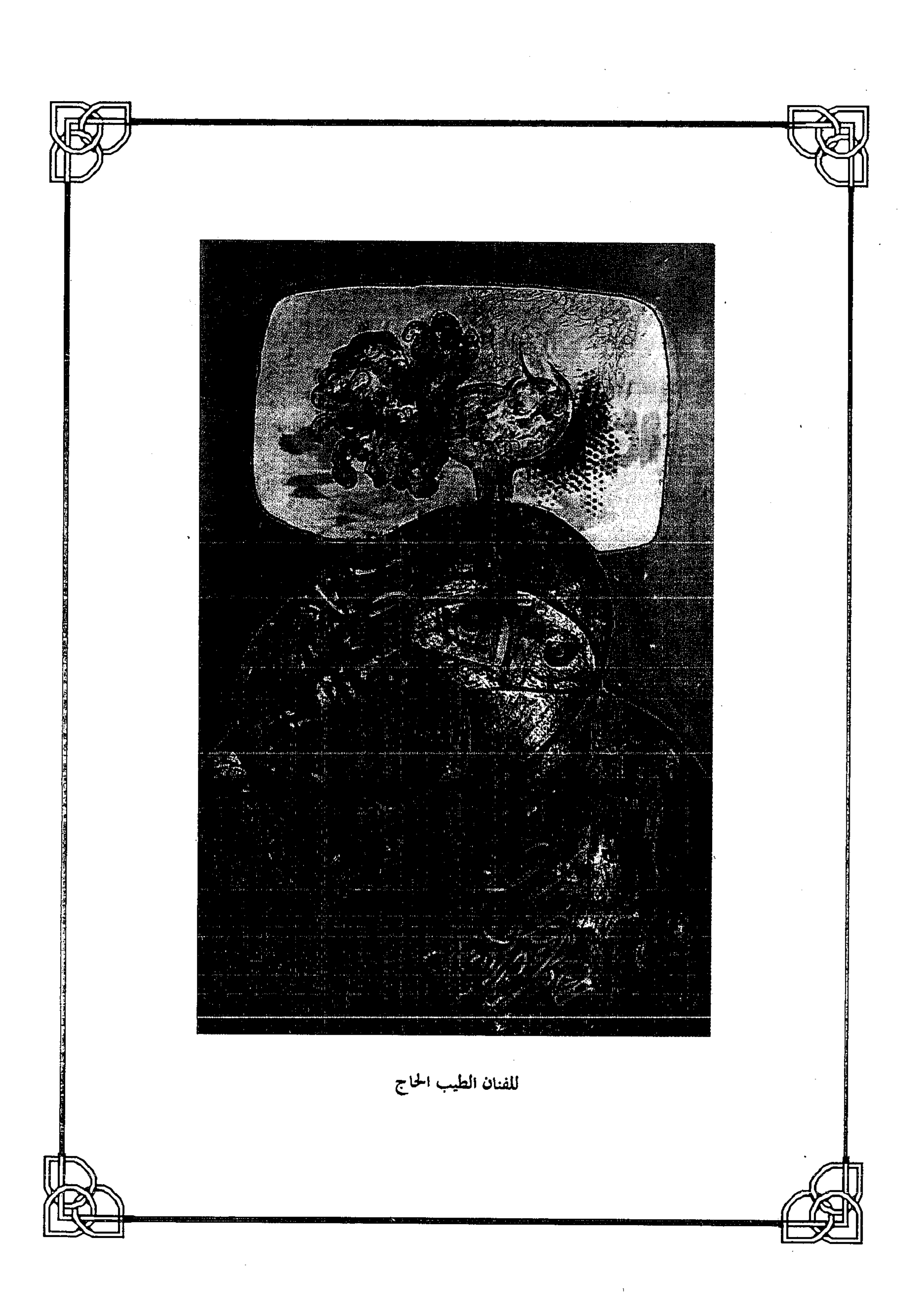
للفنان عثمان شريف



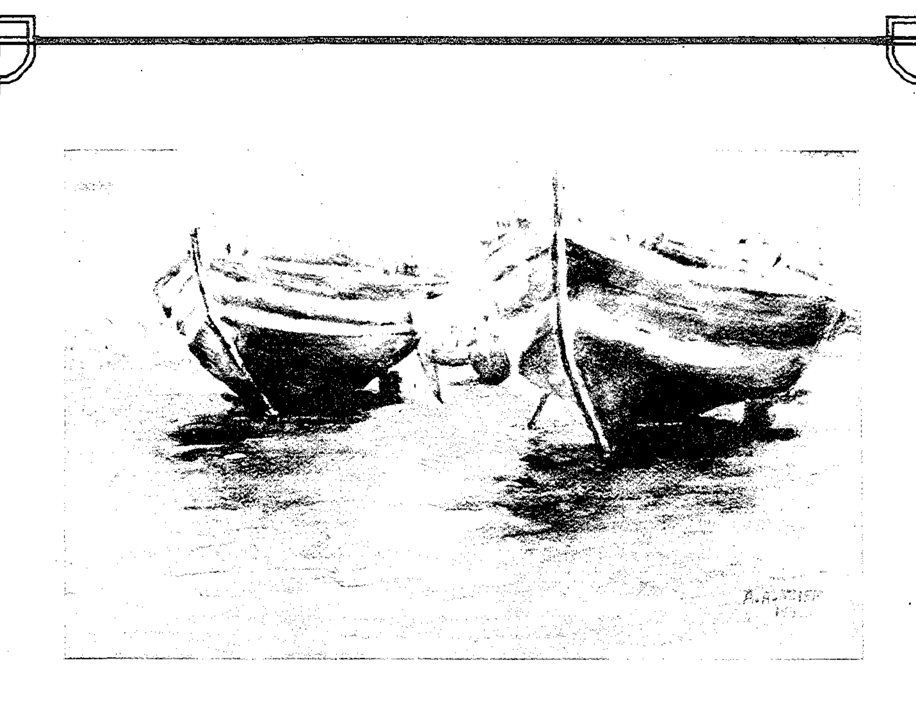


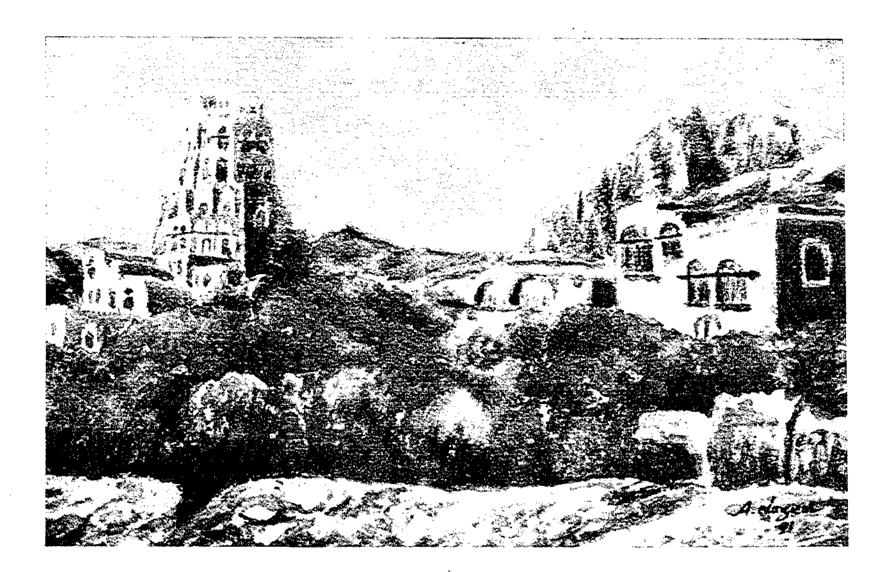
للفنان الطيب الحاج

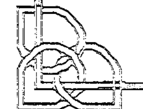
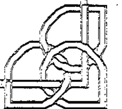


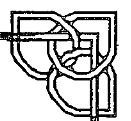
للفنان الطيب الحاج





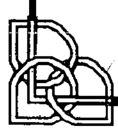
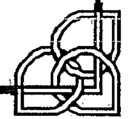
للفنان عبد العظيم محجوب

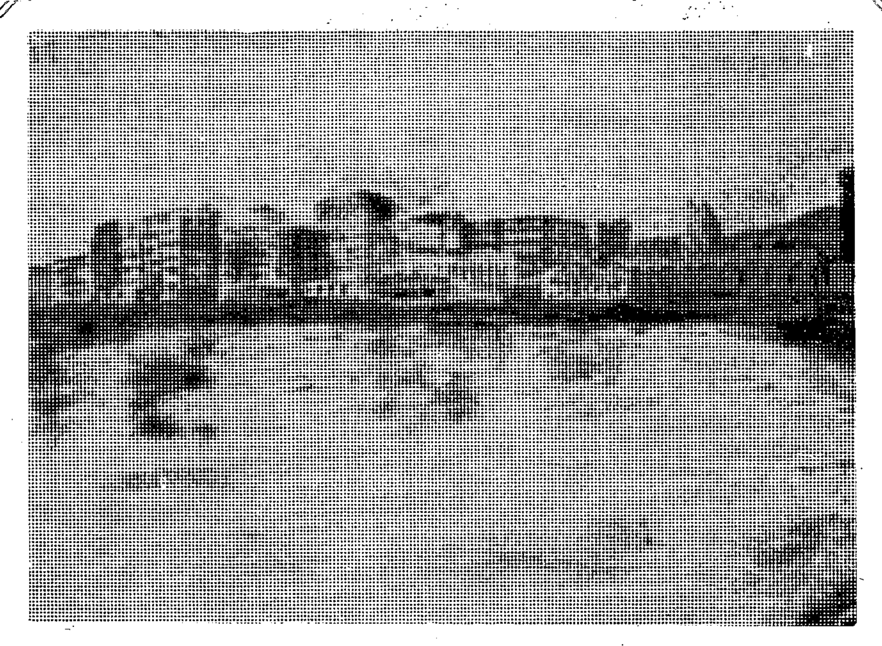



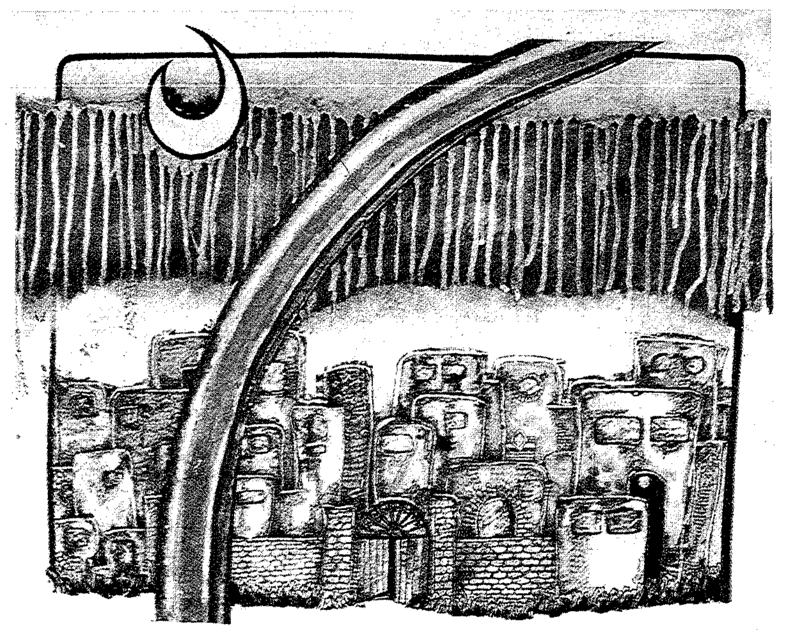


أفيش فيلم (ويبقى الامل)

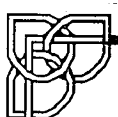
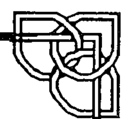





للفنان عبدالحميد جماع

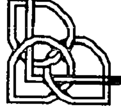
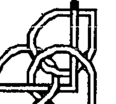


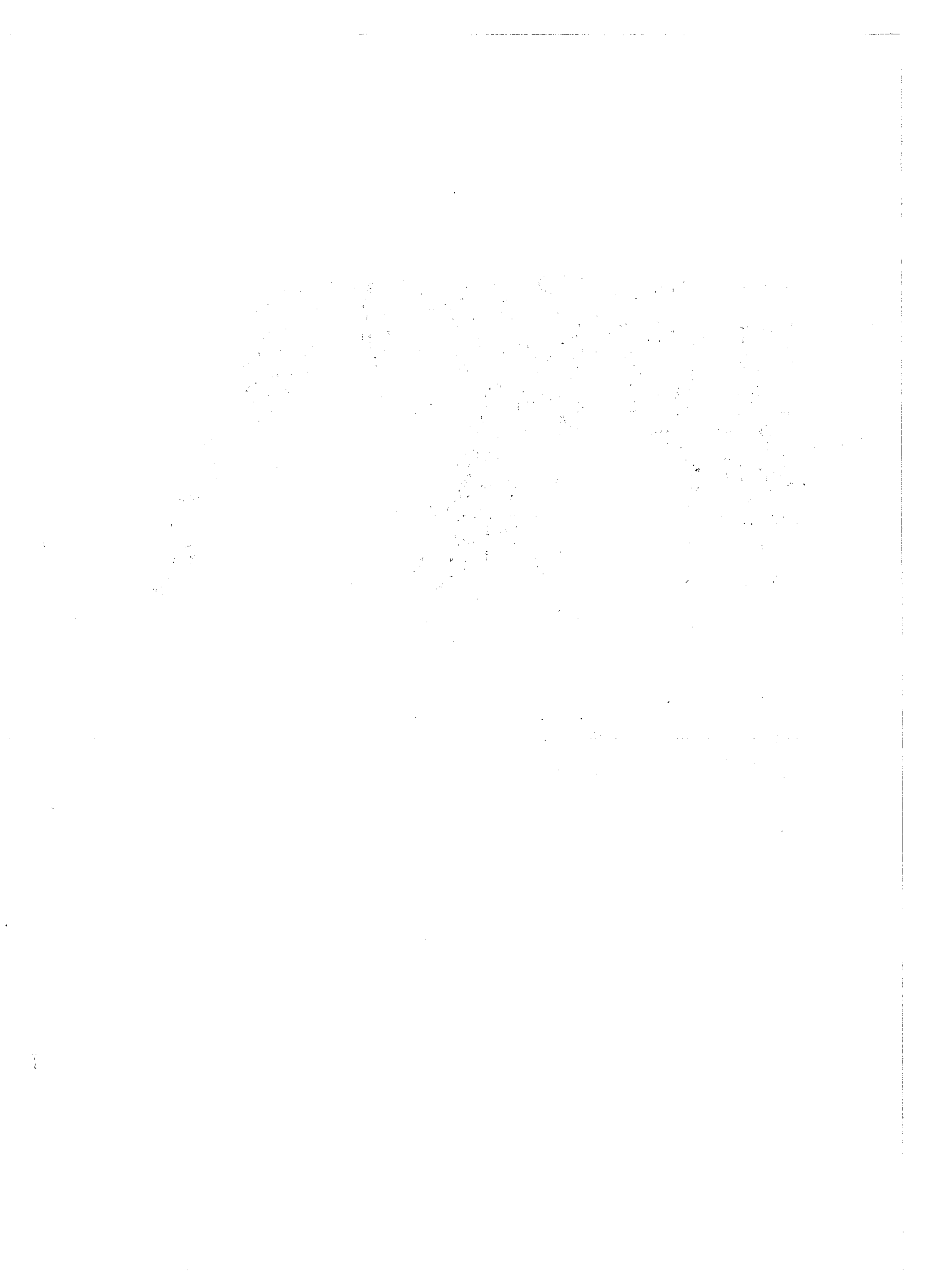
للفنان علي الهادي



د. غانم: الأب والإبن



الباب الثاني

نماذج من الأدب السوماني

ابراهيم الكامل محمد أحمد

شاعر سوداني رقيق، قدم إلى حضرموت، عام ١٩٧٠م، واشتغل هناك بالتدريس، لفترة وجيزة من عمره. أسهم، ابان وجوده بحضرموت، في ا لمسرح المدرسي، وقدم قصيدة (هتاف الطلائع العربية) إلى الفنان اليمني المعروف، كرامة مرسال، فلحنها، وغناها.

كتب، خلال وجوده بالمكلا، قصائد فصحى، مثل (صدى أكتوبر)، وأُخرى عامية. وهذه قصيدته (الاختبار من دمشقية فرعاء)، التي كتبها في منطقة (فوه)، بالقرب من المكلا:

أُهديك روحي زهرة من (فوه) يا مسحة الضعف وكل القوه
ومزجة الجبن مع الفتوه إليك قلبي هاكه تعالي
يا ومضة الحنين يا خيالا ونبضة الجنين في الحبالى
هيا أقليني ناحتاً مثالاً لشفق لاذت به الليالي
يا منهلاً تعشقه الغواني ونغماً فاض على ألحاني
هجرت ليلاً بيدر القباني لتنزعي الثبات من أوصالي
كراحة الإيمان للحيارى وواحة الهيمان في الصحارى
الروح لا ترضى الهوى أزراراً والراح لا تغني عن الزلال
ولكن للمحصنات التوق كالتنميل مدمر كالخمر في التمييل
فلنرض بالمقسوم لو قليل ولنمض أنداداً بلا اعتلال
والمال من منارك الفنيقي والنحل من مزاري الإفريقي
والعسل الشقاب من طريقي لو تسمح السماء بالمحال

فــويل مــن يستلــهم إنفصــاماً لتغــرز الأمـــارة انتقـــاما

يـــستولد اطمئـــنانه أوهـــامــا تـفلســف الحـــرام بالحـــلال

شـــريان فيـــنوس بنســل أروى ليس الغنـــاء للطلـــول شـدوا

فلنفــــترق قبـــل فـوات الجـدوى مـداركـم ما عـــاد في مجالي

ولنلتـــزم أقطابـنا يا أنـــــت ولنعتصم لا هنـت لا أهنـت

كاد الخيـــال قبـــل إذ هتـنـت يأتي علـى براعـــم الخـــلال

ولكن لأرضنـــا وشعبنـا علينا قضـية تضيـع تنهار لـو نأينا

إطـــارها الوحـــدة ما حيينـــا فلنعتـنق في ســـاحة النضـال

المكلا / فبراير ١٩٧١م

أبو تلة الحسن أحمد

شاعر سوداني، اشتغل باليمن في مجال التدريس، وما يزال.

تراتيل العشق بين النيل وبلقيس

بلقيس شمس الكبرياء

بلقيس أُغنية المساء

بلقيس تعبد ربها

بلقيس تفتح قلبها

بلقيس تعلن حبها

بلقيس تعشق من تشاء

بلقيس تفعل ما تشاء

بلقيس فوق الأوصياء

بلقيس ماء النيل من دمها

وشدو النيل من فمها

وذاكرة الغناء

بلقيس سيدة النساء

بلقيس تؤتى من جنان الخلد رزقا

بلقيس تسكب في خلايا الروح والأحلام شوقا

بلقيس تبقى للمدى للفجر للتاريخ عشقا

بلقيس ترتيل الغسق

بلقيس أحلام الشفق

بلقيس رمز الكبرياء

بلقيس تأمر كي تطاع

تؤتى من الحقب القديمة وهي لا تأتي وإن

بلقيس شمس في سماء العشق

آلهة يناجيها الشعاع

بلقيس تأمر أيها التاريخ كن

بلقيس قالت كن فكنت عشيقها الأبدي

صارت مقلتاها لي وطن

بلقيس تسكن في مسام الروح مني لا القلاع

بلقيس بحر الشعر لا يكفي لأكتب عن وعن

بلقيس من

بلقيس في

بلقيس من

بلقيس عن... بلقيس لن

بلقيس قيثار ودن

بلقيس من فرحي أُصلي

بلقيس في قلبي وعقلي

بلقيس من يهواك مثلي

بلقيس قافيتي وظلي

بلقيس للشمس تدلي

بلقيس عن حبي وعن

لن أنتهي أبداً ولن

بلقيس شمس الكبرياء

بلقيس لي خبز وماء

بلقيس لي هذا الهواء

بلقيس ظمأى والصحاري كلها عطشى

ويمتد الهجير إلى شرايين القلوب

والنيل مندفع مع التاريخ نهر للهوى

للشوق للأحزان والسقيا وقافية الوجيب

بلقيس ما كشفت سدى عن مقلتيها ذلك الأفق الرحيب

والنيل متكيء على شطيه يغسل قلبه حلماً يناديها

أيا بلقيس يا بلقيس فاض الشوق

يا بلقيس جف الحلق

يا بلقيس قد أزف الغروب

النيل مشتاق وبلقيس العنيدة لا تجيب

الشمس تشرق والمدى وهج وكل الكون همس

بلقيس ما أهداك هذا النيل

ما وهبتك هذي الشمس

هذا السحر في عينيَّ والآفاق والأمس

بلقيس تكسر صمتها بلقيس تعلن حبها بلقيس تسأل في خجل

يا نيل هل أبصرت هذا السحر هل

بلقيس تسكن منك في هدب المقل

بلقيس حبك في الأزل

بلقيس تغزل عرشها للحب فوق الماء

تعلن أنها باتت تحب النيل قل

بلقيس واحدة وهذا الحب واحد

بلقيس خالدة وهذا القلب خالد

يا أيها الملأ اسمعوا يا أيها الزمن اشهدن

إني أُحب النيل جداً مثل حبي لليمن

صنعاء / مايو ١٩٩٣م

غربة

أرحلت من مدن الهدير ومن قرى الدم واللهب

إني هنا ما زلت أنتظر الرجوع تجمد الدم في عروق قصائدي

وغدوت بعدك شاعراً دنفاً يغازل في الدمى عبثاً ويمتدح اللعب

وعاود قلبي الوجيب والخفقان فهممت أن وعزمت فكتبت...

شققت الصدر ثم غسلت قلب القلب بالبرد

لأصبح من هوة عينيك مـرتاحاً إلى الأبـد

فإن عـاد الهوى والـقلب للـتذكار والوجـد

لعلـقت الهوى والـقلب في حبل مـن المـسد

إلى حبيبتي إبنة أبي جهل

طلع الفجـر علينا بعـدما طـال الزمن

وافترقنا والتقـينا عـند جنات عـدن

أيها المحبوب قلبي هل تذكرت الـيمن

كم أضعنا من سنين ما لها عندي ثمن

أبو القاسم العرامي

ولد في السودان، لأب يمني وأُم سودانية، واستقر في صنعاء، للعمل، منذ فترة. له ديوان معد للطبع، بعنوان (يا حلم سيكون)...

الهجرة

أخي ذاك كأساً ارتشفنا منه سوياً ارتوينا

احتشينا حنظلاً وبذات الكاس رشفا الشهد رشفاً

تغربنا سنينا ما نسينا

واكتوينا بنار البعد شوقاً وحنيناً

وتغنينا كثيراً وبكينا

ومشينا حتى أدمت قدمينا

علا الشيب مفرقينا طموحاً وهموماً

وتجاعيد وجهينا أوضحت ما نالته منا السنون

كم من العمر انقضى وكم تبقى.. أتذكر

أتذكر يوم هجرنا أرضنا أرض الجدود الأولين

ولهثنا خلف السراب والحلم اللعين

ماذا جنينا سوى الأرق والأنين

ما ضرنا لو كنا لوصيتهم طائعين

وعملنا للأرض بالجهد والهمة مخلصين

الأرض معطاءة أعطها نطفة من عرقك

تمطرك بخيراتها مدى السنين

فلنكرس ما تبقى من حياتنا لها كالسابقين

هم أولي خبرة منا بوفائها

ونحن بهم مغتربين

لنحرث الأرض نسقيها حبات عرق

علها تعوضنا ما ضاع من العمر

وما نحن عليه آسفين

صنعاء

سألتني عن صنعاء.. عن مدينة سام

قلب السعيدة إذا حل فيها الربيع طاب له المقام

تكتسي من حليها سندساً يريدك فوق الهيام هيام

هي للشعوب الأم تفرعت منها الأنام

كم من العشاق والأشعار لها غزلاً وغرام

لياليها الساحرات تناثرت لؤلؤاً مرصعة في نسيج الظلام

وصبحها نسماته تحمل الأريج يبعث فيك الالهام

صنعاء للناظرين متعة وللعاشقين العشق والأحلام

فؤادي جريح في بعدك يا صنعاء

جرحه لم يندمل

ولا يمكنه الالتئام

أحمد أحمد الفقيه

شاعر وقاص يمني شاب، درس الهندسة في السودان، واشتغل بها، منذ سنوات، في مدينة ذمار اليمنية. كان والده من أعيان الجالية اليمنية، بمدينة كسلا، بشرق السودان، وأصبح شقيقه صالح رئيساً للجالية اليمنية بالسودان، وكذلك نبغ شقيقه جمال في الكتابة الأدبية. نشرت له صحيفة (الثورة) بصنعاء عدداً من المقالات الهادفة في العلائق الإجتماعية اليمنية ـ السودانية، يوم كان طالباً بالخرطوم. كذلك توثقت صلته بالأديب الإرتري محمد عثمان كجراي، في مدينة كسلا، ونشرت أعماله الأُخرى بجلة (الوطن)، وصحيفة (الوحدوي)، بصنعاء، التي كتب فيها داعياً إلى مبادىء الزعيم جمال عبد الناصر.

كسلا

أعبر الشوارع شوارع الزجاج والأسفلت

وأمضي عشرين خطوة وقنديل

وعلى البعد مصباح سيارة قادمة

وشرطي عجوز يقف أمام بوابة مشبوهة

وأنا هنا كل الحروف تنام

الساعات تنام

وتبقين أنتِ أمامي

بكل التفاصيل الحلوة فيك

أتسكع في شوارع قلبك

وأمضي

أعيشك لحناً تعزفه مشاويري

وحين أسافر

أذكر أنني

ما عدت أحتمل لوني وإسمي

أنت الدهشة أم الإختيار

ماكنت حلمت أني الآن بين يديك

أُقبِّلك حين أشاء

وأنك صرت الملكة

تاجك الفرح الآتي

وبعض الآتي الحور

وبخور المسك يطرد روح الشياطين

سبحان الخالق.. جاء المكتوب

ما كنت أظن أن يفرح قلبي المفعم بالأحزان

حتى رأيتك بين يدي

جئتِ إليَّ

تزف خطواتك أنفاسي الملهوفة عليك

ودفوف الزمن المنسي

وشذى الحناء المرسومة على كفيك

خفت على قلبي منك

خفت عليك

فأنا أبداً ما صدقت أحلامي

وحين أفقت ارتعش الكف بكفك

نامت أهداب العين

جف الحلق المدهون بجرح الدنيا

- فمضيت أسأل من حولي عن سر حضورك

هل زارتني ليلة قدر منسية

تاهت في (السكة)

هل غفلت أقداري نامت ما بين جراحي وجراحي

هل تاهت خطواتي المهمومة

فمشت غير دروبي العطشى للحزن

أوضاع المكتوب في زخم الدنيا المجنونة

(دنياي) أنا يا بنت السلطان بالمقلوب

دنياي دروب تأتي من خلف دروب

دنياي هروب وهجير الشمس

وأنا الحافي فوق الرمل

دنياي غروب لكني يا بنت السلطان

راضٍ بالمكتوب

أنا يا بنت السلطان عاشق ولهان أضناه الحرمان

سبحان الخالق سبحان جاء المكتوب

ليتك جئت قبل الآن

الحديدة / يناير ١٩٨٢م

شعر هو بسعادة لا توصف، وهي تمسك بيده، دونما تكلف أو اصطناع، وحينما افترقا كان كل شيء قد بدا واضحاً لكليهما.

حمى الرغبة المجنونة تسكن في الحشا، والليل موّال، لا ينتهي، وهي بين يديه تتلوى كأفعى. الصمت يلف المكان إلا من فحيح الأفعى، وصوته المبحوح يخرج بصعوبة... حان الرحيل. همست هي بنشوة غريبة: لقد أخذت منك ما أُريد.

النيل يعانق الليل، والليل يضمها إلى صدره، وهو وحده هناك، ورسالتها بين يديه. أهذا كل الذي كانت تريده.

قالت له: سأُسميه باسمك.. سيكون شعره سلاب، وعيناه واسعتان، وسأحكي له عنك، كل مساء.

عاد أدراجه، يبحث عن تلك الذات العنيدة، وعن معاني جديدة خلف البحر. كانت الحقيقة تبدو غائبة، وكان هو يمد ذرى الترحال إلى ما لا نهاية. إنها الرسالة الأخيرة.

أخرج رسالتها من جيب معطفه.. قرأها للمرة الأخيرة.. ثم مزقها، بنشوة غريبة. جمع القصاصات في قبضة يده، تمتم بعزيمة علمتها إياه، ثم قذف بتلك القصاصات في الجو، فتناثرت، وخيل إليه، في تلك اللحظة، أنها اتخذت شكل النيل.

الخرطوم / ٢٤ يناير ١٩٨٧م

بلاد ما وراء البحر

يا تالقه ما طري يا ذي ظلالش برود

الغنم هكذا....

رحمك الله يا علي الشغيته، كم كانت كلماتك هذه تثير في دواخلي هواجس الترحال نحو الوطن.. هناك حيث المطر يغسل وجه قريتي، التي حواها حصن التراخم، فنامت بهدوء غريب، بعد أن غفا الفؤاد، فاستسلم لتلك النسائم العليلة، التي هبت من الشمال.

كان صوت عبد الوهاب يشق عنان السماء، كل فجر.. قطرات الندى تلثم حجارة الطريق... يخرج الحاج صالح من داره العتيقة، يتوكأ على عصاة غليظة، متوجهاً نحو مسجد (بني هلال)، يداري في دواخله بوادر سعلة خفيفة، ويغتال خواطره العنيدة، التي كانت تشده دوماً نحو تلك البلاد. بلاد خلف البحر بعد الأفق البعيد، حيث عاش أحلى أيام العمر، أو هكذا يظن.

* * *

أذّن الآذان، قبل لحظات قليلة، فأضاءت القناديل وجه المدينة.. كان شيخنا يعبر الطريق نحو الجامع الكبير. قال له شيخ ابراهيم، بعد صلاة العشاء: تبدو مهموماً، هذه الأيام، يا حاج صالح؟

ـ الهم أكبر من السؤال، والقلب دليل الشيخ، شيء ما ينذر بقرب العاصفة. السكون يلف المدى، والجرح صار بحجم الكف.

رد الشيخ صالح، باستسلام عجيب: ربما كانت هموم البلاد، يا شيخ ابراهيم. ابتسامة ودودة ارتسمت على شفاه الشيخ ابراهيم، وهو يقول:

ـ أي بلاد يا حاج صالح؟

ـ بلادي.. تلك البلاد التي تركتها منذ سنين.

ـ تريد الرجوع؟

ـ إنه الحلم المسافر دوماً في دواخلي.

بعد هذا العمر؟

ـ بعد هذا العمر، يا شيخ ابراهيم.

ومضى الشيخ في طريقه.. الأمطار هناك لا تستكين، والأهازيج تملأ وديان البلد، وأمام الدار بقرة، وثورين للحراثة، وعشرون دجاجة، ودابة للحمول، أو للأسفار.. ليته يعود.

كانت القناديل شاحبة، ونسيم الليل يداعب وجناتها، فيبدو عليها النعاس.. الشوارع العتيقة، ذات الوجه الترابي، تمتد أمام الحاج صالح، وكأنها لا تنتهي. من بعيد لاح برق في الأُفق، «برق الشمال لا يخيب»، وعلى ناصية الشارع كان قاسم الوهالي يغلق متجره الصغير، ويتثاءب، بصوت مسموع، بينما كان ابنه يتبول خلف المتجر. وجاء صوت الحاج صالح، متسائلاً:

ـ اين ابنك يا حاج قاسم؟

ـ خير يا حاج صالح؟

ـ ألف خير إن شاء الله. ثم أردف يقول:

ـ جاءني جواب من البلاد.. أين علي؟

ـ إنه قادم يا أبو محمد، ولكن قلي من الذي جاء من البلاد؟

رد الحاج صالح، بهدوء، بعد أن مسح ارنبة أنفه، بظهر يده:

ـ علي الجرادي، أبو سعد.. لقد أحضر معه جرة عسل، وقارورة سمن. ثم أضاف: وحجينة (بلس).

صاح الحاج قاسم الوهالي، بدهشة واضحة:

ـ حجينة بلس.. ما أطيب حجين البلس، يا حاج صالح! ثم أردف متسائلاً:

ـ أمعي رسالة من أُم علي يا حاج؟

لم يرد الحاج صالح.. فتمتم الوهالي:

- الفقيه عبد الله يكتب الرسالة بدجاجة.

- ربما كانت أُم علي لا تملك دجاجة.

- عليها أن تدبر حالها.

- الحال يبدو أقسى من ما نظن.

حسر الحاج صالح العمامة عن جبهته البارزة.. ثم أجهش بالبكاء:

لتكن مشيئة الله

أمام باب متجره، جلس شيخنا فوق مقعد صغير صنعه له «شعيبو»، ذلك النجار الناجيري العجوز، الذي كان حينما يكسد سوق النجارة، يعمل حمالاً عند شيخنا.

تتابعت حبات المسبحة في يد شيخنا، دونما قصد. سأله عن بابو ابن النجار، ثم تمتم:

- استغفر الله.. لا حول ولا قوة إلا بالله!

- لتكن مشيئة الله يا حاج حسن.

- لا دائم إلا الله

- كل من عليها فان.

كان حسن علامه، والنور حاج النور، وعبد الله حميده، يجلسون بالقرب من الحاج صالح، يواسونه في مصابه الجلل، على حد تعبير الشيخ ابراهيم.

- ماتت مسعده بنت علي جابر.

- رحمة الله تغشاها

- لم تترك لي غير محمد.

عشرون عام.. عام بعد عام.. وهو يُمنّي نفسه بالسفر، حتى يراها.. كان قد تركها، وهي حامل بابنه محمد، ومن يومها لم يعد.

كـان المنزل لا يخلـو، وكـان المتجـر لا يخلـو. صفـوف المواسـين والمعزيـن، وبعض من لا عمل لهم.. حتى ابراهيم طلب، التاجر المشهور في بلدتهـم الصغـيرة، جاء يعزيه.. يومها اجتمع كل من يعرفونه. وتحولت الزيارة إلى مهرجان، وغـادره التاجر الكبير، آخر النهار.

ابراهيم طلب هو ملك السوق في مدينتهم، ما كان ينافسه أحد غير ابراهيـم يونس. وكان الناس فريقين؛ فريق يشتري من ابراهيم طلـب، وآخـر لا يشـتري إلا من ابراهيم يونس.

كان كل من الحاج صالح، وأبـو علـي، وعلـي عبـد الخـالق، ويحيـى علـي، وسعد البري، وصالح القاضي، يتعـاملون مـع ملـك السـوق. وكـان كـل مـن أبـو مصلح الجرادي، وحسين عذبه، ورزق عبد الخالق، وأحمـد الجمـالي يتعـاملون مـع ابراهيم يونس. وكانوا جميعاً يتعاملون مع الخواجة هرنجـدال، والـذي كـان يمدهـم بالأقمشة، على أن يسددوا قيمتها بعد البيع.

وانتهت أيام العزاء، وانحسرت عمامة الشيخ عن جبهته البـارزة، وانفرجـت شفتاه، ولكن بقايا حزن كان يكمن في النفس، وجرح عميق يشع بريقه من عيون الحاج صالح، ولا يخبو إلا حينما يتوسد ظلمة الليل.

اتجه أحمد العرامي من مطعم القاضي إلى قهوة الحجـر، كـان الوقـت أواخـر الثلث الأول من الليل. شتاء المدينة يلهب ظهـور الفقـراء. أحمـد العرامـي لم يحسـر عمامته، كعادته، كلما كان يبحث عن شيء ما. وحينما لم يجد الحاج صالح، عـبر الزقاق نحو سوق النسوان، ماراً بجامع متولي الخليفة، ثم يسـاراً حتـى وجـد نفسـه أمام باب الدار.. دار الحاج صالح.

كان يصلي نوافل. انتظره أحمد العرامي، حتى أتم صلاته.. تمتم يقول:

حرماً يا حاج صالح.

ـ جمعاً يا حاج أحمد.. أهلاً بك.

ألم يكن الملعون صالح قاسم يقول له، حينما يشاهد عشه تكتال منه الـذرة، نهار كل خميس:

ـ يا بخت من تزوجها.

ـ فيرد عليه: أي بخت يا ملعون؟!

ـ يكفي تدكي على أردافها.

ـ قبحك الله.

ـ إدكي يا حاج صالح.. جبل داكي على جبل.

ذات ليلة، كان أحمد العرامي يسامره:

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. تمتم الحاج صالح، وتنحنح ثم بصق على الأرض:

ـ ما بك يا حاج؟

ـ تذكرت عشه.

ـ الفلاتية أُم شلوخ.. سأله أحمد العرامي، دون أن ينظر إليه:

فأجاب، وبريق نشوة في العين: بل قل «أُم صلب».

ـ أما زالت تحضر إلى هنا؟!

ـ معاذ الله.

ـ ربما ترغب في زواجها، يا حاج صالح؟!

لم تفاجئه كلمات صديقه، فقال بهدوء:

ـ بعد موت أُم محمد...

وسكت الحاج صالح، ومرت اللحظات، وبدا وكأن جداراً من الصمت قد نما بينه وبين أحمد العرامي... وخرج الرجل من الدار، والحاج صالح مازال داكياً فوق أرداف عشه، أو خيل إليه.

مر عام على وفاة أُم محمد. مرت الأيام، في بطء شديد، حتى خيِّل للحاج صالح وكأن هذا العام يأبى أن ينتهي. كان خريفه أكبر مطراً من العام الماضي، وكانت المدينة قد بدأت تنمو وتتوسع. في أواخر ذلك العام سافر أحمد العرامي، والحاج قاسم، وعلي عبد الخالق، ولم يرسل معهم شيء لمحمد.

تنحنح أحمد العرامي، ثم قال: الموت حق.

- أي والله.

- الباقيات الصالحات.

- أي والله.

- ما عدنا نراك في صلاة الفجر.

- انهد حيلي يا حاج أحمد.

- قل شغلتك الدنيا.

- معاذ الله.

- يريدك شيخ ابراهيم.

- أعزيمة جديدة.

ثم أردف يقول، بهدوء يناسب الموقف:

- بلغه أنني قادم إنشاء الله. وخرج أحمد العرامي.

وتزوج عبد الخالق من فلاتية، تماماً كما تزوج مبخوت البري من إحدى القادمات من جبال «ارتريا».

قال صالح قاسم:

- لقد حملت منه سفاحاً، قبل أن يتزوجها.

- اترك الناس في حالها، يا صالح قاسم!

- لم يخبرني أحد.. كنت أرغب في أن نعقل عبد الخالق.. فلاتية إنها كارثة سيطلقها، فيما بعد.

ـ وإن أنجبت له ما العمل...

ـ كل شيء بيد الله.

كانت السماء فوق رأسه تبدو صافية، وكان الوقت متأخراً بعض الشيء، وكانت النجوم متلألأة، وكان الوقت متأخراً بعض الشيء... واحترم شيخنا هذا السكون، فمضى في بحر لا أمواج له، وفضل الصمت «ألم يكن يرغب في الزواج من تلك البهمة، أي والله بهمة.. بل بقرة من أبقار الغرب.. عشه أم شلوخ، صاحبة الأرداف، كم تخيل نفسه وهو يداعب تلك الأرداف الكبيرة. وتوالت الأيام في تتابع كئيب، وكبرت في رأسه فكرة الزواج، ومع بداية عام آخر كان قد تزوج من عشه.

يومها كان قد ذهب إلى غرب القاش هو وصالح قاسم، ومحمد النميري.. كان ذلك بعد صلاة المغرب، وحينما وصلوا منزل عشه أُم شلوخ استقبلهم رجال الحي، وداخل الدار كانت زغرودة تنطلق لتشق عنان السماء، وأخذوا عروسهم، بعد صلاة العشاء، تزف خطاويهم أهازيج الفرح وموال يذكره، حتى الآن.

أمام داره الصغيرة التي أجرها من أحمد الشامي في حي «النزعة» ودع أصدقاءه، ودلف هو وعروسه حوش الدار.. كم مر من عمر الزمان.. آه لو تعود تلك الأيام. كانت عشه يبدو عليها الخجل، أو هكذا خيل إليه.. في حجرتهم الوحيدة التي ضمها الدار. جلست عشه على حافة عنقريب صنع من خشب الطلح الأبيض، بعد توصية للنجار شعيبو، وخلع جلبابه الأبيض بعد أن علق عمامته فوق مسمار، ثبته على حائط الغرفة.. وفرشت عشه برش أحمر اللون حواشيه خليط بين الأخضر والأصفر، صنعته بيدها من سعف النخيل، وأخرجت من شنطتها دلكه، وفتيل عطر «بنت السودان»، وقليل من بخور التيمان، ومرت اللحظات سراعاً، وتمتم الرجل، دون وعي: «الله يرحمك يا أُم محمد» كان عرفك المخلوط برائحة الروث والتبن أعبق من هذه العطور مجتمعة.. ربما كان الفرق

الوحيد أن الملعونة كانت تصرخ بدلال مصطنع، وكثيراً ما كانت تغرز أصابعها في ظهره. وأدكى الحاج صالح من يومهـا على أرداف عشـه، تمامـاً كمـا تنبـأ صـالح قاسم.

توالت الأيام وتتابعت السنون.. تتابعت كحبات المسبحة..

وأنجب، مع الأيام، قاسم، وحسين، وزهرة، وست البنـات، وتقـدم الأولاد صوب الشباب، وكسد السوق، فبدأ العجوز يعمل ليل نهار، وحينما فشل أشـهر إفلاسه. وكان حديثاً هز المدينة. وتكاتف الرجال، فجمعوا مبلغاً من المـال، رفـض هو أن يستلمه، ولكـن عشـه أصـرت علـى اسـتلامه، وافتتـح محـلاً لبيـع التمبـاك، ومضت حياته تسير، في هدوء غريب.

كان قاسم قد أنهى دراسته الثانوية، فرغب بالسفر إلى بلاد والـده، ورفـض حسين إكمال تعليمه، فترك المدرسة، وعمل مع والـده، ثـم انفصـل عنـه، بعـد أن جمع مبلغاً من المال، كان كافياً لشراء عربة كارو، فصار عربجياً مشـهوراً، سـاعده في ذلك بنيته القوية، وطباعه الشرسة، خاصة بعد أن عاقر الخمر، فأدمنها.

لتذهب أنت وأردافك إلى المزبلة أيها العجوز.. كان حسـين مخمـوراً، وهـو يصرخ في والده.

ـ قبحك الله يا ابن الـ... ما فعلها أبوك ولا جدك.

ـ أغبيـاء تركتـوا بلادكـم وجئتـم إلى هنـا.. أي جـد هـذا الـذي سمـح لـك بالهجرة؟!

ـ جدك أشرف من أن تنتسب إليه. ثم أردف الحاج صالح، وغصة في الحلق:

ـ خسارة بعد هذا العمر يكون لي ولد مثلك.

وبصق حسين في وجه والده، فدارت الدنيا في وجه الحاج صـالح، ثـم رفـع يده وهوى بها على وجه حسين، وهو يصـرخ، بحـدة: اخـرج يـا وجـه الكلـب.. اخرج يا عدو الله.

وتجمع سكان الحارة.. حاول بعضهم أن يهدىء من غضب الحاج صالح، و لم يستسلم إلا بعد أن خرج حسين، وإلى الأبد.

كانت زهرة تحمل ملامح عمتها عماره.. هكذا كان يقول والدها، كلما رآها، أما ست البنات فجاءت علىخالتها.. السارة.. شفتان غليظتان، وأنف أفطس، وشعر مجعد، وأكتاف عريضة، وردفين مؤخرة حصان، حتى أن الحاج صالح كان يداخله شيء ما في انتسابها إليه.

ـ الفلاتية غير مضمونة.. العرق دسَّاس.. هكذا كان يحدث نفسه، كلما رأى ست البنات.

غربة

وغربة

لا فرق بين غربة عاشها الحاج صالح، منذ ثلاثين عاماً، في بلاد ما خلف البحر، وغربة يعيشها، الآن، في قريته الصغيرة، عند سفح أحد الجبال المنسية.

ما زال صوت عبد الوهاب يشق عنان السماء، والحاج صالح يتوكأ على عصاته الغليظة، ولا شيء آخر سوى صوت خطواته ترجع صداها السنين وحجارة الطريق.

عشه ما زالت في دارها قابعة تجتر الذكريات، بعد أن هجرها الحاج صالح، وترك لها ست البنات وابنها حسين.. والحاج صالح هنا في قريته يهرب من خواطره، كلما تراءت له تلك الأرداف. عاد الحاج صالح؛ بعد غربة طويلة. كان محمد قد تزوج أمينه، بنت علي حسين، وكان قاسم قد التحق بكلية التربية، وصارت زهرة مدرِّسة في مدرسة القرية، بعد أن خطبها ابن الحاج قاسم. وكان هو قد أرجع أرضه المفقودة، وأعاد حرثها، فنمت سنابل الشعير، وتطاولت محاجين الذرة، وعلى حواشيها عشرون غرسة لفاكهة، ما عهدتها القرية من قبل..

وتمتم الحاج صالح، بعد أن خرج من مسجد بني هلال، عقب صلاة الفجر:

رحمك الله يا علي الشغيته. رحمك الله يا علي محسن رحمك الله يا علـي الفقيـه..

ثم أخذ يدندن بصوت شجي:

يا تالقه ما طري

يا ذي ظلالش برود

رد الغنم هكذا......

صنعاء / شتاء ١٩٨٩م

---

(١) عنقريب: قعادة من الخشب ينام عليها أهل تلك البلاد.

(٢) صلب: أرداف، باللهجة المحلية لتلك البلاد.

(٣) برش: بساط من سعف النخل، تعسفه النساء، ويفرش على قعادة ليلة الزفاف.

(٤) دلكه: نوع من العجين، مخلوط بروائح مختلفة، تدهن العروس به زوجها ليلة الدخلة.

(٥) كارو: عربة يجرها حصان، تستخدم في نقل البضائع.

* كل ما ورد من أسماء هو من وحي الخيال، وإذا تطابقت مع الواقع فذلـك صدفـة، لا أُسأل عنها!

أحمد الخزان

شاعر، وسياسي يمني، لعب دوراً نشيطاً في معارضة الحكم المتوكلي بشمال اليمن، من خلال وجوده خارج اليمن، في مصر، بالدرجة الأولى، وفي السودان، بالدرجة الثانية. وهو، الآن، مستقر في صنعاء، بعد أن تقاعد عن العمل، ولم يعد بالمهتم بالأمور السياسية، إلا أنه يكتب الشعر، من وقت لآخر.

وفي مناسبة نيل السودان للحكم الذاتي، عام ١٩٥٤م، كتب قصيدة يهنىء فيها السودانيين بهذه المناسبة، ونشرت له في صحيفة (الإتحاد). كان الخزان، يومئذ، سكرتير الإتحاد اليمني بمصر. قال موجهاً شعره لرئيس وزراء السودان:

تهانينا إلى الشعب الحبيب تزف من القلوب إلى القلوب

فهذا العهد في السودان أضحى مثالاً رائعاً بين الشعوب

وفترة حكمه الذاتي انتصار أُتيح بفضل علّام الغيوب

به فخر العروبة وهو نور سيهدينا إلى الرأي المصيب

فوادي النيل قبلتنا جميعاً ومنبع نهضة الآتي القريب

لنا بربوه اخوان وصحب كرام في الشمال وفي الجنوب

فقم في موكب الأفراح وانظم نشيد البشر في ثوب قشيب

لقد ملك السرور عليَّ قلبي فجئت أطير بالقلب الطروب

فللسودان خالصة التهاني بما أُوليه من فوز عجيب

عن الشعب اليماني فاقبلوها تزف من الحبيب إلى الحبيب

وقد أسلفنا أن الخزان ورفاقه اتخذوا من المهاجرين اليمنيين بالسودان جمهوراً لحركة التغيير في اليمن، وكان من الطبيعي أن يلتقي الخزان برمز هذا التوجه الوطني والإنساني بين اليمنيين بالسودان، وهو الشيخ يحيى حسين الشرفي، فكتب القصائد في مدحه:

شـوقي إليك عظيم وأنت أب رحيم

وكيف أسلو وحتى متى اشتياقي يدوم

تا لله أن فـؤادي للبـعد فـيه جحـيم

(يحيى) لقاؤك قصدي وكل شيء أروم

لكنـه الدهـر قـاس وللعبـاد ظـلوم

ليت الليالي تطوى لكـي لديك أصوم

ان الدراسة فرضي كما ترى يا حكيم

كذاك فرض التلاقي بكـم علي لـزوم

سئلت عنك فؤادي فقال يحيى عظـيم

أنت ابنه فلـماذا تقـول أنـت يتيـم

أهتز وجـداً إليكم إن جن ليـل بهيـم

وينعش الروح مني من الجنـوب النسيم

ذكـراك ما فارقتـني فسـرها مستديـم

ولا مـلام ومـن ذا علـى هـواك يلـوم

هذي التحيات يهديكهـا ابنـك المستقيم

إن غبت عـني فقلـبي علـى ذراك يحوم

١٩٥١م

وقال يمدحه، وهو الذي تكفل برسوم الدراسة في مصر للخزان وأمثالـه مـن الشباب اليمني الطموح، يومئذ:

آن الرحيل ولكن كيف أرتحل ومهجتي عندكم والقلب مشتعل

خزان حبــكم يحيى له جزع من بــعدكم وله في قربكــم أمــل

لا روعتــني الليالي في مناي وفي حلمي السعيد ببــين ليس يحتمل

دعوا خــيالي يجري كيف شــئت له فإنه بكم ما عشت متصــل

ولي فــؤاد رقيق الحــس يجرحه جفا المحــب جروحاً ليس تندمــل

دوموا على العهد لا تنســوا محبتنا فانكــم في وفاء العهــد لي مثـل

أحمد محمد الشجني

دبلوماسي يمني، عمل في سفارة شمال اليمن في الخرطوم، في الستينات، وارتبط بصداقة مع الشاعر السوداني، الدكتور تاج السر الحسن، الذي أهداه احدى قصائده. قلما ينشر أشعاره. وقصيدته (لابد أن نمر) من مجموعة قصائد كتبها في الخرطوم. توفي عام ١٩٩٤م.

ولم أكن لأعرف الطريق

عبر الدخان والحريق

لولا نداؤك الرقيق

يهتف بي يصيح بي تعال

حبيبتي نحن هنا أسرى تثقلنا الأغلال

ترهقنا الأثقال

لكم نحن للرحيل نريد أن نبحر

أن نرفع الشراع دون أن نرسي

نريد أن نمضي قاصدين اللامكان

لكنما القرصان

وصائدي السفن من يزرعون دربنا بالحقد بالألغام

عبر هذه السفينة لا يتركوننا نمر

لا يتركوننا نبحر

يخشون أن نبحر رحلتنا يخشون أن نمر

بالعوالم الفساح

يخشون أن نبحر ضوة الصباح

أن نسمع الأنغام

شادية بعيده عن النواح

حبيبتي لا بد أن نمر

ونلتقي بحلمنا المعشوق

أما الأولي رأيتهم وسيفهم مسلول

والفكر في سجونهم مخنوق

ولم أكن لأستطيع

وقد مررت عن طريقهم أن أساير القطيع

شهدت بؤسها الحياة

شهدت كيف تنعكس الحياة

أعلامها إذا أطل فوقها قتلة وحاقدون

وكيف تبرز المأساة

وكدت أن أضيع أن أفقد الطريق

لولا نداؤك الرقيق

يهتف بي عبر الظلام

يهتف بي تعال

حبيبتي ليس سوى الترحال

ليس سوى أن نرفع الشراع

رضيت أن أكون سندباد

قبلت أن أعيش حليفي الأسفار

لأنني لو تعرفين يا حبيبتي لا أستطيع

أن أعيش داخل السجون

مهما تزينت وزيّف المزيفون

وزعموا لي أنها أجمل ما ينشده الإنسان

لأنني أنا الإنسان

أعرف ما يكون ما قد كان

أعرف أن الحب والحنان

أعز ما يملكه الإنسان

د. أحمد علي الخضر

نطاسي يمني، درس الطب في رومانيا.. لـه بالموسيقى المصرية ولـع عظيم، وهو عـازف للعود. زار السودان، في طريقه إلى مصر، للدراسة قبل الجامعية، والتقى في مدينة ودمدني بشيخ شيوخ اليمانية بالسودان المناضل، يحيى حسين الشرفي، رحمة الله عليه، وكتب إليه هذه الأبيات:

وطني أحـن إليك طول زمـاني وأهـيم في ذكراك من وجداني

وطني إليك أشكو قصة رحلتي وما جرى لي في سجون (أسوان)

فمنعت من مصـر ومن جناتها وحرمت نـور العلم في (حلوان)

اليـمن الخضـرا أجمـل بلـدة يشـهد لها التاريـخ والثقـلان

فارقـتها كرها لسـوء نظامها وسئمـت عيشـتها من الثعبان

وذكرتـها في غربتي ونشـدتها ونظـمت ذكـراها على الألحـان

وترنمـت أوتـار عـودي باليمـن وبمدحـها وبحسـنها الفـتان

الله أكـبر ما الذي هيـج لي حـب بلادي في فضـا السـودان

يا أيـها الشعب السـعيد تحـية مـن قلـبي المملـوء بالإيمـان

وأهدي بذكـراك إلى (يحيى) حسين شيخ العروبة صانع الإحسان

يا أيـها الشـيخ الكريم فقـم بنـا لنـجاهد الحـكام في الميـدان

ونحطـم الاغلال عن اخوانـنا ونعـيد فيـهم روحـهم مـن ثانـي

ونمـوت في تحـرير أبـناء شعـبنا ونكسـر الأصـنام والأوثـان

١٩٥٢م

أحمد مصطفى الملثم

شاعر من السودان. كتب قصيدته هذه، مرحباً بزيارة المناضل والشاعر اليمني الفذ، محمد محمود الزبيري، رحمة الله عليه، لمدينة ود مدني، بوسط السودان. وقد أُلقيت في حفل أُقيم للزبيري، وحضره شيخ اليمانية بود مدني، الزعيم الراحل، يحيى حسين الشرفي:

سيري على نهج السلام ورددي صور السلام

وتحدثي بين المحافل عن بني العرب الكرام

حتى يجاوبك الصدى في الناس من يمن وشام

فهنا حبيب هائم وهناك صب مستهام

وعلى ربى السودان مقداماً تكفر عن نظام

أضحى يكرم في البلاد فتى مآثره عظام

شهم أطل وإنه في قومه الرجل الهمام

متمسك بعرى المودة غير منقطع الوئام

فهو الوزير المرتجى وابن (الزبيري) الإمام

واليوم يهبط في ربوع نالها منه المرام

في محفل رحب الجوانب في الإدارة والنظام

(يحيى) على أرجائه متقلداً أحلى وسام

تخذ المروة عادة لا يتخذ منها وسام

يا أيها الضيف الكريم قد استنار بك المقام

آدم الغزالي باكور

شاعر سوداني، يعمل في اليمن. سبق له أن نشر في صحيفة (الثورة) اليمنية مقالاً، حط فيه من كتاب صدر باليمن، بعنوان (وبكيت في الخرطوم).

الهجرة إلى باب اليمن

من سيروي من اناء فيه صورة ذي يزن
من سيمشي في طريق لا يؤدي لليمن
نعبر الآن المداخل
بالرؤوس الإفريقية والقلوب الحميرية
نسلم الأوجه منا للعروبة
إن للإيمان في أرض اليمن طعمه العربي
إن للحكمة صمتا جبلي
إننا الآن نهاجر نملأ الدرب عيوناً وخطى
نمتلي ماضٍ وحاضر
من سيمنحنا يدينا كي نعانق في الطريق العام
من عادوا من القروات للتو ونشتم البطولة
الأرض تعرف عاشقيها والجبال الشم تصطاد الصغار
ثم ترنو للخيول الراكضات على الجدار
للراجلين ترجهم رجاً تعاريج المدينة
إنها آزال لؤلؤة المدائن

تتصادم الأزمان فيها والمسافات المكممة بالظلال
منذ طوفان المدائن وهي تبحر في السنين
لن تنزل بعد صبية
اين خبأت السنين الدائرات مع السراب
أين خزّنتي الوجوه من الشفق
إن للهجرة معنى لا يقاوم
إن للسنوات أسماء وللحكمة باب

آمال إبراهيم

مؤرخة سودانية شابة، تكتب الشعر، من حين لآخر. اشتغلت في اليمن بالتدريس، وهاتان القصديتان لها مكتوبتان باليمن.. وقد صدر لها عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، منذ فترة وجيزة، كتاب تناول بالدراسة الأكاديمية، تاريخ البحر الأحمر.(١)

اقترب ولكن

وجهي يمتد أضعاف عمري
طفل يولد في منطق الزمن الضائع
معتلياً صهوة يوم ظنه صحو يصارع عباب البحر
بحثاً عن المدائن ومرافىء دفء مأهولة
أيها الطفل المولود في رحم القدر المحتوم
تحمل بين حناياك نبضات القلب الآسر
زمنك إلى زمن نبض وقائعه يعكس بعد المأساة
اقترب ولكن لا تنسف جسر العودة إلى رحمك
اقترب لتتضح الرؤيا
فالزمن اللاهث يسحبنا خلفه يطوي لوحات اليوم
ليفضح فحوى الغد
وتأتي أنت من جوف الزمن الضائع
في عمق عصور نائية تبعد عنا قرون سراب
أتولد في زخم مسافات تأرجحنا
زخم مساحات
ضاقت اتسعت اقتربت تلاشت تبعتها حل ملامحنا

اقترب ولكن لا تنسف جسر العودة إلى رحمك

اقترب سوف أصنع لك من الشعب الطافي فوق الماء مركب

يقاوم مد الخطر القادم من عمق البحر

وطول الشاطيء المعشوشب تنام عليه أفاعي الصيد البشرية

اقترب لتتضح الرؤيا وتمتزج أطراف الحقيقة بالخيال

ولكن لا تنسف جسر العودة إلى رحمك

عامية إلى نزار غانم

يوم مراسيلك تجينا

في غيوم بتطل علينا

من سنا صنعا الحنينه

بننسى غربتنا وسنينه

نعتلي الغيمه ونسافر في جروفك طينه طينه

وكل نسمه تهب علينا

ندليانه بي زخات رشاشك

وعبق فواح من دعاشك*

طيبه زي أرضك وناسك

شايله حبا مالي ذاتك

لليمن طيلة حياتك

ما اليمن أهلك وناسك

* الدعاش: رائحة تفوح من الأرض، إثر هطول الأمطار، عند اختلاط الماء بالتراب.

---

(١) آمال ابراهيم محمد، **الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٣م.

بدر الدين هاشم

شاعر وأديب سوداني، صاغ مسرحية بعنوان (عرس القريـة)، تحكـي جانبـاً من كفاح شعب اليمن، ضد المستعمر الإنكليزي في جنـوب البـلاد. وتحـت نفـس هذا الهاجس، كتب قصيدته (ايا عدن). توفي، منذ عام، في الخرطوم:

أيا عُدن أفديه من تسمرت يداه فوق مدفعه

فتى.. العمر في عمر الزهور

الوجه وجه ذو يزن

يستقبل الرصاص والجناة

كما الشهيد ودع الحياة

وهام في جناته سكن

ايا عدن

الفارس الصغير حطت على يديه وقفة الزمن

يسترجع التاريخ والمشاهد القديمة

ويلبس التميمة

فالعرس عرس الشعب مهره الدماء

لا يقبل الخضوع والهزيمة

فدا لك العيون يا قمم الجبال

وروعة السدود

يا حلمنا المنشود

يا طائراً على جناح عزمنا يحطم الأغلال والقيود

يوحد القلوب والحدود
يسترجع الأيام والرجال
حتى غدت من فرط عزمه تعود
أيا عدن
أي خلية الأبطال في سراديب الإحن
كوني لنا البداية
هزي جدار الصمت في قلب الرواية
وعلمي الجميع معنى الحياة في الرماية
وفجري الطاقات للنهاية

بدوي ابراهيم

من أهم كتاب القصة القصيرة، وكتاب القصيدة الشباب من المدرسين السودانيين العاملين، اليوم، باليمن.. وبالتأكيد، فإن أعماله التي ينوي نشرها، قريباً، في كتاب، ستحفل بعطائه هذا. اخترنا له مجموعة من القصائد والقصص التي نشرها في صحيفة (الثورة) بصنعاء.

جدلية النوح حين البوح

لا تسقي الورد دمعا
يكفينا الصمت والحزن في الأيام الشاحبات
لست أول من ابتنى قبراً في سماء الوطن وكفن قلبا
ثم مات حباً وشتات
لا تزرقي فليس للعشق رفات
كفكفي فالبوح آت
يجدل الدرب همساً ندياً عناقاً أبدياً دخاناً طريا
ماء وقات
لا تسمعي لحكايات النخل وحبيبات الرمل بين الفلوات
لضفائر تغفو على صدر الرياح الموسميات
ولا تعرف متى تصحو
فالوجد بين حبيبات الرمل
والنخل والريح كالحلم العذب.. السراب

كأحلى الروايات المفجعة حين الإستلاب
كفكفي فنحن قد أتينا لنقتلع الرجال الأشياء
والرايات المنكسات
أتينا لنبني وطناً للسلام وطناً للكلام
وطناً للعشق وأم اللغات

مواليد برج الصمت

* مهداة للشاعر اليمني الشاب محمد القعود..

وكانوا هناك (القعود) و(الأبنود) النوارس البيضاء
حين الدخول لحظة الذهول وكان الإحتفاء
قال القلم: توضأ واستقم أنت في حضرة الأنبياء
وذي صلاتك وهذي دواتك فخذها واكتب
قلت: ما أنا بكاتب
قال: اكتب باسم مشكاة النساء
التي جعلت الأرض لك كتاباً والهمتك السماء..
عن الساسة الانزواء
«حين يسقط الجميع إلا القلم إلا الشعراء»

صنعاء / ١٩٩١م

لك العشق كله يا صنعاء

لك العشق يا صنعاء
يا وردة سبتمبرية موشحة بالفرح
يا عروسة الجزيرة

يا من تفردين رداءك قوس قزح
وتهزجين صبحاً وعشية
يا أحلى مواويلنا الكبيرة
لأنت اليوم بنفسجة يشتاقها الندى
أنشودة بها الحب قد شدا
سماء وردية
تحتها الكل قد بدا نشوان وعدفان
ولأنت اليوم كبرياء يتوشح المدى
فلك العشق كله والتحية
يا أميره يا ابنة ذي يزن
يا أخت عدن وفخر اليمن وعبق الوطن
الذي يعطر الأجواء
يا من تجعلني أخلق انتشاء
في صبح سبتمبري دفاق
يا فراشة الانعتاق
لك التحية
والعشق كله بدءاً وأخيراً!!

ضربة قمر

* في وداع (ابن عتمة)، قبيل رحيله..

البحر زاف(١)

علقته جارية(٢)

تنشر ثوبها فوق السارية

من تحته تبدو عارية

الا من مجداف توسد الهلب(٣) ونام

وأد نجمة ناهد أمر ليس للريح فيه يد

فآخر «المحنش للحنش» يا حجاب(٤)

---

(١) البحر زاف: أشجار البان السامقة، المعروفة بهذا الاسم، في اليمن.

(٢) حارية: الجارية هي سفينة مفرح.

(٣) الهلب: الثقل المستعمل لتثبيت المركب، عند الرسو على الشاطيء.

(٤) آخر المحنش للحنش: مثل يمني، والحنش هو الثعبان.

تثاءب عصفور أسود، في تثاقل، ونادى على رفيقه، بصـوت رقيـق نـاعس: خيو.. خيو! ومن على صخـرة نائئـة قربـه، حـرك الرفيـق الآخـر رأسـه إلى ناحيـة الأول، في استفسار. ولما رأى أن مناداة رفيقـه الأول مـا هـي إلا اشـارة العصافـير المعهودة لبعضها، أثناء النوم، لتتأكد من وجود السرب أو أحد أفراده بالقرب. هـز جناحيه في لا مبـالاة، وعـاد إلى تأملاتـه السـابقة في الجبـل، وبيوتـات القريـة الـتي تتوسده، في استرخاء كسول.

خيط رفيع من الدخان يتصاعد من رأس أحد بيوتات القرية، لكنه لم يستطع أن يبصره، إلا بعد تدقيق كبير، وإمعـان في النظـر؛ فسـماء القريـة الرماديـة اللـون، بفعل الطبقة الضبابية لا تختلف في شيء عن خيـط الدخـان المتصـاعد إلى السـماء. الأشباح السوداء التي تتحرك أمام ناظريه تبين فيها إمرأتين، وكلبين، يحومان حـول بضعة عنزات، تتلفت في سأم وتبرم. وبينما تشاغلت إحدى المرأتين بجمـع الأعـواد الصغيرة الجافة، التي راكمتهـا ريـاح مجهولـة الاتجـاه، عنـد أعتـاب الجبـل وحولـه. واصلت الأخرى طريقها تجاه شجيرات (القات) المتمايلة في إنتشاء ظاهر، مع آخـر نسمات الليل.

و لم يكن هناك ما يسترعي الإهتمام. فهذا يحدث كل يوم، ومع ذلك استمر العصفور الثاني في حالة التفكير الأحادية تلك، غير ملتفت إلى رفيقه الأول، الـذي بدا قلقاً، من خلال قفزاته المتكررة على الصخر وحولهما، محاولاً تذكير رفيقه بأنـه قد تخلص من رغبته الملحة لمواصلة النوم، وليؤكد لرفيقه الآخر يقظته الكاملة، أخذ يرف، ويحلق، في نصف دائرة، قبل أن يعود إلى موضعه السابق، بجوار رفيقه، محدقاً في نفس الإتجاه، ناحية خيط الدخان المتصاعد. شـجيرات القـات أوقفـت تمايلهـا، بعد ما أحست بوقع أقدام تتجه ناحيتها، إحدى الوريقات اليانعة نظرت شذراً، ثم همست قائلة للغصن الذي التصقت به بحثاً عن الدفء: من هذه المرأة الـتي تشـرق

قبل الشمس؟ ولماذا تتجه ناحيتنا؟ فرد عليها الغصن، قائلاً: لا أستطيع أن أميزها، لكن خطوها ليس غريباً عليَّ.

ربما تكون....

وبلا مقدمات ودون صوت، أيضاً، قطع حديث العصفور جسم ناري، مندفعاً كالنيزك، مشعلاً السماء الضبابية. كان مصوباً بدقة وإحكام كبيرين، حيث لم يترك فرصة للمرأة المتجهة صوب شجيرات القات لتفعل شيء سوى أن تخر إلى الأرض الرطبة تحتها، مطلقة صرخة مكتومة، لم يحس بها أحد، غير الكلبين اللذين أخذا ينبحان لهنيهة، ثم عادا إلى مراقبة العنزات المتبرمة. أما العصفوران الأسودان فقد قذفا بجسديهما في اتجاهين مختلفين، بعيداً عن السماء الضبابية، وصياحهما يحلق خلفهما، في ذعر كبير: خيو..خيو.

عيون الشارك التهامي

كان الماء ينز من وجهينا وجسدينا، أنا وصديقي بول، كزيرين جديدين، مع أن كل منا لم يضع على جسده سوى فنلة (تي شيرت) بيضاء، فوق سرواله الواسع، قبل حضورنا إلى سوق الأسماك بالحديدة، عند السابعة صباحاً، لمشاهدة البحر، والسوق، وتناول وجبة من الدايرك الطازج. إلا أن الشمس آخر يونيو، فتحت عامدة عينيها الواسعتين إلى آخرهما، لتصطاد الجميع. ولم يكن بوسعنا، أنا وبول، أن نهرب من شباك العيون المدارية. فاصطحبتنا في تجوالنا وقادتنا نحو البحر.

من مصنع الثلج، ومن خلال كوة أعلاه، استطاع البحر التهامي أن يشد عيني كاميرا بول إليه. فعلى اليسار، الأولاد والبنات، دون العاشرة، يسبحون أو يتعلمون السباحة. وعلى اليمين باعة ومشترون ذكور وإناث من كل الأعمار،

يملأون البحر بشراً، ورقة، وعافية، تلمسها في وجوههم، أو عباراتهم، عند الشراء، لدى ترحيبهم بالصيادين، العائدين لتوهم من البحر.

شباك الصيد بعضها يفتح عيونه البيضاء الكبيرة تحت الظل، ينتظر دوره، أو يشير إلى مواضع في جسده تحتاج عناية صاحبه قبل النزول إلى البحر، وبعضها الآخر يسبل مقلتيه على سر دفين. المراكب العائدة المصنوعة من الخشب والحديد، ذات الموتور الصناعي، بأحجامها الصغيرة والمتوسطة، تفرد أشرعتها الموشحة بالأحمر، والأخضر، وتتمخطر كطيور البحر البيضاء اللاهية خلفها على بحر تخزي أمواجه أن تصطفق.

و(ذو الرأس المطرقة)، أيضاً.. إنه لشيء مذهل.

كان بول يقول ذلك، وهو يتراقص فرحاً، ذات اليمين وذات اليسار، مديراً ظهره للشمس، ثم ينحني إلى الأرض، ثانياً ركبتيه، في محاولة لاعطاء الكاميرا وضعاً مناسباً، يمكنه من العمل، بدقة كبيرة، لتسجيل لحظة الدهشة المنبجسة من رؤية (يافعين من أسماك القرش)، كما يقول.

وقتها كنا قد غادرنا مصنع الثلج إلى مدخل السوق، حيث المطاعم، لتناول الافطار. فتقدمت إلى الصبي، صاحب السمكتين، ورجوته أن يرفع رأسيهما من على عربته الحديدية، ذات العجل الواحد، حتى يتمكن بول من التقاط صورة واضحة للقرشين اليافعين، حتى ينقل الدهشة كاملة إلى أُسرته، وأصدقائه، وزملائه الأطباء في لندن. كما كنت أُحب لصديقي بول أن يحس بفخر الرجل، الذي يقف على مقربة من قرش.

وبول يأخذ عدة لقطات لـ (ذو الراس المطرقة)، التقت عينا القرش التهامي اليافع... بعيني.

كانتا عينين من كحل وماء عند الهدب الناعسة الناعمة بسبيك مزيج من براءة، حيرة، وشيء من حزن، كالذي تحسه عند تحديقك في وجه الجيوكندا. وفي

الوسط تشدك قوة ساحرة للإقتراب، حتى الالتحام، بصاحبها، كتلك الـتي تقرأها في عين حسناء أمهرية، تخاصرها على نغم غربي حالم، بعد الحادية عشرة مساء.

أخذ بول يحدثني عند تناول الافطار عـن أسمـاك القـرش، وكيـف أن القـرش الأبيض يروِّع الناس، كل صيف، عند(الميامي بيتش)، مقارناً ذلك بسماحة الشارك التهامي الأسود، الذي يترك الأطفال يسبحون في شاطىء الحديدة، بسلام. وكنـت مسحوراً، مثل بول، لكن بعيني الشارك التهامي اللتـين تدعوانـك للإقـتراب، أكـثر فأكثر، حتى الالتحام. أو ربما كنت خائفاً أو ربما كان ينتابني شـعور بالإحساسـين معاً. حقيقة أنا لا أدري، فقط أحس سعادة كبيرة، لأنني كنت مـلء عيـون شـارك تهامي.

عيون الجسر المعلق

كأبي حنيفة، يمد رجليه ثم ينزلهما على يافوخ المدرسـة، في تـؤدة، تتناسـب مع كومة جسده المستندة إلى كتلة السمنت عند الطرف الآخر للشارع.

المارة القليل العـدد تحتـه لا يلقـون بـالا لمـا فوقهـم، مثلهـم مثـل السيارات المسرعة في الاتجاهين، على الجبهة اليمنى، حسب قانون نظام السير والحركة.

المدرسة... نفسها...، وبعد مغادرة الطلاب، عنـد الظهـر البـاكر، تغـط في نـوم عميـق، تلمسـه في صفـير الريـاح المتقطـع عـبر ردهاتهـا، أو حفيـف أغصـان الأشجار الكائنة في فناء المبنى.

ربما الشارع المزفلت هو الوحيد الذي يهتم لما يجري فوقه، بحكـم أنـه، دون غيره، يحتمل ثقل الجسر المعلق وغيره من العابرين والعابرات، وبالطبع، راوي هـذه القصة فالعهدة عليه، ولي أجر المناولة، ولكم العتبى.

ولا بد أنكم جميعاً شاهدتم ذلك الجسر المستلقي علـى ظهـره، أنـا مثلكـم شاهدته، مراراً، في استرخائه المريح (تيك)، وكنت أعتقد أنه يفعل ذلك ترفعاً عـن

الصغـار والصغـائر تحتـه، أو أن لـه علاقـة (باليمنيـة) لإعطـاء إشـارات للطـائرات الهابطة. ثم غيرت ذلك الإعتقاد، وقلـت لنفسـي إنـه ربمـا نصـح لـه أحـد الأطبـاء بذلك، كي تكتسب بشرته اللون الأسمر، أو قليلاً منه، مثلمـا يفعـل أثريـاء البيـض على رمال المتوسط، كل صيف.

لكنني وبعد أن طعمت (الربطة) التي جاءتني من بيت الكوماني من ذمـا.... وصلت للإجابة الشافية، وهي أن هذا الجسر إما أنه أكـبر فلاسـفة العصـر، أو أنـه أكبر العلماء، والسبب في ذلـك أنـه ينظـر إلى السـماء، دائمـاً، مثلـه مثـل فلاسـفة اليونان الماديين أو العلماء؛ مثل جاليليو. وهو يفعل ذلك لأنـه يبحـث عـن مسـألة محيِّرة، كأن تقول مثلاً: كم عدد الجولات التي يحتاجها أربعـة عـرب (طحـاطيح)، يساعدهم عدة سماسرة، لاقناع تاجر يهودي واحد للتنازل عن متر مربع مـن أرض لا يملكها، في مقابل كل ربع متر مربع خصب من تلكم الأرض، سنوياً، وإلى قيـام الساعة.

نظر إلى (الزفلـت)، باسـتهجان، جعلـني أحـس بحقـارتي وضآلـة أفكـاري، فأطرقت.

فقال الزفلت، لما رأى وقع نظرته:

ـ قلنا لكم لا تتعبوا أنفسكم بالعلم الكثير هـذا، قلتـوا اخرجـوا مـن صنعـاء ها.. قد خرجنا.

فقلت، في اعتذار ذليل:

ـ أنا آسف يا مزفلت. لكن أشتي أعرف. وكلامي كان ظن، فقط. وبعـض الظن... أنت أدرى به....

فأصلح من جلسته، قبل أن يقول المزفلت، والعهدة عليه:

ـ ياجنا.. هذا الجسر هو رجال، والسرق جروا منه (ابو دبه). ولما ما وجـد له أثر هو ورجال القانون، سار لي عند عالم كتب له بصيرة صعبه مرة.

ومن يومها، صار صاحبك الرجال جسر هانا مريع للسرق سع ما بتبصر.

وجدت كلام (الراوي) المزفلت مقنعاً جداً. فبعض الناس قد مسخوا قردة وبعضهم الآخر حجارة. وإذن ليس غريباً أن يمسخ رجل إلى جسر معلق يفتح عيونه، إنتظاراً لـ (أبودبه) المندفع في إثر (ليلى علوي)[1]، كما تشاهدون.

---

(١) ليلى علوي، اسم يطلقه اليمنيون على نوع من أنواع السيارات الفاخرة (المؤلف).

د. تاج السر الحسن

الدكتور تاج السر الحسن شاعر سوداني معروف، ومن أُسرة مبدعه، تضم شاعراً آخر هو الحسين الحسن، شقيق تاج السر. وقد تلقى تاج السر علومه في السودان، ومصر، ومن ثم في احدى الجمهوريات السوفيتية.

تعرف خلال دراسته في مصر بعدد من الطلبة اليمنيين، الذين تلقوا علومهم بمصر، في الخمسينات، أمثال الشاعر محمد أنعم غالب، والشاعر عبده عثمان، الذي أشار إلى هذه المعلومة في كتاب صدر عنه(1)؛ وذكر فيه شعراء السودان الشباب، في قاهرة الخمسينات: تاج السر الحسن، وجيلي عبد الرحمن، ومحي الدين فارس، ومحمد مفتاح الفيتوري. والواقع أن تاج السر التقى هناك، أيضاً، بالزبيري، والنعمان الأب والإبن، ود. أبو بكر السقاف، وعمر الجاوي.

ومن الطريف أن تأثر تاجر السر بالمزاج اليمني جعله ينافس محمد أنعم غالب في قطف وريقات شجرة (القات) من حديقة الأُرمان وحديقة الحيوان في القاهرة، والإنتشاء بمفعولها. والواقع أن المرء يجد نفسه مدفوعاً في هذا المقام إلى ذكر دراستين موسوعيتين من الناحية التاريخية للطبيب والأديب السوداني الراحل، البروفسور التجاني الماحي (ت ١٩٧٠م)، أنجزهما في العقود الوسطى لقرننا العشرين(2).

وقد صدر تاج السر الحسن ديوانه الثاني (القلب الأخضر)(3)، والذي صدر له بعد ديوانه الأول المشترك مع الشاعر جيلي عبد الرحمن، بقصيدة (عودة ذي يزن) المكتوبة في موسكو، في اكتوبر عام ١٩٦٢م، ترحيباً بثورة اليمن، في سبتمبر ١٩٦٢م، منها:

قـــد عـــاد ذو يـــزن جـــواده عـــرفه يـــداعب الســـمـــاء

يمـــد ظـــله في اليـــمـــن الســـعيـــدة الخـــضـــراء

أعـــلامـــه الجـــديـــدة تـــكـــلـــل الحـــديـــدة

قد عاد يحرق الأغلال والوثن وقصر صنعاء الذي يحوطه العبيد

تكسرت قلاعه أعمدة الحديد

ومات مالكوه في متاهة الزمان

غطاهم باللعنات والأكفان

البن ينمو في الجبال والبشر يعلون فوق قمم الزمان من جديد

ويصنعون فجراً مشرق الصور

وسد مأرب القديم شيد في الرمال

وظله الأخضر أنبت الحقول واللآل

رأيته يسمق فوق قمم الجبال

ينبوعه يقطر الماء على الصحارى

وضوؤه ينور الطريق للحيارى

وعاد ذويزن على وجوهكم يا رفقتي عيناه تلمعان

وفي شفاهكم نبرة صوته الجسور

وفي أيديكم حسامه يقطر منه النور

وفوق حدة دم الطغاة والكهان

قد عاد فليتحد الجنوب والشمال

ولتنحسر مأساة تلكم الليال

بلادنا صنعاء أو عدن

سعيدة قوية بلادنا اليمن

ففي ربوعها قد عاد ذو يزن

ويكتب في القاهرة قصيدته (موت صديق)(٤)؛ راثياً فيها فدائياً يمنيـاً، سـقط شهيداً في حرب التحرير مع المسـتعمر البريطـاني في جنـوب اليمـن، في السـتينات، ويستحضر فيها شيئاً من قصيدة (شنق زهران) للشاعر المصري الراحل صلاح عبـد الصبور، منها:

قد مات في عدن ذاك الذي عرفته على شواطيء الجزيرة

ودمه لون شطآن الخليج واليمن

وقبل أن يطلق فوق صدره الرصاص تذكر النيل وأرض (دنشواي)

وظل (زهران) يغطي ردهة الزمن

لم يعرف الحمام أنه السبب والأرض أم البحر والصدف

أم كل النفط أم النخل أم السعف

لم تدر أنها السبب

لأنها يدر ثديها الحياة عروقها تفيض بالذهب

ذاك الذي شد على عنقك يا زهران حبل المشنقة

ذاك الذي عند الأصيل يصطاد الحمام والبشر

في قرية مصرية مسالمة هناك حيث عاش زهران ومات رافعاً راية المقاومة

ذاك الذي روع دنشواي حفيده يجوس في عدن

قاتل زهران حفيده يجوس في عدن

عرفته جلسنا في مقاهي النيل وكان يحكي لي

عن المقاصل السجون والهجرة الغربة عن ربى الوطن

وفوق صدره تحشرج الأسى تدحرجت طاحونة الزمن

يا جيلنا الجسر إلى الحقيقة

يا جيلنا المهد والكفن

يا جيلنا متى سنلتقي ونحن لم نزل معاً معا

قد مات في عدن ذاك الذي عرفته على شواطيء الجزيرة

وملء روحه وقلبه كل اليمن... كل اليمن

ومن موسكو، يكتب قصيدته (أصدقاء من تعز)(٥)، ويهديها إلى صديقين من اليمن، هما الشاعر أحمد الشجني، والصحفي عبد الله مقبول الصيقل؛ متذكراً مقاهي باب اللوق:

الصمت مثل النار يشعل عشب الذكريات القديم

على سهول الأمس كانت ترى أطلالهم وراء سواح الديار

حيث الجبال البن يزهو على رؤوسها ويستميت الرجال

الدم يروي البن

الدم يروي القات

الليل نسر جائع يأكل من قلوبنا يقتات

يا أصدقاء الجيزة الخضراء على ثراها وقع أقدامنا

الجسر والجامعة وروضة الأصدقاء

أُغنية من تعز منها يفوح الدم مثل العطور

مقاصل الإمام عند النيل يصوغها الشعر ليمحوها

ولحظة تسرح أبصارنا ما أوحش الليل واقساه

إلى اللقاء تكاثف الضباب في الطريق

(أحمد) (عبد الله) كيف الحال

رسالة تفيض بالذكرى

شوراع العواصم الكبرى شوارع العالم تلفظنا

لكنما تجمعنا الذكرى

ثم تحمل الأيام تاج السر إلى عدن، في مطلع السبعينات، حيث عمل بالتدريس الجامعي، بكلية التربية بعدن، واسهم هناك في الحركة الأدبية، إسهاماً وقفنا عليه في مجلات (الكلمة)، و(الحكمة)، و(اليمن الجديد)، وحاز على إعجاب النقاد اليمنيين، أمثال: الأستاذ عبد البار طاهر(٦). وقبل أن يقفل راجعاً إلى الخرطوم، يكتب في عدن قصيدة، بعنوان (الوتر المشدود) منها:

هذا الوتر المشدود من قلبي إلى قيثارة العالم بفعل الريح

قضايا تستحق البوح

فيا موجات بحري الأحمر الطوافة الخضراء

إذا ريح الشمال دنت وهبَّت تشعل الموجات

ذوآبات من الفضة يزهرن رؤى بيضاء

تعالي وامسحي من وتري المشدود إلى قيثارة العالم

أسى تلك الكآبة صمت ذاك النوح

ويا عدن المفتحة البراعم

يا يمانية

دعيني أفتح العينين في عينيك

دعيني أنشق البحر العميق وأرتقي قمم الجبال

وأرمق الواحة

لعل الريح إن هبت شمالية وإن عبقت يمانية

أعود لتلكم الساحة

---

(١) ابراهيم المقحفي، **حوار مع أربعة شعراء من اليمن**، دار الهناء، القاهرة، ١٩٧٥م.

(٢) التجاني الماحي، **الأعمال المختارة**، جامعة الخرطوم، ١٩٨١م.

(٣) تاج السر الحسن، **القلب الأخضر**، القاهرة.

(٤) تاج السر الحسن، **النخلة تسأل أين الناس**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) عبد الباري طاهر، **مجلة اليمن الجديد** (صنعاء)، العدد ٤ سنة ١٩٧٥م.

انظر، أيضاً، دراسة لتاج السر الحسن بعنوان (**وشائج الكلمات عن العلائق الثقافية بين اليمن والسودان**)، صحيفة الخرطوم، (القاهرة) عام ١٩٩٤م.

جعفر حامد البشير

أديب وشاعر سوداني، عمل، في مطلع الثمانينات، مستشاراً للبنك اليمني للإنشاء والتعمير، بصنعاء، وصادق أُدباء اليمن، خاصة الشاعر الدكتور سعيد الشيباني، الذي كتب في شاعرنا القصيد.. وعندما تقارب الزعيمان اليمنيان، علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد، كتب هذه المقطوعة، يهنيهما بالتوافق، من أجل وحدة اليمن.. كذلك نشرت له صحيفة (الثورة)، بصنعاء، كتابات نثرية أُخرى، عن الأدب اليمني:

الله أكبر كم يبقى على الزمن هذا اللقاء لقاء الروح والبدن
إن أشرق اليوم في صنعاء منبلجاً هذا الضياء فقد أوفى على عدن
إن العليين خطا حينما اتفقا مسيرة الوحدة الشماء لليمن
بل للعروبة في أقصى مرابضها بين المحيطين في شوق وفي شجن
فلتفرح اليوم أجساد مكنفة من ناصر وسمت حتى لذي يزن
إن العروبة يا أعداء أُمتنا لما تصب ويلكم بالضعف والوهن
وهاك يا وطني الثاني مشاركة مني ومن كل اخواني ومن وطني
عجالة ضمخ السودان باقتها بعطر وجدانه الدفاق والهتن

جمال أحمد الفقيه

هو نجل الشيخ أحمد الفقيه، شيخ اليمانية في كسلا، بشرق السودان، وهو شقيق صالح الفقيه، الذي أصبح، في وقت ما، رئيساً للاتحاد العام للمغتربين اليمنيين في السودان، وشقيق أحمد الفقيه، الشاعر والقاص الشاب.

يكتب جمال الفقيه الخواطر النثرية. وينشر بعضها في صنعاء، منذ أن استقر بها.

ود بادي شاعر العامية في السودان

محمد بادي، الشهير بود بادي، طبيب سوداني، وشاعر فنان موهوب، تخصص في الشعر الحلمنتيشي السوداني، وهو شعر يحتاج إلى عبقرية فذة، وملكة وموهبة إلاهية. واذكر له قصيدة يشرح فيها موقف شخص ألقى التحية على الناس، وكانوا من أبناء الأسر الغنية، فلم يردوا عليه، فقال:

تبقى مصيبه إن كان السنه انعدمت بين الناس

تبقى مصيبه إن كان القرش الأحمر قسم الخلق أجناس أجناس

يا سادات البرج العاجي سلام

يا سادات البلد الغادي سلام

وا لله قدامي وما شايفكم ولما أشوفكم بشوق أقزام أقزام

يا سادات البرج العاجي وداع

يا ناسات البلد الغادي وداع

نتقابل في يوم أنداد ونصفي حسابنا الصاع بالصاع

أحس أن ود بادي فرس جامح، يحمل هموم شعرية، يخرجها بسلاسة وعذوبة، لا يسعنا إلا أن نقف أمامها مشدوهين. وأتمنى أن يسمع ود بادي الزامل

اليمني، لأنـه سيجد أنه فـن أصيـل، وأن منبعـه والشـعر الحلمنتيشـي في السـودان واحد.. المفردات متقاربة، والبنية،والفكرة، أيضاً.

كسلا

إليك يا مدينة تنام عند السحر وتغتسل فجراً بماء القاش الدافـق القـادم مـن أعلى بلاد الأمهرا. إليك يا من التقيتها طفلاً وودعتها شاباً راسـخاً رسـوخ جبـال التاكا وأنا أردد في سري قول ادريس جماع فيك:

أنت السماء بدت لنا واستعصمت بالبعد عنا

د. جيلي عبد الرحمن

شاعر سوداني معروف، وأحد أهم شعراء السودان، الذين اتخذوا الإشتراكية العلمية مذهباً لهم، في الأدب والحياة. درس بالسودان ومصر، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة سوفيتيه، واستقر في عدن، مشتغلاً بالتدريس الجامعي، بكلية التربية، ما بين عام ١٩٧٧م وعام ١٩٨٣م، ثم غادرها للعمل بجامعة وهران بالجزائر. توفي إثر مرض عضال، في القاهرة، سنة ١٩٩٠م.

لعب دوراً ثقافياً كبيراً، خلال اقامته بعدن، وتمتع برضى حكومتها، يومئذ، عنه، وظل يحمل التقدير لقيادييها، الذين بادلوه المشاعر ذاتها، وتنافسوا على التكفل بنفقات علاجه بمصر، رغم اختلافهم الشديد فيما بينهم، في نياير من سنة ١٩٨٦م.

وعلى مستوى التدريس الجامعي، فقد ترك بصمات واضحة في تلاميذه من أُدباء اليمن الشباب، والذين درَّسهم الأدب الحديث، وعلم الجمال، أمثال: محمد حسين هيثم، وكما الدين محمد، وخالد هزاع، والدكتور جنيد محمد جنيد.

نشرت مقالاته وقصائده عن اليمن في مجلة (الحرية) الفلسطينية، و(الثوري) اليمنية، التي قدم فيها دراسة مطولة عن ديوان (الجدار والمشنقة)، للشاعر اليمني عبده عثمان.. وعدد آخر من المجلات اليمنية.

له ديوانان مخطوطان، وقفت عليهما في القاهرة لدى شقيقه الشاعر محمود السيد عبد الرحمن، هما: (الحريق وأحلام البلابل)؛ و(بوابات المدن الصفراء).

وخلال إقامته بعدن، كتب مقدمة لديوان (الرحيل النبيل)(١)، للشاعر السوداني المقيم بعدن، الدكتور مبارك حسن الخليفة.. والذي أهداه إحدى قصائد الديوان، بعنوان (الغار والهداية) منها:

أيها الشيخ الذي خلّف في الغار سنينا من عناء

ونجيمـات تألقـن عـلـى خـيط ضـيـاء

وحـروفـاً ضوأت لـوحك مـن نـور حـراء

وبقـايا مـن طعـام السـدر في قـعر الإنـاء

وهذه بعض من أشعاره في اليمن:

نعود مع البرق اليماني

تحاصرني المدن وضوء المرايا على ساقها

يغادرني الوطن و لم أتفتح بأعماقها

تماثيل قوطية السحنات

وأبراجها سلاف تتيه بأعراقها

مصابيحها مثقلات ولما أرى غير أطراقها

أروم نبيذاً من الشعر شحّت على القيض كل أباريقها

تقاذفني فوق أبوابها

وتحشرني بين أنفاقها

وجئت مريضاً كعشاقها

على الثوب عطر الصخور التي خلفتني لأحيا بترياقها

يخون القصيد فتاة لأني حملت الينابيع من شدقها

وحين تعذبت في شوقها تلوى بقيدي لظى شوقها

يمانية أطعمتني سدراً وبدراً يذوب على ريقها

غصوني أخاديد من برقها وخمري كتمراتها ذيقها

وقلبي كدف الأيادي الفقيرة عنقد في عنقها

وعلقت الشمس في أفقها

كحلم البرايا وأرزاقها

نعود زمردة تستحم بأوراقها

وتنفجرين كقافية من خدود النشاوى وأحداقها

من هشيم السحرة

بلقيس يا مليكة العروش والفرائد

هذا زمان التكنولوجيا لا يستجيب للهداهد

يا سليمان إيتئذ إنّا هنا في النار

قات

تقاتل وحدك

ومن لي بعدك

القات أخضر والغيم أخضر

وأنت كما أنت روحك شفق وعنبر

الوهج

من يصب الخمر كالقـــات

يحط الروح في السفح الموات

اخضرار المطر اليتيم

من سبأ جئت بنبأ الرسم

أحرفه وشم

توارب البابا

قل هاجسا أو رقية سرابا

وأقرا عليه (بسم)

---

(١) مبارك حسن الخليفة، **الرحيل النبيل**، مؤسسة ١٤ اكتوبر، عدن، ١٩٨١م.

حامد ابراهيم حامد

شاعر سوداني، عمل بالتدريس باليمن، وكتب هناك قصيدته هذه:

تحت قوس الجزيرة العربية

في الفاتحة لك التحية

مثل افترار الزهر والشمس النقية

أما بعد فإليك والشمس في مرجل الإكليل

أخبار من جاز التخوم الساحلية

يا نجمة الخرطوم ضيَّعت خطوي في البهيم

فلا أُقيم ولا أُسافر

تتقطر الساعات تفري حجاب الليل في زخم التواتر

يتناسل المضمار آماداً يفرق همتي مزقاً شطائر

حادثيني يا عيون النيل

فما اجتمعت عليك ملامح العتمور(١)

وما اقترفت جرائر الترحال في شرك المخاطر

تظل غاياتي على الدرب المعصب

ركبت بحراً زاحمت نسراً

وسلخت على جسر السنين عشريناً وعشراً

متعسفاً في حاضري سبل المظفر(٢)

مجدب التحليق

أنقل وجهتي في الصمت قسراً

تتقاطع الأقواس على طبق السكون

ترسم خارطة الجراح أشكالاً تعرى

جفلت عني النهايات

ولت فنارات المرافىء فما دنوت بمطمحي المرجو شبراً

ذا أنا وأنت في الخرطوم عين ساهر

يصاقب سهدها كحل الغياب

تحصين للنبض اللهيف

تساقط الأيام بجدول التوقيت

لآخر الأرقام على حدود الفجر وأنسام الإياب

نهضت بباب الليل كل دفاتر التذكار

بالشجن القديم وبالخواطر

حملت أغاني الأمس والكلم الأنيق منضداً بفم المزاهر

يا بيدر النجم المعلق فوق صدر النيل عقداً من مكارم

يا بردة من شمسه الغراء ثوباً للأكارم

يا دوحة من روضة المأنوس ترفل بالنسائم

يا طهر الغراس النابتات معزة تثري العوالم

يا تهليلة بالفجر شادت أُم درمان يا زخة المعالم(٣)

ما زلت أقرأ في الرقيم كتاب عهدك

لن أُحيد ولن أُساوم

في انتظار الشمس ترحل في المدارات تختزل المسافة

تأكل أعراق الشمال

حتى إذا رتع الصباح

على الوجوه مبرقشاً حذر السماح

وكل دوحات المدائن

تتناغم الأنداء والهزج الأخير يزف أشرعة السفائن

---

(١) صحراء بشمال السودان.

(٢) أشهر ملوك دولة بني رسول اليمنية، وعاصمتها تعز.

(٣) عاصمة دولة المهدية بالسودان، في القرن التاسع عشر الميلادي.

حامد عوض حامد

شاعر سوداني شاب، اشتغل، وما يزال، بالتدريس في اليمن في صنعاء، ومدن أُخرى حواليها، وطبع ديوانه الأول في اليمن، منذ سنوات. حقق شعره تقدماً فنياً ملحوظاً منذ ديوانه الأول، الذي طغت فيه سياسة الدفاع عن العراق في حرب الخليج، ١٩٩١م(١)، كمضمون للقصائد على الناحية الفنية. ويعد الشاعر من أكثر من يرفدون الأدب السوداني المكتوب باليمن، حالياً.

عيناي

أنا الخرطوم مزماري وأُغنيتي كما صنعاء أوتاري وتلحيني

هما عيناي في حلي وترحالي فهل تدري بذا أروى فتكفيني؟

١٩٨٩م

اليمن.. الوصل الحميم

هي اليمن جذور العرب أجمعهم لها الكرم لها الطائي عنواناً

تمد بنيها منذ السد أنهار ندى جما واشفاقاً وتحناناً

وللخرطوم حين النيل قد سبقت وأدمع طفلها تحكيك أحزاناً

ومن فرط ظننا الجرح باليمن وكان الجرح يا صنعاء سوداناً

آزال

الله صانك يا أزال ونضدا والخير فاض على أُم عراص وعربدا

واليمن ألقى على الشعاب فيضــوه وأقام ما مل أم ثواء فأنجــدا
اني أرى فيك قلــول وبلبــل* من ذا يماري ما رأيت مجســدا
من لم يرى صنعاء يعشق صيتــها فهي الغناء لمن تغــنى وأنشدا
للشــعر فيــها تأمل وتنســك والقلب في محرابــها متهــجدا
في كوكبــان ووداي ظهــر آية لجاحــد ومــكابر رام العــدا
ان تسـألوا صبرا يحدث عنهمو أو اسـألوا نقم العـــتي الماردا
قمم السمارة أو شعيب والصلو أو سائلوا عنهم بكيل وحاشدا
والقات بئس الخل فيه حتفكم كم أخضر جار الأفاعي والردى

مايو ١٩٨٧م

*قلول وبلبل: قرى جميلة خضراء بمنطقة جبل مره بالسودان.

لقاء وهموم

حييتها فتلعثــمت: «فجعتني» قلت: فــداك انني من يــؤتمن
قالت: غريب ها هنا، قلت وهل من غربة للعرب في أرض اليمن
كان الألي أجدادنا مــن صلبــها ثــم ابتنوا في كل قاصية وطــن
سيان من غذاه موج النــيل أو عذب قراح من غــيول ذي يزن
اني أتيت مــن بهاء عمــائم لم تحنها يومــاً تصاريف الزمــن
إني من السودان ذي الوقفات واللاءات لم تصرفه عن حــق حزن
إني بلى لي ســحنة كاللجة ودواخلي ضــاءت لآلــيها الدجــن
قحطان جار في شرايني ومــن إفريقيــا أرضــعت حباً للحــسن
وكســاني الإسلام ثــوب فضــيلة مازتني بين العــالمين في عــلن
إني من الســودان حسبي أن أرى متلفــحاً ثوب الإباء الممتــحن
ساءلتها لما تبــدد روعها عن دارهــا عن عمــرها والإســم مــن

قالت أنا بنت السواحل والشعاب والسفوح الحالمات والقنن
وضاح من أجدادي والقاهر الأقران والأنداد طرا ذويزن
من حمير بنت التبابعة الألي كانوا لقافلة الحضارات رسن
ساسوا وشادوا وابتنوا ما لم يزل أساً لقانون وفن
في مأرب أو بالمكلا تلقني في حجة في شبوة أو في عدن
آزال ما ظلت ضميراً للعصور يستريح في حواريها الزمن
في كوكبان عترقي وعشيرتي أم وأباء وروح والبدن
قلت: لمن أتكلم قالت: بأروى سمني أو شئت بلقيس اليمن
قلت: أما في وحدة اليمنين بذرة وحدة عربية بعد الشطن
قالت: بلى دكوا عروش النفط والأهرام تمتلك العروبة للوطن!

٢٢ مايو ١٩٩٣م

معزوفات الصعود والرحيل

صنعاء حاضرة القمم إليك أتيت يا صنعاء
ممتطياً تاريخي وألحاني
وبين طبولي السمراء أُغنية موقعة لعيبان
وتواشيح إلى نقم وثالثة لشمسان
ورابعة إلى صيره وخامسة إلى ردفان
إليك أتيت يا تعز
على الأبواب تاريخاً لمن (جرهم) كانوا
أتيت إليك مستبقاً فصول البن والموز
على بحر من الدانه أُغني دان وا دانه
أتيت إليك التحف غيوماً حبلى يا يمن

أتيت إليك مذكراً سيوف الفارس يزن

وصولات لنشوان

أتيت إليك أرتشف المواويل الحمينيه

أتيت إليك يا يمن من الشمس مهاد النيل والتاكا

أتيت إليك يا يمن على حقوي سوميت

إفريقية رنات طبل العز تمنحني مداراتي

ويا صنعاء إن سألوا فهذي الصرة الفواحة شيء من الشيح

وأعواد من الصندل وأدعية وألواح من الذكر

تنجيني من السحر وهذا الأبيض ثوب

وجلباب وملفحة كلون البدر بالماء ولا فخر

وعند الرأس زينتنا عمامتنا

وفي الكف عصى الأبنوس غايتنا

وعزتنا أصالتنا هل هي الأصل

بها كان العروج الباكر أعلى من القمم

هي الوطن بعيد السد أنهار

إليك أتيت يا بلقيس مذكراً سيوف الفارس يزن

توضأت بقشر البن غنيت بباب القاع نشوانا

ونضدت بباب الملح ألحاني

إليك أتيت يا صنعاء مأتزراً حزاماً ضم في وسطيه صيفاني

ويا صنعاء غنيت وللأبواب آذان لها استرق

بايقاع الحضارات السماوية هنا سبا

هنا أنعم هنا يزن هنا عدن هنا الجند

تغني دانه وا دانه

أتيت إليك يا صنعاء أحمل وشمي الحامي سجادا
وأحقافاً من النمر
ويا صنعاء في بردى صوفي يحيل الليل واحات من الصلوات والذكر
أتيت يا صنعاء ولهانا
وحادي صعودي للسد مزودتي
ونتلو مهر لقيانا
على الساحات قرآنا
فهل للوصل أن يمتد يا صنعاء ننصهر
وتنصهر المسافات
ويغدو عشقنا الأزلي معراجاً للقيانا

يناير ١٩٩٢م

---

(١) حامد عوض حامد، **تداعيات لعيني بغداد**، مطابع صنعاء الحديثة للأوفست، ١٩٩١م

حسن محجوب

صحفي سوداني، يعمل في صنعاء. بدأ بالكتابة في صحف تنتمي للحزب الاشتراكي، مباركاً توجهها، ثم ما لبث أن استقر في أحضان الصحف المنتمية للمؤتمر الشعبي العام، مسخّراً قلمه للدفاع عن مسارها.

من قصائده المكتوبة في اليمن (بطاقة حب معلن):

فاطمة يا أُخت حوريات النيل

ويا تمر بلادي الزاهي فوق العرجون

يا أُخت (جميلة) (أنجيلا)

كلماتك عبرت أعتى الأسوار

أقوى من إعصار حملت اسمك

للاجلال والتذكار ولليوم الآتي

فوق جماجم أعداء الثوار

شدي من قبضتك المرفوعة يا أُختاه

شدي فالصبح دنا

والنصر لك والنصر لنا

حسن محمد سعيد

مستشار قانوني، وقاضٍ سوداني، عمل باليمن، وتديرها، وهذه مرثيته في الشاعر والفنان والمهندس اليمني الراحل، عبد اللطيف الربيع، وتاريخ كتابتها، في صنعاء، ٢٦ ابريل عام ١٩٩٣م.

الرسالة المستحيلة إلى عبد اللطيف الربيع

من عبث الأقدار أن تكون رسالتي هذه إليك.. وهي الأولى، بلا شك.. قد جاءت وأنت غائب عن دنيانا، والغريب في الأمر أنني لم افكر، قط، في كلمة عنك إلا عندما نعاك الناعي، وجاءني خبرك حزيناً، يشق السكون، وكأنني أشعر، لأول مرة، أنك ملأت الدنيا، وشغلت الناس. ولحظتها، فقط، فكرت وأرهقني التفكير، وفي معاناة عبثية، كانت هذه الرسالة، متوهماً أنها ستصلك وفق المألوف والمعتاد، في دنيا الأحياء، ومع أن المألوف والمعتاد في دنيا الأحياء يجعلانها مستحيلة، فقد اتروت لحظة الإفاقة من هول الفاجعة وتجسد فقداك وهماً اسطورياً ، خرافياً، ولا معقولاً، وعندما جاءت ساعة الإفاقة، أدركت هذا الواقع الحتمي في حياتنا، ولا أبالغ لو قلت نحن أبناء أُمة لا حتمية لديها، غير هذا الموت. وفي لحظة الإفاقة تلك، قلت في نفسي سأجد العذر لهذه الرسالة المستحيلة، لا محالة، حتى من باب أن المعقول صار في دنيانا المعاصرة هو الإستثناء، واللامعقول أصبح هو القاعدة العامة، بل قل نحن أُمة تقيمها وتقعدها الكلمة؛ فأضحت هذه الكلمة هي الوسيلة والغاية معاً، فلا غرو أن امتطيت فكرك، وقلت إن المقاييس عندنا قد انقلبت، أو اجعلها جزئية صغيرة، وموحية من (شر البلية) الذي تعنيه.

ومن هذه الزاوية استأذن لأدخل في الرسالة المستحيلة. بقول الشاعر صلاح عبدّ الصبور، في كتابه (ماذا يبقى منهم التاريخ؟)، وهو بصدد حديث عن الأديب ابراهيم المازني، واصفاً إياه بأنه كان فناناً حتى أطراف أصابعه، وإنني عنك استعير هذا الوصف البالغ الشمول.

بل أُضسف إليه بأنك كنت مهندساً للجمال، في أرقى صوره الرفيعة، تنوعت لديك أدوات التعبير، كأنك تجاهد لتعيد الحياة والعطاء للعيون الميتة، والآذان الصماء، والعقول الغافلة، بأدواتك الكثر تلك..

وأحببت وطنك الصغير والكبير، حتى النخاع، فأشفقنا عليك من هذا الحب القاتل، ولم يخب ظننا، حيث قتلك هذا الهم النبيل، وذهبت عنا، مودعاً، في وقت مبكر جداً، ولم يدعك قدرك المأساوي أن ترى ما جندت بعض فنك له. فارقت ديارنا قبل أن ترى بعين رأسك (الإنتخابات) في اليمن الموحد، وهي بعض همومك، بل هب حلمك الكبير الكبير الكبير، الذي حوله المناضلون اليمنيون والمخلصون، أمواتاً وأحياءً، وأنت منهم، الى واقع تمارسه الجماهير الخيّرة والبسيطة.......

حلمك الذي أبى قدرك المأساوي إلا أن يظل حلماً بالنسبة لك، فلا تعيشة حقيقة، وبينك وبينه ساعات أيام معدودة، وأنت حامل الهموم الكبيرة والصغيرة معاً، من أجل لحظة خالدة يعيشها الوطن... تصطاد السانحة، والعابرة، واللمحة، والخاطرة البارقة، لتصنع منها فناً جميلاً، ورائعاً، يجمد هذه الهموم النبيلة المترفعة عن الذات، ويحترم فيها الإنسان وعقله.. حملت مشعل المسؤولية والإلتزام، فكان فنك الجميل يسمد ويرمي في غاياته البعيدة والقريبة إلى (حرية) الإنسان، فكراً وسلوكاً...

وتعرفت عليك، في فترة هي بمقياس الزمن، (لحظة) ولكنك تركت في عقلي وفي قلبي بعضاً منك، وكأنني أعرفك منذ صباي الباكر، ولا يوجد عندي تعليل محدد لهذا الشعور..

- لعلي وجدت فيك بعضاً من نفسي.
- لعلي عايشت معك هموماً مشتركة.
- لعلي لمست في أقوالك ثوابت قضايا اغتالها ساعات الزمن الوغد.
- لعلي استقيت من بصيرتك النافذة وميض أفراح ماتت عندي.
- لعلي أخذت منك طوق النجاة من اليأس القاتل، ونحن أبناء رقعة من جغرافية بالغة التعاسة.

لعلك كنت كل ذلك، وكنت عندي، أيضاً، البارقة التي أضاءت، كالشهاب، لتعيد ويأومه النضال السياسي والفني صناعة (التاريخ) لاعراب الرقعة الجغرافية، من الخليج إلى المحيط، الذين ضاعوا. وأضاعونا، نحن الأحفاد الأشقياء، ومنذ العصر الأموي، وإبان فجر الإسلام، بعد الخلافة الراشدة. أقول أضاعونا، بأشكال نحيلة متعددة للحكم الشمولي، وغياب فكر سياسي حر، يأخذ من الإسلام وجوهره، في الحق والعدل والمساواة والحرية والعلم والمودة آنا، والرحمة والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ويعايش منجزات العقل البشري، تأثيراً، وتأثراً، يأخذ، ويضيف لحضارة (الإنسان)، الذي اختار أن يحمل الأمانة.

كنت يا صديقي محباً للحياة، التي يكرم فيها الإنسان فكرهت الضعف، والعجز، والخوار، فكنت مناضلاً عنيداً، من أهل المبادىء، والقيم الإنسانية الفاضلة، فأي الكلمات يمكن أن تعيد لحظة وجود مادي معك؟ وأي المراثي يمكن أن توفيك حقك؟ ونحن أبناء فحول الكلمة التي شغلتنا، وجعلناها وسيلتنا، وغياتنا، وضيعّنا الحقائق العلمية للكون، وكان هذا بعض هموم.

ولا شيء من ذلك كله، فأنت أكبر من كل الكلمات والمراثي، لأنك تركت ما يخلد ذكراك، ويعزف لحن وجودك الباقي مع الأيام..

مكنتني من أجلك، والحزن يعصر قلبي هذه الرسالة المستحيلة، التي أقول فيها كلمة للحق والتاريخ، وأنت الآن بين يدي الله، عزوجل..

كلمتي هذه تقول جاءتك المنية وأخذتك من بيننا إنساناً قوياً وشامخاً، وكأني بها تشير إليك، وتنادي هو ذاك صديقكم حتى منيته، يكشف عن لحظة مليئة بالمعاني والدلالات والإيحاءات، منهج الجمال الذي عايشه (وهندسه)، ليكون حتى في موته ظلال حياة مليئة بالحركة والمقاومة.. و... و ولم يبق بعد كلمتي هذه إلا حزني عليك.....

حسن محمد عثمان

سوداني، اشتغل في اليمن، وهذه مقطوعته (اليمن السعيد):

ووادي النيل مرتعه خصيب وطيب العيش في اليمن السعيد

إلى شعبين من أصـــل كريم همـــا صنوان في كرم وجود

هما شعبان بينهما صـــلات يقوي عراها ميراث الجدود

هما أهلي وعزي بل فخـــاري وحبهما تمازج في وريدي

من الخرطوم سامرة العيـــون إلى صنعاء ناثرة الخـــدود

غدا قلبي بها كلـــف ومضنى فإن ألقاها ذلك يوم عـــيد

صنعاء

حسين مجذوب علي

شاعر سوداني، عمل بالتدريس في منطقة لحج، باليمن، لعشرة أعـوام، بـدءاً من عام ١٩٥٨م. وأسـهم في الصحافـة العدنيـة، كمقالتـه (المعلمـون السـودانيون وذهب المعز) في صحيفة (الأيام)، باسم مستعار، هو أبو ذر، إضافة لمقالاتـه باسمـه الصريح. نشرت له مجلة (تبن) هـذه المقطوعـة الشـعرية. والشـاعر الراحـل حسـين مجذوب علي هو شقيق الشاعر السوداني، المقيم بعدن، محمد مجذوب علي:

قل لي حدثني يا تـبن وحديثـك تاريخ فطـن

تجتر الماضي حضارات وتصـيغ الحاضـر يا تـبن

تنسـاب جميلاً دفاقاً وتعـربد سـحاحاً هـتن

والليل طويل يا تبن والصـبح تزول بـه المحـن

ومنابع مأرب كم فاضت وكم أيضاً جرفت يا تبن

وإليك سـلامي يا تبن وإليـك هيامي يا تـبن

خضر عطا المنان

شاعر سوداني شاب، يكتب بالعامية، أساساً. عمل مدرساً في اليمن، لفترة قصيرة، ثم قفل راجعاً إلى المملكة العربية السعودية، وهناك أُودع السجن بتهمة.

وبعد أن أُطلق سراحه، عاد إلى اليمن، كباحث متفرغ في مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، لكنه ما لبث أن أُودع السجن بتهمة أُخرى. فأُمر بمغادرة اليمن. استقر مؤخراً بأبي ظبي، وأُصدر هناك ديوانه الأول.. وقد نشرت صحيفة (المنار) اليمنية كثيراً من مواضيعه النثرية، يومئذ..

صنعاء

عروسة الجبال أُغرودة السماء

يا رمز الهدى أنت يا مهد الوفاء

أُغنية الصباح أُهزوجة المساء

حبيبتي صنعاء

يا مجد العروبة والإباء

يا حسناء يا سمراء

ويا قصيدة عصماء

لم تجل يوماً بخاطر ما قالها شعراء

يا لغز حب لا يترجم

نوري إذا ما الليل أظلم

أنت للخرطوم توأم

في بلادي صرت معلم

عنك كم شعبي تكلم

وبك موج النيل همهم

صنعاء يا نبض فؤادي واعتزازي ووادي

يا فيض شوقي وصديقي في بعادي

يا عروستي، وأنيستي ودليلي في وهادي

صنعاء يا أُخت بلادي

بين بلدينا جسور وجذور

عنها كم تاريخ يحكي منذ آلاف العصور

مشعل قبس ونور

يهيم في أوج الهوى وبين شعبينا يدور

لثم وعناق فرح وسرور

كعاشقين على المدى الكل ملتهب الشعور

لن أنساك يا صنعا لن أنسى تفضل وأيش

وشباباً من بلادي في تلالك الخضرا يعيش

أنت يا صنعاء حبي وبخاطري فرح يجيش

أنت والخرطوم تاج لزفاف عروسة وعريس

وسبأ مثل مروي نعزها

وتنام في حدقاتنا بلقيس

سبتمبر ١٩٨٢م

ذمار

قيلت في زلزال مدينة ذمار، عام ١٩٨٢م

حبيبتي ذمار

رغم الدمار والإنهيار

وغاب عن الديار كل آبائي الكبار

أنت عندي يا ذمار

فوق ذياك الدمار

فوق هاتيك المحن

أنت مشعل

يأبى يرحل

خالد طول الزمن

أنت المنار يا ذمار

كنت قربي سلوى قلبي والقصائد والشعار

رغم حبي تاه دربي ضاع في وضح النهار

للساكنين على رباك

الراحلين يوم ذاك

التاركين لكل دار

أتلو كتبي أدعو ربي

بكل تقوى وانبهار

ديسمبر ١٩٨٢م

سالم عبد العزيز

مدرس يمني لمادة الإنكليزية في كلية التربية، بجامعة عدن. يكتب الشعر وقد صدر له ديوان مطبوع بعنوان (والعشق أيضاً يماني)(١). وفي الديوان قصيدة بعنوان (الخرطوم وبشارة حدام اليمانية)، تحكي عن حالة الشاعر، عندما صدر قرار يمنع اليمني من الإتصال بالأجانب في البلاد اليمنية الجنوبية، عام ١٩٧٦م. وهو قرار ما لبثت الدولة أن عادت عنه، بعد ذلك بفترة من الزمان. وقد أثر هذا القرار على الشاعر، بأن منعه من الاتصال بصديقه الحميم بعدن، الأستاذ السوداني، فاروق محمد.. فكتب هذه الأبيات:

نصبوا مغاني الروم في الخرطوم فصبا الفؤاد إلى مغاني الروم

وتصببت قسما عيوني كلما أضنى دموع العين طول سجوم

وا لله لو سدموك في قعر الدجى أو قاع بحر الصين يا خرطومي

ما غبت عني والهوى يبقى الهوى مكتومه أطرى من المعلوم

صرموا حبال الوصل دون روية فغزلتها من لوعتي وهمومي

ووصلت ليلات النوى أشكو النوى للقات أو للعاتق المختوم

وأهز قلب الغيل في سكر المنى متخفياً كالعاشق المهزوم(٢)

يا غيل يا مغنى الصبا أين الصبا يبكي على قطر الندى المسموم؟

شاب الزمان فقال قول خرافة ورأى الحجى في لثغة المفطوم

أين الاولي خطفوا نجوم سمائهم ليفيق ليل العيد تحت نجوم

أمحت رباك ربوعهم ووشومهم وتنكرت لخؤولة وعموم

يـا خيمـة سمـراء في سمـر الربـى عـلقـت في أوتـادهـا منـظـومـي

زفي دوا بيت الرجـاء إلى الدجـى فالعين ترجـف للدجى المحـروم

ستشهد سـد الزيـف فأرة مـأرب وتزعرد الأحـقاف للخرطـوم

وتعـود ليـلات التلاقي مثلـما عادت ليـالي الخيـف للمخـزومـي

هـذي دروب الوصـل تزهو مثـله وتبـوح بالكاذي وللمشـموم(٣)

قالـت حـدام لنـا وعـود تحتبى ذوب الندى ولهـم نـعيق البـوم

---

(١) سالم عبد العزيز، **والعشق أيضاً يماني**، ادارة النشر بمركز البحوث التربوية، عـدن، ١٩٧٧م.

(٢) اشارة لدور المدرس السوداني في مدرسة غيل باوزير، بحضرموت.

(٣) الكاذي والمشموم نباتات عطرة في اليمن.

د. سالم عمر بكير

أحد الوجوه البارزة في الحزب الإشتراكي اليمني. عمل مديراً لجامعة عدن، وتقلب في مواقع عدة. درس في صباه في السودان، بالمدرسة الثانوية بمدينة بورسودان، وكتب في الخرطوم قصائد مثل (طفل وحذاء ومطر)، ذات الطابع الرومانسي الإجتماعي، و(أرض المآسي)، المنشورة بصحيفة (الرائد) السودانية، ومنها:

سئمت من العيش في وحدتي وأصبحت أهفو لحريتي

وتقت إلى النور نور الصباح وضقت من العيش في الظلمة

وثرت فقالوا صغير غرير فقد ضحك البعض من ثورتي

أعطى جهده الشعري، منذ فترة طويلة، لنمط من الشعر المحلي الحضرمي، هو شعر الدان، الذي لم ينس أن يكتب به ذكرياته بالسودان، كما سنرى عند حديثنا عن شعر الدان، الذي كتبه الشاعر السوداني المقيم بعدن، الدكتور مبارك حسن الخليفة...

ومن قصيدة بعنوان (شاعر ورسام)، كتبها في فتاة تتنزه بحديقة الحيوان في الخرطوم، في الستينات:

حملتني قدماي تحت تلك النخلة

بازاها صفق القلب لها في نشوة

وتشاغلت فاني أستحي من نظرتي

أُردف النظرة بل لا أنثني من لذتي

وكأني خلت قلبي عاش في أحلى مناه

أقبل الرسام بالمحراب بالفن البديع

وحبا ثغرك ورداً كاد بالعطر يضوع

وبدت من ناظريك لهفة الطفل الرضيع

فهو رسم كاد أن ينطق بالأشواق فاه

يا فتاتي أنا من يحلم كل العمر فيك

أنا لم يسع فؤادي بالهوى إلا إليك

شاعر يستلهم الشعر برؤيا ناظريك

حظه شعر فهل يبلغ بالشعر مداه

سامية رزق

شابة يمنية، قضت في المهجر السوداني، سنوات.

خاطرة

كم أود أن أعبِّر عن ذاتي

كان صوتي يمنحني فرصة الرواية والتفكر والإقناع

منا توقف الإنسان في غربته إلا بعد أن تاه في زحمة الدنيا

فمضى يبحث عن الذات

هناك امتلاك المشاعر

وهنا حرية الروح

تلك الروح التي تبحث دوماً عن معنى جديد للحقيقة

كأن الغربة قدراً فرض علينا

وكانت خطى لابد أن نمشيها

وتعلمنا فيها الصبر واحتمال الصعاب

وها نحن نعود

يشدنا دوماً الحنين إلى الوطن

وتبقى في دواخلنا أجزاء صغيرة من ذكريات الغربة

د. سعيد الشيباني

الدكتور سعيد الشيباني شاعر، يكتب بالفصحى وبالعامية. وله بالعامية اليمنية مجموعة تعد من أجمل الأغنيات اليمنية المعاصرة، في الصعيدين الأناشيدي والغزلي. وتتميز أغنياته هذه، مثلاً، بالخلط المدهش بين قضايا الوطن اليمني، من أقصاه إلى أقصاه.

وقد تزوج الشاعر كهلاً من إحدى فتيات الجالية اليمنية بالسودان، عام ١٩٨١م، من مدينة كسلا، بشرق السودان، فأصبح اتحاده بزوجته هذه محور حياته الخاصة، وكاد يتعداها إلى العامة، فلم نعد نقرأ له من الشعر المنشور إلا القليل. وفي مناسبة قرانه، كتب قصيدة مطولة، بعنوان (كسلا.. عش العصافير الزغب)، ذكر فيها بوفاء أصدقاءه، شعراء وأدباء السودان، الذين عرفهم في القاهرة، وصنعاء، وعدن، في فترات سابقة من حياته، الحافلة بالعلم، والشعر، والعمل، بل والنضال السياسي:

خفق القلب في اخضلال اللسان لمن أسلمت لـ (البراق) عناني

من قرى في (عرام) من كل نبض تاه عن قلب بلدتي وعياني

(كسلا) النبع والحدائق نشوى والسواقي تؤتي القطوف دواني

فتحت بابها لتصبح داراً للعصافير هاجرت من يماني

إيه سودان والسواد بياض مستثير قاصيك يحضن داني

عزوة الحب خرطوم مهجتي وثقي كسلا فيك قبلتي وأذاني

يا (رباعية الحروف) تجلت كسلا الاسم فاق كل بيان

إيه سودان دفء شمس ضياء في حروف (المجذوب)[١] و(التيجاني)[٢]

والندامى الرفاق أين (بشير)[٣] (تاج سر)[٤] (جيلي)[٥] و(لطفي أمان)[٦]

أيها (القاش) فيض فيضك عذب خمر ماء الحياة حبا رواني

كسلا اللحن والبلابل تشدو وسط قلبي صبا نشيد الأماني

عشت يا مربع الصبا لحبيبي كسلا خير أمة ومكان

وقد وقفت على قصيدة طويلة طويلة لسعيد الشيباني كتبها عن الفيضانات والسيول، التي اجتاحت السودان، عام ١٩٨٨م، بعنوان (يموتون ضماء في فرات). ومن الطريف، كما يخبرني الشاعر السوداني المقيم باليمن، يومئذ، سيد أحمد الحردلو، أنه حاول رص الأوراق التي كتبت عليها القصيدة «المعلقة»، فجاوزت مساحة منزل الحردلو العامر بصنعاء:

فيما هنا صنعاء تستقي نهار الغيث تطلب بالصلاة

من رب كل الناس ما يهب الحياة

شرباً وتطهيراً وري

لكل حي

في الكون انسان وشي

كانت هناك مدائن السودان تضرع بالصلاة

لله - كي عنها ومن فيها وما فيها حياة -

الغيث يرفع قبل أن يغدو الفناء

حتماً هو القانون والحكم القضاة

يا سخرة الأقدار بالمتناقضات

---

(١) الشاعر السوداني الراحل، محمد المهدي المجذوب.

(٢) الشاعر السوداني الراحل، التيجاني يوسف بشير.

(٣) الشاعر السوداني، الدكتور تاج السر الحسن.

(٤) الشاعر السوداني الراحل، الدكتور جيلي عبد الرحمن.

(٥) الشاعر اليمني الراحل، لطفي جعفر أمان، وقد درس بالسودان.

(٦) الشاعر السوداني جعفر حامد البشير.

سعيد محمد باوزير

شاعر من اليمن. قصيدته (وفاء) هذه مهداة للشاعر السوداني الذي أقام باليمن، الدكتور جيلي عبد الرحمن، رحمة الله عليه:

سلامي عليك ولهفي عليك

وبلقيس مدت يديها لتمسح من مقلتيك

دموع اشتياق ما ترجمتها الدموع

وكل العواصم أبوابها صدأت واحتساها الغبار

وأنت كما أنت سفر ارتحال تسامق فينا

وأنت المضرج بالشعر والصخب والكبرياء

وأنت المضرج بالوجع المنتقى الممدد فوق دفاترنا

المتقدم في ذاتنا

وأين العذارى وأين الصحاب

حين أقمت لهم مدناً من قصائد

فلا تبتئس فهذا الزمان هو النصل

أتعددك للذكر كم حالة لا تسمى وأنت الخبير بهذي المواجد

أتسمح دمعك وركب (سليمى) إليك يشد الرواحل

أتصدق وعدك

وأنت كثير النبوءة والوعد وفي غرفة من أساك

تسامر وجدك

وتدخل في عالم من تهجد

وبحراً من الذكريات

وتحلم تحلم تكبر في مقلتيك أغاني التواصل

وآه لأعمارنا واحتراقاتنا

فهل كسر السيف

أماتت على شفتينا الإجابة

وذاك الشراع على الشط أيسلمه الإغتراب إلى الإغتراب

ورغم المتاهات تولد في أفئدتنا الليالي

شواظاً من الحلم لا ينتهي

وآه (لصاء) عروس من الأبنوس المضمخ بالطيب والجمر والإنتماء

وآه (لصاء) عروس الشمال هي البوح والكدح والبسطاء

أراك على ربوة ظللتها النخيل البواسق

تمسح جلبابك الشمس

وفي (عرس الزين) بالأمس كنت تغني وترقص

وتمتد قامتك الفارهة

تعانق وهج الحقيقة

وأنت كما أنت شاخت سنين المنافي والإغتراب

وأنت تغني وتشدو

وأسمع في الحقل صوت أبيك يناديك: يا (زول)

هذا زمان المواسم هيا اغتنمها

فأنت الشفاعة في زمن ضاع فيه الشفيع

سعيد محمد مخاوش

مربي وشاعر من عدن. وفي وفاة زميله في التدريس هناك، المدرس السوداني، عباس محمد الأمين، كتب هذ المقطوعة:

عباس يا نبراس غاب نسراً يحلق في السحاب*
سودان يا أرض البطولة والندى أرض النجاب
سودان عبس قد وفى دين الفدائي المهاب
وعروبة السودان أوفى من سماسرة حراب
عباس يا رمز الندى نجم هوى ومض شهاب
أنت الذي أسلافه زرعوا بصحرائي غاب
*يا شيخنا** ما ودعت عيناي نوره في الأهاب*
يا شيخنا ماذا أرد والرؤى حولي ضباب
نبراس أنا أهلك نبراس تفديك الرقاب

سبتمبر ١٩٨٤م

---

*نبراس: ابنة الفقيد.

** شيخنا: اشارة إلى الدكتور مبارك حسن الخليفة، المدرس السوداني بجامعة عدن.

سعيد محمد دحي

شاعر وناثر يمني، احترف مهنة الصحافة في دولة الامارات العربيـة المتحـدة، واتخذها مستقراً. كتب الشـاعر اليمـني، الدكتـور عبـد العزيـز المقـالح، في صحيفـة (الثورة) بصنعاء، في ذات يوم، أن الحركة الأدبية اليمنية تظل ناقصة، في غياب هذا الشاعر عن الساحة اليمنية. درس دحي في مدرسة حنتوب الثانويـة بالسـودان، مـا بين عام ١٩٦٤م و١٩٦٨م. وكتب من وحي تلك الفترة الشعر:

عنجة

عنجة يا حبا عشعش في صدري

وشباباً ينبض في قلبي

عنجة يا مرتع أحلامي وسلافة أيامي

يا صوتاً يتردد في قلبي قبل لساني

يا روحاً يسبح فيه قلبي قبل خيالي

يا معنى يمشي يتمثل في نفسي

يا طيراً غرد في واحة قلبي في ذاك العنبر

يا مسبح فكري وسلافة عمري غنيت مرارا

ولهثت باسمك تكرارا

مالك يا مرتع أحلامي وسلافة أيامي؟

وغناء الفرحة يتجدد

انحطم الناي وطار

وانقطعت في العود الأوتار
وإذا الفرحة تتبدد
وإذا بي بعد ندائك يا مرتع أفراحي
أصرخ أقول يا منبع أحزاني
وبكائي في يوم الأحزان
ذلك يوم فراقك
لا لن أنسى وطني الثاني
لن أنسى سودان الثورة
لن أنسى أيامي الأولى
لن أنسى اكتوبر
ولأول مرة بعد سكون رام على نفسي
لم أر فرقاً بين هنا وهناك
ولأول مرة خارج وطني
أشهد شعباً يتقيأ عهداً أسود
وانفجر البركان بركان الشعب الأسمر
وترامى في سمعي وأنا محبوس في ذاك العنبر
لعلعة رصاص غادر
وهتاف جماهير تهتف
كأسود تتوثب تزأر.. يسقط عبود
عاش كفاح الشعب الصابر
وهناك بعاصمة المهدي
ولأول مرة أشهد شعباً يزحف في ثورة
في يوم الإثنين لن أنسى أروع منظر هدهد فكري

وتمثل في نفسي شيئاً يتخطى كل خيال

كان الثوار جميعاً يبنون متاريس

والنقمة في كل جنان

والرعشة تسري في قلب الخائن

وأخيراً أرجع للملهمة الكبرى لأبي عنجة

مدرسة الحب الأخوي الصافي

عنجة في ذكر هواك وأفضالك أتلعثم

تسبيحي وعصارة روحي إحساسي بفراق حبيبة قلبي

عنجة لا أملك عنك سوى ذكرى أربع زهرات

فيهم رواء شبابي في أربع سنوات

ما أحيا لن أنسى أبو عنجة

لن أنسى نخل أبو عنجة

نخل أبو عنجة

لن أنسى طير أبي عنجة

لن أنساكم لن أنساكم

عجزي في إبداء شعوري يجعل صدري قفصاً ذهبياً

يحمل طيراً مخنوق الأنفاس يتحشرج في حسرة

لا يملك كيف يغني

محبوس يبكي

وبكاء الطير لعنجة يغني عن كل غناء

هدهد إلى حنتوب

حنتوب تدعوني تعال

فذكرت حفل العمر في حنتوب جوهرة الجزيرة

وذكرت أشجار الحراز

أُحب أشجار الحراز

وذكرت نهر النيل..

الزنبقة السوداء

زنبقتي أُريد أن أقول شيئاً عنك لا يقال

أُريد أن أنال شيئاً منك لا ينال

أن أقطف المحال

وأرتوي من منبع الخيال

أشتم من عبيرك الفواح عنبراً

أضم من حديثك العطري باقة تزرع في صدري زنابق الآمال

زنبقتي ما زال طعم ذلك الرحيق في فمي

يطرد مني الشك في حلاوة الأشياء

بيني وبين بغية الحياة شعرة من الحرير

بيني وبين نقمة الحياة شعرة من الحرير

ملبساً يعصمني من الشتاء

وسلوى تعصمني من الأسى

وقارباً يتيه في نهر من الأنوار

باهية ألوانه هادئة أمواجه

ترود شاطىء يدور بالبخور

يسبح في غلالة من نور

زنبقتي هل لي إلى عبادة في ذلك المحراب

ذي الأعمدة السمراء

هل لي إلى سياحة في غابة الأبنوس

أركع عند ذلك التمثال

أشمه أضمه أدهنه أحمله لمعبدي الحزين

فأرتوي وأنتشي بأروع انتشاء

وعندها أقول يا زنبقتي ما في الحياة من قلق

وذلك الربيع في الضلوع ما احترق

وانتعشت آمالنا في رحلة الحياة

وتغتدي قصيرة كالحلم الجميل

زنبقتي ان الحياة عندما يقترب اللقاء

تطيب بالأشواق والترحيب والعناق

فتزدهي الشفاه بالبريق

وتغتدي الحياة يا زنبقتي

أروع ما يمر من زمان

وخير ما نغني من المكان

سيد أحمد الحردلو

شاعر وقاص سوداني مرموق. ألّف الدواوين العديدة بالفصحى، وكتب شعر الأُغنية في السودان، فصارت من أكثر الأغاني السودانية انتشاراً.. مثل أُغنية - (تقول لي منو تقول لي شنو)، التي لحنها وغناها المطرب السوداني اليمني الأصل، عثمان اليمني.

اشتهرت له قصته (ملعون أبوكي بلد).. وفي شعره الفصيح تجده شديد الإقتداء بمذهب نزار القباني الشعري.

عمل الحردلو دبلوماسياً في السلك الدبلوماسي السوداني، إلى أن أصبح سفيراً للخرطوم في صنعاء، ما قبل الوحدة اليمنية. ولعب دوراً بارزاً في توثيق الصلات الأدبية بين اليمن والسودان. وبعد وصول الفريق عمر حسن البشير إلى السلطة، في الخرطوم، عام ١٩٨٩م، عزل الحردلو من منصبه، فاختار أن يطلب اللجوء السياسي في اليمن، وأقام بها سنوات، كان فيها نشيطاً على الصعيد السياسي، فكان منزله في صنعاء ملتقى المعارضة السياسية السودانية في صنعاء. ويقال بأنه نشر ديواناً باسم مستعار، يهاجم فيه حكومة السودان في ذلك الوقت. وكان منزله، أيضاً، ملتقى من أدركتهم حرفة الأدب، من يمنيين وسودانيين.. وقد كتب، في تلك الفترة، من الشعر في اليمن ما تنحني له قامة الأدب اليمني - السوداني. ثم قفل راجعاً إلى الخرطوم، مهادناً حكومتها، بعد أن منعته من الإتصال بعائلته وأسرته.

لكن أول معرفة الحردلو باليمن إنما كانت في مطلع الستينات، حينما عمل مدرساً في مدارس حضرموت، وإلى تلك الفترة تعود قصيدته (جوليانا)، التي نشرها في ديوان (أُغنية إلى يافا)(١):

جوليانا

الجسد الفائر من إفريقيا

والمقلتان من صومالي

الأنف شرقي

والشعر هندي

ولثغة اللسان من أثيوبيا

تعيش منذ الحرب في عدن

١٩٦١م

وفي عام ١٩٦٣م، عندما كانت القوات المصرية تخوض في اليمن حربها ضد التخلف، وتنتصر لراية العروبة، كتب الحردلو في القاهرة قصيدته (مذكرات جندي في اليمن)، والتي عاد ونشرها، فيما بعد، بشكل آخر عن الذي نشرت به في ديوان (أُغنية إلى يافا)، في ديوان (مقدمات)(٢):

أكتب من صرواح

أكتب يا صديقتي في مطلع الصباح

والفجر مد وجهه يعانق البطاح

ويفتح الطريق للطيور والأقاح

فيهمر الندى على الجبال حولنا

ويضحك المدى

كأنما ينقلني لمصر للشمال

أتت إليَّ طفلة كأنها القمر

في صوتها دندنة كأنها وتر

وفي اليدين قهوة وكسرة وماء

وأمسكت فنجانها تصب في حياء

تصوري تشكرني

وقلت في ابتسامة أنا هنا في وطني

أنا هنا في اليمن

أذود عن مصيرنا

لتستعيد مأرب أمجادها الكبار

وفي غد نعود يا مصر يا (هناء)

مارس ١٩٦٣م

ونأتي الآن لنستعرض قصائده المكتوبة في صنعاء.

اليمانيون آتون

اليمانيون آتون

سيأتي زمن فيه اليمانيون يمضون إلى كل مكان

ويقيمون على الأرض لكل الناس فردوساً يمان

أرى راياتهم تمتد من صنعا إلى باب عدن

يبدأون الآن مشوار التجذر بسم الله طي أعماق اليمن

إنهم آتون ومن قحطان من قتبان من أسفار حمّير يطلعون

ها هم جميعاً يبعثون وطناً جديداً فوق أشلاء الأئمة والمشانق والسجون

وها هم إلى أم المدائن والعواصم والعروبة ينزلون ويسكنون

بإذن الله من صنعا ومن شط عدن

ديسمبر ١٩٨٩م

ماذا يفيد الكلام وقد أكملته اليمن

ماذا تبقى من الشكر حتى تبلغه اليمن

وماذا يفيد الكلام وقد أكملته اليمن

وأنت الذي بذل الحب للناس والأرض خمسين عاما

بدون ضجيج ودون ثمن

ولما تهاوى الظلام عليك وأردف أعجازه وادلهم

لم تجد في الدنا غيرها من وطن

وماذا لديك وأنت الذي لم تكن منذ بدء الحياة

سوى نطفة من يمن

وماذا تقول وأنت الذي كنت تنبش في الأرض

خمسين عاما

لترتاح في جنة من عدن

ديسمبر ١٩٨٩م

ذلك القلب النبيل حتى الكفاية(٣)

* نثرية في رثاء الأديب اليمني الراحل، علي عبد الرزاق باذيب (ت ١٩٩١م).

هو بمئة رجل، وقلبه بمليون، وسجاياه الحسن، والإحسان، والحسن. من أي فردوس أنت، من أي عدن. أنت الذي عشت أزماننا وزمن الآتين في خمسين، وازدادوا بعض أعوام. كان يمنياً حتى الثمالة، وعدنياً، بشكل خاص. تحاوره في الشعر، فيستشهد بعدن. وتقول آه بحر، فيقول آه يا عدن. ثم تمضي وعدن صارت يمن. علي باذيب، رحمك الله في جنة من عدن.

يناير ١٩٩١م

العشب والجبل والمطر

مهندماً أقبل في هيئته اليمنية المعتادة وضاح المحيا
توضأ ثم صلى ركعتين شكراً لله وحمداً في اليمن
خرج باكراً من دارته في المكلا
لم يكن البحر هو ذاك كان مختلفاً جدا
يتداعى من اللامنتهى إلى منتهى اليمن
اصطبح في حجه ونزل إلى ساحل معاشيق
ثم التفت ينظر عدن
ثم أقبل في عجل إلى صنعاء يلحق مجلسها
ولما كركرت المداعات كان نقم يستعد للراحة
وعيبان يأخذ مكانه وصنعاء ترفل في نعيم اليقين
فرأى أنه يتسلق نقم حتى قمته
فنادى بكل صوته يا يمن
كن واحة للحرية كن يمناً للجميع
ليلتها تعشى في شبام ونام ملء جفنيه في تعز
على شبام الهاجعة في أعتاب كوكبان
سأله الموظف المختص: مكان الميلاد فأجاب اليمن
الهوية اليمن
موطن الجد اليمن
معارفك هنا.. الوالدان

مايو ١٩٩١م

قراءة ثانية في دفتر صنعاء

وكل عام يزدهي سبتمبر وفجر اكتوبر في العيون

وكل عام والمدينة التي تحرسها أيامها السبعون

طيبة تطاولت هاماتها وأنتمو عرب يمانيون

ومأرب يطرح ما في (جوفه) ويزدهر النخيل في سيئون

حياكم الله وحيا يمناً يعلم الإنسان أن يكون

أنتم على الخرطوم سودانية ونحن في صنعا يمانيون

وبيننا البحر الذي يربطنا وبيننا الود الذي يصون

إن دق في صنعاء قلب عاشق هفت له الخرطوم: مشتاقون

سبتمبر ١٩٩١م

بكائية على بحر القلزم(٤)

وها هم على ساحليك يعودون

روماً وفرساً بطالمة يهود

وها هم بنجران ذات الأخاديد

والنار ذات الوقود

من أوراق عاشق سوداني إلى طفلة المدائن صنعاء

إني أجيء وفي الأحداق صنعاء فالشوق بوحني ولدي أنباء

وفي الفؤاد ترانيم تحدثني أن الهوى يمن والحسن صنعاء

الله يا سدة الغالين من عرب الله يا واحة الآتين إن جاءوا

إني أجيء وأحزاني تطاردني فحرريني من الأحزان صنعاء

إني أرى وطن الأجداد منكسراً وكان كالسيف إن شئنا وإن شاءوا

وذاك سودانكم يا ويلكم أبداً إن مرة نعت السودان أنباء

صنعاء يا طفلة عربية أبداً أحلى وأغلى وأنقى وهي عذراء

ظلي مرؤتنا فالحقد بعثرنا ولملمينا فان الكل أجزاء

نوفمبر ١٩٨٧م

أنتم الناس أيها اليمانيون

* نثرية للحب والتسامح عشية ٢٢ مايو... الذكرى الثانية للوحدة اليمنية.

هاهم يرحلون إلى يمن الحب والتسامح. يمن الأيام الآتية. أنتم الناس أيها اليمانيون. ها هو الزمن المأربي يعود. تسلقت زهرة ياسمين حائط اليمن. الليلة (خزنا) نخب اليمن. فالحب دائماً من صنعا، والعشق دائماً من عدن. أرأيت كيف نهضت (أبين)... «دان يا دان». كيف احتشدت صعدة.. «دان يا دان». بسم الله نتوضأ بماء الحب والتسامح، ونغني عاش اليمن. أنتم الناس أيها اليمانيون.

مايو ١٩٩٢م

ناوليني القات وابتسمي

جاءت تموسق خطوها وكأنه خطو اليمن

هل أنت نهر أم نهار يا مليحة أم وطن

هل تبصرين وجوهنا تنداح من بدء الزمن

تروي لنا أخبارنا من عهد مأرب أو يزن

كنا هناك فإننا في البدء كان لنا سكن

هذي أذن صنعاء عصماء العواصم والمدن

ترتاح في ظل الجبال كأنها ظل الزمن

أسـوارها تحكي لنا سجناً وسـجاناً ظعـن

وا لله يا صـنعاء حين وجدت نصفك في عدن

ألفيت نفسـي مثل عصـفور يدندن في فنـن

من غيركـم يا سـادة الدنيا ويا أهل اليـمن

هل تطعـمينا (سلتة) فيها شـفاء من وهـن

هل ذقتها دفدافة تلغو بصـوت قد رطـن

من لم يذقها لم يذق شـيئاً بتاتاً في اليمـن

ناوليني القات وابتسـمي فأنتِ لنا وطـن

والقات يشـجيني وبعض القات آخره شجن

هذي مداعتنا تـكركر من لذنك الى تـبن

~~أوليس...~~ إن القات يطربني كما الوجه الحسن

وأنا أرى أن الخلاص كما البداية في اليـمن

يونيو ١٩٩٢م

من حقيبة عاشق على سفر

شكراً لكل اليمن من البحر إلى البحر من السهل إلى الجبل

من قاع (العلفي) حتى السماء

شكراً لسبتمبر شكراً لاكتوبر

شكراً لسقوط الجدار والتئام الدار

البارحة رأيت رجلاً في ميدان التحرير يهتف ضد الحكومة

ثم يمضي سبيله عادي

شكراً لكل دخنة سلتة شوتني

لكل ورقة قات تناولتني

شكراً لكل المجالس من صنعاء إلى عدن

لكل مداعة وجنبية وقمرية

شكراً لسوق الملح لميدان التحرير

شكراً للجامع الكبير والجدار العتيق وباب اليمن

شكراً لمأرب وسدها وما في جوفها

شكراً للمانقو والنخيل والعمبة

شكراً لليمون والتفاح واخضرار اليمن

شكراً لحضرموت وما أدراك ما في حضرموت

ماء وبترول وفاكهة مما يشتهون

كان المطر عاشقاً لليمن هذا العام

كأنما البحران هرولا إلى السماء ثم اندلقا على اليمن

فاحتشدوا أيها اليمانون معا

لأجل القمح والأطفال والفراشات

ها هو ذا نوفمبر يدق أبواب اليمن

فاحشدوا له الحب والسماحة والإيمان

الإيمان يمان والحكمة يمنية

والدنيا يمنية والحرية يمنية

والعروبة عاشت لأنها يمنية

شكراً للشعراء أبناء الله الأوفياء

قافية وتفعيلة و(بنت صحن)

....

....

لم يهزمني في سباق عشق السودان سوى شاعر واحد غير سوداني

أغزو الشرق فيغزو الغرب

أجتاح الشمال فيجتاح الجنوب

أكتب نثراً فيكتب شعراً

أتحدث عن اليمن فيكتب كتاباً عن السودان

أدندن أغنية يمنية في سري فيرد علي من إذاعة أم درمان

أخيراً رفعت الراية البيضاء

وعينت نفسي نائباً له في جمهورية عشق السودان

واسمه.... نزار غانم

---

(١) سيد أحمد الحردلو، **أغنية إلى يافا**، دار العودة، بيروت، ١٩٦٦م.

(٢) سيد أحمد الحردلو، **مقدمات**، القاهرة، ١٩٨٦م.

(٣) سيد أحمد الحردلو، **بكائية على بحر القلزم**، دار النشر بجامعة الخرطوم.
أنظر، أيضاً:

الفقيد علي باذيب المفكر المثال القدوة، مؤسسة ١٤ اكتوبر، عدن.

شاعر مجهول

أُلقيت هذه المقطوعة الشعرية، بمناسبة احتفال أُقيم بمبنى الجالية اليمنية في الخرطوم بحري، للذكرى السنوية لثورة سبتمبر اليمنية. شاهدت الحفل في شريط فيديو:

بكم تتجدد الأيام عندي ويصبح ثوبها أبداً قشيب
وهذي السحب من صنعاء جاءت يذوب حنينها بين القلوب
من السودان يحملني هيامي وقلبي بالتغني عندليب
أما لي في رؤى صنعاء حظ أأُصبح دائماً وحدي غريب
أنا بالصدق يعرفني صحابي وقلبي في هوى صنعا يجيب
أيا يمن العروبة أنت أُم لقحطان وللمجد الربيب
وكان بنوك في الماضي حماة وذخراً في لظى اليوم الرهيب
إذا طلعت جحافلهم فصارت لشمس الكون أسدار المغيب
أجيء اليوم يحملني شعوري بأجنحة من الشوق العجيب

شيخ الدين عبيد عثمان

قاص سوداني، استقر في صنعاء، سنوات، وأصبح أحد المحررين الرئيسيين في مجلة (الطرق) اليمنية.

ليلة خميس

الكلمات كانت تضج في أذنيه وهو يرددها:

إن النساء شياطينا خلقن لنا، أعوذ بالله من شر الشياطين!

مساء صنعاء الوردي المميز كان قد أزف عليه، و لم يعثر بعد على ضالته المنشودة. الطريق أمامه طويل؛ كأفعى بمنكبين، بلا بدايات أو نهايات.

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

كاذب منافق من قال يوماً أن وراء كل رجل عظيم امرأة. وراء كل رجل تعيس امرأة. أرهقه وأضناه التجوال، حتى سالت من على فوديه بحار من العرق الدافىء، برغم ما زعموا عن انخفاض درجة الحرارة بالتلفاز؛ كذب المنجمون ولو صدقوا. قلبه كطاحونة يعلو ويهبط، حين انتحى مكاناً قصياً في ذاك المقهى. صوت المنادي الممطوط يتسلل في إغراء وإصرار «واحد حليب محوَّج». الحاجة أُم الإختراع. ماذا لو انقلبت الآية، وأصبح الرجال هم الأمهات. في خوف تحسس بطنه وساقيه، طرد الفكرة، قبل أن يسرح معها. تثاءب في فتور، ثم هش ذبابة، قبل أن تحط على طرف كوبه المحوَّج ذاك، وهو يرقب أرتال السيارات الخصوصي تمر أمام ناظريه، كشريط حياته الحافل. يسرعون ويسرعون وأصوات الأبواق العالية المتنوعة في إلحاحها لشارة المرور، تسرع في إعطاء ضوئها الأخضر. منتهى

التقدم، والمدنية في حركات لا شعورية كان يداعب ورقة اللبتون داخل كوبه المحوَّج ذاك «كلهم جبناء، عملاء، وأنا مثلهم». تحسس الورقة، المطوية بعناية، داخل جيبه، فغمغم الممنوع مرغوب، والمرغوب... ولم يكملها، وأشعل سجارة وتحشأ بصوت مسموع. «إن أردت يا عزيزتي أن تحافظي على زوجك وفياً مخلصاً، كالكلب، عليك بهذه الخلطة التي وصفوها لي يوماً.. اسقيها له، ليلة الخميس، بعد أن تخلطيها بملعقة من عطر دم العصفور».

في ليلة الخميس هذه تسمى الأشياء بأسمائها، وتكون سمعاً وطاعة، هي الإجابة على كل الطلبات «كلنا جبناء، عملاء»! وخاصة في يوم هذه الليلة، بالذات، ولكن لم إصرارها على هذا العطر، بالذات، تقول هي أن رائحته الرائعة تجلب البهجة والسعادة. أي بهجة، وأي سعادة تلك هي؟! ابتسم في خاطره، حين وجد نفسه أمام «محلات ليلة خميس»، دلف داخلاً، ثم جعل يحملق داخل فاترينة العطور الحافلة، وفجأة توقفت عيونه على حنة دم العصفور، تناول كيسها الورقي، وبعناية شديدة فك الديباجة من عليه، ثم قصها، بعناية وفن، لتصبح دم العصفور. أخذ قارورة عطر باريسي رخيص. فتحها شك أصبعه بدبوس صغير سكب الخيط الرفيع الأحمر داخل القارورة. قفلها بإحكام، احتضنها، وهو يردد «كل الرجال أكذوبة، في هذا الزمن الرخيص»!

البتول بنت اليماني

قالت عجوز عقيم، من اللاتي شهدن ولادتها، تالله لقد خرجت «فاطمة» من بطن أمها للحياة، دون أن تطلق الصرخة الأُولى، شأن الأطفال جميعاً في كل الدنيا، فقد خرجت باسمة الثغر، مفتوحة العينين كأنها أُقحوانة.

الوالد من سهل تهامة، والأُم سليلة ترهاقا النوبي.. كتفاحة مهجنة من لجين. أطلت فاطمة للحياة بالزغاريد، والعديل، والزين. استقبلت فاطمة طفولتها

براءة الشفاوة وحلاوتها.. تتقافز كأرنب بري، من حجر لحجر، ومن صدر لصدر، ومن يد لأُخرى. والوجه القمري الطفل يستكين في حبور لكل الناس في أُلفة، وعفوية، وحب فطري.

وكياسمينة لازمها الطل، شبت فاطمة، وترعرعت.. الشعر شلالات من ذهب منسكب طويل، طويل كليل بلا نهايات، خصلاته تداعب، في وله ودلال،جبيناً كبدر التمام حُسناً وبهاء.

العينان، يا سبحان الخالق، واحتان واسعتان، من شهد ولبن، فيهما حائر ألف سؤال وسؤال، كصاروخين من شهاب تفتكان، والأنف الروماني فيه ما فيه من كبرياء بلقيس الملكة وعزة وأنفة «مهيرة بنت عبود» السودانية، الشاعرة الفارسة.. والشفتان السفلى عطشى عطشى، والأُخرى دوماً تتلظى، وحين تفتران عن البسمة الساحرة أو الضحكة الموسقة الآسرة، تكشفان عن كنوز من الدر والمرجان فتبدو لك اللوحة البديعة، مثل كرزة حفها العنب. البتول بنت اليماني كانوا ينادونها، أنت يا قصيدة من نور ونار، أشرقت يوماً في قلب وسماء البقعة المباركة «أم درمان» ويالحناً سماوياً لطالما عزفت خطواتك الرشيقة أشجى وأعذب وأكثر رقة من سيمفونيات بتهوفن، والإلياذة، طالما زرعت الفرح الوردي في دروب شارع «الشنقيطي»، في مجيئك وذهابك، «لكلية التمريض ا لعالي». فكثيراً ما صفقت شطئان النيل لك، كثيراً ما وشوشت وتغنت لك أمواجه بالحب عند الملتقى والمنحنى.

وكان لا بد من صنعاء وإن طال السفر. وعاد الحاج صالح لأرض الآباء، ومهد الجدود، عاد لقطعة من نفسه الكبيرة، بعد غياب وغياب عاد، والعود أحمد.

مصطحباً زوجته، وابنته الوحيدة الأثيرة «فاطمة البتول»، واستقبلته صنعاء، كعادتها، هاشة باشة، وضمتهم إلى صدرها الحنون، بعد أن زالت، وإلى الأبد،

دواعي الفراق والبعاد، وآثر أن تكون داره بشارع الخرطوم، في قلب توأم الخرطوم.

وكان زفافها لابن عمها «ناصر» يوماً حافلاً كل الأيام. وبمثل ما استقبلت قدومها أُم درمان بالزغاريد والعديل والزين، كان يوم زفاقها زاخراً بأهازيج الفرح وأكاليل البهجة والحبور، فازدانت وتبرجت شرفات شارع الخرطوم، وشكلت رقصات البرع، بين الدفوف والطبول، لوحات من جمال التراث البديع.. يومها رقص الحاج صالح بساق واحدة، رقص وقلبه يفيض سعادة وطرباً بين الضلوع.. رقص ودمعتان هتانتان تأبيان إلا أن تعبرا بما يجيش في النفس من فرح ولواعج وذكريات خالدات في الوجدان، سطرتها عشرون سنة بأرض الطيبين، سمر الوجوه، بيض القلوب، وكأنها ينابيع الندى.

واختارت فاطمة أن يكون عملها بقسم الأمومة والطفولة بالمستشفى العام. ولأن الله خلقها ليحبها الناس، كل الناس، فقد تعلق بها الكل، منذ قدومها؛ الأطباء، والعاملون، بلا استثناء. أحبها المرضى، أحبها الزائرون أحبوها..

إسمها يكاد لا يفارق الشفاه، لحظة واحدة، ذاك يستدعيها، وتلك تناديها، وهي كنحلة بيضاء، وكفراشة تحوم، والإبتسامة تلك الساحرة المرسومة ـ ولا الجوكندا. لا تفارقها.

كتلة من النشاط، وتفانٍ، وتجردٍ، وإخلاصٍ، تنتقل من غرفة لغرفة، ومن سرير لسرير، وكل دواء مع تلك الإبتسامة الكبيرة الملائكية كفيل بطرد شبح المرض، وإن اشتدت وطأته.

وكل طفل يولد، وقد استقبلته تلك الإبتسامة الفرائحية، أحرى به أن يرى الدنيا بهية جميلة بيضاء.

حتى وبعد أن انتفخ منها البطن، لم ينقص ذاك أو يحد من نشاطاتها وحيويتها؛ فهي تحمل الحياة في جوفها، والأمل الزاهر في عينيها، وابتسامتها

الصافية، وفاجأها المخاض، يوماً داخل غرفة إرواء الأطفال، وحين فتحت عينيها المجهدتين من أثر الطلق، حامت بهما في الوجوه التي تحلقت من حولها من الأطباء، والعاملين، وقد اعتلتها كلها، وحتى مدير القسم الجاد القسمات، ابتسامات السعادة والهناء، ثم عادت بعينها تلك التي ترقد تحت أنفاسها، فخيل إليها أنها ترى صورتها معكوسة على مرآة بلورية صافية.

صالح بانقا

صحفي وكاتب سوداني راحل. اشتهر بلقبه وهو «ابـن البـان». وفي كتيبه (عواتك)(١) إشارات متعددة إلى عواتك من اليمن في السودان مثل:

عاتكة القرية:

أُمها من حسان الشمال، وأبوها من حضرموت، جاء مع الفتح؛ فهي شرقية اللون، شمالية العيون. لها مقلة كحلاء خلقة؛ كأن أباها الظبي أو أُمها مها. ويصبح الصباح، ذات يوم، على القرية، فإذا بواحد من أبناء عمومتها، يعبر البحر الأحمـر، ويبحث عن عمه، حتى إذا وجده، ووجدها أخذها أخذ ابن عم مقتدر، ولم يـترك في مكانها إلا صدى الأكف تضرب بعضها بعضـاً، علـى مـا فرطـت مـن أمرهـا، ولات حـين منـدم. وتمضـي السـنوات الثلاثـون، ويختلـف الليـل والنهـار، وينسـى العشاق عاتكة القرية، ويتلهون بعواتك ويتشـبتون بفواتـك، وتمضـي الأيـام يطـرد بعضهـا بعضـاً. وبـالأمس فجـأة، ألقاهـا في أحـد شـوارع العاصمـة، وقـد خطهـا الشـيب، وبـدت دروب الخمسـين تسـلك فجاجهـا، في صفحـة خديهـا، اللذيــن يشبهان قطعة التفاح. وأُطيل معها الحديث، وأسألها، وأتملاها، يوم كـانت الملكـة، وكانت الحسناء، وكانت، وكانت. وأعرف أنها جاءت إلى بقيـة أهلهـا بـأطراف العاصمة، ولن تعود، فقد مات زوجها، ولم يخلف شـيئاً. وأبكـي، وتبكـي معي. ويعاتبني رفيقي، كيف أبكي طويلاً مع هذه المرأة، وأبادلهـا شـيئاً مـن الدمـع. ومـا خطبها، وعلى حد تعبيره.. لا خيل عندها تهديها ولا مال.

وقلت له، يقولون:

قال أبو المهلهل الخزاعي:

ارتحلت يوماً إلى بادية الدهناء، وسألت عن مي، صاحبة ذي الرمة. فدفعت إلى خيمة فيها عجوز، فسلمت عليها، وقلت أين منزل مي.

فقالت: ها أنا مي.

فقلت: عجباً من ذي الرمة، وعظمة شعره فيك، ما الذي رآه فيك حتى خلدك بذلك الشعر العظيم؟! فقالت: لا تعجب، فإني سأقوم بعذره. ثم قالت يا فلانة، فخرجت من الخيمة جارية ناهد.. عليها برقع بخفيها، فقالت: اسفري، فلما سفرت تحيرت، لما رأيت من حسنها وجمالها. فقالت علقني ذي الرمة، وأنا في سن هذه. وكل جديد إلى بلي، فقلت عذرته، والله وأستنشدتها من شعره، فأنشدتني ما ملأ نفسي جمالاً وانطلاقاً.

وهنا قلت لصاحبي، وهو يعاتبني: إنها مي، أُخت ذي الرمة الآخر، ولو رأيتها، يومئذ وقبل ثلاثين عاماً، لرأيت (عجوة معطونة بي عسل)، فيما يقول ود الرضي، أيضاً.

وقلت لصاحبي: أما أنا فقد رأيت فيها مطلع الفجر، ولكنك رأيت فيها مغرب الشمس، والذين يعيشون مع مطلع الفجر، فهم وحدهم الذين يشهدون ميلاد الصباح، والذين لا يشهدون غير مغرب الشمس، فإنهم لا يرون غير الظلام شيئاً.

عاتكة صنعاء

أبوها من صنعاء، من اليمن السعيد، وأُمها من واحة البشيري، من شمال كردفان، ولكن الشيء الذي لا نذكره ولا نعرفه ولا نجد له جواباً هو العام الذي جاءت فيه أُمها من كردفان، وأبوها من اليمن، ولا الزمن الذي تم فيه لقاؤهما وزواجهما بعد.

كان هو كسهيل، وكانت هي كالثريا، ومع ذلك التقيا، هي شامية، إذا ما استحطت، وسهيل إذا ما استهل يماني.

وحديثها العذب، الذي تختلط فيه سيناته، وثاءاته، كلهاة الطفل بقلب سرير.

ثم ماذا. وفجأة يغادر أبوها البلاد عائداً بها إلى دنيا اليمن. بعد أن تفجر البترول، واخضر الزرع، ودر الضرع، وتوحد الشطران جنوبه وشماله، وبعد أن فتح علي خيبر وانتهت الامامة، وسدها التاريخ في سد مأرب. ولعل والدها أراد لها أن تكون قريبة من أخواتها، حفيدات بلقيس. ولم تترك بعدها إلا بقايا من الذكريات الهاجعة النائمة. وأذكر وصديقي يعود من رحلة اليمن، وأسأله عنها: هل رأيتها هناك، وهل حدثك عنها المحدثون، فإن أخبارها تأتي، بين الحين والآخر، سائلة عن خالاتها في البادية، وصديقاتها في القرية، ووصيفاتها في حي القبة؟ وحتى صاحبي، وهو يعود، لم يأتِ من سبأ بنبأ يقين. وفي النهاية، حتى إذا جاء الهدهد المفقود، وحدثنا عن عرشها، فأين سليمان، وأين هي، بل وأين الصرح؟ فإذا جاء الصرح، وحسبته لجة، فإننا نقول: اللهم ارخ ثوبها، واسدل خمارها، حتى لا تكشف حال العشاق.

عاتكة المهجر

أبوها من أرياف صنعاء اليمن، وقد جاء إلى السودان، في ذلك الزمان البعيد، شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الخوة الأشقاء اليمنيين، الذين جاءوا إلى وطنهم الثاني، يعملون في التجارة والأعمال المختلفة، وتفرقوا في رحاب البلاد، وعواصمها هنا وهناك. ولعل القلة القليلة باقية منهم أو في أصلابهم، حتى الآن، ولكن أغلبهم عادوا إلى وطنهم، بعد أن دعاهم إلى العمل فيه، مرة ثانية. وكان نصيب قريتنا أربعة منهم، مات ثلاثتهم، وبقي الرابع، في نهاية العمر. والذي أعنيه هنا واحد منهم، بقي في القرية، زمناً طويلاً. وكان كريماً جواداً، يكاد ينفق متجره كله للسائل والمحروم، حتى افتقر، في النهاية، والجود يفقر، فيما يقول الشاعر

القديم. ورغم فقره وخلاء متجره، كان يجلس أمامه، ويردد، بين الحين والآخر، أبياتاً من الشعرالشعبي اليمني، يسرِّي به عن نفسه، وما كنا، ونحن صغار السن يومها، نفهم المعنى، ولا نحفظ اللفظ الذي يردده صاحبنا اليمني. وأذكر أنه أثناء وجوده في القرية، تزوج منها، وأنجب هذه الكريمات الثلاث. ثم نزح آخر عمره، ومات في الشمال، وتزوجت كريماته الثلاث من أقاربهن اليمنيين، ولم يظفر واحد من أهل والدتهن بواحدة منهن، ولا أدري لذلك سبباً، رغم ما يتمتعن به من جمال يخلب الألباب.

كنت في شارع الجمهورية يومها، بالخرطوم، وكانت زحمة الشارع من كل جانب جعلتني أترك سيارتي بعيداً، وأمشي راجلاً، أبحث عن شيء في المتاجر، وما كنت أدري أن القدر، وحده، هو الذي جعلني أتجول كثيراً، ولم أظفر بحاجتي، ولكني ظفرت بلقائها. كانت تقف في أحد المتاجر، حين تسمرت تماماً حقيبتها البيضاء، كأنها جزء منها، وساعتها الذهبية تندس بين عافية معصمها، حتى تحسب أن الساعة من فصيلة يدها، ولا تعرفها، منذ أول لحظة، إلا إذا دققت النظر في المعصم، وإلا إذا لفتت أنظارك اليد، وأخذك ذوق ثوبها الذهبي المرصع بالورود البيضاء، وتكون أنت ساعتها في حيرة من الوصف والتشبيه.

كنت مسرعاً فتوقفت، وكنت أُريد حاجة، فنسيتها، وأذكر أنها التفتت كالطيف، واقتربت مني وزوجها الشاب اليمني الوسيم يقترب معها. ثم تأخذ يدي وتناديني باسمي كاملاً. وتتدلى الدموع، ويتوقف الكثيرون من سابلة الشارع، يتأملون المشهد المثير حقاً؛ الدموع تتدلى من الحسناء، والثوب الذهبي المطرز بالورد ينزلق من الجسد البلوري الراقص، في وقار الطهر، والكلمات تموت في رعشة الذكريات، ولعل طبيعة اليمن السعيد، وخضرة الهضاب أبت على الخضاب أن يفارق الجمال، فأعجب للجمال حين تعتقه الطبيعة، وتحرس نضرته السنوات.

قلت لها، وقد دعتني مع زوجها أن أتناول معها طعام الغداء، في الفندق الكبير، الذي يطل على النيل، لا سيما و لم يبق لهما بالسودان إلا بضع ساعات، وبعدها يركبان الطريق الجوي، من جديد، في طريقهما إلى اليمن. قلت لها، ونحن في الفندق، إنها ثلاثون عاماً تمضي، ولا نلتقي، وجهاً لوجه، إلا في هذه اللحظة العابرة، والساعات القلائل. ولكني أعرف أنك غادرت وطنك الأول، ومسقط رأسك واستقر بك المقام في موطن الآباء والأجداد، وكانت الأخبار تأتينا، بين الحين والآخر، عنك وعن أختيك، وأجهشت بالبكاء، حتى خرجت منها إلى بلكونة الغرفة أتامل وقلبي يبكي معها، فقد ذهب بها خاطر الأمس كله؛ أمها التي ماتت، في ريعان شبابها، وأُختاها اللتان ابتعدت بينهما المساحات، والمسافات؛ واحدة في الدمام، والأُخرى في حضرموت. ولا يتم اللقاء بينهما، إلا في بدوات نادرة. ووالدها الذي مات، في مكان ما، كان من المتوقع آت يموت فيه. وقد زارت قبره، وكانت تريد أن تموت بمسقط رأسها (أُم ضوابان) ليكون سبباً من أسباب الصلة ولكن:

من كان منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها!

وهونت عليها، آخر الأمر، وهي تسألني عن القرية، وعن جاراتها، وصديقات الصبا، الواحدة بعد الأخرى.. وتقف بي، في النهاية، تسألني عن صديقتها من الأعراب النازلة في فناء القرية، يبيعون اللبن ويجلبون الحطب وكانت تأتي مع أُمها، وتشتري من متجر والدها، حتى توثقت بينهما الأسباب، وحتى ظن بعض الناس أنها أختها أو توأمتها... وأخفيت عليها حادث القطعة الحسناء.. كأنها أدركت بحسها الفني أن هناك شيئاً، وبكت، من جديد، تاركة لي عدم التفاصيل، فقد ماتت صديقتها الحورية، وهذا هو اسمها، في حادث حركة، ليلة زفافها. وأخيراً قلت لها: هل تزورين السودان، مرة ثانية، وهل تريدين أن تشهدي مسقط رأسك: وقد تبدلت المعالم، واختفت الطلول؟ قالت: أخاف البكاء، فقد

بكيت كثـيراً، بكيـت بعيـداً، وبكيـت قريبـاً، ولا أُريـد أن أُعيـد هـذه السـمفونية الحزينة. وكل الذي أُريده منك قبضة من تراب القريـة، ومـن مكـان بيوتنـا، ومـن ساحاتها، التي كنا نلعب فيها وهذا هو عنوانـي كـاملاً. وكـانت هـذه هـي نهايـة كلماتها. وقد انتهى الزمن، وجاءت لحظات الوداع، ووقفت والسيارة، وانطلقت بها إلى دنيا المطار، فاليمن.. اليمن الذي جاء منه والدها، قبل خمسين عاماً، ومات في غيره، وها هي تعود إليه، ولا يدري الانسان كيف تكـون النهايـة؛ لأننـا دائمـاً نعرف البداية، ولكننا لا نعرف النهاية، ولعل هذا هو جوهر أحـاديثي مـع عاتكـة المهجر!

(١) **عواتك ابن البان**، أو صالح بانقا صالح ـ اعداد: معتصم صـالح بانقـا ـ تقديـم: بخيـت الفضـل ـ مطابع المروة، بالخرطوم.

صديق الصادق

شاب سوداني، ينشر الكتابات الصحفية، من حين لآخر. تزوج بمهاجرة يمنية، في منطقة الدويم بالسودان.

يمنية سليلة قحطان بنت بلقيس العربية

ذابت في أوصالي أُغنية حب خالدة أبدية

من صنعاء انحدرت من أسلاف عرق عربية

مازجها دم الزنج فجاءت وردة بنفسجية

تستقي من نيلنا الأبيض

من منابع الزنج الأصيلة

يمنية

سلاف الحب ومضة النور مشرقة

أُناجيها في الطيف

أُناديها في الذكرى

فتعودني

موسيقية اللحن تؤنسني

تبقيني على عهدي

وسأبقى كل العمر لك يا صبية

صديق مدثر

شاعر سوداني معروف، لكنه مقل. صارت بعض قصائده من أكثر أُغنيات المطرب السوداني عبد الكريم الكابلي، رواجاً. استقر، منذ سنوات، للعمل بالمملكة العربية السعودية.

وفي عام ١٩٥٨م عمل مدرساً في منطقة أبين، بجنوب اليمن، في المدرسة المتوسطة، في مدينة زنجبار. وقد أشار إلى ذلك الشاعر اليمني الراحل، عبد الرحمن باعمر، في قصيدة له، ذكر فيها صديق. ومن نماذجه من تلك المرحلة:

عشية الثورة في ساحل أبين

في بلاد الحاس والحسحاس والظلم الشديد

كانت الثورة حلماً يتراءى من بعيد

وحكايات مثيرة عن كفاح البدو في أعلى الجبال

كأساطير تمرون على قيد الخيال

ونمت تلك الحكايات الصغيرة

وأتتنا غضبة الثوار همساً

ثم طلقة ورأينا جثة قد أوثقوها بالحبال

لغلام جندوه عنوة دفعوه وهو مازال فتياً للقتال

ملأوا وجدانه زيفاً ووهماً وضلال

حين قالوا: تصنع المجد إذا ما رمت

تبني العدل تحمي كل ضال

وتهادت قرب داري مركبات تحمل الوتى

فأبصرت دليلاً للنضال

همس البعض مشيداً بالبداية

فتصورت زوال الاحتلال

وعلى الساحل والليل صبي ورمال الشط في لون اللال

كم سهرنا والأماني حولنا تتهادى معجبات بالقوافي

قلت من شاعرها يا اخوتي فأجابوني بأن السر خافي

ربما كانت مشاعاً كلها لجميع الناس في هذي الفيافي

وإذا شئت فسل منشدها وأشاروا للأمير الحافي

يا أميراً سار من غير حذاء لاح كالطيف خفيفاً كالهواء

وبدا كالسيف عزماً ومضاء ليس يغري العين شكلاً أو بناء

وله في القلب قربى وانتماء غنني فالشعر داء ودواء

وأصخنا السمع في شوق لنحظى بحديث من أحاديث الأمير

قال والدمع بريق في العيون اطمئنوا فرؤى الفجر بدت

وغداً يشرق تبراً في التلال

١٩٥٨م

الجنوب العربي بعد انتصار الثورة وزوال الاحتلال

عادت مع النسر المحلق في العوالق ذكراهمو فاستنفرت في الصدر خافق

ووددت لو أني الغداة بقربهم لشهدت بعثاً وارتقيت جناح حالق

روحي وما عز الفداء بأرضهم تفديهمو بدم قوي النبض دافق

ما زلت أذكر والمشاهد حية في خاطري ولهيبها في الذهن عالق

تلك الوجوه وقد تحدث صمتها رغم القيود بيانها بالصدق ناطق

في القيد تزأر والدو حيالها نسج الدروب على تعددها مزالق

قد هاج هائجها فشبت ثورة وتفجر البركان في أحشاء شاهق

ميلاد رفض الاحتلال وطلقة كانت بدايتهم وكان الوعد صادق

هم قد أرادوها نذيراً للألي زعموا بأن الشعب بايعهم ووافق

ونسوا بأن الشعب في أعماقه لهب يثور وعاصف للظلم ساحق

وبنوه من قمم الجبال تحدروا شعلاً تضيء ظلامه والليل غاسق

والصمت الحق (أبينا) متعمداً برماله ساحلها فليس هناك بارق

لكن همساً قد تسرب خائفاً والساحل المغبون مد له النمارق

وكساه من صبر الرمال عباءة ورعاه فانتظم المغارب والمشارق

والهمس يرعد للطغاة فرائصاً وله اختراق فاعل فعل البنادق

مهما أشادوا من قلاع يعتلي ويدك صرحاً كان ملء العين سامق

تلك المشاهد لم تزل في خاطري نبعاً يطل الشعر من واديه دافق

أولى ملامحها بدت في أبين لما أتانا ما يبرهن من شواهق

يا ثورة ميلادها قمم الذرى سيري إلى العلياء تحرسك الفيالق

سيري على هدي الحقيقة إنها أقوى سلاح فاجعليه لك المرافق

وضمير شعبك حكميه فإنه درع يقيك من المزالق والطوارق

صنعاء

أما قصيدته (صنعاء)، فمن وحي زيارته لها، عام ١٩٧٦م، ضمن وفد أدبي سوداني...

من الخرطوم أحملها تحيات من السود

إلى صنعاء خالصة فما للوصل من بد

لقد جئنا على أمل وسوف نعود بالوعد

بأن الشعب منتصر بوحدته على الكيد

يدوي صوت قائده ويدعو الناس للحشـــــد

أن احتشدوا لنرفعها على الهامات بالأيــــدي

وإن غداً لناظــــره قريـــب فاهتفوا بعـــدي

ففي الماضي حضارتنا سمت في النبل والقصــد

بفكر أشعـــل الدنيــا ضياءً مشــرقاً يهـــدي

وطاف شعاعـــه الوثّاب بالدنيـــا ليستهـــدي

فهبَّ الغرب من سنة ليسمع صيحة المهـــدي

وســار الخطو في ثقة وأعمــل ساعــد الجــد

فما ضلت مسيرتــه ولا وقفــت علــى حــد

ودار الدهــر دورتــه علــى حــذر وفي مــد

وعلنا من تجاربـــه بما يــأبى عـــن السـرد

صحونا أمة خرجت خروج السيف من غمـد

فلـــن تثـــني تـــقدمنـــا أراجيـــف لمرتـــد

وســاد الشــعر عالمنــا فــأدرك غايــة الرشــد

وصــور مـــن ملاحمنــا أســاطيراً بلا عـــد

يمــور إذا سمــا قصــداً ولا يسمــو بلا قصـــد

ويقطر في حنايـــا القلـــب ألواناً مـــن الشهـــد

يضيء كثيف ظلمتــه بنـــور شع مـــن عقـــد

ويبعـــث ميــت الآمـــال في أسطـــورة اللحـــد

ونبل القصـــد يدفعـــه فلا ينفـــك عـــن رفـــد

سمـــا بالعـــرب قاطبـــة وبلغهـــم ذرى المجـــد

وخلـــد مـــن مشاعرهـم غنـــاءً ضـــج بالوجـــد

وسطّـــر حكمـــة الدنيـــا ببيـت واحـــد فـــرد

ولم تترك شوارده عيون الصين والهند
وذاك تراث أمتنا سما قدراً عن الند
أنار مسالك الإنسان من عهد إلى عهد
وفيه تجارب فاقت جهود الحصر والسرد
وجوهرها وغايتها خلاص الشعب من قيد
ليبقى الشعب رائدنا ونبقى نحن كالجند
ليهتف في غد صوت ينادي من ربى الخلد
لقد صدقت سريرتكم وقد نلتم رضى الحمد

صفاء مصلح أحمد

مغتربة يمنية، سابقاً، في السودان. تعمل، الآن، في صنعاء، وقلما تنشر كتاباتها. وهي شقيقة الكاتبة عزيزة مصلح أحمد.

خاطرة في يوم نهاية السنة لعام.....

يمضي عام، يحمل في طياته آمال وآلام، ويأتي آخر طفل يولد، لا شيء في خاطره. وبين الرحيل والميلاد، تسافر عبر الذاكرة، قوافل تحمل متاعها، من الماضي البعيد والقريب، وتصحو في مفكرتي السنوات الساكنة في حضن النسيان.. تعيرني أمسيات طبعت نفسها في أعماقي.. ها أنا اليوم أمضي هذه الليلة وحدي، وليس بيننا غير مسافات زمنية محدودة.. ولكن رغم ذلك فإننا مفصولان، كأن بيننا عهد تاريخي كبير. مشاعري قارة مظلمة من الحزن. عبثاً أحاول أن أُطل من شرفات مشرقة على أمسيات جمعتنا، وحلقات وصل، لم أكن أتخيل أن الدهر قادر على تبديدها على ليالي العودة من مرافىء الغربة، ثم ليالي السعد، والفرح، يزرع سنابل الأمل، من جديد. وفجأة تجتاحني أعاصير ليال قديمة، عشتها رغم أنف الموت. ذاكرتي أصابها الوهن، أرهقت كاهلها مواكب الذكريات، أصداؤها تجلجل في أنحاء تفكيري. إيقاعاتها الحزينة أيقظت الجروح النائمة.. ايام صفراء من عمري تحاول أن تنهض وأخرى خضراء، يشلها المستحيل من العودة أو اللحاق بركاب العمر. لحظات مشرقة جميلة، زرعت في خاطري حقولاً للفرح، ترحل سريعاً، تتركني وحدي على رحيق الزمن، أتابع صفحات أيامي من كتاب عمري. تمنيت أن نكون معاً، نودع العام الراحل، ونحتفل بالعام الجديد، ولكن ربما ايذاناً بالفرقة المحتومة، وربما استنزافاً للجرح الغائر. ها نحن نفترق، رغم رحمة الزمن، ترحل

خطاك بعيداً، طوع إرادتك، وكأننا نلقي بأنفسنا نحو منزلق الفرقة، وهاوية الشتات. أخاف أن أتعلق بخيط واهن، يشدني لوقت، ويتركني بقية العمر هائمة. الآن العام يلفظ أنفاسه الأخيرة، وها هي لحظات الميلاد، ولكن بحكم المكان يجرفني تيار الذكرى إلى رحاب الماضي، ويشدني حنين إلى أسماء رددتها، وباتت مجرد أصداء في خاطري. أيام من عهد الطفولة والبراءة تتمايل واكب ذكراها كلحن جميل. شوارع نحت فيها خطاي. رسوماً.. صديقات اللهو، واللعب، وحقائب سفر محزومة، ودموع تنهمر من عيون المدينة القديمة التي شهدت طفولتي، وشجيرات منزلنا الرحيب. رسالة بتاريخ ١٧ فبراير سنة ....، أحاول أن أُغمض عيني عمداً لأحكام الزمن. ماذا في نفسي. شوق جارف إليك.. شعور بالضياع، وأنا هنا في الجزر النائية عن عينيك، ولكن يضيع في الزحام، فيستوطن الضياع أعماقي.. ها هي صفحة جديدة تفتح، وأنا مع الصمت والسكون والحزن في يد الحياة.

عام مضى حافل بالجراح، وعام أقبل أُولمه ما تبقى من النفس من أُمنيات.

لا زلت أذكر

لا زلت أذكر لونَ الدموع وحزن النهار. لا زلت أذكر هلع النجوم وبطاء القمر. لا زلت أذكر صمت الصغار، والمدينة الآمنة، عندما ابتلعها الضياع واندس تحت ركام النسيان كل تاريخه العريق. لا زلت أذكر الفرح المشنوق في المساء، والحلم الذي سقط في منتصف الطريق. والأمل المسافر بلا رجوع، وأنين الديار ساعة الوداع. لا زلت أذكر كل شيء، وأي شيء. حتى الباب مكسور الخاطر، يطبق على الذكريات، والقط البري، في الوحشة والضياع. والليلة الطويلة المجهولة.. العمر.. والصبح الذي كان آخر المحطات وبداية الإحتضار.. الماضي عندي بحث عميق بلا جزر، والحاضر عندي جزر منسية في زخم البحار.

صلاح مدني محمد

شاعر سوداني، أقام بتعز، وكتب فيها الشعر، ونشرته له صحف اليمن.

حوار الكمنجة والخنجر

منذ آلاف السنين نكتب الأشعار عن لون الحبيبة

شعرها المجدول.. نهديها المدافع

ونغني نشوة الحب نشيداً ساحليا

ثم نروي الشوق في فيض المدامع

منذ آلاف السنين نزهق المعنى بآلاف التراتيل

الترانيم المقاطع

غرز الأعداء فينا ما تيسر من خناجر

فانتفضنا نعلن التنديد جهراً والإدانة

ثم باعوا ظلنا بعد أن خارت قوانا

قلموا منا الأظافر

فهجعنا نعلن التنديد سراً واستكانة

ثم شقوا قبرنا بعد أن سلبوا معاني النبل فينا ـ الكرامة

فهرعنا نطلب الغفران ذلاً ومهانة

ونغني مجدنا المقبور في عهد الرشيد

للعقالات

ونغني السوامق ما تريد

ونغني للحبيبة ما نريد

وإذا ما صاح فينا جرحنا الدامي أفيقوا يا عبيد

نتداعى

نطلب الغفران لحناً ونشيد

ونغني لحن خيبتنا الجديد

ونغني للحبيبة ما نريد

ونغض الطرف عن جرح يلازمنا وريد

تعز

الربوة الحلم وحزن البحر

أسرجت السكة من حولي وحملت فوانيسي ظهرا

فتشتك بين شهيق النفس الراضع عطرا

حروف كانت منك

وبين زفير يرعن لونك طعمك عطرك يروي عنك

ناشدتكِ يا....

هيا اخرجي من بيتي وغداً ينتزع الحزن الرابض

في دربي

يستلب اللب

غنيتك ملء الصوت وملء ثواني العمر

راقصت رؤاك

دوزنت الحرف الخارج من جوف الآهات وحمى الصبر

راقصت رؤاك

رقصت البدر الضاحك سعدوناك

والمد أنا

ناديتك يا...

لكن الصوت تكسر بين الصخر وبين الوعد

الماثل في الأركان تخطى الجذر

الربوة كانت تبكي

اختلط الرمل بحب الدمع

صعق الجبل الواقف

صوب البحر

تعز/ ديسمبر ١٩٩٠م

الطيب السراج

شيخ من شيوخ اللغة العربية، والشعر العربي التقليدي، في السودان. أثـارت حياته شغف النقاد، وكتاب السيرة، لما عرف عنه من فروسية حقة، وخلق صـارم، دفع ببعضهم إلى القول بأن هذه الشخصية جاءت متأخرة عن زمنها، بـألف عـام. لم يجمع شعره في ديوان، حتى الآن. وقد قتل في ظروف غامضة، بمنزله بأُم درمان.

قاوم استعمار بريطانيا للسـودان، وأحـدث ثـورة عليهـا، في مدينـة عطـبرة. خلف أسرة نبغ فيها أكثر من ابن وحفيد.. وقد تيمته أخبار وشخصية الإمام يحيـى بن حميد الدين (ت ١٩٤٨م)، فقال يمدحه، على البعد:

ما عاد قلبي مأوى بعد للحـــزن قد حال بيني وبين الحزن ذو يمـــن

يحي الامام أمير المؤمنين أبـــــو الأسياف حامي حمى الآيات والسنن

ما زال هذا الإمام العادل الـورع البر التقي النقي المحسن الحســـــن

يعتر عابدة الطاغوت معترضـــاً بالسيف يضرب في الأعناق والقنـن

في جحفل من بني ماء السماء سما إلى السماء بهم عـمرو وذو يـــزن

وذو المنار وذو الأذعار تبعهـــم وذو نـواس وذو جد وذو جــــدن

أهل المصانع من غمدان تحسبه إذا دجا الليل سح العارض الهـــتن

ومن ذمرمر أو صرواح أو هكـــر أو أهجر الهجر أو ناهيك من فـدن

حتى ابذعرت جيوش الكفر طائرة مثل الهباء بلا رأس ولا بـــــدن

إليك جئت من السودان ترفعـــني إلى لقائك أشواقي وتخفضــــــني

مجاهداً في سبيل الله متـــــكلاً على الذي هو يسقيني ويطعمـــني

مطيتي نفس ماضي العزم مجـــتريء على الجراءة ذي جبن عن الجـــبن

مهاجراً من بلاد الشرك ليس لنـــا عنها مراغمة إلا إلى اليمــــــن

عبد الله حامد الأمين

أديب وشاعر سوداني معروف. كان بيته مقراً للندوة الأدبية بأُم درمان، لسنين طوال. وكانت هذه الندوة الأدبية من أثرى الندوات والصوالين الأدبية في تاريخ السودان. كان يعاني من الشلل، وعند زيارته لليمن، ضمن الوفد الأدبي السوداني، عام ١٩٧٦م، اصطحب معه شقيقه. كتب في اليمن قصيدته (عاد افريقيتش)(١). توفي في أواخر السبعينات:

تتلوى الطريق سكرانة تقوم وتنهار

تنحني وتلوذ بالجدار الطويل

وترنو إلى الذرى جانبين عن يمين ترامى

تحتها دون أُفق وعن يسار تسامى

والذرى لا نهايات مستحيل

غرقت في الضباب سراً وسحرا

(قاع جهران) يبكي وحيداً دموعه اعشوشبت صخرا

ويحبو وئيداً يتلمس السفح سلماً مؤودا

يتشهق قطرات من الغيم وساعة يرتخي فوقه

ويصلب عوده وتناديه من بعيد

تناجيه مزامير الريح هنا

وتنفس الصعداء (سمارة) خلفي حيران

وأسلمني للريح ثغره بين الكثبان

ويرقع فوقي البرق صكوك الغفران

وتلوح لنا (ا ب)

الجنة ذات الأفياء وأُعاند صمتي أبكي أنا من هذي الوديان

ظرفي يمطر القدرة عمدني بارك خطوي فالليلة

تحرس في الجبل تناديني

تنتظر العبس الغائب منذ قرون

الليلة عرس الأحقاب

الليلة يا بنت (صبر) يعود الأعراب

تلألأت على البعيد أعين المدينة القديمة

ونامت التلال في الغروب طرزت أثوابها من الغيوم

وعلقت على صدرها المخضر باقة من الزهور ومددت أقدامها إلى النسيم

عارية صبية مليحة فلاحة وراعية

تودع النهار واحتملت سلالها وأينعت غصونها تفتحت ثمارها

وتحتمي بقلعة منيعة أكنافها علوية الشجر

وهذه (تعز) بموجها وأُغنية الأمس تزاحم الصدى وتملأ الأُفق

قد عاد (افريقيس) يا صبية الجبل

قد عاد مثقلاً بهمه والسهاد والسفر

وغَيّر الزمن وجهه وخط فيه أحرف من الأسى

لا تنكريه يا صبية الجبل

مدي يديك يا (تعز)

ولترفعي القناع فالغريب إنه حبيبك المسافر القديم

قد جاء بالعطور والثياب والحكم

والأبنوس والبخور والعقود

فلتفرحي (تعز)

قد عاد افريقيس عادت السفائن المعتقة

وعاد (ذو يزن)

قد عادت اليمن

---

(١) للنص الكامل: انظر صحيفة **الجمهورية** (تعز)، ١٩٧٦/٧/٢م.

عبد الله حمود حمران

سياسي يمني راحل، وأديب شاعر، وإعلامي عريق، كان من أول الأصوات التي بشرت بمولد الجمهورية العربية اليمنية، في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م، عبر إذاعة صنعاء.

قضى بالسودان فترتين من حياته، الأولى من ١٩٦٥م حتى ١٩٦٧م، كدبلوماسي، وتزوج هناك بامرأة من الجالية اليمنية بالسودان.. ما لبث أن انفصل عنها. والثانية، من عام ١٩٧٨م حتى ١٩٨١م، كسفير لصنعاء لدى الخرطوم. وعبر كل مراحل حياته جمع إلى العمل السياسي أعمالاً ثقافية عظيمة، ولذلك فالسودانيون واليمنيون معاً يعرفون فيه الشاعر، والعاشق، والصديق، والقلب الكبير، والإنسان الفاضل الكريم، بقدر ما يعرفون عنه كسفير، أو وزير، أو ممثل شخصي لرئيس الجمهورية، ومناضل وطني، مهر الحرية والنظام الجمهوري في بلاده حياته الشريفة، وروحه المحلقة. لقد كان منزله العامر، في صنعاء والخرطوم، ندوة أدبية دائمة، تقابل فيها أفاضل الرجال وأعلمهم. يقول هذا الشاعر السوماني العظيم، في قصيدة له بعنوان (إليها)، نشرها في ديوانه (أنا وقلبي)(١)، وتمنى أن يغنيها الفنان السوماني الطيب عبد الله:

أنا إن وهبتك كل قلبي

ويحي فما يبقى لشعبي

إن الهوى بعد المبادىء

بعد تحرير الجموع

....

كان، رحمه الله ـ بقدر ما عطف على أبناء اليمن في السودان ـ عضواً نشيطاً في ندوة عبد الله حامد الأمين، في أُم درمان، بل قل كان البوابة التي دلف منها أدباء السودان إلى واحات الأدب اليمني الخضراء. ومن يقرأ سطور هذاالكتاب، لا بد أنه سيقف على أعمال الرجل الخالدات. لقد كان حمران وراء تلك الدعوة الكريمة التي وجهها الزعيم اليمني الراحل ابراهيم الحمدي إلى أعضاء تلك الندوة لزيارة اليمن، عام ١٩٧٦م، فكتبوا عن اليمن في أدبهم ما يصلح أن يكون موضوعاً مستقلاً من مواضيع هذا السفر. يقول حمران، وهو يودع أعضاء الندوة على طريقة مهيار الديلمي:

أيها الأحباب صنعاء لكم قبلة حرى وعطر نفحا

أبلغوا الخرطوم عنا عابقاً من هوانا توجوها مدحا

وأذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

وفي قصيدة له بعنوان (من وحي نار المجاذيب) المهداة للشاعر السوداني الراحل، محمد المهدي المجذوب، بمناسبة صدور ديوانه الموسوم (نار المجاذيب)، يتذكر حمران زملاء آخرين له وللمجذوب، في الندوة الأدبية، لعبد الله حامد الأمين، في أُم درمان، مثل الشاعر السوداني، مصطفى سند، والشاعر السوداني، الدكتور مبارك حسن الخليفة، والشاعر المصري، الدكتور سعد دعبيس، الذي عاش في كل من الخرطوم وصنعاء:

وللنيل والأنسام همس مموج دوائره تفشيه لحناً موقعا

فنعزف بالأفواه آنا وتارة نعير الفتى المجذوب قلباً ومسمعا

ونسمع شعراً من مبارك مرة ومن مصطفى أُخرى ومن سعد أربعا

وهل غير عبد الله أصدق غيرة إذا ما تجلى الحق أبلج أنصعا

أيا فتية السودان يا نبع روحه ويا فيضه يا عطره المتضوعا

أراد لي البؤس من أختار أرضكم لنفي عسفاً عن بلادي موضعا

نزلت بكم عامين لو وزنموهما بعمري جاء العمر أدنى وأوضعا

سأنقش في أعماق غسان حبكم ليورث من أبنائه من ترعرعا

وغسان هذا نجل حمران وقد ولد بالسودان. وفيما بعد نرى أن الشاعر المجذوب يهدي ديوانه (منابر) إلى حمران(٢). ويقيني أن الشاعر السعودي، حسن عبد الله القرشي، قد نظر إلى قول حمران هذا في قصيدة ودع بها الخرطوم.

وفي قصيدة (إلى الخرطوم)، المكتوبة بمناسبة عيد استقلال السودان، حينما رافق حمران الزعيم ابراهيم الحمدي إلى الخرطوم، يقول:

هذا أنا واشتياقي غير محدود أعود يا غابة الأحرار والجود

هذا أنا عدت يا خرطوم فاغتفري هجري رباك فهجري غير مقصود

استغفر الحسن من (تاجوج) تنهله عين المحلق دون الخرد الغيد

وتاجوج هذه في الأدب الشعبي السوداني بمثابة ليلى. وحبيبها المحلق بمثابة قيس.

وفي قصيدة (شوق وشكوى) المهداة للوزير السوداتي الأول، يومئذ، الشاعر الراحل، محمد أحمد محجوب، تأكيد لطلب اليمن الوساطة السودانية في الحرب الأهلية التي كانت تمزق اليمن في الستينات، وهو الأمر الذي أشار إليه المحجوب في كتابه (الديمقراطية في الميزان)(٣):

يا بني السودان يا أهلي وهل لي أهل مثلكم في النوب

لا يخاف الضيم من فيكم نزل لا ولا يعرف معنى الكرب

كلكم عند الملمات بطل ومنايا تزدري بالعطب

ونستمع إليه، في قصيدة نشرها الشاعر اليمني أحمد عبد الرحمن المعلمي، في مجموعتيه (صدى الحنين)(٤):

إنما القلب بصنعاء ولو كانت الخرطوم لي عنها بديــــلا

غربة النفس إذا ما واكبت غربة الأوطان أردتك قتيــلا

يا اخضرارات المنى يا وطني يا سنى الآمال حزناً وسهولا

يا قداسات القداسات ويا كعبتي صبحاً ومحرابي أصيــلا

وفي كتابه (عبد الله حمران حياته وشعره)(٥)، للكاتب اليمني أحمد صالح الخوربي، يقول حمران في قصيدة:

أعزتي يا بني الخرطوم أنقلها تحية عن بني صــنعاء تلتمــــع

نقية كشعاع الشمس عاطرة كالورد لا كلف فيها ولا طبع

اليكم تتناهى كل مكرمة وكلـــكم لغزير العــلم متســـع

تعطون ما زرع الآباء بينكم لا يذل الناس إلا نفس ما زرعوا

ورنا الشهامة والأخلاق مشرقة فيكم وقابلنا الإيمــان والورع

إن العروبة والإسلام آصرة نشتد في متنها الأقوى ونجتـــمع

وفي قصيدة أخرى، نشرها له الخوربي، في كتابه، يرثي الشاعر السوداني الراحل ادريس محمد جماع، صاحب البيت الشعري المعروف «إن حظي كدقيق فوق شوك نثروه ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه»:

ذوبته حــرفاً ولحــناً وزفــرته نغــماً ومعنــى

وغمســت في آهاته قــلماً يشــع هــوى وفنا

قلباً تلظى الشــوق في أغــواره فــشدا وغنى

وبكى وصــلى للجــمال إذا تخــطى أو تثنى

ادريس يا لحن المحــب ويا ربابــة كل مضنى

يا نغمة الحســن الدفوق وواحة الصــب المعنى

ضاقوا بنظــرتك البريــئة ما عليــهم إن نظــرنا

ادريـس نحن الخالـدون على الزمان بما تركـنا

تحيا بنا الأجيال وما دامـت تقـدس ما وهبنـا

نحـن التراث وغـيرنا يأتـي إلى الدنيـا ليفنى

لولاك يا بن ذريح ما باهى الزمان بـحسن لبنى

ادريـس نم مـلء الخلـود فإنـه بالفـن أحنى

وفي قصيدة حمران هذه تذكير بشعر لجمـاع، لحنـه وغنـاه الفنـان السـوداني المعروف سيد خليفة. وتاريخ القصيدة في يوليو ١٩٨٠م، بأُم درمان.

وحينما وصل وفد الندوة الأدبية بأُم درمان إلى صنعاء، حياه حمـران شـعراً، فقال:

أحبابنا ما هتفنا باسمنا يمنا إلا هتفنا بكم يا أهل سـودانا

صاغت أمانينا القربى ووحدنا دم سفحناه للأمجاد قربـانا

عروبة تتنزى ملء أكبدنا في سفح صنعاء أم في أُم درمان

دم الضحايا الغر منهمر من كف غردون ميداناً فمـيدانا

وغردون هذا الحـاكم البريطـاني للسـودان، الـذي قتلـه رجـال محمـد أحمـد المهدي، خلال الثورة المهدية. وقد رد على هذه التحية الشاعر السوداني، مصطفى طيب الأسماء، الذي كان ضمن الوفد:

وحييت (عبد الله) منا تحية هي الود مكنون تضـــوع ناشره

من النيـــل ومنطلق الهوى تفـــوح بها شطآنه ومعـــابره؟

وأنت فتى الحمـــران لحن وفاءه تكرم منه وفـــده وتسامـــره

وكنت لدى الخرطوم حلية عقده وبهجة ناديه إذا التف سامره

وقد اتفقت بالرجل في اقامته الثانية بالخرطوم، فحمدت الله على أنني عشت في عصره، وإن كان، رحمه الله، قد بدأ يشك في من يعرض عليه صداقته، بعد صراعه المرير مع الطبيب الأديب، محمد يحيى الشرفي، مما أضاف إلى معاناته من المرض الذي ألم به، في نفس تلك الفترة.. علاوة على اضطراره للسفر إلى الخرطوم، بعد أن تعرض لاعتداء جسماني، يوم مقتل الرئيس اليمني، الغشمي، فكان أن عين سفيراً لدى السودان، سنة ١٩٧٨م.

وكان رحمه الله يردد هذا البيت الشعري، بخبث:

العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم (بيت العزي الشرفي)

والعزي هو لقب من كان اسمه محمد عند بعض اليمنيين!

وعندما اشتد مرض حمران، عاد لليمن، فأمر الرئيس اليمني علي عبد الله صالح بعلاجه في ألمانيا، حيث توفي، في عام ١٩٨٢، عن ثلاثة وأربعين عاماً، كما يذكر الدكتور عبد العزيز المقالح. وقد رثاه الشاعر السوداني، الدكتور تاج السر الحسن، والصحفي السوداني الراحل، صالح بانقا، المعروف بابن البان، والكاتب اليمني، محمد أحمد الحبابي، الذي عاصره في السودان، وجمع لا حد له من المحبين لتلك الشخصية الفذة، التي رحلت مبكراً، فإذا مآثرها في الحياة تصير لصاحبها بمثابة لحن الخلود.

---

(١) عبد الله حمود حمران، **أنا وقلبي**، دار الكلمة، صنعاء.

(٢) محمد مهدي المجذوب، **منابر**، دار الجيل، بيروت.

(٣) محمد أحمد محجوب، **الديمقراطية في الميزان**، بيروت.

(٤) **صدى الحنين**، مجموعة قصائد جمعها أحمد المعلمي في جزئين، وضمت حنين شعراء اليمن الكبار لوطنهم.

(٥) أحمد صالح الخوربي، **عبد الله حمران حياته وشعره**، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.

عبد الله الطيب

البروفسور عبد الله الطيب المجذوب شاعر وناثر سوداني واسع الشهرة في بلاد العرب، وهو أحد دهاقنة اللغات العربية، والإنجليزية، والفرنسية. درس في السودان، وبريطانيا وعرف بموسوعية المعرفة، على أشكالها، وأحب العلم، وأهل العلم، حباً جماً. وأقدم على تفسير القرآن، وتعريف الغرب بالعبقريات العربية، وفي مقدمتها أبي الطيب المتنبي، الذي على وفرة ما كتب عنه الناس، صنّف فيه عالمنا الكتب والمحاضرات.. وعلى وجه العموم، فإن عالِمنا عرف بنظرياته المتجددة في الآداب.. لكنه لم يستصغ الشعر الحديث، وقلما كتب به.

وفي كتابه الضخم (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها)(١)، أشار إلى خصائص للشعر اليمني، وقف عليها بواسطة صديقه الشاعر اليمني البروفسور، محمد عبد غانم.

وما أكثر الإخوانيات في الشعر، بينه وبين هذا الشاعر اليمني.

فمن قصيدة بعنوان (وادي النيل البعيد)، كتبها بعد زيارة لغانم، في منزله بعدن، ونشرت في ديوانه (بنات راما)(٢):

ألا إن وادي النيل منك بعيد فهل أنت لّما أن نأيت سعيد

وفي عدن دار الأديب ابن غانم وحيث وراء البحر عاش هنود

ركبت إليها زورقاً وسباحة وعطلة صيف والطريق كئود

ويهنأ غـانم بالشـفاء، بعـد عملية جراحيـة أجراهـا لـه النطاسـي السـوداني الراحل، البروفسور عمر بليل (ت ١٩٩١م)، فيبعث من جزائـر سيشـل، في ينـاير سنة ١٩٧٧م:

أخا النفر اليمانيـين إنه القريـض به نشـدو إلـيك مجـــودا

نطول به فوق الطوال ونعتلي على كل قرن حيثما كان أرضدا

لقد سـرني لما (بليل) بكشفه تأكد أن لا شـيء يخشى وأكدا

فدم في هناء لا يراع وصـحة ووقيت أحداث الليالي وتفـتدي

ولا تعـفون دار بفرضة أبين بها سـوف تلقى مثلما كنت سيدا

تعود إلـيها إذ نعود مـسوداً سـعيداً ونلـقى زائـرين ووفـــدا

ومن قصيدة أرسلها إليه من بلاد المغرب، في مارس ١٩٨٦م، بعد زيـارة لـه لليمن، بدعوة من مديـر جامعتهـا، الدكتـور عبـد العزيـز المقـالح، ونائبـه، يومئـذ، الدكتور أبو بكر القربي:

أتانـي مـن عبد العـزيز المقـالح كتـاب كريـم بالمـودة مانحـــي

وجدت لدى عـبد العزيز طبيعة من الفضـل فيها جد وهو كـمازح

ولما أتــت برقيــة مــن جنـابه زهـتني إلى صـنعاء نشـوة صـادح

وعهدي بصنعا كرمتني وأحسنت وجادت وزادت واستحقت مدائحي

ولم ألف في أعـلامها غـير عالم ملـم بأنـباء الأمـور الصـحائح

وقد سـرني حـقاً لقاء ابن غـانم وهـدك مـن خـل إلى الـبر جـانح

نمت منـذ سـني بضع وخمسين بيننا صـلات وداد أصـلها في القرائح

ومـني لـه توقـير شـيخ عشـيرة تـراه اباهـا بـين غـاد ورائـح

وهذا نـزار منـه يشبـه شيمـة تطـول إلى العلـيا بهـمة طامـح

كما لأبي بـكر صـفاء ابتـسامة تشـع على وزن من الحلم راجـح

وجــدت لدى القوم الــيمانين باقياً إلى اليوم عــتق الأولين الجحاجح

وكانوا هــمو أصل الحضــارة معدن العــروبة في ظلــمائها كالمصابح

ســـلام علـــى صــنعاء مــني تحـية مضــمنة حـيّاً لها في الجـــــوانح

ومن آخر اشارات عبد الله الطيب إلى غانم الأب، ما جاء في كتابه (ذكـرى صديقين)(٣).

---

(١) عبد الله الطيب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، الجزء الأول، مصر، ١٩٥٥م.

(٢) عبد الله الطيب، **بنات راما**، الدار السودانية، الخرطوم، ١٩٧٠م.

(٣) عبد الله الطيب، **ذكرى صديقين**، مطابع الطليعة، الكويت، ١٩٨٧م.

العقيد عبد الله محمد الزيادي

من أعيان قبيلة جهم - بمنطقة صرواح باليمن - وهو شاعر شعبي مطبوع، تفاءل خيراً بقيام ثورة الفريق عمر حسن البشير، بالسودان، عام ١٩٨٩م. وحينما ولد طفل في بيته، في أغسطس من عام ١٩٩٠م، أسماه عمر البشير.

وقد نشرت مجلة (أنا السودان)(١) ثلاثاً من قصائده في الزعيم السوداني؛ وذكر كاتب المقال، الناقد السوداني باليمن، الأستاذ عبد العظيم صالح، بأن قبيلة جهم اليمنية تمتد ما بين صرواح و«حوش بانقا»، بالسودان، وأن من سلالتها يأتي الزعيم العربي جمال عبد الناصر، والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة. وهذه نماذج منها:

١ - القصيدة الأولى

يا هناك يا شعب ففي السودان حكم البشير
قائد مناضل شهد له برها والبحار
الحر ما قط راهن في سوام المصير
دم العرب في عروقه قد تحرك وسار
بشير واصل مسيرة خطها مستنير
الله وكل العرب معه بتأييد حار
رسم سياسه حكيمة حر لن يستشير
البيت الأبيض ولا للغرب قد استشار
وسياسه ناجحه خارج وداخل قدير
قومي ومسلم وانساني بكل اعتبار
والختام صلوا على روح البشير النذير
على نبينا محمد عدد حب الثمار

٢ ـ القصيدة الثانية

إلى الزعيم البشير الفارس العربي

من أرض مأرب إلى الخرطوم وأُم درمان

إلى مقام البشير ومن معه وثبوا

لإنقاذ شعبهم من الأخطار والحرمان

ناضل ووفر لشعبه كما طلبوا

رغم الظروف المحيطة والعدوان

يفخر بك اليوم من للعرب ينتسب

من نواكشط غرب لشرق عُمان

تحية يا عمر من داخل القلب

من كل شعب العرب أرضاً مع الإنسان

٣ ـ القصيدة الثالثة

أهلاً وسهلاً بمن جاء من بلاد البشير

إلى بلدكم وبين إخوانكم والديار

في أرض صرواح في مأرب مراحب كثير

الكل رحب جميع أكبارنا والصغار

أرقى التحيات نرسلها بموج الأثير

إلى عمر قائد الثورة له الإنتصار

حياة كل العرب صغيرهم والكبير

بالحب والعز والتقدير والإفتخار

---

(١) عبد العظيم صالح، عمر البشير ولحظة الميلاد.. من صرواح إلى حوش بانقا، **أنا السودان** (صنعاء)، العدد ٣، يناير ١٩٩٤م.

عبد الرحمن اسماعيل عثمان سكاب

شاعر مجيد بالعربية. إرتري الأصل، سوداني النشأة، يمني الإقامة الطويلة في مجال تدريس اللغة العربية، بمدارس صنعاء. كتب قصيدته (أُماه)، على لسان يتيم يناجي أُمه، التي مثلت بين يديه في صنعاء وعدن كياناً واحداً. له إسهام في كتابة الأغنية باليمن.

أُماه

أُماه يا لدة النجوم ويا زمردة الزمان
يا برق غيمتنا المجلجل رعده ولقد شجاني
ما زلت نبعاً للأمومة أنت يا يا شمل الأمان
أُماه فابقي ديمة وطفاء تحتضن المغاني
إبقي عطاء نابض الصفحات يا سفر الحنان
من ثديك الثرثار نحن نعب ضاحكة الأغاني
إن راعني يتمي ووري في الليالي الحانيان
أو... سامني دهري بعثرته المريبة وازدراني
حسبي حنانك قد سقاني فيضه شهد الحواني
هذي طيور رباك رفّت سرب عطف قد رعاني
ولرب يوم ان سأغدو سيفك العضب اليماني
وأصوغ حرفي من سناك بنبله يزهو بناني
لاشيد الدرع المنيعة في سبيلك من بياني

ما زال قلـب الـكون مخضـل الجـوانح بالحـنان
مـا زال هـذا الأفـق متشـحاً بإيمـان يـمان
يتثال مـن نبـع القلـوب الحانـيات على الزمـان
يشـدو ويرتجـز الربـيع شـذا ويشـدو الخافـقان
أصـبو إلى أندائـه شـوقاً يفيـض بـه كيانـي
أُصـغي إلى حاديـك يعـزف طلعة الغلس اليماني
أُماه عـهداً لن تهـاني قسماً بوجـهك أن تصـاني

عبد الرحمن بن حسين الجبري

أديب يمني، جاء إلى السودان ليناصر الحركة المهدية فيه. يقول عن نفسه: (عبد الرحمن بن حسين الجبري، الساكن في طيال بني جبر، قطر من أقطار بلقيس سبأ شرقية من صنعاء اليمن. فلما خرجت من أرضي، وأنا طالب مناقب آل بيت المهدي عليم في المشجرة، التي هي عن بيان ظهور المهدية من الشمائل، والفضائل، والكرامات، والمعجزات، والنسب، والحسب، والمناقب، والوقائع، وأسباب الظهور، وجميع الشمائل المهدية، وما أشبه ذلك... الخ). ألّف كتاباً، وقفت عليه في شكله المخطوط في مكتبة السودان بالمكتبة الرئيسية لجامعة الخرطوم، بعنوان (النفحات الوردية في بيان المشجرات المهدية التي تفرعت أصولها الذاتية عن الشجرة المحمدية: تاريخ المهدي والصوارم الهندية حاوي الفضائل وجامع الشمائل بشرح مختصر في بيان ظهور المهدي)*. وكانت مصادره، فيما يقول، من الثقات، وأعيان الناس. وقد طلب الإعاشة من المهدي الابن، السيد عبد الرحمن المهدي، ووضع كتابه هذا، في أم درمان، سنة ١٩٢٥م. ومن أشعاره:

يا صاحب الغار عقلي فيك قد سلبا وكنت طفلاً صغيراً في ديار سبا

والشوق أزعجني من نحوها طرباً كأن جسمي بالأشواق قد جذبا

الحمد لله قد شاهدت بيعته كنت مريداً معاه وسط غار أبا

يا مهدي الله عاملني وخذ بيدي إذا أتيت غداً بالذنب محتجبا

خذي بيدي يا ابو الفضائل وايدني فنحن يا سيدي في داركم غربا

هم أهل وادي جبا

وهاجروا في أبا

وعبدكم من سبا

فجاءكم مستجير

يرجو الرضا منكمو

لأنكم أنتمو

أهل العطاء الكثير

جد في السير باخلاص العمل

من سبا بلقيس إلى أرض وشل

هكذا من جد في السير وصل

لو يكون البعد في أقصى اليمن

من أرض بلقيس جذبني لحبه وجئت غريب الدار من ذاك المحل

* رقم المخطوطة بالمكتبة ١٠/١٩٩٤

عبد الرحمن عمر باعمر

شاعر ومربي يمني، من حضرموت، ذو غنائيات شدا بهـا المطربـون في بـلاد حضرموت، وأصدر، قبيل وفاته، في مطلـع التسـعينات، ديـوان (أنـت الحيـاة)(١). ضم الديوان قصيدتين، كتبهما من وحي زمالتـه للمدرسين السـودانيين بـأبين، في أواخر الخمسينات، ومنهم الشاعر صديق مدثر، هما: (الحـب الضـائع)؛ و (كلمـة ترحيب)، والأخيرة تقول:

ردي الوصال فهذا الهجر أشقاني كيف اصطباري على صد وحرمان

وفيكِ نفسـي وقد ذابت بحرقتـها لهفي عليك بأشـواقي وأشـجاني

ليلـى تعـالي فـقد طـال الـبعاد بنا نجـدد العـمر ألـواناً بألــوان

ونغـتنم لـذة الدنيا ونشـوتهـا فـما تـدوم على حـال لإنســان

لله أيامـنا بالحـب زاهـية كـما ازدهـرت بـبنيها أرض (سـودان)

يا جـيرة الـنيل حيا الله نـيلكم على الوجـود وحـيا روض رضـوان

أهـلا قدمـتم ففي الإحـشاء مـنزلكم تربعـوها قـلوباً دون اعـلان

وشاطـرونا صـفاء الود واعتـبروا أهـلاً (بأبين) أهـلا في أم درمـان

لا تشغلوا البال إن شط المزار بكم لم تخطئوا السير في صحب وخـلان

أرض الـعروبة يا أحـباب موطنـكم إذا حلـلتم به قاصـيه والدانـي

فما (صـلاح) وما (صـديق) إن قدما أو (فيصـل) غرباء بين جـيران

إنا نكن لكـم في الروح عاطـفة والحـب بالروح صـاح خـير برهان

هذي تحـياتنا تهدى معطـرة أشـذى من الـورد في أسحـار نـيسان

سبتمبر ١٩٥٧م

---

(١) عبد الرحمن عمر باعمر، **أنت الحياة**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

عبد السلام الحداد

أديب يمني، كتب الأبيت التالية في الترحيب بوفد أدبي سوداني زار صنعاء في يونيو من عام ١٩٧٦ م.

حي عنا نوابغ السـودان وفحـول البـيان والتبـيان

ألف أهلاً ومرحباً بكم يا اخوة القلب والحجى واللسان

اخوتي اخوتي الكرام لقد عزت (تعز) بكم على البلدان

هذه أرضكم ومنها مضى الركب لاحياً حضارة الإنسان

فـإذا جئـتم اليوم حـباً ووفـاءً لأول الأوطـان

فصدور تلقاكم وقلوب خفقت في هوى إلى السـودان

عانق النيل فيكم أرض بلقيس وهشت جذلى بها الجنتان

د. عبد السلام نور الدين

فيلسوف سوداني، عاش في اليمن، شماله وجنوبه، طويلاً، كمدرس للفلسفة الإسلامية، في جامعة صنعاء، ثم جامعة عدن، حيث مازال يعمل. اهتم بالأدب اليمني، لا سيما أدب وشعر الصوفي اليمني، أحمد بن علوان.

قيل إنه تعرض لمحاولة دهسه بسيارة مجهولة في صنعاء، وغادر بعد ذلك اليمن شماله إلى السودان، ثم إلى اليمن جنوبه. وقيل بأن المتشددين ديناً كانوا وراء محاولة قتله هذه.

قلما يكتب الشعر، وهذه قصيدته التي توجه بها إلى الكاتبة اليمنية، هدى العطاس، بعد نشرها لمقالتها بعنوان (أهفو إلى عشق مجنون):

رسالة إلى هدى العطاس

عزيزتي هدى لا تعطسي كثيرا

أرجوك يا هدى إلى خزيمة ارجعي وسدرها المنتهى

هناك في (أزال) مبتدا

عزيزتي هدى الود في اليمن

الحب في بلاد ذي يزن

العشق في زمانها الكوليرا محن أسى شجن

كالعطر في كفن

تعطري ان شئت يا هدى بالموت واللدمن

تأزري بالدم والعطن

تبرجي حداذاً تمخطري عشية في الساحل الهندي في عدن

الحب في بلاد ذي يزن درن

قروح داحس الكريه في البدن

إذا عشقت دون أن تغتال فوراً أنت قطعاً لست في اليمن

د. عبد الشافي صديق

مؤرخ ومفكر سوداني، اثرى بكتاباته الحياة الثقافية في عدن، منذ أن استقر بها، من سنوات طوال، محاضراً لمادة التاريخ بجامعة عدن. حاولت أن أحصر انتاجه، ولا أخالني وفقت في هذه القائمة من الأعمال، التي تمحورت حول اليمن، وجاءت غيضاً من فيض هذا المبدع والدكتور النشيط، الذي ما زال عطاؤه يتدفق عبر صحافة اليمن:

(١) سهيل بن عمرو نفوذه الإجتماعي وحضوره التفاوضي، مجلة (المؤرخ العربي) عدد ٣٤ سنة ١٩٨٧م.

(٢) العلاقات اليمنية الأيوبية (٥٦٩ ـ ٥٩٤ للهجرة) بحث في ندوة العلاقات اليمنية المصرية عبر التاريخ، يناير ١٩٨٩م.

(٣) ليس الشر في التعدد القومي اللغوي وإنما في كيفية معالجة قضاياه.. دراسة حول الأبجدية المهرية والسقطرية، صحيفة الثوري، (عدن) ١٨ يوليو ١٩٨٧م.

(٤) ندوة شبام حضور تاريخي وغياب سوسيولوجي، صحيفة الثوري (عدن) ٢٦ مارس ١٩٨٨م.

(٥) شبام حديث عن الوطنية والقومية والإسلام، الثوري، (عدن) ٢٣ ابريل ١٩٨٨م.

(٦) الطابع العملي في المثل الشعبي اليمني، التراث (طرابلس) العدد٦، ١٩٨٢م.

(٧) خصوصية الأدب اليمني، الثوري (عدن)، ١٩٨٧م.

(٨) الحابل والنابل في جائزة نوبل الثوري (عدن) ديسمبر ١٩٧٨م.

(٩) اشكالية الترجمة وفقه اللغة، الثوري (عدن)، ١٢ ابريل ١٩٨٩م.

(١٠) في المسألة التربوية المطلوب تخليق الوازع لا الذاتي، الثوري (عدن) ٥ ابريل ١٩٨٩م.

(١١) الوحدة اليمنية، محاضرة بتلفزيون عدن.

(١٢) دور اليمنيين في التوسع الإسلامي، محاضرة بتلفزيون عدن، عام ١٩٨٨م.

(١٣) يوم المؤرخ العربي، ٢ اكتوبر ١٩٨٩م، محاضرة بلتفزيون عدن.

ومهما قيل في الدكتور عبد الشافي صديق، فإنه يبقى أحد الرؤوس الخلاقة الكبيرة في عدن.

د. عبد العزيز صالح المقالح

هو العلم الأدبي اليمني الشامخ، الدكتور عبد العزيز المقالح. وإذا ذكر اسم المقالح، ذكرت النهضة الثقافية المعاصرة في اليمن؛ فهو مدير جامعة صنعاء، ومدير مركز الدراسات والبحوث فيها، وهو رمز من رموز البعث الفكري والإبداعي في بلاد اليمن. وعلى الرغم من الرهبة التي تنتاب من يكتب عن هذا الجهبذ المعاصر، فإننا نضم صوتنا إلى الشيخ جمال الدين الأفغاني؛ إذ يقول أن طول المقدمات ربما دل على ضعف المحتويات.

والسودان كانت أول قطر يسافر إليه المقالح، لطلب العلم. وقد اصطدم هناك بصعوبة المنهج السوداني، الكثير التركيز على لغة أبناء التيمس، فغادرها إلى أرض الكنانة، وهناك نال الشهادة، تلو الأخرى، ولمع اسمه في عالم الإبداع.

زار المقالح الخرطوم، ومدينة ود مدني، ومنطقة أم ضبان، وقدم البرامج الإذاعية من إذاعة أُم درمان، التي عرفها كموظف في إذاعة صنعاء. والتقى في ود مدني بشيخ اليمانية فيها، المرحوم يحيى حسين الشرفي، فشمله برعايته، كما كان يفعل مع كل اليمنيين القادمين للسودان.

تناول المقالح، كناقد، بالدراسة رواية «موسم الهجرة إلى الشمال»، للقاص السوداني العالمي، الطيب صالح، نشر ذلك في كتابه «اصوات من الزمن الجديد»(١). كذلك قدم الناقد السوداني الشاب، مجذوب عيدروس، دراسة مطولة عن صنعاء، في شعر عبد العزيز المقالح(٢).

أما بالنسبة لما كتبه المقالح من شعر في السودان، فهو كثير، وإن كان القارىء العادي لا يقف من ذلك إلا على قصيدته (عتاب)، المنشورة في أحد دواوينه(٣). ولقد حصلت من الدكتور المقالح على مجموعة من أشعاره، المكتوبة عن السودان، وهي ليست بالمجموعة الكاملة لقصائده عن السودان، التي تربوا على

العشرين. وسيلاحظ القارىء معي مرحلة شعرية مر بها المقالح، قبل أن يهتـدي إلى شعره الأجد.

عتاب

يائـــس منك فا يأسي من لقائي ودعـــيني لغربتي وعنائي

فيك أخلصت واحترقت وعانيت وجاهدت في سبيل اللقاء

يا بلادي وأنـــت لم تمنحـــيني غير أذن مثقوبة وتنـــائي

كلما شيع الزمــــان نهاراً من حـــياتي في الغربة الـــسوداء

ودعته بلا صـــلاة دموعـــي وبكاه بلا أســـى كبريائـــي

كيف أهرقـــته على غير أرضي ولماذا دفنـــته في العـــراء

كان أولى بأن يكون شعـــاعاً في بلاد لم تكتـــحل بالضياء

في ضـــميري زلازل في دمائـــي ثـــورة عالمـــية الإنتـــماء

غير أني إلى بـــلادي مشـــوق كل أذن تهـــفوا إلى صنعاء

قبلتي حائط عتيـــق وأطـــلال على ذلك الـــتراب النائـــي

وسراجي إذا تغـــور المصـــابيح نجـــوم تغفو بتلك السمـــاء

فلماذا لم تذكريـني أحيـــبي يا بلاداً تقـــيم في أحشائـــي

بح صوتي على الجـبال تكـسرت على كل ربوة خرســـاء

أكل الليل ضوء عينيك أغفى تحـت جفنيك هيكل الظلماء

فلماذا لم تغضـــبي لم تثوري أي قلب لـصخرة صـــماء

لا دمـــوعي تهز ذرة رمـل في موانيـــك أو يهـــز نـــدائي

أسفي أن أموت يـــوماً غريباً ودم الشـوق صارخ في دمائي

الخرطوم ١٩٦١م

عند ملتقى النيلين

هنا اقترن النيلان فالأفق أخضر وماؤهما في النهر أشقر أسمر

تسير عليه السفن نشوى كأنها عذارى تصد الموج عنه وتقهر

تغني على شطآنه كل زهرة وتحرسه طير الروابي وتشـــكر

وقفت به عند الأصيل وفي فمي صلاة وفي قلبي نداء معـــطر

وكنت أرى (توتي) أمامي يحفها من الأخضر الريان فجر مصور

تناغى بها موج وغنت يراعة وأخلد عصفور إلى العش ينـــقر

وحين يجيء الليل تنداح هالة من الضوء تجتاح الضفاف وتغـــمر

ولولا أحاديث التماسيح كان لي على الشط نوم ناعم متـــحرر

فما أجمل الأنغام والنيل هادي وما أعذب الأنسام والليل مقـــمر

الخرطوم / نوفمبر ١٩٥٩م

المشلّخة

رآها الجمال بلا حارس وخاف عليها عيون الحسود

فمد يديه بحزن عميق وخلش بالكف جمر الخـدود

فيا ليته لم يمس الوجوه ولم يطمس النار ذات الوقود

فقد عبثت كفه بالهوى وشقق بالحقد وجـه الورود

ويا أم درمان كم فاتن حملت وكم مبتلى بالصدود

يحاصـره حبه صامتاً وتصـرعه رائعات النـهود

فيخفي هواه ويطوي ظماه ويقنع بالنظرات الودود

أم درمان / ١٧ ديسمبر ١٩٥٩م

في منزل الشاعر التجاني يوسف بشير

حملتني من الهموم الحوالك، وسمت بي (إشراقة)(٤) من خيالك

يا أخا الشعر والتصوف والإشراق إني ضيف عليــك وآلك

ها هنا كنت تكتب الشعر تصغي في خشوع إلى نداء الملائك

«أيها النيل يا سليل الفراديس» سمعناه صــاعداً من ظــلالك

أتراني أعيش مثلك أم أقضــي غريباً على دروب المهــالك

فأنا الضائع المعذب في الأرض وما زلت في صــباح المسالك

تفتديني الأشجان يأكلني الخوف وتخشى صوتي حدود الممالك

في رحاب ود مدني

مدني ســلام عاطر متضــوع حملته من قلــب الســعيدة أدمــع

نثرته فوق شراك أشواق الهوى وطوته من تحــت الحريق الأضلــع

مدني وفي صنــعاء مناحة أمة شَّــماء يجلــدها الظــلام المفجــع

ما مــر يــوم بالبــلاد وأهلــها ألا حســبناه القيــامة تســرع

ظلم تذوب له النفوس وقسوة يشقى بها الوطــن الجــريح ويخضع

مدني فررت إليك من جور الأسى وأتيت يحدوني الرجاء الأوسع

لما رأيتك تحت أنوار الضــحى والنــيل يجــري والخــمائل ترتع

آمنــت أنــك للجــمال قصــيدة كــبرى وأنك للمــحبة مطلــع

(حنتوب) ما أحلى الحدائق والربى والشوق في ظل (المناقل) يهجع

ســودان يا وطن المحبــة والمنى يا خير ما حفــظ الجدود وأبــدعوا

لك في القلــوب مكانة ومهابة ولأهلك الصيد الأمــاجد موضــع

قوم من الخلق الرفــيع وبلدة يزهــو بها الشــعب العظــيم الأرفع

فاســلم لأمتك المجيــدة حارســاً ولك الســلامة والهنــاء الممــرع

مدني/ ٩ يناير ١٩٦٠م

رسالة[5]

يا صديقي أنا في الخرطوم

والخرطوم بيت وملاذ للعرب

كل من أظمأه الدهر وعانى من سغب

جاء للخرطوم مشتاقاً من النيل اقترب

يا صديقي إنهم أهلي هنا

آه ما أروعهم أهلي هنا

يمسحون الحزن عن روحي ويطوون العنا

في بلاد هي للقلب المنى والسنا

يا صديقي إن صنعاء التي أحببت لحن في عظامي

لا يواريها عن العينين يأسي أو ظلامي

قل لها: هذا كلامي وسلامي

الخرطوم / ١٩ فبراير ١٩٦٠م

---

(١) د. عبد العزيز المقالح، **أصوات من الزمن الجديد: دراسات في الأدب العربي المعاصر**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.

(٢) دراسة منشورة بصحيفة **(الأيام)** الخرطومية، في مطلع الثمانينات.

(٣) د. عبد العزيز المقالح، **رسالة إلى سيف بن ذي يزن. انظر كذلك الأعمال الكاملة للمقالح**، طبعة دار العودة، بيروت.

(٤) **إشراقة**: ديوان الشاعر الكبير التيجاني يوسف بشير، الذي وافته المنية، عام ١٩٣٧م، عن خمسة وعشرين عاماً.

(٥) أرسلت القصيدة إلى صديق المقالح، الشاعر السوداني الكبير، محمد مفتاح الفيتوري، لنشرها في مجلة **(الإذاعة والتلفزيون)** التي كان يرأس تحريرها، يومئذ.

عبد الغفار أحمد جميل

شاعر سوداني، عشق اليمن، واستوطنها، لسنوات طوال، وما يزال. وطبع أُسرته بأذواق اليمن واليمنيين. عمل بالتدريس، وشارك في النشاط الثقافي في اليمن، من خلال المدرسة، والقصيدة، والمسرحية. ولا شك أن ديوانه المعد للطبع سيحمل إلى القارىء هذه الأحاسيس، وهذا الفن، كما له في الأغنية إسهام مشهود.

تحية لليمن

أنتم أوفى من النيل فيضاً وأعتى من مأرب شموخاً وبنيانا

وأنتم مهد العروبة وعزها وما تبقى منها قلباً وشريانا

ما أن منكوب أو توجع مغلوب إلا زلزل القطرين عروشاً وأركانا

وما حل مرتحل بأيهما إلا واجداً فيه أهلاً وخلاناً واخوانا

أُم العروبة أنت يا يمن وأنت صدرها المعطاء تحنانا

أبقى العلي (عليا) حافظاً تراث الأجداد ما ظل منه وما كانا

* قيلت في مناسبة الدعم الشعبي اليمني لضحايا الفيضانات بالسودان، عام ١٩٨٨م.

صوت آزال

مرحى أزال زهرة الوادي حدثي عنا الأحقاب والأجيالا

أنت طيب عبق الأريج ضمخ وادينا خيراً وأفضالاً

وأنت نبع لكل ظامي رام فيك آدابا وأمثالا

وأنت روض اشرأبت براعمه للضوء والطل مدراراً وهطالا

يا ترنيمة على شفاه الزغب وأنفاس صبح تهدهد الأطفالا

قفوا في محرابها وحيوا آزالا حباها الله علماً وعزاً واجلالا

* قيلت في تحية مدرسة آزال الحديثة، بالوادي، في مايو ١٩٨٩م، بمناسبة صدور مجلتها التربوية الثقافية: (صوت آزال).

أوبريت الوحدة اليمنية

شتات وتمزق عم البلادا

وأخ يضمر لأخيه الشر والأحقادا

خراب عم السهول والجبال والأوهادا

وفرقة غذاها المستعمر أزماناً وآمادا

أحيّيك يا وطني أحيّي فيك شمسانا

أحيّيك يا وطني أحيّي فيك عيبانا

لحماك يا وطني أثور زلزالاً وبركانا

أحميك يا وطني أرضاً وانسانا

أفديك يا بلدي جزراً وشطآنا

العرب والأحلام والتاريخ

قف أيها التاريخ واحفر بالمسند على جدار مأرب حاضرنا وماضينا

فهذي أم العروبة قد جمعت أشلاؤها واتحدت فأصبحت غصة في حلوق الحاقدينا

عانقت عدن صنعاء برداً وسلاماً وأشعلت ناراً في قلوب الشامتينا

وتجاوبت بيض القلوب في السودان صادقة لا تعرف زيفاً وتلوينا

تمنطقت جنبيتي والتزمت مهنداً يمانياً وعقدت لوائي

وصاح النفير هذا البشير يهلل بالدستور بالشريعة السمحاء

هذا البشير ركبه الميمون المؤمنون الحادبون وأخلص الخلصاء

١٣ فبراير ١٩٩١م

وحدة اليمن

المارد انطلق يعانق الأفق

احتضن النجوم وبينها إئتلق

زغردي بلقيس فالقول حق

توحدت شعوبنا والقلب رق

يا صنعاء عدن عدن ما فيكما من عق

فأنتما الضياء والشفق

وأنتما العبير والألق

لياليك يا عدن نسيمها أرق

ونجمك يا صنعاء علا وسمق

حين المارد انطلق

وعانق الأفق

واحتضن النجوم بينها إئتلق

وهذه فصيدة مشتركة له مع الشاعر السوداني المقيم بصنعاء، الأستاذ محمد علي عثمان، كتبت بمناسبة عيد استقلال السودان، بعنوان (بين صنعاء وأُم درمان). وقد قامت فرقة أُسرة ربوع السودان بتلحينها، بغرض تقديمها، مسرحياً.

صنعاء:

سلني عن الشيء المباح

لا تسأل الأنجم ضوءاً في الصباح

وهذه قصيدة مشتركة له مع الشاعر السوداني المقيم بصنعاء، الأستاذ محمد علي عثمان، كتبت بمناسبة عيد استقلال السودان، بعنوان (بين صنعاء وأُم درمان). وقد قامت فرقة أُسرة ربوع السودان بتلحينها، بغرض تقديمها، مسرحياً.

صنعاء:

سلني عن الشيء المباح

لا تسأل الأنجم ضوءاً في الصباح

عيناي من ماء وطين

وسلالتي عرق تفرع من معين

الخاتم المنسي من بلقيس ثغري

وورثت من نيران حاتم موقدي

فصنعت جمري

أأتاك أمري

فأنا امتداد العمر إن جم الزمان

وأنا عروض الشعر وقعاً واتزان

وأنا جفان الأوس تقري الضيف زاداً أو أمان

وأنا أزيز النحل يسري في البيوت وفي المساجد

وأنا ضياء مشرق في وجه عابد

أنا الإيمان ما لاحت لكم ظلمة

أنا الحكمة

أُم درمان:

سلني إذا ما شئت إسمي

في خيوط النور آناء الغسق

لما يحط الأزرق الدفاق صدراً في لقاء المفترق

لما يجيء الأبيض الفياض في لون الألق
حينها ادلق مدادك في الورق
سيشع برق ويحق حق
وسل الزمان سل الزمان سل الزمان
سيقول يا ما كان كان
أنا الماضي وما يأتي
أنا أُم درمان أنا السودان
أنا الدر البزين بلدي
أنا البرعاك سلام وأمان
وأنا البفداك يا ولدي أنا أُم درمان
أنا أُم درمان
صنعاء:
الشمس تشرق ها هنا من كل آفاق السماء
أروي ولون الأرض مجد من ضياء
يماني هو الإيمان قول من صفي الأنبياء
فسل السدود الباسطات يداً تصافح بالوفاء
ومتى اللقاء
هنا صوت هنا صنعاء
هل أنت يا أُم درمان سامعة النداء
هذي يدي تمتد في لون القباب الخضر
ترقى في السماء
فجران من أمس الزمان ومن غد
بشراك إن الحق جاء

وبشيرك الميمون يصدح بالنداء

فسلي الجيوش الزاحفات بكل فج في الفضاء

وبلاد قيصر أرض كسرى ما البطولة ما الفداء

فالشمس تشرث ها هنا من كل آفاق السماء

والشمس نيل ها هنا والنيل ماء

أم درمان:

لكن يا صنعاء هلا تعلمين

المجد في السودان أشرق مرتين

فالمجد واعد أهلنا سيعود يوماً في حقول القمح

في أرض الجزيرة عند أجمل ضفتين

ولأن وعد الحر دين فالمجد عاد

والطفل أمسك باليمين سلاحه

ورمى على الأرض الحنونة حبتين

وسقى جذور القمح ماءً دمعتين فدمعتين

ويضاعف الله العزيز لمن يشاء

سبعين سنبلة حصاد الزارعين

ونكون يا صنعاء قلنا للورى أو لا نكون

والله شاء والخير جاء والله أكبر في المصانع في المزارع

في المساجد في الصباح وفي المساء

وسمعت صوتاً في الورى (حيَّاك مني الصاحب الخفاق)

يا هذا الوطن ويراعتي يا أيها العملاق

في هذا الزمن علم البلاد إليك أُطرق خاشعاً متيمنا

ويزيني في ساحك الإشراق يا هذا الوطن

صنعاء:

أنا بلقيس هذا السد من فني

عبدت الشمس جاهلة سلوا شمس الدنا عني

سلوا قدمي أماجيداً وحبانا

سلوا عني صخور الأرض تحكي كل ما كانا

سلوا قومي إذا هبوا زرافات ووحدانا

سلوا عني غزاة الأرض رجالاً وركبانا

سلوا عني سليمانا

أم درمان:

سلي كرري وصمويلا وغردونا وشيكانا

سلي عني عصاة الله لا يرضون ايمانا

سلي عني غزاة الأرض فجّاراً وعدوانا

سلي عني زغاريد البنات السمر لا يبكين فرسانا

سلي عني بيارقنا سوى العلياء لا يعشقن أوطانا

سلي عني بناة المجد فرسانا وهجانا

ليلي أمان فجري أمان

هذا كرومه بيث لحنا للزمان

هذا سرور يرقص الكون لمفتتان

ويرد روحي من ربي تلك الجنان

(مكتول هواك أنا من زمان مكتول هواك يا كردفان)

صنعاء:

انظروا ماذا ترون

اأمري نحن أولو بأس

ونسخر بالحياة وبالمنون

أيكون هذا العرش عرشك قد يكون

إني أراه كأنه لكنما

إن الملوك إذا غزوا أرضاً أذلوا من يعز ويرهبون ويحكمون

قد كان في أرضي قديماً جنتان

والأرض طيبة وربي غافر والخير دان

ويجيئني طير غريب

يلقي إلي بدعوة علي أجيب

فيقول لا ويقول قومي ألف لا

لكنما إن الملوك إذا غزوا أرضاً أذلوا أهلها

فحزمت قولي وعددت رحلي وأتيت أرض الأنبياء

مسرى النبي بذات ليل للسماء

أم درمان:

فيا صنعاء من أهداك أبنائي

أراهم في فجاج الأرض من دان ومن ناء

فهذي الربوة العلياء تعرفهم وتعرفني

يشيدون العقول الخضر في البيضاء وفي عدن

فهذا عاد بعد الهجر للأبناء مشروحا

هذا أسلم الروحا

ولكنا نرود المجد يا صنعاء نبنيه

ونجتاح الردى نسعى له حتى نلاقيه

ويا صنعاء إن أهديتني وعدا

فيا صنعاء إني أحفظ الوعدا

ويا صنعاء إن أهديتني جبلا

فلي التاكا ولي كسلا

وإن أهديتني دارا

فلي مدني ولي بارا

ويا صنعاء إن أهديتني بحرا

فإني أعشق الشعرا

ولكن الدماء تسيل ثم تعود للمجرى

صنعاء:

أيا أم درمان يا أُم درمان

يا جلباب درويش بلا لون

ويا المجذوب يا توشكي وترهاقا وبردوني

ويا دوبيت من غنى

ويا المحجوب والبنا

ويا عرساً بلا صوت بلا دن

ويا لحناً بكى من جرسه لحني

ويا أُم درمان يا صافر ويا المحويت يا أم بادر

ويا أُم درمان يا ضوءاً تراءى في تسابيحي

ويا قلباً حوى في قلبه روحي

أُم درمان:

أيا صنعاء يا صنعاء يا سيفاً ردينياً ويا وضاح يا عرساً ربيعيا

ويا عيبان يا شمسان يا فتحاً إلهيا

ويا بيتا من الشعر ويا بيتاً من الشعر

ويا غيثاً أتى من هاطل المزن

ويا حُسناً بكى من حسنه حسنى

ويا صنعاء يا مدني ويا أُم درمان في عدن

ويا روحاً تحل اليوم في بدني

صنعاء/ ١٩٩٤م

عبد الفتاح عبد الولي

قاص يمني معروف، وهو شقيق القاص اليمني الكبير، محمد عبد الولي، رحمة الله عليه. لم يعرف ككاتب قصيدة، لكن هذه أبياته المهداة إلى الشاعر السوداني، الذي عمل سفيراً بصنعاء، الأستاذ سيد أحمد الحردلو.

صديقي الحردلو

ليس في اليمن
ما يكفي من عيون كي تراك
افتح الباب وادخل
تلدثر برائحتي
واختبأ في عيوني
تنقل بين خلجانها
مثل طير القبل
يا نبيذ المقل
ابشر بمائدة من نجوم
وزوبعة من عسل
افتح الباب وادخل
شقق سماء يمنّا
ببرق سناك
انجر شبابيك (شندي)

بقدوم عشقك

وفتح ورود (تنجا)

بمزن فمك

أنا نحبك حباً نعما

صنعاء / يونيو ١٩٨٩م

عبد القادر أحمد باحشوان

أديب يمني من حضرموت، كان أول خريج لمدرسة بخت الرضا السودانية، من بلاد حضرموت، كتب الشعر الحلمنتيشي، وهو شعر يقصد منه الفكاهة، كان قد أعطاه هذا الإسم الشاعر المصري، حسين شفيق المصري، سنة ١٩٢٦م.

وقد وقفت على هجاء، من باب الدعابة، للأديب السوداني الراحل، الدكتور سيد أحمد نقد الله (ت ١٩٨٤م)، لباحشوان، عندما كان نقد الله مدرساً ببخت الرضا.

المولد الحلمنتيشي

ولا يعجبك (أبو دقش) وإلى جانبه (باحشوان)

* أبو دقش: طالب سوداني

وجاء رد باحشوان على أُستاذه نقد الله على نفس الروح:

الشعر التفتيشي

أبو هريرة ذو الأخبار بالكذب قام إلينا يجر الرأس بالذنب

أما ترى وجهك المملوء بالخرط سهم من الشرق أم سهم من الغرب

لما رأينا أبا الأصفوح ملتوياً كان السقام علينا أعدى من الجرب

وانظر علي حورة من كل ناحية كأنه شخب في الماء منقلب

* علي حوره وأبو الأصفوح أي حسين عولقي: طالبان يمنيان.

عبد القادر شرقي محمد

عمل مدرساً سودانياً باليمن، وكتب في وداعها قصيدة (صيحة الحق):

غنى الهزار قبيل الفجر في فنن فغزا مسامعنا بمآثر اليمن

وان أردت أخي عما مضى خبراً فأستفتِ صنعاء واستلهم ثرى عدن

كن ذا ثبات وسل نجران في أدب تجبك عما لها في الأرض من منن

ساد العقول بنوها منذ نشأتها بالعلم والرشد والتبيان والفطن

أمجادهم غطت الدنيا مراجعها وشيدت عرشها في هامة الزمن

هم أيدوا الدين بالحرباء إذ نبذوا صفو الحياة فما أغلاه من ثمن

لبوا جميعاً نداء الحق في عجل عافوا الخضوع لدى الأصنام والوثن

نفوسهم دائماً بيضاء راضية لا يجنحون إلى البغضاء والإحن

أقدامهم نحو فعل الشر مبطئة ويسرعون لدى الحاجات والمحن

أيعجب الشعب من إنجاز ثورته أم من مكارم عمار وذي يزن

قاد الرئيس بعون الله دولته نحو السمو وقد سارت على السنن

نادى فأصغت له الآذان والتحمت صفوف أمته فقضى على الفتن

لم يألُ جهداً وظل العدل ديدنه فرفرف الخير في الآفاق والمدن

دمتم وما مسكم في الدهر من حرج ذخراً يدعم صرح الفخر للوطن

عبد الوهاب أحمد علي الحبر

مدرس سوداني بقرية (ماهلية) وهذه قصته.

أواه ماهلية

تحدرت من صنعاء تجاه مأرب.. مأرب هي نقطة انطلاقي إلى ماهلية.. ماهلية اللحن الذي يتردد في أغوار أغواري.. هذه المرة يخامرني شعور داخلي أنها الزيارة الأخيرة، إذا صدق هذا الظن، فلن أراها ثانية.

بعد هبوطنا من تلك الجبال، انطلقت عربة (التاكسي)، بسرعة لم تخفِ ــ كلما زادت سرعتها، كلما قربت منها.. الحجارة السوداء على جانبي الطريق تحكي ماضياً عريقاً، وأول ما رأيت، بعد مأرب الجديدة، كان مأرب القديمة، بيوت طينية مازالت تقف شامخة، رغم السنين العصيبة التي مرت بها.. بيوت على ربوة نجت من سيل العرم، وحينما ترجلت في تلك البقاع، سألت نفسي هل تجولت بلقيس هنا؟ هل جابت جيوشها هذه الأصقاع؟ المكان الذي أقف عليه، هل استقر عليه الهدهد وهو يلحظ بلقيس؟

هذه أعمدة العرش، على أي حال، وقريباً من هنا لا أدري شمالاً أم يميناً، قبع الهدهد، ورآهم يسجدون للشمس..مضوا، وبقيت الشمس، وبقيت معها آثارهم الدارسة، وهذه الأعمدة مازالت واقفة تتحدى الزمن، وتحكي بصمتها تأريخاً، مازال خافياً علينا، وإلا فقل لي كيف سارت بلقيس من هنا إلى الشام؟ ما هو الطريق الذي سلكته؟ ماذا كان مركبهم؟ كم كان عددهم؟؟ أخرجني من

تساؤلاتي صوت سيارة أوقفها سائقها، وسألني (هل تريد صرواح؟) قلت له أريد ماهلية، لم يزد على: (ماهلية بعيدة)....

وقفت انظر الطريق الممتد المعبد حديثاً، السيارات تتجه نهباً، بعضها يتجه لصرواح، وبعضها لحريب، وبعضها للجوبة.. وأنا أريد هذه الأخيرة، لأن منطلقي منها. وأنا في مكاني ذاك، انطلق إعصار دوَّار حول نفسه، ثم علا وعلا يناطح السماء، بدونما سبب، أليست هذه أرض العجائب؟ أثر سيل العرم مازال شاخصاً لكن أرض الجنتين بدأت تعود كما كانت، الخضرة على جانبي الطريق، وأشجار الفواكه صفت بعناية فائقة.. وطقطقة (الماكينات) تبشر بالأمل والخير... وحينما انطلقت بي السيارة للجوبة، قلت ما أقربك ماهلية، يا بقعة قادني الشوق إليها.. هناك يقف جبل (حورا) شامخاً، ينظر إلى (حمد)... جبال تناطح السحب... ما أجمل (حورا)، ساعة هطول الأمطار. تنفجر منه الدموع، أجمل دموع أراها في حياتي، دموع خير تتطارد لتصب في وادي ماهلية... واد كسته الخضرة الداكنة، كل الفصول. أشجار السدر، والإثل، والبلس.. واد لا ينقطع مياهه. يجمعها من جبال بعيدة، ويرسلها إلى سد مأرب لترتوي أرض الجنتين.. هذا الوادي شارك في ثورة العرم العنيفة، مع رفيقيه (ذنة)، وذمار، وأقول الحق، ولا شيء غير الحق، إنني حينما كنت أسمع خريره، في ليلة مطيرة، وهو يحمل معه الصخور الضخمة، يتملكني شعور بالخوف والطمع.. خوف يقودني إلى آلاف السنين الماضية، التي انهار فيها السد.. لكنني حينما أنهض مبكراً، وأرى ماهلية، التي ارتوت حتى الثمالة، يزول خوفي، ويحل محله الرجاء والأمل.. في الجوبه سألت عن سيارة تريد ماهلية، قيل لي إنها سارت أمس، فقط. من الجوبه، أرى الجبال التي تلبد خلفها ماهلية، تحضن أُناسها الطيبين.. معهم أُحس أنني بين أهلي وعشيرتي.

في الجوبة، في سوقها، لفت نظري شيخ طاعن في السن، إلى سيارة (محملة)، وأخبرني أنها تريد ماهلية، لكنني حينما تقدمت تجاهها تحركت.. انطلقت خلفها،

حتى ضاق صدري، وأخيراً توقفت وانتظرني ـ قال سائقها أين تريد؟ وحينها أخبرته، قال لي (أنا أُريد رحبة). بعدها، لفني غبار السيارة، التي انطلقت، وتركتني ابتلع حسرتي...

في الجوبة مكثت يومين أطارد السيارات، دون جدوى... وأخيراً أشار عليَّ أحدهم بأن أذهب حتى مبتدأ الجبال، حيث القصر على قمة (الحيد)، وأجلس هناك؛ لأن السيارات ماهلية (تجزع) من هناك.. حملت حقيبتي، وانطلقت، وبعد وصولي، وضعت حقيبتي، وبقيت في مكاني، حتى بعد آذان العشاء.. ثم.. ثم جاءتني سيارة (محملة)، عليها (تربال)، نهضت واقفاً، ورجوتها، فوقفت.. واضح أن سائقها (مخزِّن).. أخبرته بوجهتي، فقال مقتضباً (اصعد)، وصعدت بعد أن أزاح قارورة ماء كانت جواره على المقعد.

وانطلقت السيارة. اليوم أجيء إليك ماهلية، يحدوني شوقي إليك إلى أُناس تتقاصر الكلمات، وهي تحاول مدحهم.. يطعمون أضيافهم بأيديهم، صيد.. عروبتهم خالصة.... وماهلية خضراء مس الأصيل ذرا جبالها.. تدثرت بالخضرة، وتقافزت أرانبها، وحلقت فوقها الفراشات، وذلك البرق الذي أراه لا بد أنه سقاها، وجادها غيثاً ـ سقاها الله دائماً.. قال لي السائق (إذا لم نسرع سيقطعنا السيل)، قال تسلقنا الجبال.. جبال شاهقة شاهقة، تتكرر عند كل منعطف.. قال السائق (هذه الجبال المناقل). لذت بصمتي، وصمت الرجل، لابد أن القات قد عمل فعله.. وتحدثت السماء.. بدأت قطرات المطر تبلل زجاج السيارة.. والبرق الذي كان بعيداً جاء، واستقر فوق السيارة وأمامها.. وضحكت السيول، وصارعت الإطارات الصخور المبتلة وصمتنا.. لا أدري، فيم كان يفكر السائق، لكنني كنت في ماهلية.. في واديها الجميل، عند بئر (العيال) على سفوح الجبال أتأمل (العقب).

(العقب) مع صديقي (الطالبي) وعيناي غمضتا، رغم حركة السيارة، فإرهاق الأيام الماضية أثقل جفوني، وحينما افتحهما بصعوبة أرى سيلاً مندفعاً، أو بركة أمام السيارة العنيدة... كأني في حلم لذيذ، رغم الصعاب، فإني استعذب السفر إليك ماهلية، هناك عندما ألتقي بالصحاب سيزول العناء، عندما أراهم، سأتحلل من كل همومي، سأسرد لهم خطواتي التي قادتني إليهم، خطوة خطوة.. ثم رأيتني بين السحاب، أسبح من رفاق أحببتهم، طاردت معهم العقب على سفح (حورا)، واستمعت معهم إلى عواء ذئب بعيد، في ليلة هادئة، واستمعت معهم لهزيم الرعد في ليلة تلبدت بالسحب.. هؤلاء القوم في هذه البلدة الطيب أهلها جعلوني أُحس أنني في بلدتي بين أُخوتي ما أحلى الأيام معهم، شم الأُنوف من الطراز الأول.. و.. وصحوت من نومي على صوت السائق (يا أخي أنت نمت وأنا نسيت.. نحن تركنا ماهلية خلفنا..).

هببت مذعوراً.. كان الظلام قد بدأ يرحل.. أردف الرجل (هذه أنوار السوادية)، وتلفت مذعوراً.. وتلفت وأدركت أنني بالقرب من البيضاء، وأنني بعدت عنك، ماهلية.. وحينما ترجلت، كنت حزيناً....

أواه ماهلية، كم منيت نفسي أن أشم أنفاس هذه الصباح فيك. كم منيت نفسي أن أُعانق الصحاب.. حملت حقيبتي على ظهري، وتوجهت صوب الطريق الرئيسي، لعلي أجد سيارة تقلني لصنعاء، ومنها أبدأ رحلتي إليها، إلى ماهلية، من جديد...

عبد يحيى صالح

شاعر يمني شاب، ممن درسوا على يد المربي والشاعر السوداني المقيم بعدن، الأستاذ الدكتور مبارك حسن الخليفة. كتب هذه المقطوعة يعاتب فيها أُستاذه:

قدمت إليك ورقعة وجهي عليها ابتهال
وعيناي تبتدران دموعاً وتحويان كلاماً رقيق السؤال
قدمت قدمت إليك
وفي قريتي كان جرح يطالبني أن أعود
وخلف كراتين بيتي ينوء صغيري ويبعث لي أن أعود
قدمت قدمت قدمت
لأن الطريق إلى قريتي مثخن بالرياح
إذا لم يكن طالعاً من ندى شفتيك
كتبت إليك بأني وأني وأني
وقدرت أنك في رحلتي سوف تغدو كتاباً حنوناً ولحناً معطر
فلم تعطني شفتاي سوى الإعتذار
وقلت بأنك عند رحيلي إلى قريتي لن تسوق القطار
وأنك لست الجدير بهذا القرار

عدن / ابريل ١٩٩١م

عثمان علي أبو بكر

شاعر من السودان، طالعت في صحيفة يمنية له هذه القصيدة، والتي تعد من عيون الشعر السوداني المكتوب في اليمن:

<u>من تهراقا ملك نبتا إلى بلقيس ملكة سبأ</u>

جئناك على صهوات الخيل النوبية

عبر البحر وفوق الريح الغربية

جئنا بالريش وسفن الفيل

جئنا بالقمح وماء النيل

جئنا بالشعر وبالطمبور وبالرقصات الشعبية

جئنا بالحب النبتاوي

جئنا بالتمر البركاوي من أجمل نخلات النوبة

من أطول نخلات النوبة

جئنا بقلوب مشبوبة

نعطيك الحب التهراقي بغير حدود

فأعطينا حباً يا بلقيس

أعطينا الحكمة والإيمان فجذور الحكمة والإيمان يمانية

أعطينا فرحاً نحمله في زمن الحزن

فالفرح الممتد على الأرض العذراء السبأية

لو يشتل في الجرف النيلي ويسقى بالقادوس كؤوس الحب النيلية

يبقى فرحاً أسطوريا

ويعانق كل الأبدية

يمتد جذوراً في الآفاق.. يمتد فروعاً في الأعماق

ينثال عبيراً قدسياً ويرطب بالأنداء ليالي القفر الصيفية

من جبال البركل جئناك من مدن الحلم الوردية

من جزر الفرح الممدودات مع التاريخ ملاحم مجد ثورية

من أرض النخل ومهد الشمس الذهبية

من نبتا جئنا يا بلقيس لننحت فوق جدار السد رسالة حب قدسية

ولنرسم في وجه سماراً وشماً نوبيا

وحكايا عرس نوبية وعريساً يحمل سوطاً عنجيا

ويهز على ضربات الدف المنغومات الجنبية

لم نأتِ كما جاءك أبرهة الحبشي ولا كجيوش الغزو التركية

بل جئناك كما عبد المغني الرابض فوق المارد في وجه الظلم

يدك حصون الرجعية

جئناك رسوخاً مثل السهل.. جئناك شموخاً مثل النخل

جئناك رخاءً مثل النهل.. جئناك سخاءً مثل النهر

جئناك إخاءً ممتداً من صدر الأهل لصدر الأهل

خيطان من النور الأزلي اللامحدود

نبعان من العشق الأعمق

النبع يتوق لصدر النبع ليزيل من الصدر الأدران

وليمسح من وجه الثاني دمع الأحزان

يمتد الجذر من البركل عند الوادي

ليلاقي الجذر على أعتاب سماوا

شرياناً ينبض في شريان

أحضاناً ترقد في أحضان

من قبل الميلاد أتينا.. من قبل بدايات الأزمان

جئنا نتفيء ظل السد ونرقد في حضن التاريخ

نشرب من مأرب لبن الحب نتنسم عطر حضارات الانسان

وعلى جدران معابد نبتا والأهرامات وجدار السد الواقف

يتحدى كل الأزمات

وعلى الأوراق البردية سطرنا يا تهراقا يا بلقيس

ملاحم عشق ورسالة حب قدسية

وستبقى في كل الصفحات المكتوبات وفي اللوحات المرسومات

وبين حكايات التاريخ المروية

صورة تهراقا يضع يديه على كتفي بلقيس

والبركل يلثم وجه سمارا وتعانق نبتاً في اجلال الحب سبأ

وغيوم الحب المنثور خلف الصورة تمتد ظلالاً

عبر البحر وفوق الموج وعبر مسافات التيه الصحراوي

ومسافات الزمن الفاصل بين النيل وبين سبأ

وفوق الريح الغربية

عزيزه مصلح أحمد

كاتبة يمنية شابه، ولدت لأب يمني، في السودان، ولها أكثر من أُخت، شغفت بالقراءة والكتابة. ما أوضح معاناة الغربة الإنسانية في كتاباتها.. ويمكن للمتابع أن يقول بأنها شخصية عصامية، استطاعت وأخواتها أن يستفدن من الجو الدراسي والثقافي في حياتهن بالسودان...

خواطر في ليلة ممطرة

هجرات مجهولة وحقائب محمولة

آهاب مكتومة ودموع مختبئة

أحزان مطوية

الصبح مضيء والليل أتى.. النجم أفل

أصوات الليل الوحشية تتعالى

وأصداء الحمل الصامت تتردد خلف الجدران

حبات المطر تزعجني تطرق نافذتي

وأنفاس تتلاحق بالداخل

تسأل من بالخارج

ودقات قلبي تتزايد

أحلامي الوردية تحترق تتبدد تتلاشى

ووحوش الليل تطاردني

تتحدى تخترق النافذة تهاجمني

ويموت الصوت رويداً رويداً يصلني مطعون بالخنجر

ليل أبدي مظلم

وأمل يتيم يتخبط يسبح في المجهول

وخواطر مرعوبة تتجمع تتناثر في الظلمات
ورغم هذا وذاك
حب دائم لا يقهر ولا يفتر

كسلا

أتيت أيها الليل
أتيت وقبل أن يتم حزم المتاع
بأثوابك السوداء وأردية الخداع
الحب والشوق والسكينة ينادونك من أقصى البقاع
تقسو علينا وتحملنا لفائف الذكريات
إلى مسالك لا تطاق
ماذا عليك
تجوب بالوديان وتقطف الأشواك لتجلب الأشجان والآلام
وتنزع الأزهار لتغرس الأشواك في قلب الأحلام
تسألك المقل: متى نهاية سهادها ومتى اللمّام
سودت دنيانا ودنيا كل من فقد الزمام
بعد أن أسدلت ستارك العاتم وحجبت عنا
اليوم أبحث بين أكوام سراب عن درب الرفيق
ويجول إحساسي وأخنق خواطري
ومشاعري وحدي دون الأنام
وفي ذيل المطاف أعود ويمضي كل شيء
كل شيء
وتبقى الذكريات كالأنغام

كسلا / مارس ١٩٨٢م

علي زيد بن شائع

هذا شاعر يمني، يكتب بالعامية، وقفت له على أبيات يحيِّي فيها شيخ اليمانية بمدينة ود مدني المرحوم، يحيى حسين الشرفي:

قال ابن شائع يا الله انك تسير بفضل من ناجى إليك المناجي

كلن في الغربة تيسير وسافر وأنا عليك يا رب تحسن خراجي

قم يا رسولي شل قولي وخبر بها الشيخ (يحيى) احتجاجي

يحيى أمير القوم هو نجم زاهر لكن آذان القوم فيها صناجي

١٩٥٢م

علي قاسم المؤيد

أحد الضباط الأحرار، الذين قاموا بثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، في صنعاء. اشتغل في أجهزة الدولة، ومؤسساتها، حتى صار سفيراً لصنعاء لدى الخرطوم، في مطلع الثمانينات. أديب، وفيلسوف.

هزه وزميله الدبلوماسي اليمني بالخرطوم، يومئذ، الشاعر اليمني أحمد يحيى بلبل، خبر وفاة الشاعر السوداني الكبير، محمد المهدي المجذوب، وكان جاراً لهما. لم أقف على قصيدة ابن بلبل، وهذه مرثية المؤيد في المجذوب، التي بثها تلفاز أم درمان، عبر برنامج (المدينة تغني)، الذي أخرجه المخرج السوداني القدير، صالح مطر. وحتى بعد أن غادر المؤيد الخرطوم، خلّف وراءه هناك ابنته الدكتورة منى المؤيد، وهي فنانة رسامة، أقامت المعارض للوحاتها هناك، افتتح أحدها الزعيم السوداني، الصادق المهدي. وتخرجت من مدرسة طب الأسنان بجامعة الخرطوم:

لا لا فهذا ليس تنعيه المراثي والدموع

الصمت والحزن العميق أبر فعل نستطيع

أيموت مثل الآخرين ومثله طلب منيع

أيموت لا خلفاً له ا الله كم فينا يسوع

أمحمد المجذوب مالك عند غربتنا تضيع

أأنست ترحالاً إلى ما منه عود أو رجوع

أرضيت تتركنا لشعر كله هلذي وضيع

أرغبت لا يبقى يظلل دارنا أدب رفيع

فالبائسون إذا ارتحلت فبؤسهم جداً فظيع

قد كنت تأنسهم بشعرك والمدى خوف وجوع

فإذا ابتسمت لنكبة فالكل مبتسم قنوع

وإذا غشتك مسرة غمرت صحائفك الدموع

ما كان أقسى أن تعيش وأنت حساس ولوع

الناس تمنحهم صفاءك كله أرج يضوع

ما كان أقسى أن تعيش وقد تفرقت الجموع

ورؤى العروبة أصبحت خدعاً يجللها الخنوع

لا الشعر يوقظها ولا يهدي مسيرتها بديع

أمحمد المجذوب هل صدقاً تطافأت الشموع

لم يبق من يهدي الحيارى لانبي أو شفيع

أنا حزنا فابتهلنا أن يطيب لك الهجوع

وعزاؤنا أن الحياة شتت فما فيها ربيع

الله يسكنك الخلود وباب رحمته وسيع

علي عمر الصافي

شاعر يمني مقل، تلقى دراسته الثانوية في مدرسة (حنتوب) بالسودان؛ ما بين عام ١٩٦٤، و١٩٦٧م، وكتب هناك بعض قصائده:

أشواق مقهى

مهداة إلى الحبيبة، التي ستسأل بعينيين صامتتين حزينتين؛ عن فتاها الذي فارقها، دون وداع.. إلى مقهى حنتوب.

أينه الآن وماذا عن أمانيه الكبار

العالم السكران ألحاناً وعطراً واخضرار

والنور والوادي وفاء فوق أرجلها نزار

كم ها هنا غنى فألهبني كعصفور وطار

ما كان غيري يسمع الألحان في ذاك الوجوم

إلا الرمال وليلنا الشعري مرتعش النجوم

سكرانة تعطي الكؤوس لشاعر جم الهموم

غده دروب لا يبين بها سوى شبح الرجوم

ماذا عن الأحلام والدنيا التي ضمت خياله

كم راقصته هنا وعب بثغرها حتى الثماله

كم ضمها ليردها في رعشة فوق استحالة

ويغور فيه دم الشباب فيلعن الدنيا وحاله

أتراه ينساني وذكرانا الجميلة ألف كلا

يا ليتني لما مضى بالأمس كنت وراه ظلاً

أو ليته مثل الربيع يعود إن يوماً تولى

سأظل أرقبه وأرقبه وعمري لن أملا

وداع

إلى حبيبتي حنتوب

حزين أُحس بقلبي التهاب ويملأ عيني الدجى والضباب

أمامي الطريق كخط طويل تعرج نحو المدى ثم غاب

صراخ بقلبي إلى أين أمضي وفوق شفاتي الصدى منه ذاب

ومهما أُحاول وصف الذي بنفسي فأكبر منه العذاب

أمة في الزحف

من حنتوب، كنت أسمع بمظاهرات الشوارع في عدن، وبقية أجزاء جنوبي الحبيب.

صدى الهتاف يرن في أُذني أنغاماً شجية

تحيا العروبة والرصاص بلع البقية

يتراكضون على الطريق طلائع الشعب الأبية

لن يسكتوا شعبي فللتيار إعصار عتية

صوت الرصاص وأُمتي في الزحف الهب من شعوري

نغم دوى باللعلعات يزيد من حقدي ويوري

أنا للذين على الطريق الراقصين على الصخور

روح يذوب قصائداً سترف يوماً في الثغور

غداً يلوح على المدى فرحاً وفي يده شموع

حريتي والوحدة الكبرى وآمال الجموع

غدنا انتصار للحياة وما الفناء سوى الرجوع

أنا لا أُريد الذكريات فأمسنا ليل وجوع

ركب العروبة سائر في رأسه إكليل غار

هذا الطريـق بمنحنـاه الصبـح يرقـب في انتظـار
سيسـير شعـبي في خطـاه ويلتـقون مـع النهـار
ونرى طلوع الوحـدة الكـبرى شـروقاً لاشعـار

١٩٦٥م

بدون عنوان

كاد الشباب يضيع آه منك فالتمسي البقايا
يا نغمة قدسـية عزفت على إيقـاع نايا
ألهمتها وجثوت أدعـوها فما لبت دعـايا

حكايتي

حكاية العصفور في دقائق الوداع
وهو على (حرازة) قديمة يحبها
وقد أتى لحقله الصياد والبنادق الدميمة
لا يملك الدفاع.. تخيلوا في لحظة الوداع
إحساسه بالهم والضياع
حكاية الشاعر في ذراعه الحبيبة تجتاحه خواطر الفراق
والدرب في عيونه خط من الظلام.. وتلتوي شفاته تبحث عن كلام
لا شيء عنده يقول للحبيبة
هذه حكايتي العجيبة

١٩٦٧م

د. علي الملك

أديب وقاص، سوداني، نشر قصته التالية، عام ١٩٥٨م، ضمن مجموعة قصصية(١)، توفي منذ سنوات قليلة، في السودان.

اليمن سعيدة

«كنا نهزأ بهم؛ الذين تسلموا مقاليد التجارة في كل أحيائنا، في كل حانوت ترى واحداً منهم أو أكثر، كل قرش تصرفه من جيبك يقع عندهم؛ السجائر التي تدخنها، حلوى الصغار، كل ما يطوف بخاطرك.

«ما زلت أذكر عباس، كان صغيراً، لما جاء إلى حيِّنا، يحمل صفيحتين، من الماء على كتفه، من الصباح إلى المساء؛ لا يكل ولا يمل، حتى مال كتفه الأيسر إلى جنب، كأنه يحتمي من ثقل عليه؛ وكنا نلقاه في ذهابنا، إلى المدرسة، وفي عودتنا.. عين المنظر: شاب نحيل يميل لونه إلى البياض.. أقدامه مشققه.. يملأ الماء من البئر القديمة العميقة الغور، قرب بيتنا.. قدماه كبيرتان، مشققتان، كأنهما الطين لدى الشاطيء، وقد انصرف عنه الماء.

«يا عباس.. هكذا هي حالك؛ لا تشتكي لأحد، ولا تتبرم، كأنما الحمل الذي على كتفك رسالة نبي هجره الناس؛ وضحكوا عليه، وهزئوا منه.

«ولم تمضِ خمسة أعوام، حتى كان عباس قد تغير، وتغيرنا نحن، وأصبحنا على حافة الشباب في المدرسة الثانوية، واصبح عباس ركناً في اقتصاد حيِّنا. له الدكان الصغير، الكائن عند مدخل الحي. وأصبحنا نتخذ مكانه قبله؛ فنلقي فيها بالنقود، فتستحيل إلى سجائر وحلوى، بما يبقى من الملاليم. وكان الناس يحقدون على عباس، لا لشيء، إلا أنه استطاع أن يبني نفسه، وكان ابن عمي أكثر أهل

حينا سخطاً عليه. وكان دائماً يقول لي.. هذا اليماني «المقفل» لقد استطاع أن يصبح شيئاً؛ ولكنه لو عرف عباس لما احتقره، ولو عرف الليالي التي كان يسعل فيها من البرد، ولو عرف الحر الذي طبع أقدامه، فجعلها تتضاعف وتتورم، ولو عرف الحرمان الذي لقيه والوجبات المضطربة المواعيد، لو علم ابن عمي جميع هذا لما احتقر عباس مطلقاً، ولأكبر فيه روح العزم، والمثابرة، والإجتهاد؛ ولكن ابن عمي كان حقاً على علم بكل هذا، ورغم ذلك كان يشتري كل صباح علبة سجائر من عند عباس، ويأخذ منها واحدة، فما يكاد يشعلها حتى ينحي عليه بالشتم.. يماني حرامي.

«على أن ابن عمي لم يكن يشذ عن أكثر الناس، كانوا يعتقدون أن اليمانية، جميعهم، أفاكون، وربما كانوا لصوصاً، وكانوا يأخذون في هذا التفكير.. يرونهم يثرون، ويصبحون من الوجهاء، على حساب أهلنا. وكان اليمنيون على علم بشعور الناس نحوهم؛ فكان لهم مجتمعهم الخاص.. لا يتصلون بالناس، بل ينامون في المتاجر، ويأكلون فيها، وعلاقتهم بالناس، رسميات جافة مجردة.. قروش مقابلها سلع.. ملح، أو سجائر، أو فحم الوقود.

«وأصبحت مثلهم.. أشتم جميع الوافدين من اليمن، وأعتبرهم دخلاء؛ لكنهم تغيروا لدي من حين قريب.. أصبحت أميل إليهم، وأحترمهم؛ كأنهم إخواني.. وفهمت، ومعي الكثيرون، أنهم عرب، وأن جيشهم يحمي شرف بلاده، ويدافع عن عنصرنا، وأن الجيش أصبح ركناً قوياً هناك، وأنه ليس من الحفاة، كما أُشيع.

«عباس، ومصلح، وعبد المجيد، وجبران، جميعهم يتحركون؛ وأخذت مشاعرنا تتغير نحوهم، حتى ابن عمي جاءني، ذات صباح، ثائراً، وفي يده صحيفة، في أبرز نواحيها أن اليمن أصبحت هدفاً لقنابل الإنجليز. وقال لي: إن اليمن ما عادت سعيدة. وقلت له: بالعكس، فهي ما زالت سعيدة.

«وفي الغد دلفنا ناحية عباس، فقال لنا رجل أبيض البشرة يمشي في الطريق، إن عباس عاد إلى بلاده وعلمت أنه ذهب ليحمل السلاح.. ليتني وضعت في جيبه كل ما أملك، حتى يقتل عشرين، بدلاً من واحد. وتلفّت إلى ابن عمي، وكان سارحاً، كأنه ندم على خشونته في معاملة عباس، وقلت له: أخي.. لا عليك!

«وتذكرت عباس؛ كتفه مائلة إلى الأرض، كأنه يحتمي بها من شر ما يحمل من ثقل، وهبَّ على وجهي هواء الصباح، فتذكرت عباس، المسافر ليحمي بلاده، البلاد البعيدة، وذهبت حتى لا تفوتني حصة الصباح، وفي يقيني أن اليمن ما زالت سعيدة.

سعيدة بأبنائها!»

---

(١) علي الملك؛ وصلاح أحمد ابراهيم، **البرجوازية الصغيرة.. قصص سودانية**، تقديم الدكتور احسان عباس، القاهرة، مكتبة دار العروبة، ١٩٥٨م.

علم النذير

شاعر سوداني، اشتغل بالتدريس في منطقة تعز.

طلع الفجر في السعيدة

* قيلت في وداع المنتهية إعارتهم من المدرسين السودانيين، في مايو ١٩٨٧م، بتعز.

طلع الفجر في السعيدة العربية بحياة على النفوس رضية

كنت في ظلمة فأخرجك الله إلى النور يا ابنة (الصليحية)

كنت نسياً فجاءك الفارس (علي) ذو الهمة العبقرية

فتقلبت في النعيم مقيماً يتملاك بكرة وعشية

صرت تاجاً على الرؤوس فنادى باسمك الناس في الليالي السنية

يا بلاد الأمان والمجد والسؤدد والعز والعلا والحمية

إن للمتقدم اليوم ذكراً وذكرى على اللسان شهية

أنت يا بهجة الدهور بلاد ذات صيت ومنعة أزلية

كيف واليوم قد تجليت نوراً شع بين الورى وأنت فتية

وارتقيت السهى وناديت أهلاً برجال الذكاء والألمعية

داركم هذه فحياكم الله إلى منزل وألف تحية

فانشروا العلم في البلاد وكونوا في وقار الهدى وحسن الطوية

وأسعدوا النشء في المدارس طراً وابعثوا الضاد في المعاهد العلمية

فراق وامق

* قيلت في حفل وداع المدرسين السودانيين، المغادرين تعز إلى السـودان، في يونيـو ١٩٩١م.

فارقتك حيناً يا وطني وقضيـت الخمسة باليمـــن

يمن الإيمان وحوبته يمـن الإسـلام وذي يـــزن

يكفيكم يا أهل اليمن ما قال محمـد مـن زمـن

أن الإيمـان شعاركـم والحكـمة غيركـم لمـن

ألتـذ لأكـلات اليمـن للحلبـة للطهـي الحسـن

و(الحاصل) لفظ يعجبني ودوائي (بنت) في الصحن

الشكر الهـي للمنـن فالوحـدة تمـت لليمـن

عضوا بالناجذ واحموها مـن شر الحاسـد والفـتن

لله جبـال نعشقها بالحسـن تغطـت والغصـن

والمتعة ليلاً نطلبهـا وفراشـي في قمـة سكـني

النجـم بعيـد يـا وطـني وأراه قريبـاً في اليمـن

فأمد الساعـد أمسكـه ويكـاد يلامسه بدنـي

ها يوم الجمعة قد أقبل والجمعة سحـر يأخذنـي

وخطيب الجمعة في المنبر شفتاه مكانهـما أذنـي

قال الأصحاب لنا يوماً أنسيتـم حلتـكم عـدن

هيا للجنة ننشدها (شوقي)(١) قـد قال وحدثـني

يا دار العلـم تحيتنـا للعلـم إلى وادي تـبن

ورسالة (سيف)(٢) مطلبنا ونعود وقد شغلت ذهني

رمضـان شهير يأسرني والجـو محاسـن تغمرنـي

أفضالك كثر يـا ربي في السر حمدتـك والعلـن

أذكر يا صاح تعاضدنا والعيش سوياً في القنن

وأذكر للماضي والفتنا والمهنة من خير المهن

رباه دعائي لليمن أن ترسل دوماً بالهتن

لتعم البهجة بقعتها ويعود الناس إلى قرن

وأعود سلاماً يا وطني وأعود معي فضل اليمن

هذا القرآن بضاعتنا لنفيد حسيناً والحسن

(١) اشارة إلى أمير الشعراء، أحمد شوقي، وقد تغنى بسحر اليمن كثيراً.

(٢) اشارة إلى سيف حزام الجردوعي، صاحب مكتبة (الرسالة)، بمدينة تعز.

عمران العاقب

محمد عمران العاقب، كاتب وشاعر من السودان؛ ارتبط بصداقة روحية وأدبية مع الشاعر لطفي جعفر أمان؛ الذي درس بالسودان وكتب فيه الشعر، مسمياً العاقب بصديق العدنيين.

قصيدته هذه تعود إلى الستينات، زمن الكفاح المسلح لليمنيين ضد المستعمر الإنكليزي، في جنوب البلاد، وأسماها (عيد وأحزان)(١): -

العيد وافى ونار الحرب في وهن بشرى يشيد بها الحادي مدى الزمن

تدفق النيل سلسالاً فهش له وجه الرياض وسيف البحر من عدن

مجد العروبة أملي أن يواكبه قوم دعوا فأجابوا داعي الوطن

فهب كل أبي ظل يدفعه ما حاق بالشعب من ظلم ومن إحن

تزاحموا يبذلون النفس غايتهم نصر يتوج فخراً هامة اليمن

شعب الكنانة ضحى بالعزيز لكم وأدنا عنكمو ما شب من فتن

ست مضت في جحيم القهر أعقبها تمرد شرد الأجفان عن وسن

وما تذكرت في ردفان من صمدوا الا طواني الأسى حزناً فأرّقني

---

(١) **الخرطوم** (الخرطوم)، العدد ٣٥، ١٩٦٦/٢/٥م.

عوض اسماعيل الشيخ

مدرس سوداني، اشتغل بالتعليم، في تهامة اليمن.

فجر أيلول

يا بلادا عشت فيها راقـني منها الجديـد

كل يوم عشت فيه قـد تلقيـت المزيـد

ها هنا حقل وماء ها هنا صنـع مشيـد

ها هنا ايدٍ تلاقت في سنـا المجـد التليـد

نهضة في كـل وادٍ خضـرة في كل بـيد

يومها (أيلول) أقبل والتقى شعب السعيد

بات يرتاد المعـــالي لا تراجـع للعهـود

في خيال الشعب بـاقٍ زينة في كل جيـد

قد فرحنا لقـدوم والمنـى عـم الوجـود

بالأمانـي والتهانـي بالأغانـي والنشـد

يـا لها ثـورة شعـب لا يـبالي بالـحسود

كل عام يا خليلـي وثـبة فيهـا الجديـد

ثورة الحـق تجلـت حلقـت فوق البـنود

قد تراءت لي نجوم في سما الماضي البعـيد

إنها أمجاد شعب عمقت معنـى الخلـود

فراج الطيب السراج

حجة في اللغة العربية، طلبها على نفسه، من غير توجيه أكاديمي، حتى ملكها، فتعشقها، وراح يدعو لها، دون سواها، وسخّر وقته لتعليمها للناس، في المدارس، وعبر البرامج الإذاعية الشيِّقة. وهو نجل العالم اللغوي، والشاعر الفارس السوداني، الطيب السراج، الذي قتل في ظروف غامضة. وهو، بعد ذلك، شاعر تقليدي مجيد، وظّف الشعر لخدمة اللغة، ووظف اللغة لخدمة الشعر.

أخذ عليه النقاد تجاهله للمدارس الجديدة في الشعر العربي.. وأخذ عليه آخرون تكسبه بقصائد المديح، التي يكتبها للزعماء العرب. ومنهم اليمنيين؛ فقد تعود، في كل زيارة له لصنعاء، أن يمدح الساسة فيها.. ويغني بأمجاد اليمن التاريخية، وكأنهم صانعوها. وله في ذلك قدوة في والده، الذي من قبله، كتب شعر المديح في الإمام يحيى بن حميد الدين (ت ١٩٤٨م)، كما سنرى في موضع آخر.

ومن نماذجه:

نفثات في غربة الروح

حثحث ركابك عل الله يبلغها داراً أماماً لديها يحمـــــد الجار

من كل شهم رحيب القاع أخلصه أماجد من بني قحطان أبرار

أولاك قومي لا أبغي بهم بدلاً ما ســـاجعت واله الأوتار أوتار

صنعاء الحلم

صنعاء ها أنذا أعود.. عودي إلى مغناك عيد

صنعاء أنت الحلم رفقاً بـه الأمـل السعـيد

فاولاك قومي من بني يمن فـما عنهـم محـيد

يا مهد غمدان العظيم يضيء باحتـه الخلـود

جود الأماجد من بني قحطان ليس لهم نديـد

حدث فبلقيس وذو جدن وذو يزن شهـود

اليمن الشماء

أجيئكم قومي والأشعار قيثاري وألتقيكم بدمع المقلة الجاري

أجيء لليمن الشماء مرتقياً على جنـاح من الأشـواق مـوار

أجيء في لهفة صنعاء تلهمني صنعاء همي وأحلامي وأوطاري

ودار قحطان جذم العرب أجمعهم برغم جحد لأقوام وإنكار

أجيئكم يا بني صنعاء من بلد أحبكـم منـذ ادهـار وادهـار

لأنه منكـم امـتدت أرومـته ونحـن أو أنتـم أبنـاء أخيـار

أجيئكم يا بني صنعاء مدرعاً ثوب السحاب رفاقي جد أطهار

جئنا نهنئكم في ظل وحدتكم إن التوحـد سيـف جـد بتـار

توحد اليمن العرباء مرتكز لوحدة العرب رغم الساخر الزاري

أنا نؤمل فيكم يا بني يزن خيراً كثـيراً فأنتـم نجمـنا السـاري

صنعاء / فبراير ١٩٩٠م

أهزوجة لليمن

من أرض أهلك في سودانك الوطن حث المطـي إلى أهليـك في اليمـن

وأحمل تحايا الهوى العذري نافحـة أردانها الطيب وأهبط أرض ذي يـزن

مهد الحضـارات مـن عـاد إلى إرم إلى ثمـود إلى طسـم أولي الفطـن

إلى جديـس وعمليـق وبعدهـم قحطان جـد الأولي كانـوا حلى الزمـن

أهل المصانع من غمدان تحسبه إذا دجا الليل سح العارض الهتن
ومن ذمرمر أو صرواح أو هكر أو أهجر الهجر أو ناهيك من فدن
أو ذاك بينون أو ذا موكل وهنا سلحين أو تلفم أو دورم العنن
من جذمهم كان عدنان وكان به محمد آية الآيات والسنن
فقولُ هادي الورى الإيمان ما بقيت هذي الحياة يمان قول مؤتمن
يا حادي السفن سفن الجو حط هنا بلغت صنعا وهذي غاية السفن
يا ولد صنعاء جئت اليوم زائركم زور المحب حمى أحبابه الزمن
وكيف لا وهو من قوم ذوي نسب في الفضل من قبل هدهاد وذي جدن
فالجود مذ عرف اسم الجود في يمن والفضل مذ عرف اسم الفضل في اليمن
حياكم الله يا فخر الشعوب ويا طلائع المجد من صنعا إلى عدن
إن العروبة إن ضلت مواطنها فما لها غير هذي الأرض من وطن

جده / يوليو ١٩٨٣م

أبيات في تحية اليمن

بني العرب في دار السلام تحية شذاها على بعد المدى يتجدد
يطوف على صنعاء مورد مجدنا وهل لي سوى صنعاء للمجد مورد
أليست بمهد العرب مذ كان يعرب وقحطان فهي الأمس واليوم والغد
وهل نصر الإسلام إلا أشاوس من العرب العرباء والقوم هجد
شواهدهم في الرافدين منائر وفي بردى أملاق جفنه شهد
أليس بنو ماء السماء بنيهم وغسان كيف الفرع للأصل يجحد
وهل كان عدنان سوى غصن دوحة لقحطان منها يستطيل ويَصعد
لحياكم الله يا ولد غمدان صيدح أغاريده في أيككم ليس تنفد

الوحدة اليمنية

تجمع الشمل يا صنعا ويا عدن وزال عنا إلى أعدائنا الحزن

بحسب يعرب أن ينمى لدوحتها طـه الرســول وأن المحقـد اليمــن

وحسب ذي اليمن الشماء عذرتهــا وأنها لم يـدنــس أرضهــا درن

وحسب ذي اليمن الشماء أن بقيت حصن العروبة إن ما حلت المحن

وحسب ذي اليمن الشماء أن ولدت لنا رجالاً بهم كم يفخر الزمـن

وحسب ذي اليمن الشماء أن ولدت لنا (عليا) سقاها العارض الهتن

فكان نعم الفتى عـزت بـه اليمــن وزال في عهده اللثواء والشجـن

حتى أتانا بهـــا بيضـــاء ناصعـــة صنعاء تعانقـها في لهفـــة عــدن

تحية الأشقاء للأشقاء

ارقني وهاجني البرق اليماني لمحت بضوئه ضوء المغانـــــي

مغاني الأهل من قحطان أهلي بناة العز أهل الصولجـــان

بذروتها ترى قحطان يسمو فيخطو فوق هامات العنـان

وها هوذا على المجـــد يعلـي بنـاء جـدوده في عنفـــوان

يوحد شمل أمته بعـــزم وكلـمة مؤمـن ثبـت الجنــان

وقالوا قد رمى الزلزال (إبا) فقلت إذن رمى أم درءمـان

فنحن ايا بـني يمـن وأنتـم كلانــا مهجـة لا مهجـتان

مركبة على جسديـن هـذا بـذي يمـن وذاك بكردفـان

أتيناكم من الخرطوم نهفو ولقيـاكم لنا احـدى الأمانــي

يخف بنا الى صنعاء شوق بـلا ريـش يطـير و لا عنـان

ثرى السودان متسع فسيح لاخوتنا من الشعب اليمـاني

وإن ضاقت التاكا أديما ستحملنــا مناكــب كوكــبان

صنعاء / يناير ١٩٩٢م

فيصل الأمين ابراهيم مكاوي

مدرس سوداني في منطقة ذمار باليمن.

تحية سودانية للوحدة اليمنية

أُهديك ودي في نسيج قصيدتي، ورضاك غاية مطلبي ورضائي

في عيدك الفضي تمت فرحتي أُهديك إعجابي وصـــدق ولائي

لهم التـــحية أين كان مقامـــهم عـــطرية ممزوجـة بوفـــاء

قدســـية هـــذي الديـار نـزورها بتـجرد وتـــبرك ودعـــاء

بلقيـــس تســـأل كل ركـــب قادم با لله هل صادفتموا أبنائي

يا أُم جـــيل مـــتقن بنـــيانه يا ظئـــر أفـــذاذ من العـــلماء

صـــوت مـــع الفـــجر النـــدي تعانقت همساته يمنية الأصداء

كنت المنارة يوم لات منارة الاك تنـــشر مشـــرق الأضواء

القدال سعيد القدال

أديب وشاعر وراوية سوداني، ارتبط اسمه ببدايات نهضة حركة التربية والتعليم في حضرموت. عمل ناظراً للمعارف في السلطنة القعيطية، منذ ١٩٣٩م، وتقلد منصب سكرتير الدولة، ووزير السلطنة، عام ١٩٥٠م، إلى أن غادر حضرموت، عام ١٩٥٨م. توفي عن عمر متقدم في الخرطوم. ومن أشعاره في حضرموت:

قال يمدح السلطان القعيطي وابنه، عام ١٩٥١م:

ابني العروبة اننا فرع لكم والعرب أصل

سوداننا أهل لكم وهنا لنا في القطر أهل

إن تكرمونا تكرموا فرعاً له فضل ونبل

يا حضرموت وليس في أبنائك البسلاء فسل

فيك الجحاجحة الأولي بالفضل قد نهلوا وعلوا

كم في ربوع النيل من بطل له في الناس فضل

جينا نعين ولم نكن نسطو وإن السطو جهل

والجهل جئنا كي نحاربه وما في القول ختل

وقال، يتشوق إلى ابنه حسن، في السودان:

إليك تحية مثلى تزف إليك من عدن

وشوقاً لا يماثله اشتياق الجدب للمزن

تغلغل في دمي وجرى مجاري الروح في البدن

أراني كنت مجترئاً غداة رحلت عن وطـــني

وقد خلفت أطفالي و لم أركـــن إلى الوهـــن

وأصغرهم صغـــير لم يزل يحيا علـــى اللـــبن

ورغم تفاوت الأعــمـار أفهمه ويفهمـــني

ويعلق بي قبيـــل البـين احسبه يودعـــني

كأن الـــبين أرّقـــه فيأبـــى أن يفارقـــني

بنيَّ أرى العلا صعباً وحب الصعب تيمـــني

ركبت له متون الجو بـين مساقـــط المـــزن

إلى الأحقاف في أقصى بلاد العرب من يمن

ومن قصيدة أخرى يقول:

إني أحـن إلى بـــلادي كحنـــين ملتـــاع الفـــؤاد

وأذوب شوقاً بل هيامـــاً للحواضـــر والـــبوادي

لا فرق عندي بين عاصمة الجـــزيرة أو رشـــاد

وطني فديتك دُم سليماً ناهضاً رغـــم الأعـــادي

وليبق مجدك عاليـــاً وليبـــق صيتـــك في ازديـــاد

ولتبـــق مستـــنداً علـــى اخلاص فتيـــان شـــداد

خلقـــوا رجالاً للفـــداء وللنضـــال وللـــجلاد

يا حضرمي أنا وأنـــت على صفـــاء واتحـــاد

هذي يدي فامدد يداً فالخير في جمع الأيـــادي

متضامنين تضامن المجـــد الطـــريق مـــع التـــلاد

ابـــني العمومـــة والخؤولـــة والنجـــــاد

إنا لكم فرع نمى في النـــيل مـــن واد لـــواد

من آل ذبيان الكـرام وجعفـر وبـني زيـاد

إن لاح فوق جسومنا أثر اسمـرار واسـوداد

رمز الوفاء لموطن عشنا بـه بـيض الأيـادي

فالعرب تعرف بالوفاء المحض من بـين العـباد

إن العلائـق بينـنا كفلـت لـنا كل اتحـاد

الدين والدم واللسـان وكلـنا أبنـاء ضـاد

أو شائج القربى صلـي ما قـد تفـرق بالبعـاد

الغي الحواجـز إن في إلغائـها نـيل المـراد

واستنهضي هممأ ونت فحلا لها طول الـرقاد

يا حفلة من خيرين تقـام في خـير النـوادي

الشمل منظوم بها نظـم الجواهـر في القـلاد

أو كالنثير يقوله قس ابـن ساعـده الأيـادي

توجينها شعر الحداء بـه تـبرنم كـل شـادي

من مصدر الإلهام لم يعلـق بـه أي انـتقاد

وقد وقفت على أشتات من هجاء شعري، بـين القـدال ومصطفـى رفعـت، ومحمد سعيد ناجي.

والكـل يتمنـى أن يقـوم الدكتـور محمـد سـعيد القـدال، هـذا الـذي نشـأ بحضرموت وأصبح مدرساً للتاريخ في جامعة الخرطوم، أن يجمع لنا أعمـال القـدال كاملة، في ديوان، سيما وقد استقر مدرساً للتاريخ، بجامعة المكلا.

القرشي عبد الرحيم سلام

شاعر يمني مرموق. عند سماعه بتنكيل الزعيم السوداني، جعفر محمد نميري، بالشيوعيين، ممن دبروا انقلاباً عليه، في شهر يوليه سنة ١٩٧١م، كتب هذه القصيدة يرثيهم:

كسلا

تخطر نشوى في سوقطرى

تنثر الفرحة أمواج عبير

ثملت منه روابي كردفان

فإذا الخرطوم رفات جناح

تتبدى في ضفاف النيل أنفاس الجراح

من جديد

أبداً يا كردفان فجرك المشرق ما كان جباناً فيهاجر

وجهه غض الأهاب من ضفاف النيل قطعا

سيطل

واعداً كالنيل هادر

والشذى يا كسلا ما كان قطعاً ليسافر

يناير ١٩٧٢م

لطفي جعفر علي أمان

هو أهم شعراء الرومانسية في اليمن، وأخاله ما زال ينافس نفسه على هذا الدور، سيما وقد انحسرت هذه الموجة عن أرض اليمن، وتحول بعض كبار شعرائها الرومانسيين إلى مدارس أدبية أخرى، مثل الكلاسيكية الجديدة.

ولد بعدن، عام ١٩٢٨م، ودفن فيها، عام ١٩٧١م، بعد أن أحضر جثمانه من مستشفى المعادي بمصر، حيث تلقى العلاج من داء عضال.

ذهب إلى السودان، في شهر ديسمبر من عام ١٩٤٠م، ليدرس بمدرستها الثانوية الشهيرة، في حنتوب، على النيل الأزرق، ومنها انتقل للدراسة بكلية غردون الجامعية، التي أسميت، فيما بعد، بجامعة الخرطوم، وصدر له ديوانه الأول (بقايا نغم)(١)، بينما طان طالباً في هذه الكلية الجامعية.

كان لطفي قد بدأ بنشر أشعاره قبل صدور «بقايا نعم»، في بعض الصحف والمجلات العدنية، مثل صحيفة (فتاة الجزيرة)، التي نشرت له (زهرة):

زهرة رفعها الفجر ونداها جمالا

داعبتها أنملات الفن فازدادت كمالا

قف تعبدها وخذها من صميم القلب زهرة

ونشرت له مجلة (الأفكار)، التي كانت تصدر في عدن في الأربعينات، من شعره:

ما غايتي يا قلب في هذه الحياة وما المصير

بات الشباب مضيع الآمال مجهول المصير

ومثل:

غرّدي يا طيور في رونق الفجر وهاتي الطلا بكاس نشيد

كذلك نشر في (فتاة الجزيرة) قصيدتيه: (ميلاد افكار)، و(أنا حلمي الضمير)، وفي صحيفة (صوت اليمن)، الناطقة باسم الجمعية اليمانية الكبرى بعدن، نشر قصيدته (تحية السيف)، والمهداة لسيف الإسلام ابراهيم، لانشقاقه عن حكم آل حميد الدين بصنعاء، وتاريخها عام ١٩٤٧م. وأعاد في (صوت اليمن) نشر قصيدته (أنا حامي الضمير)، والتي قيلت بمناسبة قيام هذه الصحيفة، عام ١٩٤٦م. وفي نفس هذه الصحيفة، نجد مقالاً للطفي، بدون إمضاء، عن الأوضاع السياسية السائدة، يومئذ، في السودان، وذلك في العدد الثالث من (صوت اليمن).

ويحمل (بقايا نغم)، إضافة إلى كونه شهادة نبوغ مبكر للطفي أمان، قوة تأثره بعدد من رواد الرومانسية العرب: علي محمود طه/ الدكتور ابراهيم ناجي/ الياس أبي شبكة/ صالح جودت/ محمود حسن اسماعيل/ بدر شاكر السياب/ أبو القاسم الشابي. وربما يهمنا أكثر في هذا المقام أن نذكر تأثره بالشاعر السوداني الراحل، التجاني يوسف بشير، صاحب ديوان (إشراقة).

وقصيدة (غناء) في (بقايا نغم)، والمكتوبة في ميناء بورتسودان، متأثرة بجندول علي محمود طه.. ويقدم لطفي لهذه القصيدة بقوله: وكان النيل مصدر الهامي الفذ، فسكبت فيه أول نغمة:

أيها النيل لقد أنشدت حبي فيك شعرا

أي حسن عبقري فيك لا ينفث سحرا

موجة تغفو وأخرى لم تزل باللهو سكرى

وهنا حسناء تجري تحت ستر الزهر حيرى

وأنا المسحور القي الشعر في مغناك درا

قد سباني حسنك الريان من أول نظرة

فحسبت الشط دنا وحسبت الماء خمرة

وحسبت الزهر أحباباً أفاقوا بعد سكرة

فإذا بالشعر ينساب على واديك ثره
في نشيد عبقري قلته أول مره

وقد جمعت بين لطفي والتجاني العواطف الحادة والمتقلبة، من الشعور بالموت المحقق، إلى الشعور بالفرح الشديد. ويبدو أنه تأثر بالتجاني، في منهجه، وأسلوبه الفني، وفي الملامح الصوفية، التي اكتسباها من بيئة السودان، والتي يمثل التصوف فيها أقوى النزعات في الشعر، سيما في ذلك الوقت. ولهذا اختار لطفي عنوان قصيدته، التي رثى بها التجاني وإن كان هذا قد توفي بسنوات قبل وصول لطفي للسودان ـ من عنوان لقصيدة في (إشراقه)، وهي (الصوفي المعذّب)، المنشورة في (بقايا نغم):

أنا هذا وأنت في القبر ثاو لا شقاء ولا لهيب شكاة
كنت مثلي تضيق بالعالم الرحب وتهفو مسعر النفثات
كنت مثلي تعيش في عالم الروح ولكن بالدمع والحسرات
أين مني أنت وأين أنا اليوم كلانا في عالم الأموات
أنا سر في عالم الغيب مستعص عن الفهم جوهراً وصفات
أنا معنى مغلف في ضمير الدهر مستغلق لكل حصاة
أنا همس يذوب في صخب الأيام لو تسمع النهى كلماتي
أنا ناي السماء أنكره الفن فأضحى معطل النبرات
أنا في مهجة الشقي جراحات أفاقت مع الضنى داميات
أنا زهر يرف في الصخر ظمآن وري الزهور من عبراتي
أنا من يجحد الجمال مغانيه وروح الجمال من نفثاتي
أنا طهر يشع في معبد الحب ويحبو القلوب بالرحمات
أنا فوق النهى فلم يدرك العقل مداي فحار في معجزاتي
قد تساميت في مدارج روحي في ضياء الآله أفرغت ذاتي

ومثلما نجد التجاني يهيم ببنات عيسى في حي المسالمة بأُم درمان، وبالجمال الأجنبي، نجد لطفي يهدي ديوانه «بقايا نغم» إليهن، في مقطوعة من شعر التفعيلة، هي الوحيدة في شكلها الشعري في الديوان:

إليك يا ابنة عيسى

أنتِ يا من يفيض في صدرك البض جلال الصليب نوراً عليا

لك مني هذا الذي بين كفيك خفوق بحبك المفقود

نغم ضاع في مجاهل دنياك هياما

وجف إلا بقايا فاذكريني بها

فيا رب ذكراك تعيد المفقود من دنياي

من أمان اترعت منها شبابي

وفي قصيدة بعنوان (ذات الصليب) يهيم بإيفون:

إيه إيفون والملاحة تفـتر كهالـة البـدر منـك

نعم هذا الصليب في صدرك البض وجل المسيح في عينيك

الهوى والشباب رنا نديين كحلمـين عابثـين علـيك

وأنا لو علمت في الليل وحدي نفس ضيق وحرقة ضنـك

أتلقاك في الخيال كأنـي أتلقـى المسيـح بين يديـك

وفي قصيدة بعنوان (البولندية الحسناء) يهيم بهيدا:

أبيت الليل مشتاقاً وأرعـى نجـمه سهـدا

فجفن ما انثنى غمضاً وقلب ما خبا وجـدا

هنا الحب لهيب من جوى الأنفاس لا يهدا

ألا أفديك يا هيدا وافـدي فيـك بولنـدا

بل ويحمل لطفي هذه الذكريات الشعرية إلى وطنه، كما تعبر هـذه الأبيات من قصيـدة كتبهـا الشـاعر في زيارتـه لمدينـة بخت الرضـا التعليميـة بالسـودان، في الستينات، عندما عاد إليها، وضمها إلى ديوانه الثاني (على الدرب الأخضر)(٢):

وعدت لوحدي بصمت إنطوائي إلى النيل اهريق فيه اسايا

ولي فيه عهد شجي الغناء سرى نغمـا ضـاع إلا بقايـا

تغني الضفاف لقلبي الحزين أهازيج من ذكريـات صبايـا

هنا وهنا أي ذكـرى تثـار تجـول بـأطيافهـا مقلتايـا

وفي نفس هذا الديوان نقرأ قصيدتـه (رسـائل عتـاب منهـا)، الـتي يقـدم لهـا بقوله، إلى ذات الصليب، بعد خمسة أعوام من عام ١٩٤٩م:

اتركيني أمضي خيالاً شريداً في فجاج الذكرى ووادي الموت

مثقلات خطـاه عبـر الديـاجي... قيودهـا مـن صمـت

والفضـاء المديد ينفـر منه وهـو يشدو في تـيهه أين أنتِ؟

آه يا ليـت يا حبيـبة ما كنا ولا كنـت للهـوى أو كنت

وفي قصيدة أخرى بنفس الديوان، عنوانها (صوتها)، يقدم لها بقوله إلى ذات الصليب، بعد عام من ١٩٤٩م:

من بعيد

من فم الأمس الشريد

صوتها المحموم في الليل الوئيد

يا له أروع من حبي وإيماني العتيد

أي عمق أي أصداء باحساسي تميد

وحينا أخال أني إنما قرأت هذه القصـائد في ديـوان لطفـي الثـالث (ليـل إلى متى)(٣)، مما يدل على عمق التجربة العاطفية مع ذوات الصليب، سواء إيفـون، أو هيـدا، أو (نعمـات)، الفتـاة السـودانية القبطيـة، الـتي تيمـت بلطفـي، فلـم يبادلهـا

الشعور، وإن كان قد كتب فيها الشعر، كما يرى الناقد الأدبي اليمني، هشام علي بن علي(٤):

لا تثأري من فؤادي كفى بلدمعي ثارا

حسبي افتتاناً تجنيك نفرة وازورارا

آمنت بالحسن برداً وبالصبابة نارا

وبالمسيح ومن طاف حوله واستجارا

إيمان من يعبد الحسن في عيون النصارى

لكن أليست هذه الأبيات للتجاني يوسف بشير.. حقيقة لم أعد أذكر!

وعلى أي حال، فقد ضم (على الدرب الأخضر) قصائد أخرى من مجموعة لطفي من السودانيات، إذا جاز القول؛ مثل (حنين)، و(نجوى)، وهما رسالتا شوق لزوجته فوزية في عدن، كتبتا في الخرطوم، وبخت الرضا، عام ١٩٦١م، وضم (ليل إلى متى)، قصيدته (فوزية)، المكتوبة بالسودان، على ما يبدو.

ترى هل شهد ملتقى النيلين هذا الحب الجارف بين يمني وأوروبية في الأربعينات؟

وكثير في الواقع من شعر لطفي في السودان نشر خارج إطار دواوينه الثلاثة هذه، كما في المجلات والصحف، التي أشرنا لبعضها، وجزء كبير آخر لم ينشره قط، وإن كنا قد وقفنا عليه في زيارتنا لمدينة عدن، في شتاء عام ١٩٨٩م، وسنتعرض له في السطور المقبلة.

لكن ما يزال في (بقايا نغم) أشعار لا بد من الوقوف عندها، مثل قصيدة القيت في الحفل السياسي، الذي أقامه الطلبة بنادي اتحاد طلبة كلية غردون الجامعية بالخرطوم، بمناسبة سفر الوفد السوداني إلى مصر، كما ورد في تقديم قصيدة (بنت الوفد.. الحرية):

مصر بكت والظلم في أضلاعها أدمى وأورى

وتلفتت كالطير هام فضل في مسراه وكرا

وشكت خلافاً نال من حكامها قلباً وفكرا

وهفت إلى السودان قلباً يستفيض هوى وطهرا

كانت هي السودان والسودان كان لمصر مصرا

كذلك نتوقف عند قصيدة (بلا أمل)، التي هي ذكرى أيام بؤس، قضاها الشاعر مع صديقه السوداني الحميم الشاعر الفنان الطبيب المرحوم، محمد عثمان الجرتلي، والذي يردد لطفي، باستمرار، في أحاديثه الإذاعية والتلفزيونية، أنه كان قدوته الشعرية بالسودان"

زورق أنت في الوجود ولكن ضل ملاحك السبيل وتاها

صرعته الحياة فوارة الغي وألقته في الشقاء قواها

يقطع السير في فلاة العمر تعرى من الرخاء ثراها

خلفه الزورق المحطم والأمواج تلهو بنا تبقى ذراها

أنت ذاك الشريد في هذه الدنيا ولما عرفت فيها إتجاها

لقد أحب عدد من جهابذة الأدب السوداني لطفي، كالمرحوم ادريس جماع، والمرحوم محمد مهدي المجذوب، والعلامة عبد الله الطيب المجذوب، وظلوا يتسقطون أخباره، بعد عودته إلى عدن، في يناير ١٩٤٩م، حاملاً دبلوم التربية. ويجدر أن نذكر أن لطفي رسم وصمم غلاف «بقايا نغم»، بريشته الساحرة، بشكل يؤكد مذهبه الرومانسي في الفن.

يقول عملاق الأدب اليمني، الدكتور عبد العزيز المقالح(٥): «ومن المهم بعد ذلك، أن نلاحظ أن دراسة الشاعر بالسودان، وبالخرطوم خاصة، قد ساعدته على تكوين الوعي المبكر بأهمية الخروج على البناء التقليدي للقصيدة. وقد أتاحت له الدراسة بالخرطوم الإطلاع على نماذج من الأدب الإنجليزي. ومن المؤكد أنها قد ساعدته على الوقوف على آخر الأساليب في الكتابة الشعرية.

وقد كانت الصلات الثقافية بين القاهرة والخرطوم، في الأربعينات، أفضل منهـا، في أي وقت، كما تشير إلى ذلـك بعض الدراسـات الأدبية. وكـانت القصيـدة الـتي لاتستطيع أن تتنفس بملء حريتها في القاهرة، تجد في الخرطوم متنفساً أكبر في صدور الشباب المثقفين، وفي وسائل الإعلام والنشر المتاحة، وكـان شعراء الموجة الرومانسية يتراجعون على شواطيء المدينة المثلثة، ليأخذ مكانهم طلائع المد الواقعي».

ونستعرض، الآن، بعض شعر لطفي في السودان، غير المنشور في دواوينه، مثل قصيدة (المنتحرة)، وهي قصة درامية واقعية، لفتاة سودانية نشرتها لـه (الأفكار)(٦):

والريح تدوي بأنات مروعة ويملأ الجـو بالرمضـاء سافيهـا

وليلة كقتام البؤس حالكة تنفس الكـون قسـراً في دياجيهـا

جنت على غادة أودى بها سغب الفقر يدهمها واليأس يضنيها

وكم تمد إلى الأيام في مضض كفا ولكـنها لم تلـق معطيهـا

أتقحم الفسق تشقى في سعادته لتشبع النفس في دنيا ملاهيهـا

وقصيدة أخرى، بعنوان (أفكار مضطربة)، كتبها لطفي، وهو بمستشفى الخرطوم:

وأنا كالقفار يظلمها الغيث ويحنو عـلى الـربى والجنـان

ضامر يسلب التعلل أفكاري ويلهـو السقـام في جثمانـي

قد ذوى عودي النضير فتعساً لشباب يجـف قـبل الأوان

وإذا بالصديق ينكـر ودي ويجـازي الوفـاء بالنسـيان

أنا وحدي شقيت بعد نعيم لم يـدم في الحيـاة إلا ثوانـي

في ربى النيل في بساط من الزهـر بديـع منضـر الألـوان

طال شوقي إلى الديار وكم في القلب من نزعة إلى الأوطـان

حيث ألقى سماحة الأهل والجود وود الأصحاب والخـــلان

وأبي (جعفراً) سليل المعـــالي والعـــوالي وفخـــر آل أمـــان

كذلك نشرت «الأفكار» بعض المراسـلات الشعرية، بـين لطفـي والشـاعر اليمني السيد محمد عبده غانم، والذي كتب مقدمة (بقايا نغم). ومن ذلـك قصيـدة (غنني يا صاح غني)(٧)، التي أهداها غانم لطفي، ولحنهـا، وغناهـا موسـيقار تهامـة الفنان اليمني، جابر علي أحمد.

وفي قصيدة أخرى لغانم، كتبها عن السودان، بعنوان (في السبعين)(٨) يتذكر غانم مثل تلك الأواصر الأدبية، بينه وبـين لطفـي أمـان، والشـاعر اليمـني عبـد الله حمران، رحمة الله عليه، والذي عاش في السودان، أيضاً:

كم لصوت اليمن الشاعر في السودان شعر

بين حمران ولطفي كم لنا في النـــهر بحـــر

ويرى الناقد الأدبي اليمني، الأستاذ علوي عبد الله طـاهر(٩)، أن لطفـي قـد تأثر في قصيدته (على أرضنا بعد طول الكفاح)، المنشورة في ديوانه الخامس (إليكم يا أخوتي)(١٠)، بالشاعر السوداني محي الدين فارس، الذي يقول في قصيدة له:

لأول مرة

أحس أني حر وأن بلادي حرة

وقد أراد الأستاذ علوي عبد الله طاهر، قول لطفي:

لقد هب ردفان في ثورة يخلدها عيدنا الأكبر

وينثر فوق كل الجنوب ضياءً سخياً لأول مرة

بلادي حرة

لكن المدرس السـوداني بلـواء ذمـار اليمـني، الأسـتاذ عبـد الله كـرار محمـد خليل، قد قدم دراسة مشوقة، مقارناً فيهـا لطفـي بالتجـاني يوسـف بشـير، وأورد

على ذلك الشواهد من شعر لطفي، وشعر التجاني، الذي توفي عام ١٩٣٧م، عن سبعة وعشرين عاماً، فقط[١١].

ولطفي أمان هذا الشاعر الملهم، والمربي الأصيل، والفنان، رسماً، وعزفاً، وتلحيناً، والإنسان الإنسان، الذي ترك بصماته على الحركة الفكرية في اليمن، وعلى كل المرافق الثقافية، كالإذاعة والتلفزيون، وشعر الأغنية، السهل الممتنع، باللهجة المحلية العدنية، قد ملأ الدنيا، وشغل الناس في اليمن، فعلاً لا قولاً، ولكني حينما زرت مدينة عدن، عام ١٩٨٩م، عثرت في تلك الزيارة القصيرة على معلومات أخالها جديدة عن الرجل، رغم كل ما كتب عنه.

وجدت، أولاً، رسالة بخط لطفي، كتبت في بورتسودان، عام ١٩٤٦م، وجهها إلى أهله في عدن، يتحدث فيها عن مشاريعه الأدبية الطموحة، خلال بقائه بالسودان. وقد بدا الشاب، الذي كان يومئذ في الثامنة عشر من عمره القصير، غاية في الطموح. فذكر ديوانه المعد للطبع (بقايا نغم)،وذكر ديواناً آخراً أسماه (تغريده)، وهي مجموعة أشعاره. وقد عثرت، فيما بعد، على هذا الديوان النادر غير المنشور، بخط يده، فعلاً. وذكر كتاباً له بعنوان (همسة)، يعالج فيها المشاكل الأدبية والإجتماعية في عدن. وذكر قصة ضخمة له، بعنوان (حلم لم يعد)، يعالج فيها مشكلة الجنس والأخلاق. وذكر كتاباً ضخماً أسماه (مربي)، وضعه نثراً، فيما يبدو، عن التربية والتعليم. ومن بين كل هذه المؤلفات التي ذكر لطفي أن أكثرها جاهز للنشر لم أقف إلا على تغريدة، وها أنا أضع شعره عن السودان في (تغريدة) بين يدي المهتمين من القراء، وما أكثرهم في بلاد اليمن والسودان.

حسرة

إيه يا نيل أنى لي الألم الداوي بقلبي أمن حبيب نائي

أم تذكرت فيك صبره وحفلات فزجيت في رباك بكائي

وغريب أنا بأرضك يا نيل ولي فيك منيتي ورجائي

الوتر المحنون

* مهداة إلى الشاعر السوداني الراحل الأستاذ، أحمد محمد صالح.

يا منهل الشعر التليد وسابك العقد الفريـد

أدر الكؤوس فكلنا سكران من خمر النشيد

نهفو إليك كما هفا لحبـه قلـب العمـيد

السودان

* ألقيت في يوم السودان السياسي، في نادي اتحاد طلبة كلية غردون.

للمجد عرش أنت فيه لواء والشعب حولك فرحة وغناء

أفديك يا سودان أنى تفتدى ويهون فيك من الشباب فداء

أبصرت يا سودان فيك بطولة برزت فشد زمامها البسلاء

فهفا لك التاريخ حتى خلدت صفحاته ذكراك وهي عزاء

ومن سودانيات لطفي في (تغريـدة)، قصيـدة (عـدن)، الـتي يهديهـا إلى مـن أسماه بصديق العدنيين الشاعر السوداني عمران العـاقب، وقصيـدة (علـى الرمـال)، وهي من ذكريات الخرطوم، وقصيدة (لوعة)، وقصيدة (المنيـة الشـاردة)، وقصيـدة أخرى، بعنوان (على أرض الجزيرة)، سلمني إياها زميل دراستي أخي حليم وحلمي أمان، وتعود إلى نفس تلك الفترة زمنياً:

أرض الجزيرة أنت روض باسم وأنا بروضك بلبل يترنم

والقطن ينعس في الحقول كأنه شيخ يذكر بالشباب ويحلم

والجزيرة هـذه تقـع في الإقليـم الأوسـط مـن السـودان بـين النيلـين الأبيـض والأزرق، وتشتهر بزراعة القطن.

وفي عدن، واصل لطفي حفاوته بكل ريـح تهـب مـن جنـوب وادي النيـل، فكان يدندن لأصدقائه بالأنغام السودانية. وقد كتـب قصـة عـن السـودان بعنـوان (لقاء في القطار)، بثتها إذاعة عدن [الراوي محمد باب ا لله عبد الوهاب].

وختاماً، فإنه شبه آخر بين لطفي، والتجاني، والشابي، والمهندس، وكيتس، وشيلي، وبيرون، هو النبوغ المبكّر، والرحيل المبكر، أيضـاً. وكـأني بلطفـي يبكـي نفسه «الملاماتية» في قصيدة (الصوفي المعذب):

أنا إن مت فالتمسني حيًا في ثنايا السطـــور من أبياتـــي

أنا إن مت فالتمسني في كـــل فؤاد معـــذب الآهـــات

فاعذرني إذا قصرت يا لطفي، فيكفي أنك لطفي أمان.

---

(١) لطفي جعفر امان، **بقايا نغم**، مطبعة فتاة الجزيرة، عدن، سبتمبر ١٩٤٨م.

(٢) لطفي جعفر أمان، **على الدرب الأخضر**، دار المعارف، بمصر، ١٩٦٢م.

(٣) لطفي جعفر أمان، **ليل إلى متى**، المكتب التجاري، بيروت، اكتوبر ١٩٦٤م.

(٤) لطفي جعفر أمان، علي حفريات النسيان: قراءة في ديوان بقايا نغم، مجلة **الحكمة** (عدن)، العددان ٨ و ٩ لعام ١٩٩٢م، عدد رقم متسلسل ١٩٤.

(٥) الدكتور عبد العزيز المقالح، **من البيت إلى القصيدة: دراسة في شعر اليمن الجديد**، دار الآداب، ببيروت، ١٩٨٣م.

(٦) **الأفكار** (عدن) عدد يونيو ١٩٤٧م.

(٧) الدكتور محمد عبده غانم، **الموجة السادسة**، دار آزال بيروت، ١٩٨٥م.

(٨) المصدر نفسه

(٩) علوي عبد الله طاهر، **لطفي أمان دراسة وتاريخ**، مؤسسة ١٤ اكتوبر، عدن، ١٩٨١م.

(١٠) لطفي جعفر أمان، **اليكم يا اخوتي**، المكتب التجاري، بيروت، يوليو ١٩٦٩م.

(١١) عبد الله كرار محمد خليل، لطفي جعفر أمان بين عدن والخرطوم، **الثورة** (صنعاء) ١٥ ابريل ١٩٩٤م.

مبارك آدم الهادي

دبلوماسي سوداني، عمل سفيراً للخرطوم في صنعاء، وهو شقيق للشاعر السوداني المبدع، الهادي آدم، الذي لحن الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب (ت ١٩٩١م) قصيدته (أغداً ألقاك)، وغنتها المطربة الخالدة (أم كلثوم).

ويعود تاريخ هذه القصيدة التالية إلى الستينات، عندما استعرت حرب التحرير في جنوب اليمن ضد المستعمر البريطاني. ففي الصحافة أعلنت لجنة تحرير الجنوب العربي أن القوات البريطانية ألقت من الطائرات أقلام حبر وصناديق حلوى في مناطق الثوار في ردفان والضالع، الخ، وأن هذه المواد تحمل متفجرات قتلت عدداً من الأطفال الأبرياء، الذين التقطوا أقلام الحبر والحلوى ببراءة:

أطفال ردفان

ردفان لا تلين للغزاة

ردفان قلعة يموت عند بابها الصلف

ماذا تريد أيها السفاح فوق أرض (باشماخ)

القوم يرفعون راية النضال والشرف

ردفان قلعة تنطحها الوعول

تمور بالحميم والبترول واللهب

تذوب في اتونها الأقلام والحلواء

وينشوي من غيظها الغزاة

ردفان مثل حضرموت والثمير للعرب

نعمان طفل ليس يدرك الخداع

لكنه شجاع

نعمان رغم الجوع ثائر صغير

ومثل كل حر عنده ضمير

فالجوع عنده سلاح

يذوق طعم العيش في حلاوة النضال

يا أيها الدخيل سارق الحياة

يا قاتل الضمير بالقلم

العلم من أقلامكم ترف

ويل لكم من غضبة الثوار في ردفان

وهبّة الرجال في بيحان

سلاحهم هناك شعلة الإيمان

والأمل

ويرفعون راية النضال يزأرون

وليس ما يثنيهم سوى المنون والشهادة

فالحرب يا دخيل مسرح العرب

والغدر شيمة الجبان

ماذا جنى نعمان كي يموت بالخداع

يا أيها الشجاع

ماذا جنى الأطفال يؤدون في قارعة الطريق؟

لو كان (جوني) يعبر الطريق في (كارديف)

ويمضغ الحلوى بلا اكتراث

فهل رضيت أن يموت ميتة الطيور؟

أن يحتضن المنون في قلم

ويسلم المصير للأنين والألم؟

ماذا جنى نعمان كي يموت دونما وداع؟

يا أيها الشجاع

وما تروم بالخداع أيها المغوار

يا قاتل الأطفال في النهار

لو كان (جوني) رافلاً في حلة البهاء

ويمضغ الحلوى بغير ما اكتراث

قد صنعت من الدماء من طعام الأبرياء

ويدرس العلوم في رواق (اكسفورد)

فانما نعمان يمضغ الشظف

ويأكل الرصاص واللغم

ويدرس الجهاد والبطولة الصمَّاء

من قبل أن يخط بالقلم

تباً لكم يا ناشري الحضارة المعبأة

وباعثي الحتوف والألم

نعمان مرحباً نلقاك بين الثائرين

فالمجد في ردفان أو ربى شمسان

والنصر في يافا وفي عمان

النصر كل النصر يا نعمان للثوار.. للعرب

سبتمبر ١٩٦٤م

د. مبارك حسن الخليفة

شاعر سوداني محلق، يقيم بعدن، منـذ سبتمبر ١٩٧٧م، مـع أفـراد أُسـرته، الذين عشقوا بـلاد اليمـن وأهلهـا، أُسوة بـأبيهم. عمـل بـالتدريس الجـامعي للغـة العربية، بكلية التربية بجامعة عدن، ومازال، وتقلد رئاسة قسـم اللغـة العربيـة فيهـا. كما صدر له ديوان (الرحيـل النبيـل)(١)، عـام ١٩٨١م، في عـدن، والـذي حـوى عدداً من قصائده المكتوبة باليمن. والقضية، في الحقيقة، في مقام الحديـث الصـادق والأمين على الرجل ليس في مكانته في الأدب السـوماني، وإنمـا، وكمـا سيلاحظ القارىء العزيز، الحديث في الأدب السوماني لا يكتمل بدون الوقـوف طويـلاً مـع اسهامات مبارك حسن الخليفـة، شـاعراً، وأديبـاً، ومعلمـاً، مـن الطـراز الأول مـن رجال التربية اليوم في اليمن. ولعل الرفض الجماهـيري الواضـح لمحاولـة إنهـاء عقـد عمله مع جامعة عدن، بانتهاء عام الدراسـة ٩٣ ـ ١٩٩٤م، يشـير، بوضـوح، إلى محبة الأجيال هناك لهذا المدرس المتميز. ويشير كذلك إلى أهمية موقعه من المعارضة السودانية اليسارية، المقيمة باليمن، مناوئة لنظام حكـم الرئيـس السـوداني، الفريـق عمر حسن البشير.. والتي قدمت لها السلطة في جنوب اليمن، فيمـا مضـى الدعـم والمؤازرة.

لقد اندمج الخليفة في مجتمع عدن، اندماجاً دعى أحـد الصحفيـين اليمنيـين، واسمه أحمد عبد الرب، في صحيفة (الميثاق) الصنعانية، إلى الكتابة الجارحة لشخص الخليفة، ولسوف ننشر هذه المقالة الفظة، في الصفحات المقبلة.

قدم الخليفة في عدن البرامج الإذاعية، وطبعت لـه هنـاك الكتيبـات التربويـة، ونشرت له صحف ومجلات اليمن القصائد والدراسات الأكاديمية، التي تمحور جزء

منها في المقارنة بين المبدعين في اليمن والسودان، ولحن له الفنانون اليمنيون الأغنيات العذبة، كما سنرى في الفصل الخامس من هذا السِفر. ومن أهم آرائه النقدية في الأدب اليمني أنه يرى بأن الشاعر السيؤني الراحل، حسن بن عبيد الله السقاف، صاحب ديوان (ولائد الساحل)، كان أول من كتب شعر التفعيلة باللغة العربية، على المستوى العربي، وذلك في قصيدته (درب السيف)(٢).

ومن مقارناته الشيقة بين المبدعين اليمنيين والسودانيين، مقارنته بين الشاعر الحضرمي، صالح الحامد، والشاعر السوداني حمزة الملك طمبل، لكونهما رائدا التجديد في الأدبين اليمني والسوداني. ومقارنة أخرى بين الفنان اليمني الشاعر، أحمد فضل القمندار (ت ١٩٤٣م)، والفنان السوداني الشاعر، خليل فرح.

ولقد زار الخليفة أكثر بلاد جنوب اليمن، فكتب الشعر في الغيضة بالمهرة، كما كتبه في الجمل.. سفينة الصحراء في الشيخ عثمان. كما درس النظام التربوي اليمني في حضرموت، من زاوية تأثره بالمنهج السوداني، كما جاء في الفصل الثالث من السِفر هذا. وقد استوقفه في حضرموت شعر الدان، فمضى يساجل به شعراء حضرموت، كالمبدع الراحل، محمد عبد القادر بامطرف، والسياسي اليمني، الأديب الدكتور سالم عمر بكير(٣):

مبارك: وذكرني مرابي العشق قلي عنها في السودان يا صاحبي أو في الساحل القبلي وايش أخبار سالم عندما عاش في السودان.

سالم بكير: بلية العشق يا مبارك ونا من سمح به مبلي
وكم ليله في أُم درمان خلتني فقد عقلي
مبارك: ولأجل العشق بانغني على ذكر الهوى المضني
ومن أجل الهوى بنزرع وعاذكراه بانجني
ومن سيئون بانسرح وبانضوي إلى أُم درمان
سمعت (الدان) والحانه أسر قلبي ملك عقلي

ولا في النيل و(الوادي) متيم في الهوى مثلي

نعم، هكذا صار الخليفة شاعراً عامياً يمنياً، يساجل شعراء حضرموت، على أوزان الدان الحضرمي!

كذلك كتب الخليفة الكثير عن شعر لطفي جعفر أمان، الشاعر اليمني الراحل، والذي درس في السودان. وأصبحت كتابات الخليفة مادة دسمة للنقاد في اليمن، ومن ذلك ما كتبه الأستاذ محمد خليل معتوق، في مجلة (الحكمة) اليمنية، عن ديوان (الرحيل النبيل).

وسوف نحاول استعراض ما كتبه الخليفة من نثر عن اليمن، ومن شعر متناثر، بين ديوانه المطبوع (الرحيل النبيل)، والمعد للطبع: (ولكني أسير هواك).

الحلم والذاكرة

* مهداة إلى روح الصديق، عباس الأمين بابكر، مدرس الفلسفة في عدن.

أين تبيت الليلة يا عباس

في رعشة أهداب (نضال)

أم في حدقات (أمين)

أم في ذاكرة بيضاء (لأيمن)

أم تحضن ضحكات تضفرها (نبراس) إكليلاً من نور

أغلى ما في الكون الإنسان

هذا (مجلس قات) يدعوك تتفيأ فيه ظلال الراحة

و(الدار) الحضن الدافىء لون الوطن نسيم النيل حكايات الغربة

حب ودموع وأمل

ارحمني يا (عمر الجاوي) من هذا الحب الغامر*

عيناك تحدرتا دمعاً آسر

فأنساب من عيني دموع الوجد القاتل

ارحمني يكفيني أن أبني معكم وطنا

قلدني من فيض الشعب مآثر

* عمر الجاوي: ناقد أدبي يمني مرموق، وزعيم حزب التجمع الوحدوي اليمني. وقد شغل، لمدة طويلة، منصب رئيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

الابحار والمرسى

أتيت يا عدن

يحملني على جناح الشوق طائر الزمن

يلس في شعوري الحزين كلمتين عن وطن

تركته وفي الفؤاد جمرة الحزن

وكلمتين عن زمن

ألبسني في ميعة الصبا كفن

وكلمتين عنك يا مدينة تعمدت بالنار والدخان والشجن

أتيت يا عدن

فتحت لي بوابة الزمن

قد آن يا عدن أن أستجم ساعة

وأنفض الغبار والاعياء عن كاهلي

وأبدأ الحياة من جديد

عدن / ديسمبر ١٩٧٧م

ما اخترت الغربة يا وطني

ما اخترت الغربة يا وطني

ما اخترت المنفى

وشهيدي أحياء بين أزقتها الربداء

عرفت الحب الناس البرد الصيفا

كانت قد حضنتني ألفاً وعشقت هواها ألفا

لكن حين همست ابحر ماذا ما جدوى أن تسألني

وحقيبتك ارتفعت سكنت كتفا

والنيل شهيدي حين دلفت مساء أعتم قلت أُسافر

قال: وما جدوى أن تسألني إني ألمح في عينيك المرفا

في البدء كان النيل

في البدء كان النيل وكنت نطفة تخلقت على يديه

وصرت مضغة تدحرجت على شطيه ثم استويت ها أنا بشر

تجمعت سحائب الخريف دمدمي دار عدن وأشعلي البروق

ذوبي القتام في الدجى روافداً روافدا

وحركي رياحك الهوجاء تدفع الأمواج

تغمر الصحارى تدرك الظماء والجياع

وليحتدم ما بيننا الصراع

عدن ـ أديس أبابا / ديسمبر ١٩٨٧م ـ يناير ١٩٨٨م

عدن الجميلة

صافحتها ودعتها وتركتها فوجدتها تمشي معي

عدن الجميلة يا لسعدي

عدن الجميلة لم تصبها دهشة لما رأت

دمعاً تسلسل من شفاة القادمين إلى المطار

عدن الجميلة صافحتهم

عدن الجميلة قبلتهم

هذي ديارك يا عدن مدي يديك

فلقد مددت يد المحبة والبشارة

النيل باركنا وعودنا والهمنا التوحد والجسارة

الخرطوم / أغسطس ١٩٨٥م

لماذا ارتحلت قبيل الصباح

* مرثية للشاعر والفنان اليمني الراحل، عبد الله الدويلة.

أكان رحيلك عنا اختيارا

أكان رحيلك عنا اقتدارا

أكان رحيلك عنا.. جسارة

لماذا نويت الرحيل

وكنت أمامي تجلس

ربوة عشق يفوح شذاها

يعطر نفسي بالأمنيات

وكانت تراقص فوق جبينك ـ زهوا ـ

ظلال التألق والذكريات

لماذا نويت الرحيل

وكنت أمامي تجلس

جيل الولادة جيل العطاء

وتحكي وتذكر توق المرافىء للعائدين

وبوح السواحل للعابرين

أكان عليَّ انتظارك حتى تقول الوداع

أكان عليك التشبث بي لتهمس في أذني الوداع

وتصرخ أن الأماني قناع

وأن التأسي خداع

لماذا ارتحلت قبيل انبلاج الصباح

لأن الصباح ارتياب

وفيه الأماني سراب

لأن الظلام يخبي سود الجراح

لماذا ارتحلت

لماذا ارتحلت

شوق وعناق

أبعد الشيب يلبسني التصابي وأنسى عند عينيك اكتآبي

وأنسى لحظة أني شريد وأنسى لحظة حزن اغترابي

وأنسى الفجر حين بدا كذوباً وأنسى الليل مكتئب الإهاب

وأنسى كل موماة فلاة أرقت على مفازتها شبابي

أهذا كله لك يا مكلا فما أبقيت للغيد الكعاب

وما أبقيت للخرطوم أمي مغربتي ويحزنها اغترابي

وما أبقيت لأم درمان تشكو لموج النيل تحلم بالإياب

وجاء الفجر وضاحاً صدوقاً ووشى بالسنا خضر الروابي

وذرذر في عيوني خيط نور فما عادت تكحل بالضباب

وحر شياتك اغتسلت ومدت أياديها لتغسل كل ما بي

فهذي الغربة الشوهاء ظلت تدنس كل يوم من ثيابي

وحصنك صار لي حصناً منيعاً وحرزاً من معاودة العذاب

وفي سيئون عانقني نخيل وذكرني عناقاً في بلادي

وهدهدني بسعفات رقاق فمس محاجري خدر السهاد

غفت عيني وكم سهدت زماناً فنمت على الأثير من المهاد

مهاد صيغ من نور مذاب تسرب في سويداء الفؤاد

تسرب في مسام الريح لما أقلتني إلى رؤيا بلادي

وها قد عدت يا سيئون فجراً وكان الضوء يمسك بالقياد

وصافحني ابتسام من شبام فما جدوى التصافح بالأيادي

وضمَّتني تريم وكم أعاني من الحرمان من فقد الوداد

فيا نفس امتحي من كل نبع وإن لم ترتو فلتستزيدي

أنست اليوم أني بين أهلي نفوس الناس مشرقة شهودي

وتجمعنا وإياكم أمان نسجناها على مر العهود

ويجمعنا وإياكم مسار تمثل في شبا القلم الرشيد

ألا يا حضرموت وكنتِ نجماً تألق في سما اليمن السعيد

لأنت اليوم شمس من سناها تشع معالم اليمن الجديد

مضى يا حضرموت زمان قهر تكسرت القيود على القيود

فغردت المشاعر في الحنايا وهللت الأباطح بالسعود

فيا يمن التوحد عشت حراً ويا فتن التمزق لن تعودي

عدن / مايو ١٩٨٢م

ونتوقف، الآن، عند هجوم **الصحفي اليمني، أحمد** عبد الرب، من صحيفة (الميثاق)، على الخليفة، بعد أن أجرت معه صحيفة (المستقبل) حواراً صحفياً: (الحوار الفطن الذي أجراه زميلنا ابراهيم سعيد سالم مع الشاعر مبارك حسن خليفة يؤكد حسن طوية المحاور، لأن الشاعر مبارك حسن خليفة تجنس بالجنسية اليمنية، منذ سنوات طويلة، والمعلومات معروفة في الصحيفة، لأن محمد أحمد الشيباني، صاحب الإمتياز إسمياً، افصح عن ذلك أمام الجميع، ومن غير مواربة، والشاعر المذكور صاحب ديوان «الرحيل النبيل» لم يكن رحيله من السودان نبيلاً، لأنه منح عقد بحق الانتفاع بالبيت الجميل الذي يسكنه في خورمكسر، وهنا تجيء «مروا» الإشتراكية لا غبار عليها، لأنها منحت باسم ملايين الشغيلة، وباسم قائد الحزب الطليعي. ولأن حياة الشعراء ليست ملكاً لهم، لذلك يخوض الناس في تفاصيلها الدقيقة، فالشاعر الدكتور مبارك حسن خليفة فصله الدكتور العمودي من الجامعة، العام قبل الفائت، وحسب اللوائح، لأن الشاعر الكبير لم يكن يحمل دكتوراه، حتى السنة قبل الماضية، وابلغ الشاعر بقرار فصله، وهو بمصر، فما كان منه إلا أن رفع السماعة، واتصل بالأستاذ، مباشرة، الذي بدوره رفع السماعة، وقال: مروا الدكتور العمودي بارجاع المناضل السوداني استاذاً بالجامعة، ولا داعي للتمسك بالشكليات. وجاءت «مروا» الإشتراكية، هذه المرة، محطمة للوائح، وقواعد التعامل في دولة النظام والقانون، أكثر من «مروا» بصرف المال للقبائل، من أجل حقن الدماء، وانتقامات الثارات الفظة. تلك بعض جوانب حياة الشاعر الخفية، فحياة الشعراء الواقعيين تكون أشبه بكتاباتهم (والشبل من ذاك الأسد)، فلا غرو أن تأتي كتابات الشاعر، في هذا الزمن الرديء، بمثل تلك الضحالة، مثل قصيدته الأخيرة المنشورة على صفحات المستقبل كذلك.. هل أنا مصاب بالإيدز، رغم أني لم أمارس الجنس الحرام. كل أشعار الدكتور مبارك حسن الخليفة، في الفترة الأخيرة، لا تحمل جديداً، ولا تستشرف آمالاً، لأن

إمعانها الشديد في الواقعية يصور الحال الذي آله إليه الشاعر، مؤخراً، حال الإسترخاء، والقعود، والتكسب بماضي الشعوب وأحزابها التقدمية، الغارقة حتى أذنيها في الأحزان المالحة، والملاحقة المريرة، بينما ينعم هو هنا بحالة فريدة لم تتوقف عند حد اللجوء، بل تعدت ذلك إلى التجنس الخفي، حتى يصبح الشاعر شاعرين، والموقف موقفين، فهل استرسل فيما لا يعرف الناس والعزيزة المستقبل)؟!

خواطر عن الأمطار في عدن(٤)

بقلم: د. مبارك حسن الخليفة

وفي عدن، منذ أن حضنتني قبل أكثر من خمسة عشر عاماً، أحببت المطر، الذي ينزل رذاذاً لذيذاً، أو يزيد قليلاً، ولكن المطر، في الأسابيع الماضية، فعل بنا، سكان عدن، ما فعل أبو الخيرات ـ النيل ـ بالسودانيين، قبل سنوات. دخلت بيتي في حي الرشيد بخورمكسر، كميات كبيرة من مياه الأمطار، من خلال السقف، ومن تحت أساس إحدى الغرف، فغرق المنزل من الداخل، ثم أحاط الماء بالمنزل من الخارج، فأصبح جزيرة غير معزولة عن جزر حي الرشيد المجاورة، وانقطع التيار الكهربائي، فاضطررت إلى ترحيل أُسرتي، ونزل أفرادها ضيوفاً عند أُسرة سودانية كريمة مضيافة. في أول ليلة، بعد أن أطفأت الشمعة، شعرت بكثافة الظلام، كما لم أشعر بها من قبل، وتذكرت قصة حدثت للشاعر السوداني، التجاني يوسف بشير، المتوفي عام ١٩٣٦م، وأخرى للشاعر كمال الدين بن المبارك، وثالثة للشاعر الإنجليزي، كولردج، وتذكرت أسطراً من قصيدة كتبتها في إحدى دول الخليج [يريد دولة الامارات العربية المتحدة]:

الماء الماء

ملء خليج العرب الماء

قال لي أحد الأصدقاء: ما قصتك. في أحداث يناير، دخلت بيتك دبابة. في شهر فبراير دخل الماء بيتك، فامتلأ الشارع بين مكتب اليمدا ومحطة عبود. قلت له: اسأل السلامة من شهر مارس.

وكان أن دخلت زمن عدن الجميلة، ومهما حاولت الأحداث محو هذا الزمن الجميل، فلن تستطيع، فقد اختلط بدمي وأنفاسي وسكن حشاي. عدن الجميلة، هكذا سميتها، وأنا في الخرطوم، بعد رجوعي إلى الوطن، بعد غيبة طويلة، في إثر انتفاضة الشعب السوداني، في ابريل ١٩٨٥م، ورأيت عدن، بعين خيالي، تقف في المطار، تستقبلني، وتستقبل أهلي. وستبقى عدن جميلة، وسيعود بهاؤها، ما دام الإنسان فيها هو الانسان الذي عرفناه، خلقاً سمحاً، ومعاملة طيبة، وتواضعاً جماً، وغيرةً على اليمن، وعلى الشعب، ومكتسباته.

---

(١) مبارك حسن الخليفة، **الرحيل النبيل**، مؤسسة ١٤ اكتوبر، عدن ١٩٨١م.

(٢) حسن عبيد الله السقاف، **ولائد الساحل**، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٤٣م.

(٣) انظر كتيب (**ليالي الدان في الوداي وفي شمسان**).

(٤) مقتطفة بتصرف عن صحيفة (**ثغر اليمن**)، عدن، بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٩٣م.

مبارك المغربي

شاعر وفنان سوداني مبدع، حوت أشعاره عـدة دواويـن، وغنـت بكلماتـه حنـاجر المطربـين. تـوفي في الخرطـوم، منـذ سنوات، بعـد حيـاة حافلـة بالنشــاط الفكري.

وفي أثناء زيارة الشاعر والمناضل اليمـني الكبـير، محمـد محمـود الزبـيري، إلى مدينة ود مدني، بوسط السودان، وفي الإحتفال الذي أقيم هناك بهـذه الزيـارة، في حضور شيخ اليمانية بود مدني، المرحوم يحيى حسين الشرفي، ألقى المغربي قصيدته (أمل العروبة)، مرحباً بالزبيري، الذي كان رئيسـاً للإتحـاد اليمـني بمصـر، في ذلـك الوقت، من منتصف الخمسينات. وقد ألقى الزبيري قصيدة له، شـاكراً السـودانيين على كرم ضيافتهم، لكن قصيدته هذه لم أقـف عليهـا، حتـى اليـوم. وقـد نشـرت قصيدة (أمل العروبة) في ديوان (عصارة قلب)، للمغربي[1]. يقول المغربي، في هـذا الإحتفال، الذي تم بحدائق المديرية بمدني:

داعي العروبة والإسلام نادانا في محفل جاء بالإخلاص مــــزدانا

وهل يرد نداء كله أمـــل في مجد قـــوم تواروا عـــنه أزمــانا

يا شاعر القوم غرد هاهنا طرباً ونسِّق الشـــعر أنغاماً وألحـــانا

هذي الوجوه بما تحويه من أدب جم قد ابتهجت بالفضل مذ بانا

فذلك الرجل الموهـــوب جانبه قد طبـــق الجو آداباً وعـــرفانا

سعى لرفعة أهل الضاد محتملاً في نصرة الحق تشريداً وطغيـــانا

وراح يقتحم الأقطار تكلوه رعاية الله رحب الصدر جــذلانا

حتى أقام بمصر كي يقيم لنا من قوة الدين والإسلام بنيـــــانا

يا أيها الشاعر الفياض خاطره أتاك بالشعر حادي القوم نشوانـا

لقد دعيت لكي يحظى بكم أدبي ولن يطيق فتى الآداب عصيانا

إن لم تكن بيننا من قبل معرفة ولم تنل مهجتي من ودكم شـــانا

فقد يفيض شعور النفس ان تليت مآثر الحمد فيمن فاض احسانا

لقد سمعت بكم من نخبة جمعت أسمى الفضائل أشياخاً وفتيـــانا

لقد سمعت عن العدل الذي شهدت به بلادكم إذ كنت ميزانـا

ولقد رأيت فزادت (...) وهل أُريد لذاك الفضـــــل برهـــانا

تكفيه نفـــس رعاها الله صـــادقة ترى المذلة والإذعان كـفرانا

يا أيها الزائر الراجي أُخوَّتـــنا لقـــد لقيت مع الاخوان اخوانا

ما أنت ضيف وان شطت مرابعنا عقد العــروبة حيـــنا وأدنانا

إن العروبة جسم لا انفصام له لا يعرف الجسم أجناساً وأوطانا

إن جئت دجلة قد شاهدت ليبية أو زرت نجداً فقد حييت لبنانا

وان دعاك الهوى يوماً إلى يمن فقد نزلت بها مصراً وســـودانا

لقد قدمت ودنيانا قد ابتسمت بعد الشقاء ودنياكم كدنيانـــا

لقد قدمت ووادي النيل مندفع والروض مزدهر روحاً وريحـــانا

لقد قدمت وهذا الشـــعب يدفعـه إلى العلاء نداء صار ايمـــانا

فالمح فديتك نوراً ظل مرتقباً دهراً وفـــجراً بدا في الأفـق فتانا

وخبِّر القـــوم انا ها هنا نفر لا نبتغي غير مجد العرب اعلانـــا

ان قام للبـــذل في الأرواح داعية جئنـــا إليه زرافـــات ووحدانا

هيهات أن يفسد الباغون وحدتنا إذا وقفنا تجـــاه الحق اخـــوانا

---

(١) مبارك المغربي، **عصارة قلب**، طبعة ثانية، مطابع وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٨م.

مجاهد محمد العشماوي

هو الشاعر والصحفي المصري، مجاهد محمد مجاهد العشماوي، و«ابن النيل» لقبه. دفعته الغربة، سنين وسنين، عن مصر، فكتب فيها بالعامية المصرية، أحلى الشعر. شايع الزعيم جمال عبد الناصر، وما زال من أخلص تلاميذه.

ثم استقر باليمن، منذ سنوات، واكتسب جنسيتها، وكتب فيها شعراً فصيحاً، دعى النقاد إلى التنبه إليه كشاعر فصحى، أيضاً. وقد صدر له ديوان، مؤخراً، من احدى المطابع العدنية.

كتب القصيدة التالية بين السودان واليمن، بعنوان (في رثاء حبيبة لم تمت):

وتسمرت قدماي عند الشاطيء الموعود بالفيضان والبشرى

كأني سوف ألقاها أُراقب سعيها نحوي كعادتها أُناديها

يذكرني صدى صوتي بمشيتها بماضٍ مر كالحلم

ورحت أُسائل الأشياء من حولي لعل النيل يسمعني

ويشفع لي

رياح الحب هل ضاقت بموعدنا وهل نسيت

وفي طياتها محبوبتي اختبأت

فلم تأتِ الرياح بها ولن يأتي

وهذا النيل هل يدري

فراح النيل من وجع يعاتبني

الام الحزن يا ولدي

ألم تك أنت قاتلها وخائن عهدها الأبدي؟

صحيح كنت قاتلها وخائن عهدها الأبدي

وقد باتت معذبتي لأمر لم يكن بيدي

ورحت ودمعتي الحرى على خدي

من السودان لليمن

وقاتلة هي الأحلام لو غربت

فلا كنا ولا كانت ولا عشنا على أمل ولا عاشت

مسافات بلون الليل مظلمة ترافقنا

صباحات تعذبنا وتوجعنا وترجعنا إلى ويل المسافات

فيا دفء المسافات التي رحلت

هل المحبوبة انتحرت؟

جنون الحب هل في البعد عاودها ومن أشواكه اقتربت

ومن في البعد راودها ليضنيها وقد أضنيتها قبلا

وساقتني عواطف خلتها قدرا

وهل قدر.. بلا حب.. بلا وطن.. بلا أمل

يسمى هكذا قدرا

إبريل ١٩٩١م

مجتبى عبد الله

شاعر سوداني اشتغل، مؤخراً، بالتدريس، في اليمن. توفي عامنا هذا (١٩٩٤)م.

المرأة التي ضاعت في الظلام قبل أن أعشقها

أيتها المرأة المعشوقة العاشقة

أيتها المرأة المستجيرة من رهن عشاقها

بالهروب تجاه مدائنها الباسقة

أيا إمرأة من نبيذ القوافي سكرت

ومن غنج الصافنات انفلقت

ومن سهر العاشقين القدامى

واتحدت بفعل التماسك ضد شروط السقوط بريح الخزامى

واغتسلت على واجهات المنازل بين الأزقة

فوق خطوط عبور المشاة بدمع اليتامى

أُدافع عنك أمام المحاكم

ضد جميع صنوف التجاوز والإغتصاب

وأدرأ عنك فضول الوعامى

وحمى الإبتزاز الرخيص

وكل احتواء مراهق

وأُعلن فيك انطفاء دماي وعمق جذور العلائق

إليك يحن دمي ويقتلني في هواك لهيب الحرائق

محاسن عبد الله الحواتي

صحفية يمنية شابة، ولدت بالسودان، لأب يمني وأُم سودانية. وهي شقيقة الشاعر يوسف عبد الله الحواتي. كتبت لأكثر الصحف والمجلات اليمنية، واهتمت بقضايا المهاجرين اليمنيين في الخارج، على وجه العموم. تخرجت من كلية الآداب بجامعة صنعاء، وكتبت القصة، والقصيدة، والمقالة النثرية. وقفت على قصة لهامن وحي فترة حياتها بالسودان، ثم فقدتها. يلاحظ في شعرها، المنشور أدناه، التطور المطرد في فن الكتابة.

العودة والترحال

مسافات ستجمعنا وآهات ستجمعنا وصبح طيب الإشراق يجمعنا

فراق منك أدمى القلب وشوق فيك يدفعني إلى الترحال والعودة

فيا وطني ويا حباً له في القلب أنشودة

رجعت أنا وعدت أنا سلام الله يا وطني

إلى المدينة التي عشقتها

هجرتك بعد حبي

وخفت من عينيك تظلمني

وكان قدري أن أُهاجر أن أُغادر

وأطوي قدماي في وسط الطريق

تترمل الآمال في قلبي ويدفنها الأسى

هجرتك كي أُحبك وحبك لا يزال

مقاطع

صبر

تعب تبدو وفي عينيك حزن

ما لقلبك في الهوى هرم

بخيل لا يجود ولا يمن

قلما طاوعت دربك أو صمت.. ما دهاك

وأنت تعلم ما رميت

هل أظل على يقيني

أم تراك هدمت صبري

* * * *

يقتاتك زمن آت

يرحل فيك وعبرك زمن ولى

وحاضرك المقتول أنا

يتداعى عبر المد وفوق الجسر

جرح

كبرياء من نبع دفاق

يعتصر الشوق ولع في غيرك هدى

ألق في منسيات عهودك القادمات

* * * *

كانت المدن ملونة

وكان لونها تمازجاً جميلاً

وكان عطرها أخاذاً كنفحة الجنان

وكانت الحياة مشرقة

والعيون لامعة

والقلوب عامرة

وقتها كنا نمتلك الحلم

وقدرة على الوفاء

أغنية اليوم الأول

لا تسلني إذا حان السؤال

فأنا الطلاسم والإنتقال

أنا بقايا الزمان تركني الزمان إلى زماني وشد الرحال

قيد على الساعدين وقلب يندب حظ سقيم

رماد الأكفة فتات الزهور حروف الأحاجي

تحكي إلي تحكي تقول

ولدت غريباً بذرة فول

تنادي خلف المطر وتلهث خلف الرذاذ

ظمأى جذور أين أنا

وأين الحقول

لا فصل يزيل الشقاء ولا ماء سيسقي الحقول

لا ريح الجنوب ولا الشمال

صغيرة واد فقير فكل عذاب عليك حرام

وكل كلام يعني انتقام

أردت الحياة حياتك لون الحياة

حشوة عيني من نعاس

وذاكرتي دفتر يوم عريق

عرفت البراءة في الهوى وسر الحقيقة في الخيال

لذا لا عشت غريب الدار

فلا كهف يمنى ولا كهف يسار

ستروي حروفي إليك الكثير

أنا عالم يوم جديد يسابق عمر الزمن

يكابد كل رثاء بعيد

أتيت وكلي شموخ

أتيت من حيث لا أدري أتيت

لكنني أتيت

إذا حان السؤال فلا غرابة

يجيء في هدوء يجيء في رتابة

أو حتى كزمجرة السحابة

لا تسألوني سيوفي الزمان يوم ويومي بالإجابة

قوليها

قوليها قوليها يا حلوة العينين قوليها

مصوغة مصقولة كالعقد دليها

ارميها على قلبي على سمعي

في الآفاق والأجواء بل للورى ممزوجة بدمائك الحمراء

كلماتها تحنو عليك وتنثني حتى تقوليها

يا سبأية العينين يا حميرية يا عربية أنت

فلماذا لا تقوليها

في جبينك آلاف الروايات القديمة

وفيها ملايين الأساطير الحزينة

أنا لست منهم قد تعرفيني

سأنتظر حتى تقوليها

يا عسجدية التاريخ والتاريخ حاكي

دنوت قليلا منك فاسترخي وقوليها

قوليها يا أُمي مصوغة مصقولة يا بنتي

محمد أحمد الحداد

أديب يمني، كتب الابيات التالية ترحيباً بوفد أدبي سوداني زار صنعاء في يونيو ١٩٧٦ م.

أُدباء زارونا من السودان أنعم بهم من فتية اخوان

حملوا رسالة شعبهم في شعرهم وبطيه من روعة الألحان

إن الشعوب تسير في درب الإبا والشعر منبرها بكل زمان

ولنا باخوتنا روابط جمة بالدين بالتاريخ بالإيمان

لكم من اليمن الحبيب تحية تشدو بها الآفاق في الأوطان

ونيابة عن الوفد السوداني، رد الشاعر مصطفى طيب الاسماء محيياً اليمن بقوله:

لكم الشكر صفوة الاخوان من رفاق الآداب في السودان

نحن أنتم وأنتم الأصل فينا من قديم العصور والأزمان

من (بتعز) كصنوه من بني النيل وصنعاء كاختها (كردفان)

محمد باب الله عبد الوهاب

مدرس سوداني، استقر بجنوب اليمن، منذ الخمسينات، وتزوج من يمنية، من محافظة أبين. أشار إليه الزعيم اليمني، علي ناصر محمد، كواحد من أنشط الذين اشتغلوا بالنضال السياسي ضد الوجود الإنجليزي في جنوب اليمن(١)، إلى جانب «الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل». وتكررت الإشارة إليه في كتاب للأستاذ عبد المجيد القاضي(٢)، في أمر مشابه. ومنذ حضر باب الله إلى أبين، في عام ١٩٥٧م، لعب دوراً في تنشيط الحركة الرياضية، إلى جانب الرياضي، علي السوداني.

جلست إليه لأجمع مزيداً من المعلومات في العلاقات اليمنية، السودانية، لكن الرجل كان قد أدركته السن، فجاءت معلوماته مضللة في الحقيقة، ولا ننسى ما تعرض له من إصابة جسدية ونفسية، حينما حوسب، حساباً عسيراً، على ولائه للزعيم علي ناصر محمد، خلال معركة ١٣ يناير ١٩٨٦م، في عدن، واضطر لمغادرة جنوب اليمن إلى شماله، جريحاً مع أسرته.

على الصعيد الثقافي، كتب باب الله بعض الأغنيات التي غنيت في اليمن، وكتب شعراً قليلاً بالفصحى، كقوله يهاجم القات:

هلا عرفت القات والسمارا

وملأت جوفك من سعيره نارا

وكانت له على صفحات صحيفة (الأيام)، في عدن، مناقشات، مع الشاعر اليمني أحمد شريف الرفاعي، حول الشاعر السوداني محمد مفتاح الفيتوري. وفي

مجال القصة، قدم عدداً من القصص القصيرة على شكل شعر محلي لفرقة أبو أنيس للصيادين، في جزيرة صيره بعدن. **كذلك** قصة (بنقلة الشيطان)، بصحيفة (صوت العمال)، التي هاجم بها الحركة الماسونية بعدن، وقصة (قتلتها وهي حبلى)، في صحيفة (الأيام).

---

(١) مجلة (**النهج**) ـ ملحق (الثوري) عدد ٥٨٣٢ بتاريخ مايو ١٩٨٤م، عدن.

(٢) عبد المجيد عبد الله القاضي، **المنطقة الوسطى رفض وثورة**، عدن، دار الهمداني، ١٩٨٥م.

محمد مجذوب علي

شاعر سوداني، ذو شهرة في بلاد اليمن. درس بالسودان ومصر، وعمل في عدن في التدريس، منذ نوفمبر ١٩٦٠م، ولما يزل، حتى الآن، أستاذاً، لجيل بعد آخر... فلا يكاد ينافسه سوداني من الذين اشتغلوا بالتدريس في اليمن، من حيث مدة العمل، وجديته، وواسع أواصره بالأجيال المتداخله.

صدر شعره عن اليمن في ديوانه (قمري والمد والجزر)(١) ووقفت له على مراسلات أدبية شيقة مع الشاعر اليمني الراحل، لطفي جعفر أمان.. منها مقالة منشورة بعنوان (قلوبنا مع الدرب الأخضر). وتجلت آصرته بالمشتغلين في التدريس في اليمن في قصيدة (سنمار الجديد)، المهداة للمدرس اليمني، سمير محسن شيباني، والمدرس السوداني المتوفي بعدن (عباس الأمين).

أسهم أيما إسهام في أدب الأطفال اليمنيين، ونال الميدالية الذهبية والشهادة التقديرية، ولُقّب المعلم النموذجي، في عيد العلم، عام ١٩٨٤م. كرمته وزارة الثقافة واتحاد الفنانين اليمنيين الديمقراطيين، عام ١٩٨٥م، بنيله الميدالية والشهادة التقديرية، لمساهمته الأدبية في الحملة الشاملة لتصفية الأُمية، بجنوب اليمن.

من وحي نوفمبر

من ماء نهر النيل جئت مهاجراً وعلى ذرى شمسان مرسى ترحالي

عاشرت شعباً فيه طيبة موطني الوالدان هنا وعطف الخال

قاسمته حلو الحياة ومرها حالي كحاله حاله من حالي

شاهدت جيش الإنجليز أجل وذاك الشيخ والسلطان زهو الوالي

وأطل ردفان العظيم مزمجراً فإذا الأسود تصير مثل بغال
وأتتنا تخطر في اختيال جميلة حرية بالنار لا بنوال
نزعت ولكن بعد نهر من دم وجماجم الشهداء والأبطال
وتسلم الثوار في نوفمبر أمر البلاد بهمة ونضال
سلكوا الطريق الوعر رواداً وما خافوا من الأشواك والأوحال

المكلا

دهشة..مرحبا يا زول حبابك في المكلا
صاحب الدار رفيق حضرمي عاش في السودان أغلى عمره
درس الطب وبالعادات يدري
إن هذا حمج السودان ولكن في المكلا
عندما حل المساء ضمنا أحلى لقاء
«عزه في هواك عزه نحن الجبال
ولليخوض صفاك عزه نحن النبال»
رتل اللحن رفيق آخر من حضرموت
له في حنتوب أرقى الذكريات
هزنا الوجد فصرنا ثملين بارتشاف الشعر
والدان وألحان الحقيبة

المكلا / فبراير ١٩٨٧م

دودحية

دودحية آخر العنقود
صيغت من مياه النيل من بن اليمن
ولهذا كل ما فيها حسن

عدن / ١٩٨٦م

سنتياجو

وسلاماً أيها النيل ومهلا لا تمل وجهك عني

لا تعاتبني لأني

لك كل المجد والسؤدد وال...

لك ما يبقى من العمر وان يوماً فهل

لست أرجو منك شيئاً

غير كأس من رضا بك ثم لحد وكفن

عدن / ١٩٨٨م

للكعبة سد يحميها

جدران الكعبة داهمها أبرهة الأشرم والسيل

لتعود الجنة ثانية أكلا خمطا أثلا سدراً لتعود الهجرة والتفريق

عبثاً فالمؤمن لا يلدغ من جحر كذا مرة

والهجرة قد بلغت حداً «لا هجرة من بعد السد»

فالسد هنا شعب نجمه.. والكعبة ذي وطن نحميه

وجراح السيل نضمدها.. للأشرم طير ترميه

عدن / ١٩٨٢م

وداعاً وسلاماً

فوداعاً يا يمن بعدما قد عشت فيك ربع قرن يا يمن

ربع قرن في اليمن ربع قرن لليمن

يافعاً قد جئت مختاراً محباً فانخت العيس ألقيت العصا

طاب لي العيش فعشت وغزاني الشيب صادتني المحن

بيد أني يا يمن نلت منك الحب والتقدير لي صرت الوطن

فوداعاً يا يمن.. لست أهوى البعد لكن..

يفسد الماء بطول المكث حقاً حل في مائي الأسن

وسلاماً أيها النيل ومهلاً لا تمل وجهك عني

لا تعاتبني فاني كان بالإمكان أن..

كان أما الآن لن

ليظل البحث عن كيف ولا بد ومن

وسلاماً أيها النيل ومهلاً

لك باقي العمر ما أغلاه لو...

لست أرجو منك شيئاً غير لحد وكفن

عدن / مارس ١٩٨٥م

طلقت ظني

عقلت مطيتي طلقت ظني وكنت مغادرا والكعب حـــافي

ظننت وإن بعض الظن إثم وكـــفر إن بدا والخـــل وافي

ظننت البن يجهل طيب زرعي وطول المكث ضايقه طوافي

وأروى لم تعـــد قلباً حنوناً لها حبي ولي منـــها التـــجافي

فبحت إليك يا يمني لأني إذا أخفيت هل أنا عنك خافـــي

فشق على بناة السد قولي أبعد الصمت كيف علا هـــتافي

فشرف بعضهم داري وبعض يهاتفني فهذا الحـــب كافي

وجاء الفيض تكريماً عظيماً خلقت الآن لي عمر إضـــافي

فيا ظني وكـــم خابت ظنون أخيرك لي أنا تلك الفيـــافي

وداعاً ليـــس يعقبـــه لقاء وبيناً لن يقـــربه تصـــافي

ويا بلقيس عـفوك اعذريني فنثري عاجز وكذا القـوافي

كم لك يا غريب

وتسألني نحلت غزاك شيب فـكم لك بيننا كم يـا غريب
من السلطان والوالي إمام ومـا زالت خيامي يـا حبيب
بهذا قد أجبت فهاك لـومي تقولين الغريب أنـا الغريب
نـداء غاص في قلبي حساماً عذابي طـال ان جرح الطبيب
غريب بعد طول المكث مـاذا غريب فـيك يـا يمني غريب
أتيتك والشباب الفض تـاج وهآنذا رهينك يـا مشيب
أتيت وسادتي نـيلي وشعبي وأرض الـبين لي مهد رحيب
أتيت مخيراً فأقمت عشقاً أمـن فرح دموعـي والنحيب
تمازجت العناصر صرت ثـدياً هناك عـروقه وهنا الحليب
وطالت حيرتي في أمر ذاتي أُردد: مـن أنا هل مـن يجيب؟
بـذلت ومـا بخلت عطاء حب يشد سواعدي واد خصيب
ولا أدري فجهل الغيب علم نعم لو عشت هل سهمي يصيب
وهل بلقيس إن كلّت ذراعي سترعانـي وإن خطوي دبيب
ونهر النيل لم ير فيض نيلي فـكيف الحال والقاع الجـديب
ولست أُطيق غيرهما مـكاناً وإن أُوذيت ضربـهما زبيب
أراك وقد هدرت فلدتـك روحي أتسمعني فلي هدف عجيب
مجاملة نـطقت الـقاف غيناً كنطق النيل نطقك يـا لبيب
مداعبة تسرك خـاب ظني دروب الخـير في شرعي تخيب
وذا سمي ورأس أبي وأُمي ويفدو بي فـدى قصدي قـريب
أأنت تكون مغترباً وهذي بـلادك أنـت لي فيها نصيب؟

عدن / نوفمبر ١٩٨٢م

أبو صلاح ومحسن وكمال

أبو صلاح محسن كمال أنباؤكم تساقطت على عقولنا على اليمن

كألف ألف طعنة غادرة وألف ألف وابل من الدماء

لم تبق في عيونهم نقيطة من الدموع

بعد سكبها على المناضلين سالمًا ومحسناً ـ العائدين ـ

بعد سكبهما على البريء إبننا كمال

أبو صلاح محسن كمال ألومكم ألوم حظنا وحظكم

ألوم أمنا اليمن

ماذا نقول ساعدوني إننا في يدنا حمامة وغصن زيتون

ووردة ووحدة اليمن

ماذا نقول لكننا لن نقبل الحوار بالسلاح لا ولن

أو يقتل البريء من أبنائنا وسيلة ليجبن الشجاع

لأن ذا سلاح غادر جبان

سلاح من يؤلمه تؤذيه وحدة اليمن

كاذب من قال

مدخل...

«وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا»

شاعر عربي قديم

كاذب من قال ان الحب بالهجران بالصبر الطويل يتلاشى

كاذب من قال إن القلب يسلو رغم ما يلقاه

والأعين لا يعرف مجراها الدموع

كاذب من قال ما قد كان لن يسعدنا أفضل منه أو يكون

فلماذا يا دعاة الافك ما هدأت ثورة الحب

وما زالت الأشواق في الأعماق في القلب تمور

عجز الهجران أن يخمدها وليالي البعد زادتها اشتعالاً

إنه الحب الذي وحد قلبين سيبقى يتحدى كل صخر

واثقاً يجمع شمل البن في ثوب قشيب

---

(١) محمد بجذوب علي، **قمري والمد والجزر**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٦م.

محمد حسين هيثم

من أهم الشعراء الشباب، في يمن اليوم. وهو أحد تلاميذ الشاعر السوداني الراحل، الدكتور جيلي عبد الرحمن، في جامعة عدن. كتب قصيدته (هموم الشيخ الجليل) في سبتمبر ١٩٨١م، عن أستاذه، جيلي عبد الرحمن، ثم نشرها في ديوانه (الحصان)(١):

وتروم وقتاً ضافياً فينا

ويوماً سنة الشعراء بدءاً وتروم قافية ومعنى

هكذا يمضي بك الوجد

هكذا يمضي بك الوهد

هكذا يمضي بك العمر إلى حجر وحيد

هكذا تمضي بك الطعنات موتاً ثم موتاً ثم موتاً ثم بدءاً من جديد

في سنين الإناخة في زهرة للقرى ادخرتك للغزوات

تدرعت بالشجر المختبي حول جمرتك الآدمية يوم عدت

من النزهة المأتمية مبترداً

شاكستك الأضاحي يوم طالعت في البئر وجهك

كان ذئب القفار البري يعاين قمصانك المستغيثة

رحت تؤجج يوماً قديماً وعمراً تزنر في حرقة البيت بالمرأة الملحمية

هم الاخوة انتخبوك لمقصلة الهم

هم الاخوة انتدبوك لموت وجيز وولوا وما ودَّعوك

فألفيتهم ينحرون الصباحات حزناً عليك

لهفي عليك مررت تضؤهم كوكباً كوكباً

يا رسول العقيق فما أدركتك سوى حجر في الصميم

لهفي عليك تواترت في النيل عمراً بهياً
فأترعته ذات غمر بشمس المدائح والصبوة الفاتنة
ورحت تقيم طقوس الذهول وتضرم في العتم قداسه المرتجى
فينهض صلصاله المرفيك ويبرأ من حمأة الملكوت البهيم
إيه شيخي الجليل ماثل أنت في المستحيل
ممتنع أنت في جلوة البنت مندغم في العذوبة
في غبش القرية المستديم..
إيه شيخي الجليل رأيناك في الشجن القروي
طلبناك في السر بالعشق والنذر جئناك
يوماً بهذا (الهبوب) الوخيم
بهذا الغناء الرحيم
بهذا الضرام البدائي كيما نعيد اللقالق
في هدأة البحر كيما نهيء للثور سطوته
في الشعاب الأليمة
يدلف في الزهرة القروية منفلتاً عارماً طلقاً
ينطح الأرجوان الحميم
ستنال حصتك الأثيرة من هبوب النيل وتقول: زدني
وتهبه يوماً واضحاً فيقول: زدني
وتسير في العثرات تطلبه وتنشد حنطة الخرطوم والبيت القديم
وحارة الأطفال والمقهى ووقتاً جارفاً في الشعر

(١) محمد حسين هيثم، **الحصان**، دارالهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

محمد سعيد المشرقي

صحافي يمني شاب، مات عام ١٩٩٤م، في ظروف غامضة. كان العام المنصرم قد رثى بقصيدة زميله الصحفي السوداني باليمن الكاتب الناصري الشاب، سري عبد الكريم.

بأنامل مرتعشة أسطر أهزوجة وفاء

أجمع حروفها المتناثرة من ردهة الذاكرة

وألملم آلامي وأكتم صرختي رغم وزر النبأ الفاجعة

عزائي خلود صوتك ولحنك الممزوج بالعشق لمعزوفه

سو الدان.. سويعات الونسه

ظلت حنجرتك تصدحها دون اكتراث تنتظر انبلاج الفجر

رافضاً الانصياع أو الركوع

بقيت تصارع الضوضاء ونعيق الغربان

تغني أغرودة الوفاء

لا تهاب أعوان الردافه

مضيت تحمل وؤاك على كتفيك

وحولك رؤوس تطأطأت

غير آبه بما سيكون

لكن قلبك لم يدخر وسعاً لانحناءات متقولي الشرف

فكان الرد الصمت الشموخ

سري يا طائر السنونو العائد إلى عشه

جسم يقبل الثرى

وروح تحلق في السماء تعانق الثريا

لماذا غادرتنا عنوة

قلت وقتئذ لا أسرار بيننا

واليوم غدوت سرا

قبل الوداع أيها الخالد فينا

سأظل أذكر ما حييت

هذه تهمة لا أدفعها وشرف لا أدعيه

والأشجار تموت واقفة

يناير ١٩٩٣م

محمد عبد الله سعيد

شاعر يمني شاب، نشأ بالسودان. استقر بـاليمن، وقصيدتـه (الأمـل الأكـبر) تعالج قضية الهجرة اليمنية إلى السودان..

الأمل الأكبر

فكر ثم قدر

إمام متكبر

يمتلك الدولة والعسكر

يدفعه، أمثاله للغربة دوما

للهرب إلى الشط الغربي من البحر الأحمر

أبي وقبله سيدي سافر

مغلوباً على أمره للمهجر

ترك الأحباب وترك الأهل ذات مساء وخطاه تتعثر

والدمع على عينيه تحجر

هرباً من ثالوث الجهل المرض الفقر

إلى أرض النيلين البكر

إلى السودان الأسمر

امتزجت بجبينه حبات العرق اللامع

من وهج الشمس مع الأمل الأكبر

في العودة

وتأخذه الأيام ويأخذه الزمن عام يمضي سنة تتأخر

تترك آثارها فيه في الوجه وفي لون الشعر
ولكن تبقى أشياء لا تتغير
ذكراه أشجانه وحنين ممزوج بالأمل الأكبر
ويعلم أولاده شطراً من شعر
أوله (لابد)
وآخره (من صنعاء وإن طال السفر)

صنعاء / ١٩٨٩م

محمد عبد الرحيم جازم

باحث يمني شاب، واحد الأعضاء النشطين في المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية بصنعاء. صدر له عن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء تحقيق لكتاب (طيق الحلوى) في التاريخ الإسلامي اليمني، كذلك نشر مجموعة طيبة من البحوث في مجال الصناعات الحرفية التقليدية في اليمن في مجلة (المأثورات الشعبية) الصادرة بالدوحة عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي؛ ويقوم حالياً بتحقيق مخطوطة (الديوانية) في تاريخ الدولة الرسولية باليمن، باعانة مادية وأكاديمية من المستشرق الأمريكي الدكتور دانيال فاريسكو المسؤول بالمعهد الأمريكي للدراسات اليمنية في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.

ظلال خائفة (١)

الجو منعش والسيارة تلتهم الطريق الطويل، وتبزغ الشمس ملقيةً بظلال الجبال على بعضها.. الهدف الذي يقصدونه مازال بعيداً.. كل شيء قاحل والجبال والأرض البركانية تبدو لا نهاية لها، تتدرج السيارة نحو الأسفل ونحو الأعلى.. ترتج في المنحنيات؛ وتصفر اطاراتها على الإسفلت، ويرتفع مؤشر السرعة إلى رقم تجاوز المائة والعشرين..

ـ خفف السرعة يا عوض.. أرجوك

ـ لا تخف يا زول.. قريب لن تكون هناك سرعة..جبال حجة أمامك.. اسمها ايه يا سعيد؟

ـ جبال كُحلان.

ـ لا تزيد سرعة سيري فيها على الستين.. أشعر كأني في طائرة.. وكسوداني عشت في أرض سهيلة يعتريني الخوف.. ايه يازول من جبال دي..

ـ لكن عندكم يا عوض جبال على ساحل البحر الأحمر

ـ هذا صحيح لكن ما بالصفة دي.. كيف يعيش الناس فيها. في قيعان ممكن يعيشوا فيها..

يبدو الجد والانتباه على وجهه الافريقي الطيب، ويقلل من سرعة السيارة، ويتعالى الضحك فيشترك فيه شاعراً بأنه المقصود.. الهاوية السحيقة على الجانب الأيسر تبدو لا نهاية لها، وضباب خفيف كان يخيم على الأودية أخذ يتعالى تحت وقع أشعة الشمس الصباحية الصيفية، وتتهدج الجبال أمام البصر بقمم متباينة الارتفاع؛ والوديان الثعبانية الشكل تتلوى بينها ذاهبة نحو الشمال.. تنحدر السيارة وتحيط بها الجبال، ويرتفع من مسجل السيارة صوت أُغنية يفضلها عوض لفتاة حبشية تناجي الحبيب الذي هاجر إلى الشمال.. أتراه يذكر قريتها الصغيرة دولو حيث ينطلق نحو الشمال نهر دوريا الصغير.

أتذكُر؟

الليلة مقمرة.. اختلسنا قبلتنا الأولى

جوار كوخ القش

قرب الضفة

......

عد إلى دولو.. عد إلى دوريا

نختلس قبلة أخرى.. وأُخرى

في ضوء القمر.. على الضفاف الساكنة

تختلط الموسيقى بلون الأرض وزرقة السماء وتتغير الطبيعة وتسير السيارة على الحافة اليسرى لأحد الوديان، وتلتهم العين الخضرة المفاجئة للحقول المزروعة وأشجار البن المضللة بأشجار الطلح العملاقة..

عد إلى دولو

عد إلى دوريا

لا يهم أن تحبني

دعني أراك

وأشعر من بعيد

بجمال القُبلة الأولى

تتلوى الطريق مع انحناءات واد آخر مضلل بالأشجار الكثيفة، والمياه تنزل شلالات صغيرة.. موسيقى صوتها المطرطش ينقلك بالفعل إلى ضفاف نهر دوريا الحزين.. لونت الشمس الصباحية رؤوس الأشجار بلون ذهبي مخضر، وفجأة تدور السيارة لاهثة وتبدأ تسلق الجبل الجميل المغطى بالمزارع والأشجار، وفي القمة صافحت وجوههم المدينة الوادعة، وغيرت الوديان مجاريها بعيداً في الشمال باتجاه الغرب يبدو ذلك واضحاً من هذا الارتفاع.. الطريق الاسفلتي ينتهي في المدينة.. تنحدر السيارة نحو الأسفل مخلفة المدينة ورائها وتتجه نحو الغرب.. القمم المتنافره والهاويات السحيقة من جديد.. ترتج السيارة. تنخفض وترتفع.. تتصادم الأكتاف، وترسم السيارات الذاهبة والآيبة ذيلاً من الغبار ورائها...

تتلون الجبال والأرض بالخضرة والغُبرة، وتنفتح الوديان، وتقلل الهاويات من أفواهها الفاغرة.. تلفح الوجوه حرارة مرتفعة تزداد كلما تدرجت السيارة نحو الأسفل، وتبدو قبعات بحواف مدورة على رؤوس الرعيان والفلاحين، ويتغير شكل المتزر ويسيطر الطابع التهامي على كل شيء في حياة الناس وتختفي الجنبية؛ ويبرز المنجل بدلاً منها..

توقفت السيارة وسط الوادي؛ والمياه القادمة من أعلاه تضرب على اطاراتها برفق.. نزل رفاق الرحلة الأربعة.. مسح عوض وجهه وعنقه الغليظ بالماء البارد.. تمطى حسن بوجهه الحزين الوسيم ولحيته الكثيفة غير المنظمة.

- آه يا لها من رحلة.. ما أجمل هذا الوادي الحزين

- الحزين.. ليه يا زول هذا جميل فقط.. انت حزين ليس إلا

- ما اسم هذا الوادي يا عوض..

- والله ما بعرف.. اسمه أيه يا سعيد.. تعرف يا منصر

- مكتوب في الخارطة.. سنسأل الناس عنه

- ما رأيكم نسميه الوادي الحزين - حسن مقترحا -

- هذا الاسم مرفوض.. لقد مات الجمال في أعماقك يا زول

اعترض عوض بلكنة سودانية محببه وشرع يصفق الماء على اطارات السيارة.

- لا تزعل مني يا حسن لكن الحقيقة تفرض نفسها.. الماء.. الأشجار.. أصوات الطيور..

- ووجه عوض الجميل .. - اضاف منصر -.

يضحك الجميع ويقذف بعضهم البعض بالماء.. وثبوا على السيارة فاجتازت المرتفع الصغير المجاور للوادي وسارت مستوية إلى قرية صغيرة تربض على الكتف الأيسر للوادي، وفي الطرف الغربي منها انزلوا الخيمة وشرعوا يدقون الأوتاد والعرق يتصبب من جباههم والحرارة لا تطاق، وأقترب أحد السكان منهم بوجهه الأسمر

- اسم القرية [الامان] أليس كذلك - تساءل حسن -

- نعم..

- وما اسم الوادي؟

- وادي خائفه..

ضحك عوض، وسرى الضحك إلى الجميع وأكد الرجل بارتباك وهو يمضي

ـ والله اسمه وادي خائفه..

ـ كان الإسم المقترح أفضل يا عوض..

ـ يضحك عوض مفلطحا انفه الأفطس

ـ والله الأسماء في بلادكم عجيبه يا أخي..

تنتصب الخيمة مشدودة على الأوتاد.. نقلوا إليها الأسرة المطوية والفرش وأدوات الطبخ وشرع سعيد في تعبئة موقد القاز لاعداد طعام الغداء.. كان جسمه القصير ووجهه العملي يشع منه الجوع والتعب

ـ ما رأيكم نتغذى في المطعم الواقع بجانب الطريق ـ اقترح منصر ـ

ـ هذا أفضل.. فنحن متعبون

ورد عوض معترضا

ـ قد يكون الطعام مرتفع الثمن هنا.

ترك سعيد الموقد

ـ ولو أفضل من تناول الغداء وقت العصر

أغلق سعيد باب الخيمة بالحبل وتبع الجماعة.. الحرارة لا تطاق والقبعات المدورة المصنوعة من أوراق النخيل تنقلك إلى المكسيك. البضائع الزراعية منتشرة على جانبي الطريق..

دلفوا إلى المطعم وسط أناس يلتهمون الطعام؛ والعرق يبلل ملابسهم وبعد قليل أصبحوا مثلهم.. ثمن الطعام، وبالذات الخبز، مرتفع، جعل عوض يندم على موافقته الذهاب معهم وطول الطريق كان يتذمر من الورطة التي وقع فيها.. ألقوا بأجسادهم على الفرش الاسفنجية الموضوعة على الأسرة بعد أن فتحوا بابي الخيمة من الناحية الشمالية والجنوبية فتسللت النسمات إلى داخلها، وأخرج منصر كتاباً

تصفحه والنعاس يغالبه، ونام عوض وبقي حسن يتطلع إلى شيء بعيد مجهول ايقظه منه قدوم سعيد حاملاً حزمة قات متواضعة وأساريره تتهلل.

ـ ناوي تخزن يا حسن. القات رخيص هنا..

ـ بكم شريته..

ـ بعشرين.. يكفي نفرين

ـ أعطني النصف.. هذه عشرة ريال

يدير عينيه المرحتين في الخيمة

ـ الجماعة ناموا..

يفتح قميصه، ويعد الشاي، ويغمز لحسن باسما مشيرا بطرف عينه إلى النائمين الذين انقلبا على جانبيهما عندما انطلق صوت شخير الموقد.

أصلحا المتاكي وبدأ يهصران بين أصابعهم أوراق القات اللينة ويلقيان بها إلى فميهما. الحرارة مرتفعة. فتح حسن قميصه.. يتحدثان بصوت هامس وتتساقط أعقاب السجائر المنتهية إلى الأرض.. تأخذ النشوة سعيد كل مأخذ وتداعب الفرحة أعطافه.

ـ قات فاخر يا صاحبي

ـ ورخيص..

يحشو فمه بمزيد من الأوراق الغضة.. النشوة تزداد حدة واقتربت كلبة ظامرة متدلية الأثداء تشتم الأرض اقتربت من سريرهما.. ثم فرت بذعر

ـ هذه أم.. مسكينة انها جائعة.

وثب من السرير وفتح علبة سمك وجرى نحوها ففرت مذعورة.. ضحك حسن.. تقدم ببطء مرغباً إياها في السمك.. سكبه على حجر وعاد يجري وهو يزم شفائفه بألم.. وثب إلى السرير صافعاً بيده على قدميه.

ـ الأرض حارة..

ـ أنت طيب يا سعيد.. لك مشاعر أب

يتصبب العرق من الجباه.. يبلل الأبـدان.. والكلبـة تلعـق الحجـر وتنظـر إلى الخيمة، وينطلق خيال سعيد إلى مدينة عدن حيث يغسل البحر شواطىء ذكرياته.. ويعود حسن يحملق في الفراغ المجهول ويحرق السجائر.. تنهد سعيد..

ـ ألا زلت تذكرها..

ـ كأنك تستقرىء أفكاري.. أمرهـا مفروغ منـه.. كنـت أتذكـر شـاطيء صيرة وحُقات وصوت الموج في مثل هـذا الوقـت وهـو يضـرب الصخـور وطيـور البحر تحلق وقد قعدنـا أنـا وصديقـي الصيـاد الهـرم حـول ماسـة صغـيرة وزجاجـة خضراء وتناوبنا أغنية من أغاني عبد الوهاب..

ـ ذكريات جميله..

يعود حسن إلى شروده.. يحشو سعيد فمه المنتفخ بمزيد من الأوراق الطرية.. وتعتنق في ذهنه القمم والسواحل والبحر وبيـوت المدينـة، وتختلـط الزرقـه بالسـواد بلوحات المقاهي والمعارض، ويغني الصيـاد الهـرم «عندمـا يـأتي المسـاء».. فـترقص الزجاجة الخضراء علـى سـطح الطاولـة.. تتداخـل المـادة في الألـوان وتـبرق عيـون سعيد..

خف وهج الشمس وتراجعت نحو الغرب.. وهـدرت طاحونـة قريبـة منهـم ميقظة عوض ومنصر فسـارعا إلى صـب الشـاي.. تتقـاطر النسـاء إلى الطاحونـة.. ملابسهن السوداء مشقوقة في الجانب الأعلى ومئزر مشدود على الجـزء الأسـفل.. توقفت احداهن ونظرت بدهشة إلى وجه حسن الشارد الذهـن. لاحـظ الآخـرون ذلك فسارعت نحو الطاحونـة الواقعـة علـى الطـرف الآخـر مـن المسـاحة الواسـعة الممتدة من أمام باب الخيمة الجنوبي، ألقت بكيسها في الداخل وقعدت مـع النسـاء بجوار الباب.. الوقت يتحرك ببطء.. يضحـك عـوض وعيونـه مسـمرة علـى بـاب الطاحونة..

ـ يا سلام يا زول.. عيونها باتلتهم الولد..

يضحك منصر.. وينزل سعيد من على السرير ليسكب في فنجانه قليلاً من الشاي وهو يضحك..

ـ لا يا عوض.. باتأكل عيونها الولد..

يضحك الثلاثة وينظرون إلى وجه حسن الذي تنبه إلى نظراتهم إليه فزال شروده وابتسم دون أن يدري لماذا.. الطاحونة تهدر دون توقف.. وفلاح عجوز أقبل بثوره القوي وشرع يحرث جوار الزرع قرب المكان.. ومن طرف الحقل كانت عيون الكلبة الظامرة ترقب باب الخيمة..

«٢»

مصباح القاز المعلق في وسط الخيمة يشع ضوءاً قوياً ينطلق من طرفي الخيمة إلى البعيد، والأربعة يتدارسون خطة بدأ العمل في صباح الغد.. وجذب ضوء المصباح حشرات الصيف فأقبلت بكثافة ومنها حشرات الزنابير الخطرة.. نقلوا الأسرة إلى دوار الخيمة وقعدوا يتسامرون تاركين الحشرات تلعب وتحترق بضوء المصباح راسمة بظلالها صورة حشرات خرافية ضخمة.. جو المساء جميل وهادىء تعكره أصوات الشاحنات الضخمة القادمة من «حرض» عبر «الخُشم» ذاهبة نحو حجة.. قدم إليهم أحد أهل القرية وقعد يشرب الشاي ويدخن السجائر.. سأله عوض

ـ ألا يوجد من يبيع الخبز هنا؟

ـ لا.. القبائل لا يبيعون الخبز.. الأخدام في طرف القرية يبيعونه..

ـ ليه القبائل هنا لا يبيعون الخبز في كل اليمن القبائل تبيع الخبز في الريف صحيح سعيد..

ـ لا يا عوض.. ليس كل القبائل.. الفقراء منهم فقط..

ـ إسمع.. ممكن تعمل لنا خبز ونعطيك فلوس..

وثب الرجل من على السرير، وأمسك طرف ذقنه بأصابعه.

ـ عيب عليك يا رجل.. أنت من أين.. يمني؟

ـ لا.. سوداني..

ـ من الغد سأبعث لكم بخبز دون فلوس.. هذا عيب عندنا يا أخي أن نأخذ فلوس على الطعام..

يعود إلى جلسته على السرير ويضحك الجميع؛ وبعد برهة ودعهم ومضى نحو منزله.. يمزح حسن مع عوض..

ـ فضحتنا يا عوض.. القبائل لا تعمل هكذا..

ـ أنتم فرحتم الخبز بدون فلوس.. الله أعلم كيف حال الرجل.. ونحن سنقيم أسبوع هنا.

يفكر الجميع ويشعرون بصحة رأيه ويتنبه عوض.

ـ نسينا.. ما رأيكم نعمل «لفه» دخان..

ـ خذ ورق الشام من شنطتي.. وأحضر مصباح اليد إنه بجانبها..

يقعد عوض على حجر أمام باب الخيمة، يخلط التبغ بالحشيش.. يلفه باحكام ويدخن بمتعة نافثاً الدخان من منخريه.. يحرق الدخان عينيه فيعدل من جلسته وتشع الطيبة من وجهه السوداني البريء.. يضحك فجأة..

ـ يا سلام يا زول.. عيونها باتلتهم الولد.

يضحك منصر وسعيد ويشعر حسن بأنه المقصود.

ـ أنت تقصدنا يا عوض.. ما الحكاية..

ينهض من مكانه ويقدم اللفائف التي سريعاً ما اشتعلت

ـ أنت يا زول.. باتجعل القبائل تقتلنا في يوم من الأيام..

ـ لماذا؟؟

يحكي له سعيد وسط ضحكته المقرقرة ما حدث.. يقلب حسن شفتيه بتعجب.

- إذا كانت الحكاية هكذا.. لا تخف يا عوض فدائرة اهتمامي بعيدة..

يدير الدخان رؤوسهم.. يضحكون من بعض وتكتسب ملامحهم الجد.. يتحدث سعيد وحسن عن التنمية والقضايا الإحتماعية.. الرؤوس تدور وتثقل.. تمدد كل على سريره.

وأدار سعيد شوكة مذياعه الصغير ليستمع إلى هيئة الاذاعة البريطانية.. تدق ساعة بج بن..

- ليه تحبوا أنتم اليمنيين سماع إذاعة الببغاء ذي..

رد سعيد ساخراً

- أنها استعمرت بلادنا..

- والله المستعمرين غرسوا فينا أشياء غير محببة خالص.. إسمع يا حسن اشتريت كتاب لمحجوب إسمه «الديمقراطية في الميزان» موجود هنا..

تساءل منصر

- من هو محجوب؟؟

- حرام عليك يا راجل ما سمعت عنه.. ذا رئيس وزراء سوداني محنك طلع الانجليز من السودان بعد حفلة كوكتيل.

يضحك سعيد ويغلق المذياع ويعلق بسخرية.

- نحن طلعناهم بالمدافع.. كيف طلعوا من بلادكم بحفلة كوكتيل.. والله طيبين..

- أنت تسخر.. الدخان يلعب بعقلك.. غداً عندما تقرأ الكتاب ستعرف..

يلتف بملائة خفيفة ويهمد.. وتتركز أنظار سعيد وحسن ومنصر نحو السماء الصافية وعلى سقفها الداخلي تتلألأ النجوم.. وبين الحين والحين تنبح الكلاب

وتنهق الحمير ويتحرك الضوء هنا وهناك في منازل القرية المقابلة القابعة على تل مرتفع..

«٣»

ـ سأنطلق أنا والمهندس سعيد إلى الخُشم نقيس مسافة الطريق بالسيارة وأنت وحسن احصوا الشاحنات والسيارات المارة ومن ذلك التل إلى الوادي اعملوا دراسة أولية لنوع التربة.. نلتقي في الحادية عشرة..

تنطلق السيارة نحو هدفها ويتحرك منصر وحسن لأداء مهمتهما.. الحرارة لافحة والفلاحين ينقون الحشائش من جوانب جذور الزرع ويحتمون بين الوقت والآخر بظل الأشجار.. تغني راعية على التل القريب من الطريق.. وتثير السيارات والشاحنات الغبار على وجهيهما وهما منهمكان في التعرف على نوع التربة والتركيب الصخري للأرض وعلى صفحات الورق يرسمان أربعة خطوط وخامس يشطبهم بعد مرور خمس سيارات.. يسيران بخطى وئيدة من التل نحو الوادي.. تشتد وطئة الشمس فيدخلان أحد الدكاكين في طرف القرية.. السوق يكتض بالناس وتنتشر البضائع الزراعية على جانبيه وتتطاير حزم القات في أيدي الناس..

ـ أيه.. أين سعيد

ـ مالها إلا سعيد.. هذا الرجل لا يهم في الدنيا إلا القات

يواصلان سيرهما نحو الوادي.. الحرارة لا تطاق.. الماء ينساب بهدوء على الأحجار الصوانية الملساء.. نسمات الوادي تداعب وجهيهما.. والطيور والعصافير تهوي إلى ضفافه وتعود إلى الأشجار الضخمة على الحافتين.. جلسا تحت ظل احدى الأشجار..

ـ ما رأيك يا حسن بالاغتسال.. الماء بارد

ـ لكن الصابون والمناشف في الخيمة..

ـ المهم نتخلص من مضايقة الحرارة.

يوافق حسن على الفكرة.. يخلع حذائه ويسير بقدميه الحافيتين بين الماء.. الحصى الأملس يتدحرج من بين أصابعه ونحو الاتجاه الذي يذهب إليه الماء سار مسافة حتى اختفى في منحنى الوادي.. الأشجار كثيفة ومتقاربة وشجرة نخيل يتيمة تقوم على حافة بركة ماء طبيعية مائها بصفا الزجاج ينصب إليها الماء بخرير موسيقي متناسق.. يخلع ملابسه ويمد جسمه على طوله داخل الماء.. يشعر بالانتعاش يغترف الماء على رأسه.. يمتد دون حراك ينصت إلى أصوات البلابل الصادحة ويشرد بذهنه نحو البعيد وينظر إلى الشمس من خلال فروع النخلة اليتيمة.. كل شيء هادىء وكأنه مازال في بطن أمه.. خيل إليه أنه يسمع أصوات نسائيه.. اختفت الأصوات وخرير الماء الصوت العذب الوحيد هنا.. يسقط شيء في داخله وهو يتحقق من صدى الصوت النسائي.. يثب من وسط الماء محدثاً صوتاً ويختفي وراء شجيرة بجانب النخلة.. تصدمه النسمات فيهتز من برودة قطرات الماء العالقة بجسمه.. تمر ثلاث فتيات فينكمش ويلتصق بجذع النخلة.. ترمقه احداهن وتتظاهر بعدم رؤياه.. يتجاوزنه لا مجال للخروج أو الذهاب إلى مكان آخر.. التفتت ورمقته بنظرة مرفقة بابتسامة ساحرة ادارت رأسه.. اختفين في حرش الأشجار وأصواتهن تبتعد أكثر.. فأكثر.. التقط ملابسه وسارع بارتدائها.. شعر بالراحة وسار على الحصى الأملس المتدحرج.. بسمتها مرسومة على صفحة الماء والأشجار والصخور الصوانية.. يا للجمال الوحشي.. والجرأة النادرة..

ـ أشعر بالراحة يا حسن.. مع هذه الحرارة المرتفعة لا يحب الانسان الخروج من الماء..

يرتدي ملابسه ويترك الجزء الأعلى من جسده عارياً..

ـ ألم تفاجئك الفتيات اللاتي مررنا من هناك ـ أشار بيده ـ لقد ضحكت وأنا أتخيلك تقفز مذعوراً بلحيتك الوقورة..

ـ بلى ولكن لم يشعرن بوجودي.. **لقد اختفيت وراء الأشجار**

ـ احداهن كانت أمس طوال وجودها بجانب الطاحونة ترقبك..

سقط شيء في أعماقه.. وارتسمت الابتسامة على كل مكان في الوادي.. ترى لماذا سمي وادي خائفة.. لا يوجد شيء مخيف فيه.. من هي الخائفة؟.. ولما «الأمان».. هناك على الكتف الأيسر منه.. لا بد من وجود قصة أسطورية وراء هذه التسمية.. اسم خفيف له ظلال تدعو إلى الشفقة خاصة إذا كانت الخائفة كالفتاة التي مرت وتركت ابتسامتها أثرا في الأعماق.. يفكر في كل هذا وأشعة الشمس الفضية تسحبها مياه الوادي إلى الأسفل دون أن تنضب من على سطحه.. يدوي محرك السيارة وتدخل مياه الوادي معكرة صفائها..

ـ الجماعة اغتسلوا يا عوض

ينضي ثيابه ويجري كالطفل ويلقي بنفسه في المياه. ويرفع عوض قميصه السوداني الواسع ويتخلص منه بطريقة مضحكة ويلقي بجسمه الضخم عليه.. يصرخ سعيد ويضحك ينقلبان وبحركة خفيفة يمسك رجل عوض ويسحبه على الأحجار الملساء.. يصفق منصر وحسن مشجعين.. شكل عوض يبدو مضحكاً وهو يحاول التخلص من قبضة سعيد..

تتحرك السيارة نحو السوق ويلتقط سعيد حزمة من القات.. باب الخيمة مفتوح والخبز موضوع على أحد الأسرة..

ـ لقد أوفى الرجل بوعده..

يسارع سعيد بتقطيع البصل والبطاطا ويشعل موقد القاز بعجلة زائدة.

ـ أسرع يا حسن فك علبة تونه وعلبه صلصة سيفوت وقت الخزان يا صاحبي.

كل يقوم بواجبه.. تغدوا وقعد حسن وسعيد يقتسمان حزمة القات وتصفح منصر مجلة سينمائية أخرجها من حقيبة حسن وذهب عوض إلى السيارة

واستخرج كتاب محجوب «الديمقراطية في الميزان».. تمددا يقرآن.. نشوة القات الرخيص تتسلل إلى رأسي حسن وسعيد.. يحكي حسن بحزن وألم عن زوجته التي توفيت عند الوضع ويحاكم نفسه على بعض تصرفاته معها..

ـ كلنا يا صاحبي نعاملهن هذه المعاملة.. موتهن فقط هو الذي يوقظ ضمائرنا.. لكنها تكون يقظة متأخرة مؤلمة..

يشرد حسن ويحشو فمه بالقات ويهرش ذقنه ومسحت ذكرياته البسمة التي عششت في أعماقه.

ـ كل شيء مؤقت يا سعيد.. أليس كذلك؟

ـ عش ليومك فقط.. كل شيء مؤقت..

التفت نحو عوض.

ـ ما هذا يا عوض؟.. الرجل الذي على الغلاف عمامته سودانيه

ـ هذا يا زول محجوب

ـ ما اسم الكتاب

ـ الديمقراطية في الميزان

يضحك سعيد ويداعب عوض مازحاً

ـ كم قال محجوب وزن الديمقراطية كيلو في بلادكم

ـ والله يا زول أنت ماباتفهم في السياسة

يعود إلى القراءة.. يضحك منصر ونظره مستقر على صفحات المجلة السينمائية

ـ أيه ألي يضحك يا منصر.. والله هذا سعيد ما يفهم في السياسة

ـ لا.. ليس هذا الذي يضحكني.. يوجد خبر مضحك هنا..

تهدر الطاحونة فتتقاطر النساء حاملات أكياس الطعام.. تميل الشمس نحو الغرب، ويتحرك عوض ومنصر إلى طرق القرية حيث تقوم مساكن الأخدام.

يعودان مسرورين وقد اتفقا مع من يعمل لهم الخبز مقابل مبلغ غير كبير.. يحل المساء وبجوار الخيمة قعدوا يتسامرون و«لفة» عوض تدير رؤوسهم.. وأقبل صديق الأمس يسامرهم وانزلق لسان عوض فذكر أمر الخبز،

- لكن يا اخوان لا يجوز أكل الطعام من أيدي الأخدام

- ليه يا راجل هم مو بشر مثلنا..

يصمت الآخرون، ويتجادل عوض والرجل فيتركهم غاضباً ومظاهر الاشمئزاز بادية على وجهه.

يشعلون اللفائف، ويروق ذهن عوض فيحكي عن السودان وعن غرامياته، ويخلط فمه الأنهار والأكواخ الريفية والحيوانات وأجسام النساء السمراء بلون القهوة ولحظات الخوف الشديد اللذيذ. يضحك بمرح وتقرقر ضحكة سعيد المميزة عندما تنهال عصا رجل سوداني على جسد زوجته التي كانت تري عوض ورفاقه شيء ما تحت ملابسها..

«٤»

مر يومان اخران.. وفي عصر اليوم الرابع قدم إليهم شاب من الأخدام لا يتميز عن أهل المنطقة بشيء من حيث لونه ولهجته إلا تصنيفه من هذه الفئة فقط.. وبعد قليل قدمت أمه العجوز الطيبة التي تعد لهم الخبز كل يوم ثلاث مرات وقد زينت وجهها بنقط حمراء ورائحة عطرية قوية تفوح من ملابسها واستدعوهم للمشاركة في حفل زفاف ابنهم قبلوا ذلك بسرور فالحياة في القرية رتيبة يخفف من وقعها حزمة القات و«لفه» عند المساء كان أكثرهم تحمساً عوض لأنه لم يشاهد عرساً في ريف اليمن.. يقترب المساء وتهب على الخيمة نسمات طريقة فتهز قماشها السميك.. على ضوء مصباح اليد تحركوا بجوار منازل القبائل الذين يعيشون بعزلة عن الأخدام.. تستقبلهم العجوز فرحة وتقبل أيديهم ويقف العريس وأخوه مرحبين..

ـ أهلاً بالأسياد.. يا مرحبا

يقعدون بجانب العريس يشربون القهوة ويدخنون.. تتعالى الزغاريد وصوت الدفوف وهناك من يغنين بصوت شجي ويقترب الموكب من المنزل المتواضع المفروش جيداً والنظيف.. يدلف الجميع إلى الغرفة المضاءة بمصباح القاز نساء وفتيات ووالد العروسة التي كانت ملفوفة بثياب زاهية.. أجلست ملاصقة للعريس.. تسكت الزغاريد ويقرع الطبل والدف وتغني اثنتان من النساء ويرقص أخو العريس مع احداهن ويقذف برزمة نقود لأخيه.. الأعين الواسعة تحدجهم بنظرات اعجاب واندهاش وعوض ينقل عيونه بين الراقصين الرشيقين.. يبلل العرق الوجوه ويلكز منصر حسن هامساً..

ـ لا بد أن نشارك.. ارقص مع احداهن.. سأدير النقود على رأسك

يتردد حسن.. يغريه صوت الطبل واللحن الشجي المنغم الطالع من الحلق.. يشجعه سعيد مشيراً إلى جيبه ويقفز إلى قارع الطبل ويهمس في أذنه بنوع الرقصة التي سيضبط ايقاعه عليها.. يقف حسن وتنهض شابة متناسقة الجسم تتماسك أيديهما وعلى الايقاع أخذا يتلويان برشاقة.. تختلط رائحة العطر بعرق الأجساد.. يقرع الطبل موقظاً المشاعر وتحاصر العيون الراقصين.. قرع الطبل ينتقل إلى ايقاع أسرع.. يتركان يد بعض ويضع حسن يده وراء ظهره يحوم على الفتاة السمراء من كل جهة.. يصفق البعض على الإيقاع.. وترتج أثدائها أمام وجهه وتطل بحياء من جانبي الثوب المشقوق.. تحملق عينا عوض بدهشة وقد أخذ بجمال الرقص والأغاني وايقاع الطبل فصرخ.

ـ آه.. ابشر.. ابشر

يشارك بالتصفيق.. يدير منصر ورقتي بنكنوت من فئة الخمسين على رأس حسن ويرميها للعريس، ويفعل ذلك سعيد.. يتغير ايقاع الطبل، يدور الراقصان

متماسكان يصطدمان برفق.. يسيل العرق.. ترقص الأثداء مع كل حركة.. يدير فتى من الأخدام رزمة نقود على رأس حسن ويقذفها للعريس قائلاً..

ـ فدى سيدي

وتمتد يد امرأة عجوز إلى ركبة حسن وتقبل طرف أصابعها.. اندمج في ا لرقص بعنف ويصيح عوض بنشوة.

ـ آه.. ابشر.. ابشر..

انتهت دورة الرقص.. جلس والعرق يبلل جسمه ويتقاطر من أطراف لحيته.. يقرع الطبل من جديد يرقص اخرون.. الليل يمضي والرقص مستمر.. استأذنوا وفي الطريق إلى الخيمة كانت منازل القبائل مطفئة الأنوار.. السرور يكتنفهم جميعاً وقرع الطبل مازال يسمع من هناك.. امتدوا على الأسرة وتساءل عوض..

ـ من أين كل النقود التي يملكها هؤلاء.. أليسوا فئة مسحوقة كما تقولون؟

ـ لقد تحسنت أوضاعهم. يذهبون للعمل في دول النفط.

ـ قد دهشت يوم ذهبنا أنا وعوض نبحث عن من يعمل لنا الخبز.. وجدتهم يملكون سيارات وعندهم أثاث جيد.. وضعهم هنا أفضل من اخوانهم الذين يعيشون في الجبال..

يصمت الجميع.. ويعود عوض للحديث..

ـ ليه ما يندمجوا في المجتمع.. هم مو راغبين في ذلك أم المجتمع غير راغب فيهم يرد حسن

ـ الكل يرغب في ذلك لكن توجد دوائر مغلقة في أعماق كلا الجانبين.. شاب من قريتي أراد الزواج من احدى فتياتهم أحبها وأحبته.. رفض أهلها لأنه من وجهة نظرهم قبيلي سيعاملها وأهله بطريقة غير لائقة.. أما ابوه فقرر عدم

الاعتراف به وحرمانه من ميراثه.. فاضطر إلى الفرار بحبهما إلى جنوب البلاد.. وسمعت أنهما خلفا ولدين..

يعلق سعيد..

- تعتبر قضيتهم في الوقت الحالي موضوعه على الرف.. سيعيد النظر فيها ربما الجيل القادم.. أو الذي بعده.. لكن يا حسن هذه الليلة رقصت ببراعة قل نظيرها في السابق.

- كل شيء مؤقت.. كل شيء رهين بظروفه.. الرقص له مذاق آخر عندما تراقص امرأة

- هذا صحيح يا زول.. كم عندكم رقصات في اليمن لقد شاهدت هذا المساء خمس رقصات مختلفة وفي صنعاء شاهدت رقصتين غيرها

- عندنا عدد كبير من الرقصات.. لكل منطقة رقصتها الخاصة.. وكل رقصة لها تعابير الرمزيةمنها.. حربي.. تقديسي.. صيد.. حب.. زراعة.. يالا كثير..

يقدم ضوء مصباح يدوي.. الطبل مازال يقرع.. يهمس أخ العريس بتردد

- تشربوا يا أسياد

قاموا من على الأسرة مرحبين

- نعم

- أهلا

- تفضل اقعد

- لا.. سأعود.. هذه هديتي لكم لقد شرفتونا هذه الليلة.. تصدقوا يا اخوان انه منذ طفولتي لم يدخل بيتنا قبيلي.. تصرفات القبائل نحونا غير طيبة لا تضي الخالق ورسوله.. لا يجلسون معنا. لا يأكلون الطعام من أيدينا.. حتى عندما نعمل مع أحدهم يعزلونا كالكلاب لوحدنا أثناء الطعام..

يتدفق الأسى من نبرات صوته فيحز في أعماق الأربعة الذين لفهم الصمت.. يضع زجاجة مدورة كشكل الجرة يغطيها حتى المنتصف زمبيل صناعي ويمضي.. يتحسسها سعيد ويشعل مصباح اليد يقرأ نوعها ومحل الصنع.. تقرقر ضحكته.

- اسكتلندي الصنع...

- الوقت غير مناسب.. اخفيها في الشنطة.. ها نحن نجني ثمارك يا حرض..

- سنعمل غداً حفلة.. سنستمتع..

- والله يا زول هاذا ولا ناس كرام.. فقط بمجتمعكم يقسو عليهم.، ويعلق حسن جاداً:

- يستحقون بجدارة جائزة نوبل للسلام..

امتدوا على الأسرة.. الطبل ما زال يقرع.. ويقرع.. النجوم تتلألأ.. ونسمات لطيفة تداعب الملايات.. وعلامة سؤال كبيرة ترتسم في الأذهان تكاد تحصل على اجابة.. إلى متى سيظل القريب بعيد والممكن مستحيل.؟ والطبل يقرع.. ويقرع.. ويقرع..

«٥»

يصب حسن الماء على لحيته، ويدلكها بالصابون.. ينظر في المرآة الجانبية للسيارة ويحلق ذقنه.. الوقت مبكر والفلاحين ينقلون أسرتهم وفرشهم إلى داخل المنزل فالحرارة تجبرهم على النوم خارجها.. الوجه نظراً لقد زال شيء غير مرغوب فيه.. يستيقظ الآخرون يصفرون اعجاباً..

- لقد حدث شيء جديد يا حسن..

- لقد ودعت الحزن مساء أمس..

يرد حسن

- سأقضي عليه نهائياً اليوم..

ـ هذا الصح يا زول.. لقد قال ميكيل انجلو من قرون «إن ساعة من حزن لا تساويها ألف ساعة من فرح».. أرني وجهك.. هذا الصح.. تفتح على الحياة أكثر..

تناولوا الافطار، ورفعوا سريرين على السيارة ومتاكي وموقد القاز.. تحركوا نحو الوادي؛ والتقطوا من سوق القرية فخذ خروف وأشياء أخرى.. وتحت شجرة كبيرة بجوار الوادي، انزلوا السريرين وذهبوا إلى العمل تاركين حسن هناك ليعد وجبة الغداء.

الماء الرقراق يجري.. والنسمات الطرية تلعق كل شيء بلطافة.. يغسل اللحم ويقطعه شرائح ملقياً به في القدر.. يؤدي فنون الطباخة بخفة ويهدر موقد القاز.. يضع الوسادة في رأس السرير ويمد رجليه عليه.. الطيور الصغيرة تنط من غصن إلى غصن والبلابل تغني وصوت خرير الماء يمتزج بصوت الموقد.. وتقبل النساء إلى الماء حاملات جرار الفخار التي تبقبق قبل أن تمتلىء ويعدن إلى القرية مائلات الرؤوس.. ما أندر هذه اللحظات في حياة الإنسان.. الوقت يمضي بملل والقدر يفور ويكركر.. مال بجسمه نحو الشنطة الوحيدة التي تنتظر تحت السرير كالمحكوم عليه بالإعدام.. فتحها وربت بيده على الزجاجة الفاخرة..

ـ لم يحن وقتك بعد يا صغيرتي

يسحب المجلة السينمائية.. اخبار فنية.. ملكات هوليود شبه العاريات.. عقود بالآف الدولارات.. وراعي البقر القاسي شاهراً مسدسه في حقل القمح المترامي.. تتكسر أعواد النبات الهش القائم بحرف الوادي أبعد المجلة عن وجهه فاصطدمت عيناه بالوجه الباسم.. والجمال الوحشي..

ـ أنت لوحدك هنا..

ـ وأنت إلى أين ذاهبة..؟

ـ أتيت أشاهدك

يا للجرأة.. أصلح من وضعه وأحمر وجهه

- ولما أنا بالذات.. لم أعرفك من قبل

- لكني أعرفك.. لقد شاهدتك في الخيمة.. و.. ووراء النخلة

ارتفع الدم إلى وجنتيها

- متزوجه؟؟

- لا.. مطلقة

- لماذا؟

- هناك حكاية طويلة

البسمة الطاغية.. وشيء خفي معذب يطل من العيون

- وأنت متزوج..

- لا.. أرمل

- كلانا سوى..

يدير الملعقة في القدر مخففاً من فوران المرق.. يتلفت في كل مكان

- لا يوجد أحد.. أيمكن أن تساعدني؟

- ان كان في امكاني

انكسرت ابتسامتها وأسبلت رموشها الطويلة على عينيها وتسللت دمعة

- تأخذني معك إلى الجبال

- وأهلك.

- أهلي والناس يعذبونني.. يعذبونني كثيراً..

- لا أستطيع أخذك معي حالياً..

تتوسل عيناها.. وتسوط ظميرة دموعها.. ياللعذاب عندما يتوسل الجمال.

- أوعدني مجرد وعد ان استطعت..

يتردد.. يفكر قليلاً..

ـ أعدك.. سأعود لأخذك

مسحت دمعها.. شهقت بفرح.. تكسرت العيدان وهرولت مسرعة..

ألقى بالمجلة من يده.. اي أمل هذا الذي أعطاه للمرأة الشابة.. وأي عذاب يعشش تحت ستار هذا الجمال النادر.. يخيم الحزن على الأعماق يتعكر سطح الماء وتنوح البلابل.. يدير الملعقة في القدر.. تتعالى الشمس ويقبل رفاقه الثلاثة

ـ سنرحل غداً يا حسن.. اكملنا العمل..

يهز رأسه ويحتج عوض

ـ ألم نتفق على قتل الحزن..

ـ يبدو أنه لن يموت ولو استخدمنا سموم العالم

ـ لم ذا يا زول؟

ـ لأن هناك اضافة إليه باستمرار

يلقي سعيد بحزمتي القات على السرير

ـ تعال يا حسن نغتسل.. لا بد أن نشعر بأكبر قدر من النشوة والراحة هذا اليوم.. أحمل الطباخة يا منصر

يندسان داخل الماء.. في أعماق حسن ترتسم البسمة والدموع.. الأمل والوعد ويتردد صوت متساءلاً.. لما الدموع؟ يتضخم فتردد صخور الوادي الصدى.. لما الدموع.. الدموع.. ينسحب الماء على جسمه كالدمع النازل على الوجنات السمراء.. الوعد يدوي في أذنيه.. وشهقة الفرح تحفر عميقاً.. أهكذا أنت أيها الوادي تلتقي فيك توسلات الخائفات.. أهي بنت الخائفة الأم.. أنت صامت.. حزين.. تعبر عن ذلك بخريرك الهادىء.. انه لغتك الوحيدة ورموزك الأزلية التي نادراً ما يفهمها أحد..

الكؤوس تدير رؤوسهم والطعام لذيذ وحزمتي القات دفعتا بالنشوة إلى القمة، وشمس الأصيل المرتعشة تعكس الوان الصخور الذهبية على الماء،. عوض

يصلح من وضعه أكثر من مرة فجلسة القات تضايقه.. انه يحلم بنهر عطبرة وبأغنية سودانية على ضفافه عند الأصيل ويبدو له شكل «الديمقراطية في الميزان» مضحكاً.. يتحدث منصر عن الهموم العامة والقضايا الدولية ويعلق سعيد ساخراً من كل شيء.. تتشعب الأمور في جمجمة حسن.. الأثداء الشابة الراقصة في الحفل بسرور والعذاب الذي يخفيه الستار القبلي مفارقات محزنة.. ضمير البائس المغلوط أكثر نقاء من الشرعي المعترف به.. ينبجس الجرح في الأعماق ترى يمكن لأمه بتنفيذ الوعد..

ـ نعم لن يكون إلا ذلك.

أين أنت يا صاحبي

ـ عند الوعد..

يبتسم سعيد وفي أعماقه قناعة أن الرجل لم يصح بعد.. يدير عوض عينيه في اللاشيء انه ليس هنا.. وتمضي مياه وادي خائفة دون توقف كأن لا شيء يجري على ضفافها.. انها لا تعرف من يحلمون ويفكرون بأمل فكل أصدقائها يائسون يجللهم الخوف ويذرفون الدمع.. انها تحافظ باستماته على طابعها ساخرة من كل ظرف مؤقت شاذ.. يلف الظلام الوادي والقرى وبجوار الخيمة يدخنون اللفة بصمت لكل أفكاره المنعزلة.. بينهم مسافات الزمن الردىء الخائف.. يتقلبون على الأسرة معذبين.. أيتها الحياة القاسية أما لك من نهاية..

تطل شمس الصباح مرتجفة.. يطوون الخيمة والأسرة يلقون بكل شيء داخل السيارة.. يستقرون عليها ومسافات الزمن الخائف تلقي بعوازلها بين أفكارهم كالجبال.. تتحرك السيارة تنحدر نحو الوادي وقبل أن تلهث متسلقة الجبل شاهدها حسن تقف على الرابية تنظر إلى السيارة المغادرة بحزن وبسمة أمل على وجهها فصرخ نحوها بكل وجدانه..

ـ سأعود يا خائفة.. سأعود

التهم الوادي الصرخة.. الوعد.. ومضت مياهه صامته نحو الأسفل ومن منتصف الجبل كانت تُشاهَد مسمرة في مكانها ترقب نظراتها السيارة اللاهثة، وظلها يمتد وراءها مسافة طويلة نحو الأمان.. ومن مسجل السيارة انداح صوت الأغنية المفضلة..

عد إلى دولو

عد إلى دوريا

لا يهم أن تحبني

دعني أراك

وأشعر من بعيد

بجمال القبلة الأولى..

١/١١/١٩٨٤م..

---

(١) محمد عبد الرحيم حازم، **اليمن الجديد**، صنعاء، العدد الأول، السنة الرابعة عشر، يناير وفبراير ١٩٨٥م، ص١١٤.

د. محمد عبد القادر بافقيه

مؤرخ يمني معروف، درس تاريخ اليمن القديم، وبرع فيه. وأضاف إلى علمه بالعربية، الإنجليزية، والفرنسية. وقد تقلد الدكتور بافقيه عدة مناصب سياسية وديلوماسية في حكومة جنوب اليمن.. ولكنه أشهر انضمامه لحزب المنبر الإسلامي، بعد قيام الوحدة اليمنية، في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، وأصبح العضو المؤسس الثالث إلى جانب الراحل عمر طرموم، والشاعر فيصل بن شملان، الذي درس، أيضاً، بالسودان.

وقد درس بافقيه، أولاً، في مدرسة غيل باوزير، وكان ممن درَّسه هناك الشيخ القدال نفسه. وقد نشط بافقيه من خلال جمعية التلاميذ الأدبية في هذه المدرسة، وبدأت مواهبه في التفتق، في عمر مبكر، سيما في القصة والقصيدة. وقد نشر البافقيه كثيراً من ذكرياته في السودان، في الفترة القليلة الماضية، عبر صحيفة (الأيام) اليمنية.

وفي السودان التحق البافقيه بمدرسة أُم درمان الثانوية، عام ١٩٤٥م، ودرس، أيضاً، في مدرسة وادي سيدنا، بعد أن التحق قبل ذلك بمدرسة حنتوب. فدرس على يد كوكبة من المدرسين السودانيين، أمثال الزعيم السوداني الراحل، اسماعيل الأزهري، والشاعر أحمد محمد صالح، والأديب الصحفي عبد الرحمن الأمين، من حزب الأمة السوداني. وعمل، في وقت مبكر، مراسلاً لمجلات (المستقبل)، و(العروبة)، و(النهضة) اليمنيات. وعلى مستوى الحياة الثقافية في السودان، فقد قام بتمثيل مسرحيتين للكاتب الارلندي الساخر، برنارد شو، هما: (سان جون)، و(آرمس آند ذي مان). كما رثى هذا الكاتب برثاء، عنوانه (شو

الإنسانْ والفنان)، ونشرته له مجلة (الشباب) السودانية، بواسطة صديقه منصور خالد، الذي أصبح، فيما بعد، وزيراً لخارجية السودان. كذلك كتب مسرحية بالإنجليزية، اسماها (عقل آخر). وفي مجال القصة، كتب البافقيه قصة جميلة الحبكة، بعنوان (الدقة بالدقة)، عن فاحشة الزنى، ونشرتها له مجلة (السودان الجديد)(١). كذلك نشر قصائده في (المستقبل)، و(الرأي العام) السودانيتين، وفي (المستقبل) العدنية. وتوثقت علاقته هناك بالكثير من السودانيين، مثل البشير النقر.

ومن أشعاره المكتوبة بالسودان:

(١) قصيدة حلمنتيشية إسمها (أُمة أخلاقها ورق).

(٢) قصيدة حلمنتيشية إسمها (غريب كرهك العدسا)، يشكو فيها من تكرار طبق العدس في سكنه في الداخلية بالسودان.

(٣) قصيدة حلمنتيشية إسمها (عبثاً أبحث فيك عن إنسان)، خص بها أصدقاءه، حداد عمر كروم، طبيب النساء والولادة، آلان، في السودان... وصديقه عايض باسنيد، والراحل عبد الله عبد الرزاق باذيب، وصديقه الزراعي يوسف حسن سعيد.

وقبل أن ننتقل إلى نصوصه الشعرية المختارة، نذكر أن البافقيه كان من مؤسسي اتحاد بعثات جنوب الجزيرة العربية في السودان، عام ١٩٤٦م.. ونذكر بمناقشته للأديب التربوي الدكتور سعيد عبد الخير النوبان، عندما كان طالباً بالسودان، عبر مجلة (الرسالة التربوية)، حول شبوة والعقلة، وكانت المجلة تصدر في حضرموت.

وللبافقيه مقطوعة شعرية بعنوان (عجب لقلبي ماله) بالسودان لم أقف عليها.

سوف أحيا

سوف أحيا لخيالي ولفني

بين أوتاري وأشعاري ولحني

لا أُبالي ما يقول الناس عني

فطر الناس على حب التجني

إذا ما أخلف الحب وعودي

لست أبكي إنما يبكيه عودي

أنا لا أغضب إن هو جفاني

فهو في القلب شعور وأماني

كل شيء رهن وقت ومكان

غير حبي فهو حر كالمعاني

وإذا ما أنكر الحب وجودي

فكلانا رغم هذا في الوجود

لا تسلني كيف لا أرجو وصالاً

كيف لا أشكوه إن عز منالاً

ذاك سر لا تطل فيه السؤالا

أنا أهواه وإن كان خيالاً

وإذا ما نسي الحب عهودي

كان في الأحلام تجديد العهود

في لقاء الوداع(٢)

* هذه القصيدة نسبت للأديب اليمني الراحل، عبد الله عبد الرزاق باذيب، بعد وفاته، وقد علقت عليها صحيفة (البعث) السورية.

فــي ضياء القمر وبقرب النخيل

في سكون السحر والنسيم العليل

جمعتــني هنــا بالحبيــب الجمــيل

ساعــة فــي الدنا خلتــها لا تزول

ليت هذا الفلــك يعتريــه الذهــول

كي أظل معك في عنــاق طويــل

يا لقاء الوداع كم أرقت الدموع

إذ عصرت الفؤاد يا لقــاء الوداع

حلم كــان لــي هــل تراه يعــود

أم تراه انطوى في الزمــان وضــاع

عبثــاً إنــمــا نتــمنــى الـمحــال

لــيس بالمنتشــر ما طــواه القــدر

نحــن فــي زورق ليس فيــه شــراع

سائر باندفــاع فــي اتــجاه النــهر

يا سفيـــن الحيــاة عرِّجــي لحظــة

نستريـــــح بها من عناء السفــر

فجيعة(٣)

لو كنت أحيا للحياة لعشت مرتاح الضمير

لكنني أحيــا لغيــري خاضعاً مثــل الأجيــر

فأرى الحياة مذلة والعيش كالعــبء الكبير

وأنا برغمــي سائر لكـــن إلى أيــن المسير

إن الطريق لشائك والله أعلم ما المصير
والناس بين منعم أن يدر ما عرف السرور
وكسير قلب لو درى لم تبكه تلك الكسور
فالدهر ليس بثابت لكن مع الدنيا يدور
والمرء حقل تجارب تجري على أيدي الدهور
ونتاجها في قلبه ما بين حزن أو حبور
عجباً لقلبي ما له قد كاد من جزع يطير
وأنا الذي أيامه أسقينه الكأس المرير
إن الفجيعة وقعها في النفس منقطع النظير
الحزن ليس بنافع فيها ولا الدمع الغزير
صبراً فؤادي إنه ما عاش في الدنيا قرير

(١) مجلة (**السودان الجديد**)، الخرطوم، يونيو ١٩٤٥م.

(٢) مجلة (**المستقبل**)، عدن، يناير ١٩٤٩م.

(٣) مجلة (**المستقبل**)، عدن، أغسطس ١٩٥٠م، العدد ٢٠

د. محمد عبده غانم

هو والد كاتب هذه السطور. شاعر، وبحاثـة، وتربـوي يمـني عريـق، وضـع الدواوين والمسرحية الشعرية، واشتغل بالتدريس، جُل عمـره، وألـف الأطروحـات الجامعية، وكتب في اللغة والنقد الأدبي، والجغرافيا، وله إسهام ملحـوظ في الأغنيـة اليمنية، ودور معروف في الحركة الفكرية، والثقافية، والإجتماعية في مدينته، عدن، وسواها من أقطار اليمن، التي عاش فيها.

أول صلته بالسـودانيين كـانت في كليـة الآداب بجامعـة بـيروت الأمريكيـة، حيث التقى، كأول طالب يمني بتلك الجامعـة، بمجموعـة مـن رجـالات السـودان، الذين كانوا يدرسون بذات الجامعة، في الثلاثينات، من هذا القرن، أمثـال اسمـاعيل الأزهري، ويوسف بدري، ونصر الحـاج علي، وأحمـد المرضي، ومكـي شـبيكة، وعبد الحليم علي طه، وقاسم أمين، والشاعر السعودي الحضرمـي الأصـل الأستاذ عبد الله بلخير.

يقول محمد عبده غانم، في قصيدة لـه بعنـوان (فـوق السـحاب)، نشـرها في ديوانه الثاني (موج وصخر)(١)، متذكراً تلك الأيام الخوالي، حينمـا سـافر مـرة إلى السودان، وصادفت الزيارة ذكرى استقلال السودان:

وأمسينا بوادي النيل نصغي إلى أنغام خـــرته العــذاب

ونلقى عنده قوماً كراماً واخواناً من العـــرب الـــعراب

بني السودان جارهم منيع وضيفهم المحكّم في الرقـــاب

وكم فيهم لنا خل وفي نبيل النفـــس سمـــح كالرباب

يذكرنا بعــهد قد تولى بأثـــواب الشـــباب بالشـــباب

ببيروت الجميلة حيث كنا رفاق العلم نذأب في الطلاب

لكم سر الفؤاد بأن تكونوا وفي أيديكم فصل الخطاب

فسيروا في طريق المجد قدماً وإن حفت بمحتشد الصعاب

وتكررت زيارات غانم الأب للسودان، بسبب العلاقة الوثيقة بين نظام التربية والتعليم في البلدين، وهو ما تطرقنا له في الفصل الثالث من السفر.

وفي عام ١٩٧٤م، كان الدكتور غانم الأب قد غادر وكره الحبيب إلى نفسه، في عدن، وبدأ يطلب الشفاء من داء عضال ألم به، في مطلع السبعينات، وكان يتنقل بين بيروت وجبوتي ولندن، فوصله عرض من العلامة السوداني البروفسور، عبد الله الطيب، الذي كان مديراً لجامعة الخرطوم، في تلك الفترة، للعمل كاستاذ دكتور بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، فقبل الدعوة، ومضى إلى الخرطوم، ومعه شريكة حياته، السيدة منيرة محمد علي لقمان، وابنه الأصغر نزار. فقضى ثلاثة أعوام بهذه الوظيفة، ما بين ١٩٧٤م و١٩٧٧م، وتوسعت علاقته بالسودان كثيراً، وكتب الكثير من الشعر في الخرطوم أولاً، ثم حنيناً إليها، فيما بعد. وفي قصيدته (على ملتقى النيلين)، التي نشرها في ديوانه الخامس (في المركبة)(٢)، وكتبها عام ١٩٧٤م، عند ملتقى النيلين الأزرق العنيف والأبيض الهادي، وهما يتحدان لينهضا برحلة الخلود صوب الشمال يقول:

على ملتقى النيلين هذا قد ازرقا وهذا قد ابيضت صحيفته عتقا

تدفق وادي النيل نهراً مرجباً به وحد السودان ما كان منشقا

فعاد الذي كان في الشرق مغرباً وما كان في غرب البلاد غدا شرقا

وأهوى على جيد الجنوب يضمه حناناً شمال القطر في وحدة وثقى

فيا ملتقى النيلين بوركت ملتقى وطاب لمن يلقى لديك الذي يلقى

وحييت من واد ذكرنا به الصبا فطرنا له شوقاً وهمنا به عشقا

يقال لنا أهلاً وسهلاً ومرحبا فنعرف في القول الصراحة والصدقا

وفي قصيدته (الأعياد الثلاثة)، يحيي صديقه، البروفسور عبد الله الطيب:

وإذا الطيب المبجل عبد الله يزداد في المعالي صـــعودا

وينادى به على الملأ الأستاذ علماً ما أن يطيق حدودا

وفي قصيدته (يا ليتني)، يقدم لها فيقول إلى عدن الحبيبة الماثلة في القلب، أبداً:

يا ليتني أنسى بأني هنا في لوعتي عاشـــقك الأكبر

لكن لي في كل حين رؤى يخفق فيها وجهك الأسمر

أما في قصيدته (وداع الملتقى)، فيودع الخرطوم، متذكراً زملاءه في هيئة التدريس الجامعية:

ملتقى النيلين من بعدك قد ضاع سبيلـــي

أتـــرانـــي راحلاً عنـــك إلى خـــير بديـــل

لست أدري لكـــن الأوطـــان أولى بالنزيـــل

وبصنعـــاء مـــن الأغـــراء ما يـــروي غليلـــي

ملتقى النيلين هل بعـــد التلاقـــي مـــن مثيـــل

فلقد عشت وحولي فيـــك في البـــذل المنيـــل

من كريم الصحب ما طوّق عنقـــي بالجميـــل

من كفتحي والفتى السريح في الخـــير الجزيـــل

أو صلاح الدين والواثـــق والحـــبر الجلـــيل

أو كعز الدين أو يوسف ذي الفضل الفضيل

ولو أنصفـــت مـــا أغفلـــت ذكـــراً لزميلـــي

حاضراً أو غائباً عن ظاهري لا عــن دخيلـــي
سيمــا الطيــب عبــد ا لله ذي البــاع الطويــل
ملتقـــى النيـين قـد كنت إلى الخــير دليلــي
ملتقى النيلين مـا زلــت علــى العهـد الأصيــل
ولقـــد خلفــت للعهــد علــى الشــط سليــلي
يـــرد الحـــوض ليســقى مـــن نمـير سلسبيـــل
واثقـــاً أن ســـوف يحظــى كأبيـــه بالجزيـــل

ومن ذلك اليوم، أصبح الهيام بالسودان لدى كاتب هذه السطور يدخل في طاعة الوالدين!!!

وتضمن ديوان (في المركبة) معظم قصائد الشاعر المكتوبة في السودان، مثل (في سوق عكاظ)، التي كانت شعاراً لأسبوع عكاظ الأدبي بالجامعة، إضافة إلى قصائد أُخرى لم تنشر في الديوان، منها (عيد على النيل)، و(سوبا)، المهداة للنطاسي السوداني الراحل، البروفسور عمر بليل، الذي أجرى عملية جراحية للشاعر. كذلك قصيدة (وداع)، المهداة للدبلوماسي اليمني بالخرطوم، عبد ا لله المساجدي:

وشاعت لنا السودان يوماً لقاءنا فكانت بجمع الشمل خيراً مــن الوطن
وكم لبني السودان سبق إلى العلا وفضل علــى أبنــاء تبــع ذي يــزن
فيا ملتقى النيلين بوركت خضرة وبورك فيك المــاء والمطـلع الحســـن
وما مثل عبد ا لله في القوم مــاجد تواضع حتــى استغرب المجــد وافتتن
ولو علم المجد الأصيــل مكانــه لأدرك أن المجـــد في السر لا العــلن

ثم يعود غانم الأب إلى صنعاء، ويظل على حرارة عاطفته للسودان، ففي قصيدته (الثرى النابض):

وأتى المهاجر من ضفاف النيل حيث الود محضا

ورحابة السودان في الأخلاق والأذواق أيضا

لولا الولاء لكان شط النيل أولى منك ربضا

لكنها صنعاء نادت فاستجاب لها وأمضى

وغدا يشم كرومها ويذيبها لثماً وعضا

ويطوف فيها بالمفاتن بعضها قد فاق بعضا

ثم يجيء ديوانه السادس (الموجة السادسة)(٣)، ليواصل رحلة الحنين إلى ملتقى النيلين، كما في قصيدته (في السبعين):

وأخيراً وافت السبعون من أيام عمري

بين بيروت وشط التمز شهراً تلو شهر

مدنف يطلب برءاً من أذى داء وضر

واستقر الشوط في السودان في خفض ويسر

في ضفاف النيل والأزرق في الأبيض يجري

حيث أم درمان والخرطوم بحري وبري

حيث للمقرن نهر لاب مشدوها بنهر

ملتقى النيلين أكرم باللقا طيباً وأحر

أي عيب في الفتى أن يخلط البيض بسمر

أن يجد في (الثوب) (كالشرشف) ما يسبي ويغري

يتهادى وهو والصندل في طي ونشر

حيث للعلم شعاع فاض في بر وبحر

حيث مــــازال (نــزار) وهــو في بحــث وذكــر

دائـــماً يســـعى إلى الغايـــة في كـــد وصـــبر

يطلب الطب الـــذي يقضي علـــى الـداء ويـبري

وإذا أنهـــكه البـــحث وأضـــناه التـــحري

كـــان في العـود لـــه خـــير مـلاذ ومـفر

يجمع اللـحن كـما يـــهوى إلى اللـحن الأغـــر

ويغــــني بأغانـــي الحـــب في أجمـــل نـــبر

بالملاء الأبـيض الناصــع قـــد جــــال بخصر

وقد استثمر الشـاعر وجوده في الخرطـوم؛ فوثـق صلاتـه بأُدبـاءه كمحمـد مهدي المجذوب، ومحمدعثمان ياسين، ومحمد أحمد المحجوب، وتاج السـر الحسـن. وكان للدكتور الأديب محمد يحيى الشرفي دور كبير في توثيق علاقاتـه هـذه بأُدبـاء السودان، فكان أن شهد مـنزل غـانم الأب في الخرطـوم أُمسـيات أدبيـة فنيـة، وفي الوقت نفسه كان للدكتور الشـرفي دور عظيـم في تعريـف السـودانيين بمنزلـة غـانم الأب الأدبية، حتى أنه كان يحفظ شعره، ويلقيه، عن ظهر قلـب، وموهبـة الحفـظ للشعر عند الشـرفي أحـد أجمـل صفاتـه الأدبيـة. وهكـذا تعـرف غـانم الأب علـى الندوات الأدبية بأُم درمان، مثل ندوة عبد الله حامد الأمين، وندوة مبارك المغربي.

كذلك طبعت دار النشر بجامعة الخرطوم مسرحيتين شعريتين للدكتـور غـانم الأب، هما: (الملكة أروى)؛ و(عامر بن عبد الوهاب)، أهداهما إلى صديق عمره، البروفسور عبد الله الطيب، وأخرج القاص السوداني، الطيب صالح أحداهما. وقد كتب غانم، خلال بقائه بالخرطوم، مقدمة لمسرحية (ريش النعام)، للدكتـور خـالد المبارك، جاء فيها: (وأخيراً فليطمئن الدكتـور خـالد بـأن الـذي نتـج عـن اختـلاط النهريـن، الأبيـض الحـادي بـالأخضر العنيـف، كـان الفضـائل المشـتركة، والجمـال

المزدوج؛ فقد كنا نظن أن بشاراً، وابن الرومي، والشريف الرضي لم يتركوا مزيداً لقائل في الجمال الأسود، حتى جاء الدكتور خالد، ليقول لنا، على لسان ياسر «من يتزوج من نساء السودان لا يذكر غيرهن»)!

وختاماً، فهذه أبيات من قصيدة قالها غانم الأب في كارثة السيول والفيضانات، التي اجتاحت السودان، عام ١٩٨٨م:

كم ذهلنا خرطوم للنبأ المشئوم لما أطار منا الصوابا

اين سود العيون كم سحرتنا وعرفنا منها الهوى والشبابا؟

أين سمر السيقان يعزفن على القاع بابنوسها اللحون العجابا؟

ما دها النيل يستبد بخرطومه وبالمقرن النبيل رحابا؟

لو بكيناك بالدموع إلى أن جفت الموق لم تحرنا جوابا

لو نوفي المصاب خرطوم ما في النفس من حرقة لزاد التهابا

لو نواسيك بالمئين وبآلاف لم نقض حقك المستجابا

وجدير بالذكر أن الجماهير اليمنية قد تدافعت للتبرع بالمال لضحايا الفيضانات بالسودان، في ذلك الوقت.

---

(١) محمد عبد غانم، **موج وصخر**، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

(٢) محمد عبد غانم، **في المركبة**، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

(٣) محمد عبده غانم، **الموجة السادسة**، دار آزال، بيروت، ١٩٨٥م.

د. محمد عثمان حسن الجرتلي

طبيب، وشاعر، وموسيقي سوداني. تتحدث عنه كتابات وأشعار الشاعر اليمني الراحل، لطفي جعفر أمان (ت ١٩٧١م) بأنه كان من أقرب الناس إلى قلب هذا الشاعر اليمني الكبير، خلال سني دراسته بالسودان. ولعل من الدلائل على قوة هذه الصداقة الروحية والأدبية أن لطفي كان دائم التردد على الجريتلي، بعد مغادرته للسودان، وكذلك كان الجريتلي دائماً ما يزور عدن، للقاء بلطفي. وفي إحدى زيارات الجريتلي لعدن، وبمناسبة ليلة الميلاد لعام ١٩٥٤م، كتب الجريتلي قصيدته (غريب)، متوفى منذ سنوات:

الكون يمرح في هناء والناس آمالاً وضاء
والحانة الحمراء تزخر بالرجال وبالنساء
في ليلة الميلاد سحر وانطلاق وانتشاء
لكن هذا الحسن يا قلبي لمن وهب البقاء
ما للغريب سوى الحسرات تزخر بالشقاء
في ليلة الميلاد في هذا المكان الزاخر
وهنا النهود على الصدور تدير رأس الشاعر
وهنا الشفاة على الشفاة لساحر من ساحر
وحدي الغريب بحانة الأفراح أبكي حاضري
كبقية الأثم المعذب في الضمير الطاهر
يا قلب لا تأسى فهذا شأن الغريب
والحانة الحمراء ملأى بالرفيق وبالحبيب

هم في ديارهم ونحن هنا بقايـا مـن ذنـوب

هذي المدينة بالحياة تضج في صـخب مـهيب

دنياك قد خلفتها في مهدك اللـدن الـرطيب

يا قلب لا تأسى غداً تـلقى أمـانيك المـلاح

بالطائر الميمون عبر اليـم في مـتن الـرياح

وغداً تعود إلى مغاني الأنس في تـلك الـبطاح

لا تبتغي الحسن الحرام هنـالك الحسن المـباح

يا قلب لا تبك الجراح غداً ستندمـل الجـراح

عدن / ٢٤ ديسمبر ١٩٥٤م

محمد علي الخوربي

شاعر وقاص شاب من اليمن. درس بالسودان ومصر، ونهل علـوم الهندسـة هناك. يحمل ديوانـه، الـذي يوشـك علـى الصـدور، وكذلـك مجموعتـه القصصيـة الأولى، عدداً من التجارب التي عاشها في غربته عن اليمن، وهذه بعض النماذج:

بلقيس تراءت كثباناً لم ترحل

كانت بعض طيور النورس والعقبان
تتجمع في الأفق دوائر مضطربة
السقف سماء
والأرض تراقص فيها المد عباب
كانت صيحات الطير تؤكد أن هناك إياب
كانت أجنحة الطير ترفرف صوتاً يرفل
في أروقة الكشح يصفق
يوحي أن هنالك فرحة
فالقادم ليس خيال
ما كان القادم يا اخوان سراب
بلقيس عادت
بلقيس تراءت كثباناً لن ترحل

النيل

يـــا بنت ذاك العبقري مسافر من دونمـــا صحب ولا نـــدماء

يطوي الفيافي ساحباً في طيه أشلاءه مزقاً كما أشلائي
هذه الربوع يمر ليس مبلغاً فيها التحايا مجزلاً بعطاء
يروي بنشوته الشموس وتستقي منه النفوس وفي ظمأ أحشائي
متعفر متخفر بالنور في صلف به من دونما استحياء
متمنطق حزم الضياء يزينه لألأ ما بيديه من خيلاء
جذلان أقبل كالوليد بشاشة لكن فيه تغطرس الحسناء
سكران أقبل موغلاً في غيه ومضمخ بسلافة الأهواء
متأرجح ما بين هرولة له مدوية أو زاحف ببطاء
يسقي ويروي باندفاع ما به كلل لفيض تدفق ورواء
هتك الدجى فاستل منه كآبة سكنت بغمد سريرة سراء
جرار أذيال الرخاء وياله قلق تكنفه جلال رخاء
يا ابن الكنانة أي وهج قد حوت أردانك الحرى وأي ضياء
يا صاحب الأعطاف جئتك شاكياً هذي المناحة فيك بعض شكائي
يانيل هل أبكيك دمعي ساخناً ما الدمع لو نعق الغراب دوائي
في ضفتيك محارق لمشاعلي ومناحر لترعرعي ونمائي

كنت إلا اندثار

وأشعر أني غريب الأماني غريب المواني أسير الغير
وأشعر أني لغير الزمان لغير المكان بلا مستقر

أغنية

باللهجة السودانية

أنا ما بيدل بيهواك عمر الزمن عمر الأزل

أنا ما بعيش يوماً بلاك أنت الحياة وأنت الأمل
أنا يا حبيبي لو نسيت وا لله ما بنساك دقيقة
أو حتى لو يوماً جفيت أنا ما بصدق دي الحقيقة

تونس ومخدة المآل(١)

لمن اغترب أهلاً بك عوداً....

استلقى على ظهره، وداعبته شاعرية المكان، واستطابت له أريحيته، فأوثق شابكاً ما بين مشطي كفيه خلف رأسه، ونظراته المستطلعة مدروزة على ما يتهادى وينبجس. تأسره متناوبة عليه انتباهة النعسان، والتفاتة غير الآبه بين كل حين.. ثم وان سحر الذكرى، وترجيعات الصبا، ورقرقات أصداء اليفاعة كلها كانت تستجيب لتلك الطبيعة الساحرة، في أغلب الأحيان.

قام بانتباهته يخاطب أحد المغنين الذي ما فتيء يتنقل هنا وهناك بين أغصان الخميلة، بفوضوية لا يدرك كنه وقعها إلا الناظر إلى جمال الأشياء، دونما إدراج لها تحت طائلة أسرها لنظام أو احتوائها في ترتيب مسقسقاً صوتاً كأنما هو نجوى لصديق، راحت تتفرق اثر نفحة لانسام أو لفحة من شمال. بدافع حنينه إلى مراتع (آزال)، ومنتجعات التاريخ في قباب مساجدها، وحماماتها.. قال للمغني يخاطب فيه تحليقه.. ليتني كنت مثلك.

لم يجبه المغني، لكنه تقافز، كالملتاع، من على ذؤابة أحد الأماليد، وظل الغصن يتمايل في طرب ونشوة، كفت عنها أعطافه الرخوة، وارتباك وريقاته، في سلاسة ورقة، واعتلى المغني بجناحيه الرفراقين يطوي طبقات الجو الطلق، ويخترق مختاراً موطناً له بين أغصان تميزت كل عن الأخرى تدعوه آمناً، ومقيماً، ومنشداً. وظلت الخميلة تنفث بظلها فوق القابع، واستقر المغني الصغير في أحشائها وأقام له موطناً، يبوح منه ألحانه، وخباياه... عندها أجابه، أرسلها المغني زقزقة، أروت في

القابع تحت الخميلة ظمأ المتفرد وجوع الشارد بنفسه، وهمومه، يبحث عـن أنيس توارى، وغيَّبته الوهاد والشواسع، وأوردت له تلك الزقزقـة شـهيقاً مفعمـاً بشـذى الوارفات. كان قبلها يزفرها زفرة، أطارت بلفحها ذلك العصفور عن غصنه، وعن هدأته. كان النهر ينساب كالمسافر في عدالته، وكان قد تعفر ماؤه بغليان الطمي.. وظل يترقبه، وعاجلته فكرة أن يخـاطب فيـه سـعيه الـدؤوب، ورجفـة المرايـا فـوق سطحه، ولعلعة الضياء الذي أُقبل من أقاص، ليعكس علـى صفحـات المـاء رسـالة السماء.

خاطب فيه طية الأرض، في عجالة. يمني نفسه بلحظة الرحيل، يقتنصها على صهوته. قال له: ليتني كنت مثلـك. كـان صـوت النهـر كـالوعيد وسـواقيه، الـتي انتشرت في جوانبه كبصمات المعتـدي أو لمسـات الجـاني. والقـابض بتجنيـه علـى مملكة اليابسة المنحسرة تحت هول سطوته يقبض بعنف ورقة، يتبادلهما، فيتفقان في ذلك مداً وجزراً، ويتدثـران تحـت معنـى العطـاء والقبـض عنـه. أجـابت السـواقي للقابع: ما أشبهنا بـك كـل تفرقـع، فـافرنقع. سمعهـا، وتصـدى لهـا، يسـأل الأب والأصل. أجابه النهر: مثل بناتي أنت، ها أنذا قـابع في مـداري.. وهـا هـن أفلـتن مني.

حينها رأى السواقي، وقـد تفـرق بهـن المـآل المشـتت، وقـد نضبـت فيهـن انسيابة الماء رقراقاً ورائقاً، واصطفت طفيليات النبات الضامر، تلقي عـن حنايـاهن نعوتاً كانت تثري المنظر الجميل، في سحناتهن، والطلاقة الحسنة في حواشيهن قبـل الجفاف، الذي تبدى من عصيانهن، وتلفعهن بالتفرد والإنعزالية. أطبق الوهن علـى جريان مائهن، وقد انفصلن عن الأُخـدود المـاثل فيـه انجـراف عبابـه، وأحـس بهـا وحيدة، تقمصت عنه وحدته، ولم تحمل عنه همومها وتبكيتاتها له، فأجفل عن أن يناجيها، عله يجد في غيرها العزاء، والتأسي، وأحس أن في غربتها تلك ما يتمثل لـه من أن أصبح تمخض عن سبابة تشير إليه معرشة على رأسه وطأة اتهـام وثقـل وزر

لمذنب يتنصل عن ذنبه، الذي ما برح يلاحق فيه هروبه فأشاح بوجهه عنها.
كانت لغة النهر هديراً وصوت الموج الذي لا يستقر على ترجيعة واحدة يتردد كبوح قيثار، فيرتج له ويثار، وظلت عيناه تسابقان لوناً من ألوان الطيف، الذي امتطى ظهر موجة، وهرول بها، وهرولت به، حتى غدا غابا عند منحى الأُفق، تبدى لوناً آخر على ظهر موجة أُخرى، وهكذا دواليك حتى انتهى له في ترائيه قوس قزح، مكتملاً إلى سطور صفحة الماء لدى اكتمال حيرته، والوصول بها إلى قفلة استشعر بعدها ملل التكرار والتوالي. فاستدار بناظريه نحو الضفة الأُخرى.

انكفأ يقيس المسافة بعينيه وحلمه.. رأى أسراب الطيور، على تلك الضفة، تتقافز هرباً منه، أو من وحشة تفرده، الذي ينعكس فيها بيارق، أن تبقى على اجتماع وفي أُلفة يحتضنها موطن، ومرتع، وانفضت تلك التجمعات البيضاء من الطيور المتآلفة، تنفرط مثل حبات عقد على أرض ملساء، وأبرقت تتهادى فرادى، وارتدت تترجم له التضاد، والتنافر، واللا اتفاق، بين تكتلها زمراً، وانشقاقه فرداً وواحداً، ولكي يعي منها تلك العظة، فلقد حلقت قليلاً، ثم عادت تتجمع، على بعد غير بعيد، مرة أُخرى وراحت تداعب استباق الماء، ودغدغة الأسماك والمحار والحجارة، في توليفة جماعية. باشر يرى نفسه بعيني حلمه، وهو يطوف بين القوم الذين انشغلوا عنه في تلك الجزيرة الصغيرة، بترقيع شباك الصيد، وترميم القوارب.. ألقى بالتحية، فأجابه زميل راح ينخر في لوحة الخشب، لينصب عضواً منسجماً في جسد القارب الكبير. عاد مرة أخرى، وألقى بالتحية، فلم يجبه البشر؛ كانوا منكبين، وقفزت تحيته الثكلى، لتغوص نادبة، ويلتهمها النهر الجاري في أحشاء خريرة، ثم ما لبث أن أجابه بزخات إفاقته من رحلته الوهمية إلى الضفة الأخرى. وإذا بالزخات تتكور، لتلفحه في صلابة الثمار التي ألقتها الخميلة، إثر نزق لطائر، قام يعبث في أنحائها، ويتمرد، فاستفاق من صفعة الواقع.

(توتي) الجزيرة التي تركها، قبل قليل، بعيني حلمـه، يعلمونـك القـوم معنـى التعاضد، والإتفاق، والإرتباط، لم يفرطوا يوماً في شبر منها، ظلوا على الـدوام في انتظار قدوم النيـل في مواسـم إقبالـه المثمـر واضطرابـه المدمـر، ولهفتـه، وتوحشـة، مشتاقاً إليهم. دأبوا يروضونه ويودعونه دائماً بهامـات السـنابل وزهـرات أشـجار الفاكهة، والخضروات، ونبرة الفولاذ في ثناياها، وأسماكه الـتي تنضـج بالفوسـفور، ويحيونه بفورة الجينات في أعماق التربة الطمييبة الخصبة، تعلن لهم عن فرحة المواسم المقبلة، وتنبي عن وعد المحصول يتفتق بالوفرة.

وفي مرة، وعندما غضب النيلان عند التلاقـي (الأبيـض والأزرق)، وزمجـرا، ثم دمرا بخيراتهما الكيزان والمزاهر لم يقف لنجدتهم ذلك المحتـل بـل تقـدم للنجـدة شباب البلاد مشمرين، وأعانوهم على الكارثة، فأنشدوا فيهم:

عجبوني الليلة جـــــوا

تـــــرسوا البحر صدوه

عجبوني ولاد الـــرحمن

ملصوا البدل والقمصان

تـــرسوا البحر خرسان

قال لهم، ذات يوم، أحد المحتلين الإنجليز: نرغب في بناء معقل هنا، وتأسيس مقام لكبار الدولة في أفيائكم.

لم يرتضوها من محتل فهـاجوا، واستشـاطوا، تكتلـوا مسـيرة، ومشـوا علـى سـلطان البيـض، يقيمـون عليـه الشـاهد. تراجـع الغـاصب، فتفرقـوا، وعدلـوا، واستكانوا، بعد أن مات لهم واحد. دفنوا الشهيد، ومعه دفنوا آمال المسـتعمر، ثـم بعدها غادرهم منكسراً، فكان الفاتح من يناير ١٩٥٦م.

تحت أقدام الخميلة، قام ينطلق في حلم آخر مرة أخرى. ارتخى بالجوارح، أكثر من ذي قبل، وتوسد ساعده، ومال على جانبه الأيسر في إغفاءة طويلة، يدغدغه ابن جنبيه، وكأنه يشكوه ثقل وزنه عليه... ثم ان كان الحلم فكان الرحيل. عاد إلى مراتع اليفاعة، وقوَّض ذلك الفقر المحيط بغنى ذوي القربى، والأهل، وأمعن في ضم الخواصر، وتقبيل الوجنات، والهامات، وأفرغ فيها السلام، واللهفة، ودمعات المكتنب بغصته، لنأيه، واغترابه، وأحس بصخب الاستقبال، وجلجلة المرحبين، باطلالته، بعد غياب، وعانق (نقم)، ومشى في سهل تهامة. في رقدته تحت الظل، يستكين لحلمه المسافر، وكان أن ترعش، واختلجت به أعماقه، إثر قبلة من عزيز، بثه فيها الشكوى والملام... كانت أُم الأطفال، ولحظة اللقاء، بعد غيبة، ثم اندثر في إغفاءته، واستظل، وسافر في ظهر الحلم، من جديد. قال له أحد أطفاله: لم نكن ندرك أنك سوف تعود إلينا، يوماً... يا له دهر. جذبه إليه، وانكب عليه، مقبلاً، ومعفراً بدمعه الذي نزف... خد الصبي الدافىء، وامتشقته زفرة حرى.

قال للصبي: إنها نهاية المطاف يا بني.

صاح الطفل فرحاً ومهللاً، وتفرقوا من حوله جميعاً، وطافوا بالخبر، وطارت بهم فرحة، قالوا لمن صادفهم: إنه جناح الرحمة، عاد إلينا، وهو الظل الذي ليس من بعده صهد، أو لفح... لبين. قالت له أُم الأطفال: لم يكن ترتيبهم منسجماً، وستبقى تلك الفجوة بين أعمارهم، وعمر من سيليهم وصمة غيابك عنهم. ولتعلم أنهم، وعلى الدوام، يشتبكون مع أندادهم، ويتمردون، وإن كانوا كذلك فإنه الشعور بغياب أحد الطرفين، وانكسار أحد الجناحين، واختلال إحدى كفتي الميزان، وإن تحصيلهم العلمي يتعثر، وإنهم، وإنني، وإنك و... و.... و.....

صاح بها، ليسدل نهاية على شكات لسانها، وطعنات تقريعها. لكنها أردفت: كان البركان عاصفاً هنا، وفي غيابك، وأنهار دماء الشهداء لم تزل تنضح

بها الميادين، والباحات، والقمم، وما كان صوت (الزبيري) وثورة رفاقه إلا شعاع انبلاج يومنا هـذا... لكـن لم يـزل علـى عـاتقك عـبء المهمـة، وعليـك بـالمعول والقلم، ولتعلم أننا نظل في قتامة الصراع جرحـى، حتـى نسـكب مـن جراحنـا دم الإيثار، والتفاني، فيضحك بنا الوطن ملء شدقيه. ترنمت ببيت من الشعر للزبيري:

نمر على شفرات السيوف ونأتي المنية من بابها

قال لها: الآن لن أجد المنية، فداء لهذا التراب، وهي لم تمنحني ذلك الشرف. ارتج به جسمه الجاثم، وهاج بالأغصان سباق الخفيف، وعاد بصوته للخميلة، ولـ (توتـي). وحـين عـاد إلى أرض (بلقيس)، حمـل معـه الشـوق، وودع (المقـرن)، وقفزات (الهدندوة)، في شرق البلاد. ولم ينس، وهو يجمع ما تبقى له مـن إهـاب، أن يحمل معه، في رحلة العودة، ذلك الجلباب المتميز بشخصيته وانفرادتـه بجيبيـه الكبيرين من الخلف والأمام، وودع (محمد أحمد)، وجدل من عمامته الطويلة طوق الوصال والتواصل، ,نشر من أبيضاضها ضوء الياسمين، أبيضاً، يققاً، كرمز التلاقـي الصافي ومن على البعد، واستنشق من أرض الجنتين عبـق الـدفء والتلفـع، وارتمـى بين ذراعي (آزال)... وقال في نفسه: إنها مخدة المآل.

صنعاء / ٣٠ مايو ١٩٨٩م

---

(١) توتي: جزيرة سودانية، عند التقاء النيلين. نشرت القصة بصحيفة (**الثورة**) بصنعاء، بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٩م.

محمد علي عثمان

شاعر سوداني، اشتغل بالتدريس، في شمال اليمن، ومازال. وكان له اسهام مشهود في كتابة النصوص للأطفال، في برامج التلفزيون والإذاعة في صنعاء. من نماذجه:

رحلتي إلى صنعاء

أين وادي النيل مني ها أنا وحدي أغني

فالضفاف الخضر طيف لم يعد يشتاق ظني

ايها النسر انثناء أنت معهود التثني

هل تأنيت قليلاً إنما الخير التأني

فبنات الغيم تهمي كلما يمتاح قلبي

بين صنعاء وبيني غيمها جاءت بمزن

هذه صنعاء لاحت لوحة من كل فن

أودعت بلقيس فيها رونقاً من كل حُسن

كل ما في الكون يهنا إنما صنعاء تهني

أيها النسر إتئاداً حط بي يا نسر دعني

حط بي يا نسر واصغ إنني إياك أعني

ما لهذا القلب يهفو مثلما مس بجن

والسماء بنا امتداد تزدري فكري وعيني

أين وادي النيل مني ها أنا أغمض جفني

ثم أصحو في بلاد خصها الله بصون

فالسحاب السمح يعطي والجبال تقول زدني

والعيون لها انسياب بين أعناب وبن

أين وادي النيل مني أين أيامي وخدني

كلنا في كل واد والهوى من غير كون

سلني عن الشيء المباح

سلني عن الشيء المباح

لا تسأل الأنجم ضوءاً في الصباح

عيناي من ماء وطين

وسلالتي عرق تفرع من معين

اسمي انظر إذا ما شئت اسمي

في خيوط النور أبان الشفق

وادلق مدادك في الورق

سيطل برق

ويحق حق

الخاتم المنسي من بلقيس ثغري

وورثت من نيران حاتم موقدي وصنعت جمري

أأتاك أمري يا بنت من سادوا زماناً وأنقضوا

النصر في عينيك مات تيقظي

الدرب دربكِ فاقدمي

والخيل خيلكِ فاهجمي

سأكون جنحك للورى

روحاً وفجراً أخضرا

يا بنت (معجمنا المحيط) تكلمي

فالحب يركض في دمي

صنعاء

الشمس تشرق فيك يا صنعاء من دون اتجاه

فالله صاغــك للجمال وفيك يـبلغ منتهاه

شكراً لكم

غــن هزار الشعر وأرسل دمعتين

صنعاء للخرطوم جسر مــن حنين

أرض الرجال السمر ذاقت نكبتين

أودى الجفاف زروعها واليوم أين

الأزرق الـدفـاق أرسل مـده

والأبيض الميمون جـاوز حـده

والضد مـن عجب يبين ضـده

والأمـر مـن ربـي أأملك رده

كـم بيننا عشتم وعشنا بـينكم

لم نقض ديناً قـد قضيتم دينكم

مـا بيننا دين ونأبى هونـكم

يوم الكريهة قـد لقينا عونـكم

أبشر علينا نحـن حفاظ الجميـل

فلئن شددت بأزرنا ضد السـيول

ما نحن مـن ينسى الصداقة أو يميل

سنظل نرعى العهد جيلاً بـعد جيل

مأرب

* من قصيدة مشتركة، للشاعر مع الشاعر السوداني المقيم بـاليمن، أبـو تلـة الحسن:

أرأيت مأرب أم ذكرت النيلا فغدوت مكلوم الفؤاد عليلا

أم شاقك الموج المصفق فرحة فكأنما الخرطوم تـــبعد ميلا

رسالة إلى أبي تلة الحسن

إن لم يكن للشعر بيت يا صديق فما يكون؟

إن لم يكن للحب صوت يا صديق فما يكون؟

إنشيء قصيدك حيث شئت وثق بعادية السنين

لكنما بلقيس تصبأ في الهوى

وأخاف أن.. وأخاف أن يأتيك من سبأ الهوى

(خبر يقين)

عدني بأنك إن عشقت تظل تجري في عروق الأمهات

والقلب فيك يظل يخفق بالحياة

بلقيس ذاكرة الغناء

فالنيل يروي لحنه الأبدي يجزل بالعطاء

والنيل أصلاً ليس ماء

«بلقيس كانت يا صديق فأنت كن»

اعشق وجن

اعشق فإنك إن عشقت فسوف تسأل أنت من؟

رمل التلال يقول لا

نخل الشمال يقول لن

أدري بأن الحب فن.. اي فن

إن لم يجد في الأرض مسعى

سوف يعرج بالنفوس يظل يرقى

كلنا في الحب غرقى

غير أن وغير أن

إن هذا الحب نيل وهو أرض وسماء ووطن

بلقيس سيدة النساء

سمها تاجوج وأنظر في المدى

هل يستقر

من يبدل العشاق يوماً في الهوى سراً بسر

سمها أم درمان وأنظر في الأفق

من يبدل العشاق يوماً في الهوى عشقاً بعشق

قلبي معك لكنما من يوم أن أحببت هذا الحب

قلبي ودعك

النيل مشتاق وبلقيس العنيدة لا تجيب

عهدي بصوت النيل مسموع لنا

ويزين سمع الكون صمتنا

كلما ألقى نشيداً أو رنا

«أنت سوداني وسوداني أنا»

غنها إن شئت ليلا

غنها إن شئت صبحاً للدنا

والمرء قد.. لكنما هيهات ينسى الموطنا

بلقيس واحدة وهذا الحب واحد

فالنيل نبع للّحون العائدات وكل عائد

من دون ماء الأرض ربي يصطفيه

كم غابت الأقمار فيه

ثم عادت تجمع الشطين حبا

فيصير العذب مرا

ويصير النيل عذبا

نقّل فؤادك حيث شئت

أرضاً فأرضا

فالحب مذ خلق الورى قد كان فرضا

بلقيس ترحل يا صديق

ونيلنا الدفاق باق

يغمر الأكوان فيضا

اعشق فإنك إن عشقت تضيّع أشياء كثيرة

لون الغروب ورنة (الطمبور) و(التويا)

ورائحة الضفيرة

صنعاء / يونيو ١٩٩٣م

محمد الفتيح

شاعر يمني، من تعز، يكتب بالفصحى، وله بالعامية أغان معروفة عند أهل الطرب. كتب للسودان عدة قصائد، نشرت واحدة منها بعنوان (موال لأم درمان)(١)، بمناسبة زيارة وفد أدبي سوداني لمدينة تعز، سنة ١٩٧٦م، بدعوة من الشاعر اليمني الراحل، عبد الله حمران. لم أتمكن من الوقوف على قصائده الأخرى في السودان، لتعذر المراسلة المستمرة بيننا:

موال لأم درمان

يا أم درمان على صنعاء شعرك تدفق

يعيد لآهاتنا زمن جرير والفرزدق

والنيل بأسماعنا جرس مقفى مموسق

وأسقانا أحلى الكؤوس من النبيذ المعتق

أدارها الماهرون من الأبيض والأزرق

وشاهدوا شعبنا بالنفط كيف يحرق

ومن رماد الحريق كيف من جديد يخلق

على القيم قدرياً ما غيرها يعشق

ولا قبل مرتزق ولا تدنى لأحمق

يا أم درمان لكن فين زهور (جيلي)(٢)

و(عاشق إفريقيا) حامل هموم جيلي(٣)

لا تعتبي من سؤالاتي أنا مش فضولي

أنا بحبك وتشهـــــد لي مواويلــــي

وأردد عـــدد خيوط مناديلـــــي(٤)

---

(١) **الجمهورية** (تعز) عدد ٢٩-٦-١٩٧٦م.

(٢) اشارة إلى الشاعر السوداني الراحل، الدكتور جيلي عبد الرحمن.

(٣) اشارة إلى الشاعر السوداني، محمد مفتاح الفيتوري.

(٤) اشارة إلى أغنية سودانية معروفة، أظنها للفنان محمد وردي.

د. محمد يحيى حسين الشرفي

سياسي محنك، وأديب عالم، وطبيب نهل من علوم الأمراض النفسية، ونـال فيها درجات الإختصاص. وهو، اليوم، عضو منتخب في مجلس النواب اليمني.

هو ابن شيخ اليمانية، في ودمدني، بوسط السـودان، المرحـوم يحيى حسين الشرفي. نبغ في عمر مبكر، في مراحل الدراسة قبل الجامعية.. ثم حضر للخرطـوم، للدراسة بكلية الطب بجامعتها، وكـان لـه فيهـا نشـاط ثقـافي وأكـاديمي مشـهود؛ فأسس أول جمعية للصحة النفسية في جامعة الخرطوم، واتصل بأفذاذ الفكر والمعرفة في السودان، وحظي بصداقة عدد من الساسة اليمنيـين، الذيـن كـانت لهـم بوالـده صلات الود. وجمع، إلى ذلك كله، صلات الرحم بالسودان فهو من أُم سودانية.

بدأ حياته الشعرية متيماً بشعر صديقه وصديق والده الشاعر اليمني الراحـل، عبد الله حمود حمران. وأتاحت زيارة الزعيم اليمني الراحل ابراهيم محمد الحمـدي للسـودان، في منتصـف السبعينات، لـه فرصـة اللقـاء بـالحمدي.. الزعيـم الشـاب والمتحمس لكسب ود الجالية اليمنية الكبيرة، يومئذ، في السودان، خاصة وقد كان صديقاً لحمران، الذي كان يشغل منصباً سياسياً عالياً في حكومة الحمـدي. فكـان أن وجه الشرفي الابن نشاطه السياسي صوب اليمن، وصار من المقربين للحمـدي، إلى أن أغتيل الأخير هذا، وخلفه الزعيم اليمـني الراحـل، الغشـمي، عـام ١٩٧٧م، فاستمر الشرفي في مكانته. وبعد أن اغتيل الزعيم الغشـمي، بعـد شـهور مـن توليـه الزعامة، وحل محله الرئيس علي عبد الله صـالح، سـاءت العلاقـات بـين الرجلـين، فيما يبدو، فقدم الشرفي إلى الخرطوم، واستقر بها، في فترة كان حمران يشـغل فيهـا منصب السفير من صنعاء لدى الخرطوم، لكن الخلاف المرير لم يلبث أن شب بـين

الصديقين حمران والشرفي، لأسباب سياسية، واجتماعيـة، علـى مـا يبـدو، وتحـول الخلاف إلى صراع مرير، انتهى بمغادرة حمران لمنصبه في الخرطوم، واستقرار الشرفي في كنف الحكومة السودانية. واستقر الشرفي في كنف الحكومة السودانية، لا سيما وقد نال صداقة الزعيم السوداني، جعفـر محمـد نميري، ونائبه السيد عمـر محمـد الطيب.

وقـد أدى هـذا الوضـع المتوتـر إلى «دربكـة» في مسـيرة العلاقـة اليمنيـة ـــ السودانية، في ذلك الوقت، خاصة عندما اتخذ الشرفي الخرطوم مقراً لمناوئة الرئيـس اليمني، علي عبد الله صالح، ساعده في ذلـك صلـة قويـة قـامت بينـه وبـين المفكـر الإسلامي اليمني المعارض، الأستاذ ابراهيم بن علي الوزير، وإن كانت هذه العلاقـة لم تلبث أن انقطعـت. وكـان الشـرفي قـد تمكـن مـن استمالة بعـض الشـخصيات الإجتماعية اليمنية، إليه، خلال تلك الفترة، ممـا جعـل سـفارة شمـال اليمـن تراقـب نشاطه السياسي المحموم، بحذر.

ورغم أن الشرفي صار مقرباً إلى السلطة الحاكمة في الخرطوم، وأصبح يحمل الرسائل الدبلوماسية بين الخرطوم وأتاوا ولندن، إلا أن هـذا قـد جـر عليـه غضـب الساسة السودانيين المعـارضين، وهـذا هـو مـا نلمسـه في كتابـات وزيـر الخارجيـة السوداني الأسبق، د. منصور خالد(١).

وشاءت الظروف السياسية هذه أن تجعل، مثلاً، من خبر انفصاله عن زوجته ـ وهو أمر يحدث باستمرار ـ موضوعاً اختلطت فيـه الأوراق القانونيـة بالسياسـية. ويتضح هذا، مثلاً، في كتابات المحامي مصطفى عبـد القـادر، الـتي صـدرت عقـب الاطاحة بنظام حكم الزعيم نميري(٢).

وقفل الشرفي، فترة سقوط نظام النميري، راجعـاً إلى الاسـتزادة مـن المعرفـة الطبية في الجامعات البريطانية، لكنه ما لبث أن عاوده الحنين إلى العمل السياسي في موطن الآباء والأجداد.. اليمن. وقد كان الزعيم اليمني، الشيخ عبد الله بن حسين

الأحمر في مقدمة من احتضنه، في صنعاء، حيث باشر الشرفي، أيضاً، عمله الطبي، بعد طول انقطاع، وعايش عن كثب أهالي منطقته.. مسقط رأس أبيه، وفاز بحب وتقدير أكثرهم، مما أهَّل له الوصول إلى عضوية مجلس النواب الحالي، وإن كان تحت راية سياسية مختلفة هذه المرة، هي راية المؤتمر الشعبي العام، وأمينه العام، الزعيم علي عبد الله صالح، كما أشارت إلى ذلك صحافة اليمن!

وقد أسلفنا القول بأن محمد بن يحيى حسين الشرقي، العالم الموسوعي، والشخصية الفذة، ذو جوانب متعددة في الحياة.. والشعر أحد الجوانب المضيئة في حياة الشرفي الابن.. وهذه أبيات من قصيدة له بعنوان (تحية لحضرموت):

ألا يا حضرموت المجد حياك غيثاً حميماً عميم الخير مـــــــدرار

نزلت أرضك والأشواق تعصرني إلى رفاق صبا وأهل عز أخيـــــار

أفنيت كل صباي الغض وسطهمو كانوا حياتي وأشياعي وأنصـــــار

في سوح (ود مدني) و(حنتوب) وهدهدها كم ذا بنينا تصاميماً لأفكار

بل كم أشدنا قصور خيال إذ نغذيها آمال شعب لنا في مهجر جـــار

ألا حضرموت لأنت القلب في يمن الحضارة والتاريخ للقـــــاري

وفي مناهل خرطوم ومعهدها السامي رتعنا وسط أحباب وسمـــــار

/ حضرموت / ١٩٩٠م

وهذا الشاعر والأديب السوداني، فراج الطيب السراج، يكتب الشعر، يمتدح الشرفي:

خلت من رواها حين غبت المقايل وما لمقيل في غيابك طائـــــل

وإذ عدت عادت للمقايل روحها وعادت إلى الدوح الكثيب العنادل

وأنت فتى الفتيان في كل حلبة وفارسها الماضي الغرار المصـــــاول

إذا حاد عن نهج السبيل مجادل عرضت فام النهج ذاك المجـــــادل

وهي أبيات من قصيدة كتبها الشاعر، في يناير عام ١٩٩٢م.

وقد ناصبت صحيفتان يمنيتان، هما (البـورزان)، لصاحبها صالح الدحـان، و(صوت اليمن)، لصاحبها عبد الرحمن أحمد محمد نعمـان، الشـاعر فـراج العـداء، نتيجة لعلاقته بالدكتور الشرفي، وتوجههما المناصر لنظام الحكم الحالي بالسـودان.. ونقتطف من (صوت اليمن):

(كم هالنا أن يكـون داعيـة الأفعـوان الجديـد للسـودان في اليمـن، هـو ابـن المغفور له خالد الذكر المناضل، الشيخ يحيى حسين الشرفي. كان أبوه يدعـو لحريـة اليمن في سوداننا الحبيب، وساعد أبناء اليمن الشقيق الأحـرار، ذلـك الرجـل الحُـر الدستوري، ووقفوا إلى جانبه ضد حكومتهم آنذاك ضـد حكومتهـم آنـذاك. فهـل يكـون جـزاء السـودان أن يقـف ابـن نـوح اليمـني إلى جـانب الظلـم والطغيـان والاستبداد. إننا نكفّر عن هذه السيئة بتخصيص هذا الركن من صوت اليمن لأبناء السودان الأحرار....).

---

(١) الدكتور منصور خالد، **السودان والنفق المظلم: قصة الفساد والإستبداد**، مالطا، ١٩٨٥م.

أنظر: فصل (النطاسي البارع والقبعة اليمنية).

(٢) مصطفى عبد القادر ـ صحيفة (**الأسبوع**) السودانية، بتاريخ ديسمبر ١٩٨٨م.

محمود آدم حسب الله

شاعر سوداني، اشتغل بالتدريس في اليمـن الشـمالي، وكتـب فيـه الشـعر.. وغادر اليمن، قبل وحدته، في عام ١٩٩٠م.

تحية الوطن

وأهدي كل قافية شرود تبث الود لليمن الشمـــــالي

ضممت فكنت منتجعاً وداراً وأهلك خير أصحاب وآل

فلو أني ملكت كنوز كسرى لما أوفيت حقك من لآلي

ويوم العيد يسبقني قصيدي يوثق من عرى تلك الحبـال

ويبعث من عبير النيل نفحاً إلى أرض المآثر والنضـــال

أحمله تحياتي ليزجي جزيل الشكر للشعب المثـــالي

خواطر مغترب

قد جئت أعبر هذه الطرقات يا يمن الشمال بلا رفيق

وإليك بعد زوابع الأنواء يأسرني المضيق

فأنا المقيد والطليق

وأنا الذي قد شلت حبك يا بلاد النيل يسبح في العروق

وحملت أعباء المغيب إلى الشروق

محي الدين فارس

شاعر سوداني مرموق خرج بشعره من التقليد إلى التجديد. درس بالسودان، ومصر، وقضى جل عمره في مجال التدريس. أُصيب، مؤخراً، بداء عصيب، جعله يعتزل الناس، والحياة الثقافية.

كان في صباه يدرس في القاهرة، وهناك تحمس للحركة الوطنية اليمنية، التي كانت القاهرة لها بمثابة القلعة. يقول في قصيدة له عن اليمن:

أخي قد آن أن نرجع للأمجاد صنعاء
وأن نكسر هذا القيد أن نصبح أحياء
وأن نمضي للعلياء ثواراً أشداء
صحت من حولنا الدنيا وما زلنا أذلاء
فكيف تظل صنعاء بليل التيه بكماء
تبعثرها الرياح الهوج في الصحراء اشلاء
اخي قم نفتح الأبواب للفجر الذي جاء
ألم تسمع بقلب الشرق للثوار ضوضاء
أخي صنعاء نادتنا فهل تسمع صنعاء

أخي مالك لا تصغي إلى صوت الجماهير
ألم تسمع صهيل الخيل في جنح الدياجير
وقد خرجت كما الطوفان أو عصف الأعاصير
تهد قلاع قارون وتهدم أسطح الدور

فـــكم ذا راح يـشويـــنا على سقود تنـــور
ويـــرصدنـــا إذا ثـــرنا ويـــلغينا بمنشـــور
ولـــكنا تمردنـــا هـــدمنا أضلع الســـور

أخي قـــم نزخـــم الدنيا بأبواق ورايـــات
ونـــعلن أننا عـــدنا إلى ركـــب الحضـــارات
وقـــد كـــنا وراء التيـــه في سجن الدجنـــات
نـــلوك مـــرارة الحرمان بـــين موائد القـــات
أخي قـــم حطـــم الطغـــيان طغـــيان الخرافـــات
أخي كـــن واثـــق الخطوة جبـــار الإرادات
فـــما عدنـــا كما شاءت إرادة ذلك العاتـــي
وزحزح بـــآية الصخرى نـــفتح كوة الآتـــي
فهذا العصر عصرالنـــاس لا عصر الكهانـــات

مـــن الجبهة والجبهة أشـــواك وأســـوار
مضى الثوار والثـــوار بـــركان واعصـــار
مضى الزحف ولـــن يوقف ركـــب الزحف تيار
ولا حاملـــة الموت يغطي وجههـــا العـــار
مشينا نحو مـــا نبغي يكلل رأسنا الغـــار

فهيا يـــا أخي ننصب للـــغاصب أكفانـــا
ونحفر قـــبره المشئوم في أرجـــاء دنيانـــا
ونـــصليه لهيب النار أنـــىَّ حـــل أو كانـــا

ونهدم فوقـــه الظلماء نـــيراناً وبـــركانـــــا

ونـــزرع في دروب الـــغد للأجـــيال بستانـــا

نـــعود غـــداً إلى الـوطن.. تعود لنا ربى اليمن

فقـــد لـــبست غلائلها ودارت دورة الزمـــن

مختار محمد مختار

شاعر سوداني تقليدي.. نال جائزة، عن قصيدة عصماء، قالها في زلزال وقع بالمغرب العربي. وفي زلزال اليمن ـ ذمار ـ الذي وقع عام ١٩٨٢م، كتب شاعر الزلازل هذه القصيدة الملحمية، تحت عنوان (عزاء أُم ذي يزن):

يا أُم تبع السامي وذي يزن نفسي فدى لـك في الأرزاء والمحن

رمـاك بالصيلم الدهواء غافلـة دهر يصيد عتاق الطير في الفنن

أخنى على عمرو المشهور صارمه وذي نواس وبلقيس وذي جـدن

فلا سلامـة في الدنيا ولا دعة ولا نجاة مـن الأحـداث والفتن

إذا أمنـا صروف الدهـر خاتلـة فقد أمنا عدواً غير مؤتمـن

خطب لـه عرت الخرطوم زلزلة مثل التي عرت الأطواد في عـدن

قد هاضني ومرى دمعي وأرقني أني وإن كنت في السودان ذو يمـن

إلى غطارفه الغر الكرام نمى عرقي ومن أصله الزاكي زكـا غصني

الخالدين أباة الضيم أنفسهم مـا سلن إلا بأطـراف القنا اللـدن

ذمار أي دمار شن غارتـه على قـراك الزواهي حادث الزمـن

أم أن رجـم الأولي في تـطيرهم بشوم بعض مـن الأسماء لم يخـن

هل كنت تدرين ما يخفي الزمان لها وما يداري من الأضغان والاحن

حتى إذا أخذت في الأرض زخرفها يـدكها فـدن يهوي على فدن

كـأنها وهي في الغبراء خاشعة لم تـغنِ أمس وكانت أنضر المـدن

وينسف الدور مجنونـاً فيجعلها كالموحشات مـن الأطلال والدمن

يـفرق الشمل والأحياء يـتركهم بـلا ملاذ ولا أهل ولا سكن

كلا فلم يـدر ما بالغيب مـــن أحد بل إنما أمره إن قال كن يـــكن

لله واسع علم ليس يدركـــه بـــــالظن كل جهول ضيق العطـــن

كـــذاك تـــنفذنا الدنـــيا إلى غرض كلت دوين مداه فطنة الفطن

تـــأتي الحياة فنبنيها ونـعمرها كـــل بـــها مستهام جـــد مفتتن

نطوي غيابها شدت نـــواظرنا إلى مطالـــع فجر بـــعد لم يـــبن

نجوزها بعضنا يـــتلو على عجل بعضاً كماشية الأنـــعام في قـــرن

نغدو ونسري حيارى في مفاوزهـــا حتى يفرق بـــين الروح والـــبدن

أعـــيا أوائـــلنا سر تـــكتمه أحشاؤها وشـفاء النفس في العـلن

بالرغم منا مع الإيمان يفزعنا مـــا خلف أسجافها المسدولـــة الـــدكن

مهلاً فما كل أمر قد بدا حسن كـــلا ولا كـــل غيب ليس بـــالحسن

يـــا رب شك عرى قـــبل اليقين هدى إلى يـــقين بشك غير مقترن

يـــا أرض حمير في اللاواء تعزيـــة فـــأي حي بحين غير مرتـــهن

شجاك هـاج شجا لبنان فأنـــتكأت لـــه جراح أسى في القلب مختزن

صرعى شتيلا وصبرا مـــا فتئت لهـم مسهداً واجف الأحشاء ذا شجن

وما تزال طيوف مـــن مصارعهم شتى تحـــلي أجفاني عـــن الوسن

أنباؤها هزت الـــدنيا مضاضتها ولم تحرك قـــلوب العرب في الـــوطن

كأنهم مـــن صليب الصخر قد فطروا بـــلا فـــؤاد ولا عين ولا اذن

شاموا لسوف وباخت في صدورهم نـــار الحمية مـــن هذر ومـــن ددن

تـــقلبوا في رخيم مـــن بلهنية فاستمرؤا العيش بـــين الهون والـــدرن

ان أغدقـــوا المال سح الغيث ما غسلوا أدران عـــرض لهم في الناس ممتهن

فما يـــدي المال أعراضاً ممزقـــة مـــا أن سوى العلق المهراق مـــن ثمن

تـــلكم فلسطين ثـــكلى أهلها شعث طير يهوم في الدنيا بـــلا وكـــن

لو أجمعوا أمرهم بالليـــل واعتزمـــوا لفوا دويلـــة اسرائيـــل في كفن

كثر ولـــكنهم مـــن فرط فرقتهم مثل الغثاء غثاء السيل مـــن وهـــن

اليك مـــن مقرن النيلين محتزنـــاً شعراً تـــرقرقـــه أشـــجان محتزن

وجاء كـــل شهيد مـــن بنيك قضى بين الجنادل صوب الـــعارض الهتن

مكي محمد نور محمد سلامه

شاعر سوداني شـاب، تخرج مـن جامعـة القـاهرة، فـرع الخرطـوم. حضـر لليمن، للعمل بالتدريس. وقصيدته هذه: (الأزمة والزعيم)، يرثي بها الزعيم اليمـني الراحل، عبد ا لله السلال:

ونحن اليوم نتلاشى ونغرق في أتون القات

فهل تتجدد الفرحة أم تتراكم الأحزان

أم ماذا يكون الحال؟

ظلام الفرقة يتبدد

ويظهر في سماء اليمن بدر الفال

ألا رحم الإله فقيدنا السلال

وأسكنه جنات الخلد في جنباته يختال

ويمشي رافع الرأس مزهواً سعيد البال

لو الأعمار بأيدي الناس

لوهبوا العمر للسلال

كي يحيا زعيماً في مدى الأجيال

زعيم حاز حب الشعب

وتلك نهاية الأبطال

صنعاء / مارس ١٩٩٤م

لا بد من صنعاء

لا بد من صنعا وإن طال السفر

كلمات كنا نسمعها من ذاك الجار

صنعاء بلاد لا ندري في أي ديار

تبدو لعيوننا كالصورة من غير اطار

فجارنا كان يمنياً طوال الوقت يتكلم

عن صنعاء تلك الدار

وبين الحين والحين سيذكر جارنا صنعا والاستعمار في عدن

ويذكر في الحكايا إمام كل الناس ترهبه

ظلوم ظلمه عجب شرد معظم الثوار عن الوطن

وجاءت ثورة اليمن وجارنا ملؤه الشجن

حديثه صار ذو شجن عن الأحرار والثوار في صنعاء وفي عدن

وعمت داره الفرحة

وأصبح وجهه مرحا

أذكر جارنا الانسان

يغرس في دواخلنا حب الناس للأوطان

دوماً قد يقول لنا السودان هو اليمن

واليمن هو السودان

وسافر بعد أعوام إلى صنعاء

يحمل بين جنبيه لواعج شوق

وحب جارف التيار

وعند العودة للسودان عمت داره الفرحة

وعمت معظم الأحياء فجارنا روحه سمحة

يحبه كل من عرفه بلا استثناء

وها قد جاء

لكي يكمل حكاياه عن عدن وعن صنعاء

أحبنا به اليمن وأهلنا في ربا اليمن

بحبنا ذلك الانسان

الخرطوم / ١٩ ـ ٨ ـ ١٩٨٩م

وفي مقدمة ديوانه المعد للطبع (نفحات عبير القلب)، نسمعه يغني لليمن:

إلى كل قلب بادل حبا لشخصي وأهلي بأرض اليمن

إليهم ساهدي عصارة قلبي إلى كل أهلي بذاك الوطن

مهدي محمد سعيد

شاعر سوداني، أوقف عمره على التدريس. زار شمال اليمن، في شهر يونيو من عام ١٩٧٦م، ضمن وفد أدبي سوداني، وكتب الشعر من وحي تلك الزيارة، ثم نشر قصائده هذه في ديوانه (الطين والجوهر)(١).

تحية السودان لليمن السعيد

حنيني في الحياة وحر وجـــدي إلى الصيد الـــكرام بناة مجـــدي
ربـــا كهلان ذي القدح المعـــلى ومثوى حمير الرأي الأسد
اقاموا سد مـــأرب مـــن زمـــن فكان عجيبة الذهـن الأحـــد
بـــني قحطان والدنيا كـــفاح مسخرة لذي أيـــد وجـــلد
فمنكم شاعر الفصحى ابن حجر(٢) ومنكم فارس الجلى ابن معدي(٣)
ومـــا لانوا ولا خارت قواهم أصالـــة يـــعرب ووفـــاء أزد
أبت بـــلقيس أن يسبى حماها فـــلم تـــعبأ بجيش أو تـــعدي
ولم يجـــرؤ عليها غـــير جـــن ذوي عـــلم وانجـــاز ووعـــد
سلاماً يـــا أبنة الهدهاد حيا ديارك مـــن بني السودان (مهـــدي)
أيـــا صنعاء جئت إليك شوقاً يغالبني مـــع التحنان وجـــدي
مـــن السودان قـــد خفت ركـــابي ووافت بي إلى لقياك تخدي
ألا لا بـــد مـــن صنعاء أنـــا نجد وان تحنى كـــل عـــود
أرى اليمن السعيدة مـــن قديـــم ديـــار محبة وربـــوع سـعد
ونعرف أهلها في كـــل صقع مـــن السودان هم أخوان جـــد
أحبوا شـــعبنا فسعوا الـــينا وصـــافيناهـم وداً بـــود

وهم نزلوا الربوع بكل خير نـــــزول الغيث سح بـــــــغير رعــــد

ويمضي الشاعر مهـدي محمـد سعيد، بعـد ذلـك، إلى مـدح الزعيـم اليمـني الراحل، ابراهيم محمد الحمدي، والذي كان رئيساً لليمن، خلال زيارة الشاعر.

صنعاء

هذه صنعاء أم العرب هذه صنعاء مهد النجـــــب

قبلة الشرق التي تلقى بها عزة النفس وحسن الأدب

وبدت (حدة) في رونقها وتعرت من قيود الحجــب

وصحا الشاعر من غفوته ذاهلاً في فكرة المنتهـــب

صدق الطرف فهذي حدة هبة الرحمن للشعب الأبي

يا جبال الفخر غني أوبي هذه صنعاء مجد العـــرب

تعز

ولاحت تعز وأضواؤها دهور الجبال بها تحلـــم

(تعز) تعز على أهلها وكلّ بها نابه معلـــــــم

أُحب تعز و روحي لها وما لامني في الهوى اللوم

---

(١) مهدي محمد سعيد، **الطين والجوهر**، المجلس القومـي لـلآداب والفنـون، الخرطـوم، ١٩٧٩م.

(٢) يريد الشاعر امرؤ القيس بن حجر الكندي اليمني.

(٣) يريد عمرو بن معدي يكرب الزبيدي، الشاعر والفارس اليمني.

مصطفى سند

أحد أهم رموز الحداثة في الشعر السوداني المعاصر.. اشتق لنفسه أُسلوباً شعرياً، ترك بدوره بصمات في بعض الشعراء الشباب في السودان.

جمعته ندوة عبد الله حامد الأمين في أُم درمان بالشاعر اليمني، عبد الله حمران، الذي عاش في السودان، وكان أحد الأعضاء النشيطين في تلك الندوة، وقد أرَّخ حمران في ديوانه (أنا وقلبي)(١) لهذه الصداقة.

وفي يناير من عام ١٩٩٤م، زار الشاعر مدينة صنعاء، فكتب هذه القصيدة:

للقادمين عيون الريح فاسترتي فـان عرفـك يغنيني عـن النظر

قـد جئت أحمل أوراق الهوى كتباً وأحمل النيل ذا الجنات والثمر

يسعى إليك ويـزهو في تدفقه يختال فـوق بساط الرمل والشجر

لو لم يكن مستهاماً نيل عزتنا مـا كـان يهتاج عنفاً ساعـة الخطر

ذو رقـة صاغت الأملاك جوهرها كست مرائيه ألواناً مـن الصور

فللصبابة عند النيل سطوتها في أنة الناي أو في رنـة الـوتـر

وللبراءة فـوق الشط لـذتها في الصمت والبوح والإغفاء والسهر

صنعاء تفتح باباً خلفـه سفر في العود منـه إلى صنعاء بـالسفر

بحر ولكنه تحلو سباحته في زورق مـن رؤى التاريـخ منحدر

كـأن أعينها والغيم يـلثمها عشقاً نجوم زهت في موكب القمر

لها على النيل دين أنها وهبت مـن البنين القويم الخالـد الأثـر

أهدت لنا ابنها حراً يشاركـنا صنع الحياة وعيش الصفو والـكدر

حـلو الإخاء عفيف النفس ذا أدب يفجر العزم بـين البذل والظفر

وهو الصديق لما يبديه مــــن شرف صدقاً يشار لــــه في البدو والحضر
صنعاء إن خيولي التي ركضت فــيها إلـــيك خيول الـــبرق والمــطر
والاستواء الـــذي كـــنا نحاوره في مقلتيك غــــداة السعي والـــسفر
يحتل قلبي وأنفاسي وحنجرتي كـــأنـــه قطعة مــــن صخرة الـــقدر
فللـــــنضال حروف ليس يــــكتبها الا النضال والا أنــــبل البشر
وللنضال دروب لـــيس تـــبصرها الا عيون صفت مـــن شدة السهر
صنعاء نحن صنعنا مجــد أمتنا في ساحـــة الموت لا في ساحـــة الـــبطر
نسقي العروبـــة أحلاماً يمزقـــها تمرغ البعض فـــوق الطـــين والحفر
هـــذا يخون وهـــذا في عمايتـــه سيان والبعض - ضد النفع والـــضرر
إن العروبة يــــا صنعاء ثاوية في الـــروح منك وفي الخرطوم فـــانتصري
ولترفعي الوحدة الكبرى إلى شهب أبـــعادها المستحيل فصونيها مـــن الخطر
ان الصباح الـــذي نـــرجو مطالعه يختال في بــــغداد بين النار والـــشرر
لـــكنه آت وهـــذا الشعر أولـــه فظلمة الليل تجـــلو صفحة القمر
صنــــعاء جئت وطعم النيــــل في شفتي شعر تـــأصل مثل النقش في الحجر
إني رأيتك بـــالعين التي سمعت فــــما أجلك بــــين السمع والـــبصر

---

(١) عبد الله حمود حمران، **أنا وقلبي**، دار الكلمة، صنعاء.

مصطفى طيب الأسماء

من فحول الشعر التقليدي في السودان، وهو من المربين المعروفين هناك. زار شمال اليمن، بدعوة من صديقه الشاعر اليمني الراحل، عبد الله حمود حمران، ورافقه في تلك الزيارة أدباء سودانيون آخرون، منهم: الشاعر الراحل محمد المهدي المجذوب، والشاعر الراحل عبد الله حامد الأمين، وشقيقه، والشاعر الراحل الدكتور حسن عباس صبحي، والقاص الراحل أبو بكر خالد، والشاعر صديق مدثر، والشاعر مهدي محمد سعيد، والشاعر النور عثمان أبكر، والصحفي الوليد ابراهيم. ومن شعره المكتوب باليمن خلال تلك الزيارة:

لحن اللقاء

من النيل مسراه وللعرب نبعه وفي اليمن الميمون طابت عناصره

ولاحت له صنعاء يعلو فخارها بفتيتها الأحرار فانداح داجره

تحييك أم المجد يا بنت يعرب ويا دوحة العز الصميم مفاخره

بني يعرب هذي تحيات شاعر من النيل قد مدت إليكم أواصره

نما في رياض النيل والنيل يعرب وصنعاء صنو النيل فيها معاشره

إذا امتد من صنعاء صوت أجابه من النيل فتيان ووافت قساوره

وإن رن في الخرطوم صوت أجابه بصنعاء ميمون أغر يبادره

تعز

تعز وأنت الحسن قد زان خدره جلال المحيا من نواظرك النجل

حبيت من الفردوس أجمل منظر وأروع ابداع خبي ومستجلي

تعز سلام الحب مني وخافقي ولوع بأهليك الكرام أولي الفضل

وفي يمني أهلي وميراث أمتي ومرتع الأحباب والصاحب الخـــل

تحية اليمن الشقيق

قف باجلال وحيِّ اليمنا واسكب الشعر روياً هتنـــــا

وطن الشم البهاليل الألي خلدوا العز نقياً صينـــــــــا

سبق التاريخ في أمجاده فجره المشرق في وجه الدنـــــا

وبدا (أيلول) في طلعته فجره المشرق حباً ومنـــــــــى

يكشف الليل ويطوي غيمه ويحيِّ بسناه الوطنـــــــا

يا شعاعاً من لظى الشعب الذي حطم القيد ودك الوثنا

أنتم الثورة في مضمونها ومداها فاجعلوها الديــــــدنا

واجعلوا الوحدة نبراسكم واجعلوا الحب الشعار الأبينا

وللشاعر قصيدة مديح، كتبها في الزيارة، في الزعيم اليمني الراحـل، ابراهيم محمد الحمـدي، والزعيم السوداني، جعفر محمد نميري. وقد اهتمت صحيفة (الجمهورية) اليمنية، الصادرة بتعز، بشعر طيب الأسماء، وناقش الأديب اليمني، علي عبد الله بن غازي، على صفحاتها أشعاره، وتصوفه.

وحتى بعد عودته إلى أم درمان، يناجي طيب الأسماء، صنعاء، في قصيدة **(حنين ووفاء)**:

صنعاء لا تحسبي أني سلوتكم أو أنني قد سلوت الصحب والوطنا

إن طال صمتي فمن حب أكتمه وعن وداد يثير الوجد والشجنـا

أهلوك أهلي أناجيهم فيغمرني هواهم وأراهم شعلة وسنـــــــا

وإنما أنت والخرطوم غرس أب وري أم نداها يسبق المزنـــــا

سقت بنيها هوى الأوطان فابتدروا شما أباة أذابوا الهول والمحنـا

نجيب جعفر علي أمان

هو شقيق أكبر للشاعر اليمني المعروف، لطفي أمان. وقد حبب إليه الذهاب للدراسة بالسودان. ولد نجيب أمان، بعدن، عام ١٩١٩م، وتوفي بها عام ١٩٨٠م.

في عام ١٩٣٥م كان نجيب أمان أول مبعوث عدني للدراسة بالسودان، في معهد بخت الرضا. وعندما عاد، نهائياً، لعدن، عام ١٩٣٨م، يخبرني المؤرخ اليمني الراحل، سلطان ناجي، أن «نادي الإصلاح العربي الإسلامي» بعدن احتفى به، احتفاءً عظيماً، كأول عدني يكمل دراسته بالسودان.. ويحصل على دبلوم المعلمين.

وقفت للشاعر الراحل نجيب أمان على ديوانه المخطوط بيده، ومذكراته في السودان، وعنوان ديوانه هذا (أنغام قلب).. لكن المحيِّر أن قصيدتين في (تغريدة) لطفي أمان تتطابقان مع قصيدتين في (أنغام قلب) شقيقه نجيب، وهما قصيدة (رضيعة القبل) وقصيدة أُخرى، بعنوان (قلبي وعيونه)، التي يذكر لطفي في إحدى مقابلاته الإذاعية مع المذيع اليمني عبد الرحمن ثابت، أنه كتبها على شط النيل، عند مقرن النيلين، وكان بجواره الشاعر السوداني، الدكتور محمد عثمان الجرتلي:

ساحر الألحاظ ألهتني عن الدنيا فتونه

كلما قلبت طرفي غازلت طرفي جفونه

ولست أدري حتى الساعة السر في هذا الالتباس!

يوسف عبد الله الحواتي

شاعر يمني شاب، ولد بالسودان، لأم سودانية، واستقر باليمن. وهو شقيق الصحفية اليمنية، محاسن الحواتي. من نماذجه التي تلامس عمق الوجدان اليمني السوداني:

إلى أمي بلقيس

اليوم جئت يا بلقيس أتعرفين من أنا؟
أنا واحد من الرعايا مهاجر لا يُعرف التاريخ والحكاية
اليوم عدت يا بلقيس تقودني خطاي
أتنكرين ابنك الشرعي وقد حبلت في البداية
وقد غدوت أماً ترضع الأجيال بالحليب والوصايا
أتعلمين يا بلقيس أني قادم كمشهد حزين في رواية
وأنت تنكرين انتمائي والحقيقة
وتنبذين آلاف الضحايا
اليوم جئت يا بلقيس أدق أجراس المعابد
أنادي الفجر من فوق المآذن ومن قلب المساجد
أنا ابنك الشرعي وانتمائي خير شاهد
لا تغضبي فقصتي طويلة حزينة
ورحلتي شقاوة تفجع المدينة
وابنك المهاجر شجونه دفينة

أتذكرين يا بلقيس صغارك الذين أبحروا مع السيول

وتركوا المعاول والبذور والحقول

وحينها قد جفت العيون والخيول

فهاجر المعلم وسافر البتول

وأنت تحبلين فتفرح السنين وتضحك الفصول

وقريتي الصغيرة تعانق الوجود

تفرد الذراع تحتضن البتول

فإنه مهاجر سنينه تطول

فغنوا يا صغار واقرعوا الطبول

أُماه يا بلقيس جئت عائداً أتيت بالبذور

ثمار غربتي أطفالك الصغار

فلذات كبدي من أطيب الثمار

يشدهم إليك حنين الإنتماء

وعزم أكيد يحفه الولاء

بلادي عزيزة وان طال الجفاء

فإنّا بنوك وقد كان اللقاء

زمان طويل كقافية غرباء

أنا قد متُّ مرتين

تلاقينا على جسر من الغربة

وحاولنا بأن نسكب مياه النيل يا عيبان على أقدام تربتنا

يجيء الوصل في مشوار رحلتنا

محصلة من التاريخ انزرعت شجوناً بين قلبينا

تمازج في مهب الريح ووجدان تمزق عبر ماضينا

بحد السيف يا صنعاء وخارطة تحد الشوق

عنها كم تغاضينا

هجين ميت الأرحام

حبيس النفس والسجان تيار من عروبتنا

تكبلنا شعارات بلا مأوى

جدار الحزن ممتد من الخرطوم يا صنعاء مرسوماً....

تلاقينا على جسر من الأشواق بلا ميعاد

ملامح وجهينا موشحة بلون الحزن

تعانقنا بلا شوق يهز الصدر

بلا حلم يحد الوصل

تمادينا لقاء لا يشد الأزر

مساحات من سنين الخوف احتشدت ودرنا في أزقتها

يفصل بيننا شريان من طفولتنا

فضلينا وسرنا في حواشي الدرب على أعتاب ماضينا

بريق من حنايا القلب.. سراديب من الأشجان انطفأت بعينينا

توارى حبنا وهجاً وماتت ضحكة العينين في لحظة

وكان الظن أنّا قد تلاقينا

شموع الحب في طفولتنا غداً أسطورة رعناء

شعوذة بلا وجدان

تجافينا

أمد يدي أشد أنامل الغربة وشريان جف فيه الدم

زمان الوصل مسكين جريح بين وجهينا

أنا الزمن المطل عليك يا صنعاء

أنا النازح من بحور التيه

تعزفني أغاني الوصل في الخرطوم

عشيق من ربى النيلين وحلم مرهف الإحساس

فيَّ أرق أيا صنعاء

أرمي على وجهي سلاماً من جبال اللوم

هزي أحاسيس على قبري

أنا قد متُّ مرتين

هذا المكان مقبرة

نمزق عنفوان الشباب قسراً فوق وجه الحياة

مسافات السنين ارتمت فوق خطو الزمن

وخارطة العمر اترعت الميتين بشدو الرحيل

وحلم الحياة دفين في الصدور كالسراب

يزفنا بنعي أليم حتى النخاع

في موكب حزين نحو الفصول القادمة

فما عاد شعري وليداً يناغي الحياة

ولا كنت أنا مجداً بثوب الخلود

وكنت وحيداً أزف على نعش صغير

وحولي الرجال بلا أُنوف

يمسكون الحياة بطوق الأصابع

وألف شاهد ينثر حولي البخور

على جذوة قنديل أحرق كل شيء حتى الرماد

أواصر الزمان تمزقت في محطتي الأخيرة
بحفنة من التراب يلاحق الجميع جثتي
يبلسمون ويقرأون (يس والفاتحة)
يودعونني صمتاً وهمهمة
ويكتبون فوق جسدي.. هذا المكان مقبرة

المصادر والمراجع

١ ـ العربية

أولاً: المؤلفات العربية

١ ـ أباظة، فاروق عثمان، **سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى**، ضمن سلسلة كتب مجلة "دراسات الجزيرة والخليج العربي"،الكويت، د.ت.

٢ ـ ابراهيم، آمال، **الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٣م.

٣ ـ ابراهيم، عبد الله عبد الرزاق، **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، د.ت

٤ ـ ابن خلدون، **العبر**، القسم الأول، المجلد الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٦م.

٥ ـ إبن الحسين، يحيى بن القاسم بن محمد بن علي، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٦ ـ ابن ضيف الله، محمد النور، **الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان**، تحقيق يوسف فضل حسن، دار النشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٤م.

٧ ــ أبو بكر، خوجلي عبد الرحمن، **العبور إلى الشاطيء الآخر**، مطابع القبس التجارية، يناير ١٩٨٨م.

٨ ـ أبو طالب، **تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول**، تحقيق: عبدا لله محمد الحبشي، مطابع المفضل، الجزء الأول، صنعاء، ١٩٩٠م.

٩ ـ أبو علي، أحمد بن الحاج، **مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية**، تحقيق: الشاطر بصيلي عبد الجليل، القاهرة، د.ت.

١٠ ـ الأهدل، عبد الرحمن سليمان، **النفس اليماني**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

١١ ـ أوهاج، محمد أدروب، **من تاريخ البجة**، الكتاب الأول، دار النشر، جامعة الخرطوم، ١٩٨٦م.

١٢ ـ بافقيه، محمد عبد القادر، تحت اسم مستعار، **سندباد على الورق صاروخ إلى القرن العشرين**، مؤسسة الصبان، عدن، ١٩٦٥م.

١٣ ـ بامطرف، محمد عبد القادر، **الشهداء السبعة**، دار الهمداني، الطبعة الثانية، عدن، ١٩٨٣ م.

١٤ ـ بامطرف، محمد عبد القادر، **الجامع لشمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم**، أربعة أجزاء ، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م.

١٥ ـ باوزير، أحمد عوض، **شهداء القصر**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م.

١٦ ـ باوزير، سعيد عوض، **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي**، القاهرة، ١٩٦١م.

١٧ ـ بدوي، عبده، **الشعر في السودان**، د.ت.

١٨ ـ البردوني، عبد الله صالح، **الثقافة والثورة في اليمن**، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٩١م.

١٩ ـ البكري، صلاح، **تاريخ حضرموت السياسي**، القاهرة ١٩٣٦م.

٢٠ ـ البكري، صلاح، **في جنوب الجزيرة العربية**، القاهرة، ١٩٤٩م.

٢١ ـ الثور، عبد الله أحمد، **الجنوب اليمني**، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢٢ ـ جابر، جمعة، **تراثنا ومفهوم السلم الخُماسي**، مطابع وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم، د.ت.

٢٣ ـ جابر، جمعة، **الموسيقى السودانية**، شركة الفارابي، الخرطوم، د.ت.

٢٤ ـ جرجرة، عبد الرحمن، **أرضنا الطيبة هذا الجنوب**، د.ت.

٢٥ ـ جلال الدين، محمد العوض، **هجرة السودانيين الى الخارج**، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٧٩م.

٢٦ ـ الحبشي، عبد الله محمد، **الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن**، الدار اليمنية، جدة، ١٩٨٦م.

٢٧ ـ الحبشي، عبد الله محمد، **الرحالة اليمنيون: رحلاتهم شرقاً وغرباً**، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٨٩م.

٢٨ ـ حسن، يوسف فضل، **دراسات في تاريخ السودان**، الجزء الأول، دار النشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م.

٢٩ ـ حسن،يوسف فضل، **مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (١٤٥٠ ـ ١٨٢١م)** دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٨٩م.

٣٠ ـ الحكمي اليمني، نجم الدين عمارة، **تاريخ اليمن**، تحقيق: حسن سليمان محمود، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

٣١ ـ الحميري، نشوان بن سعيد، **ملوك حمير وأقيال اليمن**، تحقيق: اسماعيل أحمد الجرافي، علي اسماعيل المؤيد، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.

٣٢ ـ الحيمي، حسن بن أحمد، **سيرة الحبشة**، تحقيق: مراد كامل، دار العالم العربي، القاهرة، ١٩٧٢م.

٣٣ ـ خالد، منصور، **السودان والنفق المظلم: قصة الفساد والإستبداد**، مالطا، ١٩٨٥م.

٣٤ ـ الخزرجي، علي بن الحسن، **العقود اللؤلؤية**، جزءآن، مطبعة الهلال، مصر، ١٩١١م.

٣٥ ـ خضر، عبد القادر، **حوار في الحب والفن**، الكويت، ١٩٨٢م.

٣٦ ـ الخوربي، أحمد صالح، **عبد الله حمران: حياته وشعره**، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.

٣٧ ـ دويب، رفعت محمد خليفة، **أغاني الأعراس في دولة الامارات العربية المتحدة**، مطبعة كاظم، دبي، مايو، ١٩٨٢م.

٣٨ ـ الرفاعي، حصة السيد زيد، **أغاني البحر: دراسة فلكلورية**، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٥م.

٣٩ ـ الريحاني، أمين، **ملوك العرب: رحلة في البلاد العربية**، درا الريحاني، بيروت، ١٩٦٠م.

٤٠ ـ زبارة، محمد بن محمد بن يحيى، **نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

٤١ ـ الزبيري، محمد محمود، **مأساة الواق الواق**، دار العودة، بيروت، مايو ١٩٧٨م.

٤٢ ـ سالم، عبد العزيز، **البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

٤٣ ـ سبي، عثمان صالح، **تاريخ أرتريا**، ١٩٧٧م.

٤٤ ـ السعدي، عباس فاضل، **البن في اليمن**، دراسة جغرافية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٢م.

٤٥ ـ الشاطري، محمد أحمد عمر، **أدوار التاريخ الحضرمي**، مكتبة الإرشاد، جدة، ١٩٧٢م.

٤٦ ـ شقير ، نعوم، **تاريخ وجغرافية السودان**، الطبعة اللبنانية، د.ت.

٤٧ ـ شيحة، مصطفى عبد الله، **(دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان وأربعة سيوف يمنية معاصرة)** مكتبة الجامعة، القاهرة، ١٩٨٤م.

٤٨ ـ ضرار، محمد صالح، **تاريخ سواكن والبحر الأحمر**، الدار السودانية للكتب، ١٩٨١م.

٤٩ ـ الضرير، عبد الله عبد الرحمن الأمين، **العربية في السودان**، الجزء الأول، د.ت.

٥٠ ـ الضو، على، وعبد الله محمد، **الآلات الموسيقية التقليدية في السودان**، الخرطوم، ١٩٨٥م.

٥١ ـ طرخان، ابراهيم علي، **الدول الإسلامية القديمة في السودان الأوسط**، د.ت.

٥٢ ـ الطيب بن أبي مخرمة، أبو محمد عبد الله، **تاريخ ثغر عدن**، ليدن، هولندا، ١٩٣٦م.

٥٣ ـ الطيب، عبد الله، **المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها**، الجزء الأول، مصر، ١٩٥٥م.

٥٤ ـ الطيب، عبد الله، **ذكرى صديقين**، مطابع الطليعة، الكويت، ١٩٨٧م.

٥٥ ـ طاهر، علوي عبد الله، **لطفي أمان: دراسة وتاريخ**، مؤسسة ١٤ اكتوبر، عدن، ١٩٨١م.

٥٦ ـ عابدين، محمد عبد المجيد، **من أصول اللهجات العربية في السودان**، مكتبة غريب، مصر، ١٩٦٦م.

٥٧ ـ عابدين، محمد عبد المجيد، **تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث: الدين / الاجتماع / الادب**، المطبعة التجارية، بيروت، ١٩٦٧م.

٥٨ ـ عابدين، محمد عبد المجيد، **الاسلام وأثره في نشاط الكانم في افريقية (١١٠٠ ـ ١٤٠٠م)**، د.ت.

٥٩ ـ العشماوي، ابراهيم، **أيام مع ثورة الانقاذ في السودان**، صنعاء، ١٩٩٣م.

٦٠ ـ العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، ٣ أجزاء، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.

٦١ ـ علي، أحمد، **الموسيقى والغناء في الكويت**، شركة الربيعان، الكويت، ١٩٨٣م.

٦٢ ـ علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الملايين، بيروت، ١٩٧٨م.

٦٣ ـ العمراني، عبد الرحمن محمد، **الزبيري: أديب اليمن الثائر**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

٦٤ ـ عولقي، سعيد، **سبعون عاماً على المسرح في اليمن**، دار الجاحظ، دمشق، ١٩٨٣م.

٦٥ ـ د. غانم، محمد عبده، **شعر الغناء الصنعاني**، دار العودة، طبعة خامسة، بيروت، ١٩٨٧م.

٦٦ ـ فوزي، محمود، **نميري والعودة لحكم السودان: حوار في المنفى**، سفنكس للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩١م.

٦٧ ـ قاسم، عون الشريف، **الاسلام والعربية في السودان: دراسات في الحضارة واللغة**، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م.

٦٨ ـ القاضي، عبد المجيد عبد الله، **المنطقة الوسطى: رفض وثورة**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

٦٩ ـ القمندان، أحمد فضل بن علي محسن العبدلي، **هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.

٧٠ ـ القوصي، عطية، **تجار مصر في البحر الأحمر**، النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

٧١ - القوصي، عطية، **تاريخ دولة بني الكنز الإسلامية**، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.

٧٢ - كريم، محمد، **عدن: دراسة في أحوالها السياسية والإقتصادية**، جامعة البصرة، ١٩٩٣م.

٧٣ - الماحي، التجاني، **الأعمال المختارة**، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٨١م.

٧٤ - مجموعة مؤلفين، **العلاقات الثقافية العربية الافريقية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، ١٩٨٥م.

٧٥ - مجموعة مولفين **الراحل محمود عبد الله عشيش**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٧م.

٧٦ - مجموعة مؤلفين، **قضايا الموسيقى السودانية**، الهيئة القومية للثقافة والفنون، مهرجان الخرطوم الدولي الرابع للموسيقى، اكتوبر - نوفمبر، ١٩٩٢م.

٧٧ - مجموعة مؤلفين، **ليالي الدان في الوادي وفي شمسان**، حضرموت، د.ت.

٧٨ - مجموعة مؤلفين، **الفقيد علي عبد الرزاق باذيب: المفكر والمثال والقدوة**، مؤسسة ١٤ اكتوبر، عدن، د.ت.

٧٩ - محجوب، محمد أحمد، **الديمقراطية في الميزان**، دار النهار، بيروت، د.ت.

٨٠ - محمد، محمد عوض، **السودان، ووادي النيل**، القاهرة، ١٩٥١م.

٨١ - مسعد، مصطفى محمد، **الإسلام والنوبة في العصور الوسطى**، القاهرة، ١٩٦٠م.

٨٢ - المري، عبد العزيز أحمد، **أمثال يمانية "كاريكاتير"**، صنعاء، د.ت.

٨٣ - المقالح، عبد العزيز، **اصوات من الزمن الجديد، دراسات في الأدب العربي المعاصر**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.

٨٤ - المقالح، عبد العزيز، **من البيت إلى القصيدة، دراسة في شعر اليمن الجديد**، دار الأداب، بيروت، ١٩٨٣م.

٨٥ - المقبلي، حسين محمد، **مذكرات المقبلي**، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.

٨٦ - المقحفي، ابراهيم، **حوار مع أربعة شعراء من اليمن**، دار الهنا، القاهرة، ١٩٧٥م.

٨٧ - الملك الأشرف، عمر بن يوسف الغساني، **المغني في البيطرة**، تحقيق: د. رمزية الأطرقجي، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

٨٨ - منصور، حمود، **السيارات الخاصة جداً**، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م.

٨٩ ـ منصور، حمود، **وبكيت في الخرطوم**، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨ م.

٩٠ ـ منقوس، ثريا، **سيف بن ذي يزن: الحقيقة والأسطورة والأمل**، د.ت.

٩١ ـ مؤلف مجهول، عاش في القرن التاسع، **تاريخ الدولة الرسولية في اليمن**، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨٤م.

٩٢ ـ المؤيد با لله، محمد بن اسماعيل، **مذكرات السياسي المؤيد با لله محمد بن اسماعيل**، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، الموسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩١م.

٩٣ ـ ناجي، سلطان، **التاريخ العسكري لليمن**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م.

٩٤ ـ ناجي، محمد مرشد، **الغناء اليمني القديم ومشاهيره**، دار الطليعة، الكويت، ١٩٨٣م.

٩٥ ـ النقيرة، محمد عبد، **انتشار الإسلام في شرق افريقية ومناهضة الغرب له**، د. ت.

٩٦ ـ النهزوالي المكي، قطب الدين محمد بن أحمد، **البرق اليماني في الفتح العثماني**، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨م.

٩٧ ـ الهمداني، ابو محمد الحسن، **كتاب الجوهرتين العتقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة**. تحقيق : محمد الشعيبي، منشورات دار الكتاب، دمشق، ١٩٨٢ م.

٩٨ ـ الوزير، ابراهيم بن علي، **بين يدي المأساة: حديث إلى النازحين اليمنيين**، منشورات العصر الحديث، ١٩١م.

٩٩ ـ الوزير، عبد الله بن علي، **تاريخ اليمن خلال القرن السابع عشر الميلادي المسمى طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى**، تحقيق: محمد عبد الرحيم حازم، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٥م.

١٠٠ ـ الوصابي، وجيه الدين الحبشي، **تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والاثار**، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

ثانياً: المجموعات الشعرية

١ ـ أمان، لطفي جعفر، **بقايا نغم**، مطبعة فتاة الجزيرة، عدن، سبتمبر ١٩٤٨م.

٢ ـ أمان، لطفي جعفر، **على الدرب الأخضر**، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢.

٣ ـ أمان، لطفي جعفر، **ليل إلى متى**، المكتب التجاري، بيروت، اكتوبر، ١٩٦٤م.

٤ ـ أمان، لطفي جعفر، **اليكم يا اخوتي**، المكتب التجاري، بيروت، يوليو ١٩٦٩م.

٥ ـ باعمر، عبد الرحمن، **أنتِ الحياة**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

٦ ـ بشير، التيجاني يوسف، **اشراقة**، ط٢، د.ت.

٧ ـ الجحوشي، محمد حسين، **مالم تقله الغيوم**، عدن، دار الهمداني، ١٩٨٣م.

٨ ـ حامد، حامد عوض، **تداعيات لعيني بغداد**، مطابع صنعاء الحديثة للأوفست، ١٩٩١م.

٩ ـ الحردلو، سيد أحمد، **أغنية إلى يافا**، دار العودة، بيروت، ١٩٦٦م.

١٠ ـ الحردلو، سيد أحمد، **مقدمات**، القاهرة، ١٩٨٦م.

١١ ـ الحردلو، سيد أحمد، **بكائية على بحر القلزم**، دار النشر بجامعة الخرطوم، د.ت.

١٢ ـ الحسن، تاج السر، **القلب الأخضر**، القاهرة، د.ت.

١٣ ـ الحسن، تاج السر، **النخلة تسأله اين الناس**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

١٤ ـ حمران، عبد الله حمود، **أنا وقلبي**، دار الكلمة، صنعاء، د.ت.

١٥ ـ الخليفة، مبارك حسن، **الرحيل النبيل**، موسسة ١٤ اكتوبر، عدن، ١٩٨١م.

١٦ ـ رزق، جابر، أحمد، **زهر البستان في مخترع الغريب من الألحان**، تحقيق، عبد الله محمد الرديني، شركة التنوير، بيروت، ١٩٨٩م.

١٧ ـ سعيد، مهدي محمد، **الطين والجوهر**، المجلس القومي للآداب والفنون، الخرطوم، ١٩٧٩م.

١٨ ـ السقاف، حسن عبد الله، **ولائد الساحل**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٩م.

١٩ ـ الطيب، عبد الله، **بنات راما**، الدار السودانية، الخرطوم، ١٩٧٠م.

٢٠ ـ عبد العزيز، سالم، **والعشق أيضاً يمـاني**، إدارة النشـر، مركـز البحـوث التربويـة، عدن، ١٩٧٧م.

٢١ ـ علي، محمد بجذوب، **قمري والمد والجزر**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٦م.

٢٢ ـ غانم، محمد عبده، **موج وصخر**، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

٢٣ ـ غانم، محمد عبده، **في المركبة**، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٤ ـ غانم، محمد عبده، **الموجة السادسة**، دار آزال، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٥ ـ الفيتوري، محمد مفتاح، **عاشق من افريقية**، د.ت.

٢٦ ـ المتنبي، ابو الطيب أحمد حسين، **ديوان المتنبي**، تحقيـق: ابـو البقـاء العكـبري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٧ ـ المجذوب، محمد المهدي، **منابر**، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٢٨ ـ المعلمي، أحمد عبد الرحمن، وآخرون، **صدى الحنين**، جزءآن د.ت.

٢٩ ـ المغربي، مبارك، **عصارة قلب**، وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم، ١٩٧٨م.

٣٠ ـ المقالح، عبد العزيز، **رسالة إلى سيف بن ذي يزن**، د.ت.

٣١ ـ هيثم، محمد حسين، **الحصان**، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

ثالثاً: القصص

١ ـ أحمد، سراج، **الأرض البعيدة عن ضـوء النهـار**، مؤسسـة صـوت العمـال، عـدن، د.ت.

٢ ـ بانقا، صالح، **عواتك ابن البان**، اعداد معتصم صالح بانقا، مطابع المروة، الخرطـوم، د.ت.

٣ ـ الجيلي، محمد مصطفى، **وحـدة الأرض المعطـاءة**، مطـابع وزارة التربيـة والتعليـم، صنعاء، يناير، ١٩٩٢م.

٤ ـ الملك، علي، صلاح أحمد ابراهيم، **البرجوازية الصغـيرة، قصـص سـودانية**، مكتبـة دار العروبة، القاهرة، ١٩٥٨م.

رابعاً: الروايات والمسرحيات

١ ـ حنيبر، محمد، **قرية البتول**، كتاب الغد السادس، رواية، القاهرة، ١٩٧٩م.

٢ ـ عباس، عمرو محمد، **الجنخانة**، دار الهمداني، رواية، عدن، ١٩٨٥م.

٣ ـ المبارك، خالد، **ريش النعام**، دار النشر، جامعة الخروم، د.ت.

٤ ـ غانم، محمد عبده، **الملكة أروى**، دار النشر، جامعة الخرطوم، د.ت.

٥ ـ غانم، محمد عبده، **عامر بن عبد الوهاب**، دار النشر، جامعة الخرطوم، د.ت.

خامساً: المؤلفات المعرّبة

١ ـ بوركخارت، جون لويس، **رحلات في النوبة**، لندن، ١٨١٩م.

٢ ـ بولدري، جون، **العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركي (١٩١٤ـ ١٩١٩)**، تقديم وترجمة: د. سيد مصطفى سالم، المطبعة الفنية بالقاهرة، د.ت.

٣ ـ كبلانيان، براود، **اليمن في أوائل القرن السابع عشر**، انجليزي، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٩٨٨م.

٤ ـ مجموعة مولفين، **تاريخ اليمن القديم جنوب الجزيرة العربية في اقدم العصور**، ترجمة: أسامة عبد الرحمن النور، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م.

٥ ـ هانسن، توركيل، **من كوبنهاجن إلى صنعاء**، ترجمة: محمد أحمد الرعدي، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

سادساً: الصحف

١ ـ **البورزان**، صنعاء، أعداد متفرقة

٢ ـ **الخرطوم**، القاهرة، أعداد متفرقة

٣ ـ **الأسبوع**، الخرطوم، ديسمبر، ١٩٨٨م.

٤ ـ **صوت العمال**، عدن.

٥ ـ **اليمن السعيد**، صنعاء، أعداد متفرقة

٦ ـ **البرلمان**، صنعاء ، عدد يناير ١٩٩٤م.

٧ ـ **صوت اليمن**، أعداد ١٩٤٦م، ١٩٤٧م

٨ ـ **الميثاق**، صنعاء، أعداد سنة ١٩٩٤م

٩ ـ **٢٦ سبتمبر**، صنعاء، العدد رقم ٢٥٦، ١٠سبتمبر ١٩٨٧م والعدد ٤٨٦، ١٧ اكتوبر ١٩٩١

١٠ ـ **الأضواء**، الخرطوم، أعداد متفرقة

١١ ـ **ثغر اليمن**، عدن، عدد ١٩٩٣/٢/٢٧م

١٢ ـ **الأيام**، الخرطوم، ٣١ ديسمبر، ١٩٧٥م، أعداد سنة ١٩٨٣م ٢٧ نوفمبر، ١٩٨٤م.

١٣ ـ **الأيام**، عدن، ٩ ديسمبر، ١٩٢م

١٤ ـ **الوحدوي**، صنعاء، أعداد متفرقة

١٥ ـ **الثورة**، صنعاء، أعداد ١٩٨٩/٧/١٩م، ١٨ سبتمبر ١٩٩١م، ١٩٩٤/٤/١٤م، ١٩٩٤/٤/١٥م.

١٦ ـ **الجمهورية**، تعز، أعداد ١٩٧٦/٦/٢٩م، ١٩٧٦/٧/٢م.

١٧ ـ **اليقظة**، عدن، عدد ١٥ اكتوبر ١٩٦٣م

١٨ ـ **فتاة الجزيرة**، عدن، مايو ١٩٤٢م، العدد ٣٢٤ و٣٢٥، بتاريخ ٩ يونيو، ١٩٤٦م

١٩ ـ **الشباب**، عدن، العدد ٦٧، ١٩٥١/٣/١٠م,

٢٠ ـ **الشرارة**، المكلا، ٨ و١٥ ديسمبر، ١٩٩٣م.

٢١ ـ **الصراحة**، الخرطوم، ١٩٥٢م، ٢٨ ابريل ١٩٥٩م.

٢٢ ـ **صوت السودان**، الخرطوم، ٢٦ يناير، ١٩٥٧م.

٢٣ ـ **الوحدة**، صنعاء، العدد ١١٩، بتاريخ ١٤ اكتوبر، ١٩٩٢،

٢٤ ـ **الشوري**، أعداد ديسمبر ٧٨، ١٩٨٧/٧/١٨م، ٨٨/٣/٢٦، ٨٨/٤/٢٣، ٨٩/٤/٥

٢٥ ـ **الرأي العام**، الخرطوم، عدد ٢٢ ابيريل ١٩٥٩م.

٢٦ ـ **الزمان**، الخرطوم، ٢٨ ابريل، ١٩٥٩م.

٢٧ ـ **الزمان**، عدن، عدد ٢١ مايو، ١٩٩٩٢م.

٢٨ ـ **١٤ اكتوبر**، عدن، ١٩٨٩م.

٢٩ ـ **النهضة** عدن، عدد ٢١ ديسمبر، ١٩٥٠م.

سابعاً: المجلات

١ ـ **السودان الجديد**، الخرطوم، يونيو، ١٩٤٥م

٢ ـ **المستقبل**، عدن، يناير ١٩٤٩، ابريل ١٩٥٠م، العدد ٢٠ بتاريخ اغسطس ١٩٥٠م

٣ ـ **الأفكار**، عدن، اعداد يناير ١٩٤٦م، يونيو ١٩٤٧م

٤ ـ **الحكمة**، عدن، العدد ١٧٧، ٢٣ يوليو ١٩٧٣م، العدد ٨ و٩ لعام ١٩٩٢، الرقم المتسلسل للعدد ١٩٤

٥ ـ **الكلمة**، صنعاء

٦ ـ **اليمن الجديد**، العدد (٤) ١٩٧٥م، العدد (١) السنة الرابعة عشر ــ يناير وفبراير ١٩٨٥، العدد ١١، للسنة السادسة عشر، نوفمبر، ١٩٨٧م.

٧ ـ **النهج**، مايو، عدن، ١٩٨٤م.

٨ ـ **المؤرخ العربي**، العدد ٣٤، ١٩٨٧م.

٩ ـ **التراث**، العدد ٦، ١٩٨٢م.

١٠ ـ **الاذاعة والتلفزيون**، القاهرة، أعداد، ١٩٦٠م

١١ ـ **أنا السودان**، صنعاء، عدد ٢، فبراير ١٩٩١، ٣ يناير ١٩٩٤م.

١٢ ـ **الخرطوم**، الخرطوم، العدد ٣٥، ١٩٦٦/٢/٥م.

١٣ ـ **دراسات يمنية**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء العدد الأول، ١٥ سبتمبر ١٩٧٨م، العدد رقم ١٨، ١٩٨٤، اكتوبر، ديسمبر، ١٩٩٠، العدد ٤٤، يوليو ـ ديسمبر، ١٩٩٢م.

١٤ ـ **التعليم والتدريب في الشرق الأوسط**، العدد ٤، السنة السابعة، ١٩٨٥م.

١٥ ـ **دراسات الجزيرة والخليج العربي**، الكويت، العدد ٢٥، العدد (٣٦)، اكتوبر، ١٩٨٣م، (٣٨)، ابريل ١٩٨٤م

١٦ ـ **التاريخ والآثار**، الصادرة عن الجمعية اليمنية للتاريخ والآثار، صنعاء، العددان ٢ و٣ بتاريخ، اكتوبر ١٩٩٣ ـ مارس ١٩٩٤م

١٧ ـ **المنتدى** ، دبي ، العدد ١٥.

١٨ ـ **الفجر**، الخرطوم، العدد ٢٤ ، مجلد ١، اغسطس ١٩٣٥م

١٩ ـ **السودان**، السودان، العدد ٢٠، سبتمبر ـ نوفمبر، ١٩٦١م.

٢٠ ـ **الوطن**، صنعاء.

٢١ ـ **الاكليل**، العدد ١و٢، السنة الثانية، ١٩٨٢، العدد ١، سنة خامسة، ١٩٨٧م

٢٢ ـ **العالم**، بيروت، أعداد متفرقة

٢٣ ـ **الدارة**، السعودية، العدد ٣، السنة الثامنة، ١٩٨٣م

٢٤ ـ **الثقافة**، السودان، الصادرة عن مصلحة الثقافة في وزارة الثقافة والاعلام، العدد رقم(٢) و(٤)، السنة الأولى، أغسطس، ١٩٧٧م.

٢٥ ـ **اليمن السعيد** أعداد متفرقة

ثامناً – الوثائق والمخطوطات

١ ـ **مذكرات بركات، عبد الله حسين**، مخطوط غير منشور

٢ ـ الجبري، عبد الرحمن حسين، **تاريخ المهدي**، مكتبة السودان، جامعة الخرطوم، رقم الإيداع ١٠/١٩٩٤.

٣ ـ حميدة، محمد محمود، **دراسة عن الجالية اليمنية بالسودان**، أطروحة ماجستير، جامعة الخرطوم، مودعة بمكتبة السودان بجامعة الخرطوم، ١٩٧٩م.

٤ ـ سالم، عبد القادر، **ورقة** مقدمة إلى الندوة الدولية حول ثقافة السلم الخُماسي المنعقدة بالخرطوم، ١٩٨٤م.

٥ ـ الشرفي، يحيى حسين، **وثائق الشيخ يحيى حسين الشرفي**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، د.ت.

٦ ـ الشيخ أبو علي، سيف الدين، **رسالة ف.ل. جرفس**، وثيقة محفوظة بمكتب الثقافة بحضرموت، مايو، ١٩٥٠م.

٧ ـ عبد الكريم، بابكر، **مداخلة حول العلاقات اليمنية السودانية** في سمنار سياسة السودان الخارجية بين الحاضر والمستقبل، معهد الدراسات الافرو آسيوية بجامعة الخرطوم، ١٩٩٠م

٨ ـ معمر، عبد الله مقبل، **النزار في الحديدة**، مكتبة معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية، جامعة الخرطوم، ١٩٨٨م.

٩ ـ مؤلف مجهول، **الروض البسام في سيرة ابن الامام**، رقم ١٤٨ مجاميع، المكتبة الغربية بالجامع الكبير، صنعاء، د.ت.

٢ ـ الأجنبية

أولاً: المؤلفات الأجنبية:

١ ـ أوفاهي، آر، **القديس ابن ادريس** (انجليزي)، لندن، ١٩٩٠م

٢ ـ انجرامس، دورين، **وقت في حضرموت**، د.ت. (انجليزي)

٣ ـ انجرامس، هارولد، **العربية والجزائر**، د.ت. (انجليزي).

٤ ـ باوستد، هيو، **نسيم الصباح** د.ت (انجليزي).

٥ ـ بثمان، أريك، **اليمن على الحافة**، (انجليزي)، واشنطن، ١٩٦٠م.

٦ ـ توماس، اينار، وبرندراتك، **رسائل ابن ادريس**، (انجليزي) لندن، ١٩٩٣م.

٧ ـ جافتين، آر.جي، **عدن تحت الحكم البريطاني**، د.ت. (انجليزي).

٨ ـ حسن،يوسف فضل، **العرب والسودان من القرن السابع، حتى مطلع القرن السادس عشر الميلادي**، (انجليزي)، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٧٣م.

٩ ـ سارجنت، روبرت، **نثر وشعر من حضرموت**، (انجليزي)، جامعة لندن، ١٩٥١م.

١٠ ـ سمون،آرثر، **موسيقى النوبيين في شمال السودان**، (انجليزي) ، برلين، ١٩٨٠م.

١١ ـ ماكمايكل، هارولد، **تاريخ العرب في السودان**، د.ت.

١٢ ـ مجموعة مؤلفين، **دراسات عن تهامة (انجليزي)**، اخراج، فرانسين، ستون، لونجمان، لندن، ١٩٨٥م.

ثانياً ـ المخطوطات الأجنبية:

١ ـ باسمح، علي وأحمد مصلح السنباني، بحث بالانجليزية، جامعة (الخرطوم) ١٩٧٨م. **دراسة عن الختان بين اليمنيات بالسودان.**

٢ ـ براونا، جابرويلا، **دراسة حول الموسيقى اليمنية في اجتماع الجمعية العالمية لعلوم الموسيقى**، مدريد، ١٩٩٢م.

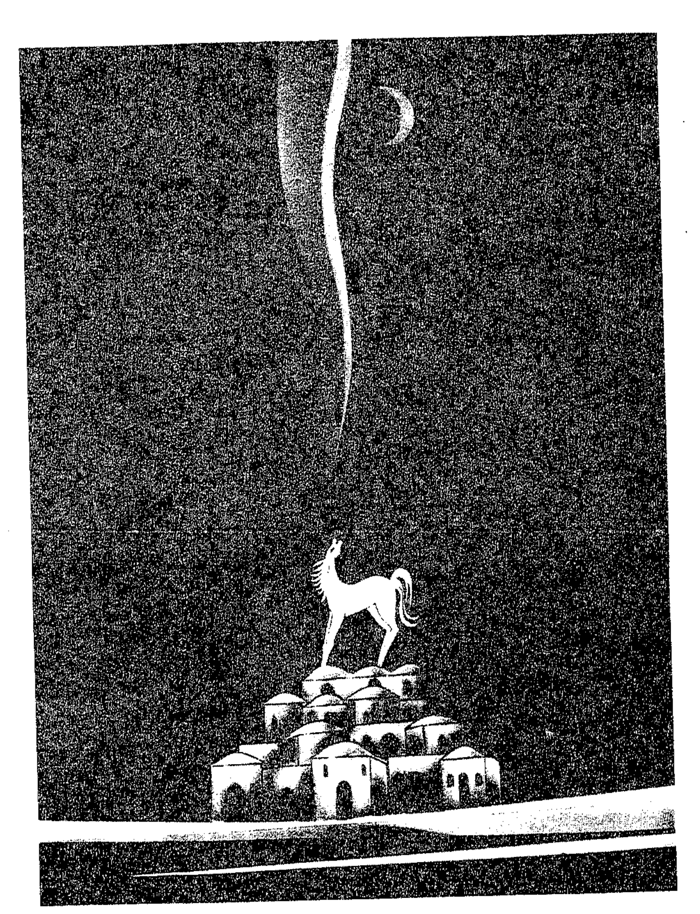
ثالثاً: الدوريات الأجنبية

١ ـ **مجلة أهل البحر الأبيض المتوسط** ، (فرنسية) ، العدد ٥٦ و ٥٧ يوليو ـ ديسمبر ، ١٩٩١ م ، (الزار في مصر) بقلم : تزيانا باتان.

٢ ـ **مجلة المعهد الملكي للأنثروبولوجيا**، الرقصات والطقوس العربية والسواحلية، (انجليزية)، لندن، ١٩١٧. بقلم: آرسكين.

فهرس المحتويات

تداعيات الغربة



د. نزار غانم

نبذة عن المؤلف

- من مواليد عدن ١٩٥٨/١٠/٧م

- حصل على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة الخرطوم عام ١٩٨٤م.

- عمل طبيباً بمستشفيات دبي عام ١٩٨٤ و١٩٨٥م.

- عمل طبيباً في المستشفى العسكري العام بصنعاء ومنح رتبة ملازم أول من ١٩٨٥م وحتى ١٩٨٩م.

- حصل على الماجستير في الطب المهني من جامعة لندن عام ١٩٨٩م.

- يعمل محاضراً للصحة المهنية بقسم طب المجتمع بكلية الطب والعلوم الصحية بجامعة صنعاء منذ ١٩٩٠م وحتى الآن.

- حصل على شهادة في تنظيم الأسرة عام ١٩٩٠م من جامعة عين شمس وشهادة أخرى في نفس الاختصاص من أندونيسيا في نفس العام.

- حصل على شهادة طب الطيران من السلاح الجوي الملكي البريطاني عام ١٩٩٢م.

- حصل على شهادة الاختصاص في طب المجتمع من المجلس العربي للاختصاصات الطبية في دمشق عام ١٩٩٢م.

- حصل على دورة في الخدمات الصحية والإجتماعية الخيرية من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٣، بعد تأسيسه للعيادات المجانية للمبدعين في اليمن.

- حصل على شهادة التعليم الطبي من جامعة قناة السويس عام ١٩٩٤م.

ـ للمؤلف عدد من الأبحاث الطبية المنشورة باللغتين العربية والإنجليزية.

ـ من مؤلفاته :

حذور الأغنية اليمنية في أعماق الخليج (مشترك)

حمينيات صدى صيرة

تداعيات الغربة (شعر)

ـ في الطريق الى النشر:
«دراسات يمانية في الطب والفن».